الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر

تأليف : إفريت م. روجرز

ترجمة : سامي ناشد



عالم الكتب

٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة ت



الأفكار المستحدثة
وكيف تنتشر

تأليف : افريت م . روجرز
ترجمة : سامي ناشد



٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة ت: ٣٩٢٦٤٠١

DIFFUSION OF INNOVATIONS

by

E. M. Rogers

محتويات الكتاب

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب موجه لطلاب الدراسات العليا المقيدين فى فصول علم الاجتماع وطلاب الدراسات الاجتماعية الأخرى مثل علم الأنثروبولوجى، وعلوم الاقتصاد ، وعلم التاريخ ، وعلم النفس ، ولكل من تستهويه الدراسات المتعلقة بانتشار الجديد من الأفكار . (لهذا السبب قمنا بتحديد المفاهيم ذات الصلة بعلم الاجتماع كلما وردت فى سياق الحديث) .

لقد استعرضنا فى هذا البحث أكثر من خمسمائة مطبوع من المطبوعات التى تعالج موضوع انتشار الجديد من الأفكار . ومن هذه المطبوعات ما يتراوح مداه من اهتمام الأطباء بالأدوية الجديدة إلى انتشار الأدوات والآلات اليدوية بين أفراد القبائل البدائية ، ومن انتشار تعلم قيادة السيارات بين طلاب المدارس الثانوية إلى انتشار بذرة الذرة الهجين بين الفلاحين . وبالرغم من أن هذه الدراسات قد تمخضت عن عدد من الحقائق المقبولة بوجه عام ، فإن الفحص الدقيق لكل ما كتب عن هذا الموضوع يدل على قلة الجهود التى تبذل لتلخيص النتائج المستقاة وتقييم النظريات المتعلقة بموضوع انتشار الأفكار . وهذا الكتاب يهدف إلى بلورة هذه النتائج وتحديد النظريات .

ومن الشواهد على حاجتنا إلى هذه البلورة النقص الواضح فى شيوع مناهج البحث المتعلقة بهذا الموضوع نفسه . فمثلاً نرى أن العاملين فى حقل التربية والتعليم قد أغفلوا إلى حد كبير ما توصل إليه رجال علم الاجتماع الريفى فى مجال انتشار الأفكار المستحدثة ، كما أن المشتغلين بعلم الأنثروبولوجى لا يقيمون وزناً كبيراً لمثل هذه الموضوعات . ويكاد يكون

من المؤكد أن كافة المعلومات ذات الصلة بموضوع انتشار الأفكار الجديدة تحتكرها الآن عدة جماعات صغيرة تشتغل فى مجالات البحث المتعلقة بهذا الموضوع.

هذا الكتاب لا ينهض على المراجع الخمسمائة التى تبحث فى هذا الموضوع فحسب، بل إنه يعتمد كذلك على البحوث التى لم تنشر، وعلى المحاورات الشخصية مع المهتمين بهذا الموضوع من أمريكيين وأوربيين. ورحلتى التى طفت فيها عام ١٩٦٠ بمراكز البحث فى الدول الأوربية كشفت لى عن العديد من الدراسات التى لم يكن من الميسور الاطلاع عليها وأنا فى بلدى، الولايات المتحدة.

على أن سيل الدراسات فى هذا الموضوع ما زال دافقاً. وثمة أعمال عديدة لم تطبع بعد، وإن كنت قد اطلعت على أصولها بفضل كرم أصحابها، ولقد استشهدت هنا بفقرات كاملة منقولة عن هذه الأعمال. وقد يكون من الضرورى هنا أن أنوه عن أن العدد القليل من الدراسات التى ظهرت فى أعقاب الانتهاء من وضع أصول هذا الكتاب لم يأت بجديد يمكن أن يضاف إليه، بل إن العدد الأكبر من الأحكام التى جاءت عقب ظهوره برهنت على أنها تأكيد جديد للنظريات العامة التى وردت فيه.

ونظراً لكثرة ما ظهر من كتب فى هذا الموضوع يخشى بعض المراقبين من أن هذا الميدان قد أصبح الآن أرضاً قاحلة لا تعطى مزيداً من حصاد، على أنه من الجائز أن يستطيع هذا الكتاب أن يعاون فى اقتراح الأماكن التى يؤدى التنقيب فيها إلى الحصول على الثمار المرجوة. ويفصح هذا الكتاب عن أن الدارسين لهذا الموضوع قد نقبوا حيث التربة رخوة، أى حيث استطاعوا الحصول على ما يساعدهم على البحث. والتحدى الحقيقى للبحوث التى سوف تظهر مستقبلاً يكمن فى الطريقة التى يمكن بها توسيع مجالات

التنقيب عن أهداف جديدة مختلفة عن أهداف الماضى . ومن الجائز أن يكون ثمة حاجة إلى تنقيب أعمق فى اتجاهات تفصح عنها النظريات . وبالرغم من أن الجانب الأكبر من الاهتمام موجه إلى النتائج التى تتمخض عنها البحوث فثمة إطار من التفكير النظرى يهدف فى المقام الأول إلى استكمال هذه النتائج وإدخال قدر من التنظيم عليها ، وفى هذه الحال توضع النتائج التجريبية فى سياق منطقى .

هذا الكتاب بصورته الراهنة لا بد وأن تكون له اتجاهات تعليمية وتهذيبية شأنه فى ذلك شأن البحث الذى يكوّن القاعدة التى يقوم عليها . ومهما يكن من أمر ، فإن هـــذه المعلومات التى تدخل فى تكوين هذا الكتاب قد تم تحليلها على أسس تتميز فى غالبيتها بأنها وثيقة الصلة بعلم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعى .

أما المنتفعون بهذا الكتاب فلن يكونوا كلهم من طلاب الكليات ، بل من المتوقع أن يكون بعضهم من ذوى التأثير فى مجالات التغيير الاجتماعى، كالإخصائيين الاجتماعيين وغيرهم ممن يهدفون إلى نشر جديد الأفكار . وفى هذه الحال يكون الاهتمام الأول منصباً على ما هو معلوم عن طرائق انتشار الأفكار ، وكذلك على ما يجب الكشف عنه فى هذا المجال .

كم أود أن أعترف بالفضل لمراكز التجريب الزراعى فى ولايتى أيوا وأوهايو لتبنيهما بحثى عن انتشار الأفكار المستحدثة (وجزء من هــذا البحث يظهر هنا للمرة الأولى . وإنى أقر هنا بأن « مؤسسة البحث فى السلوك الإنسانى » كانت لى خير عون على استكمال نواحى هذا البحث . أما شكرى الخاص فإنى أوجهه إلى « جين هافنز » و « جو كرايمز » بجامعة أوهايو ، و « رابيل بيرج » بجامعة بنسلفانيا ، و « آل بيرد » بجامعة

ميتشجان ، و « راري كامبل » بشركة منستو الكيماوية و « جيرى أيلهولتز » بجامعة جنوب فلوريدا ، و « آن ڤان دنبان » بجامعة « واجننجن » بهولندا . أما طلابى بأقسام الدراسات الجامعية والعالية ، فإنى أحمد لهم حسن استقبالهم للسودات الأولى لهذا البحث .

لقد بدأ اهتمامى بهذا الموضوع عندما كنت من صبيان المزارع فى ولاية « أيوا » . وعقب تخرجى فى المدرسة الثانوية ، وانتهائى من الدراسات العملية بإحدى الكليات الزراعية ، اكتشفت أن أفراد البيئة التى كنت أعيش فيها لا يستجيبون كثيراً للأفكار والآراء التى كنت أعرضها عليهم. إن ما أحسست به من خيبة أمل لهذا الفشل الذى منيت به فى مطلع حياتى العملية قد تحول إلى رغبة دائمة فى البحث والدراسة ، وذلك بفضل الجهود التى بذلها دكتور « جورج م. بيل » فى قسم الدراسات العالية بجامعة أيوا. أما اهتمامى بتقصى أسس الموضوع فقد انعكس على دراساتى الإحدى عشرة وفى ختامها هذا الكتاب ...

افيريت م . روجرز

الفصل الأول

تمهيد

« المشكلة هي أننا لو أعطينا مائة فكرة جديدة ، منها المتعلق بالألفاظ والأساطير القديمة ، ومنها ماهو متعلق بالصناعة وغير ذلك ، فإن عشراً منها لابد أن تنتشر خارج الحدود ، في حين تندثر التسعون الباقية وتتعرض للنسيان . فكيف السبيل إلى التقليل من سلطان هذه الظاهرة ؟ »

« جبرائيل تاردى » ، عام ١٩٠٣ .

وصفحات تاريخ العالم مليئة بالقصص المتدافع عن الحروب الدامية ، ذلك القصص الذى يصور تصويراً قوياً الطريقة التى تتغير بها ثقافة الأمم والناس . وبالرغم من ذلك ، فإن عدداً من المعارك الكبرى التى خاضتها البشرية لم يكن سلاحها السيف ، بل الأفكار التى تغلغلت فى حياة الناس ، ثم ظهرت مرة أخرى على صورة تطوير اجتماعى . وإن الانفجارات والهزات التى تحدثها الأفكار الجديدة فى عقول الناس ، لهى من الأمور التى لايشك إنسان فى وجودها ، كما لا يشك فى آثارها المخربة . وهذا مانراه فى الصواريخ الذرية التى تستعملها أسلحة الحرب الحديثة .

« ريد » ، عام ١٩٦٠ .

ونتائج التغيير التكنولوجى ظاهرة للعيان فى كل مكان . من ذلك ما نراه فى ميادين الزراعة الأمريكية حيث كان المزارع العادى عام ١٨٢٠ ينتج ما يكفى أربعة أشخاص غيره ، فى حين أنه عام ١٩٤٠ ارتفع هذا العدد إلى اثنى عشر ، وفى عام ١٩٦١ أصبح العدد سبعة وعشرين . ومن الشواهد الأخرى على التغيير التكنولوجى العدد المتزايد من الأدوية

الجديدة التى تخرج إلى الأسواق كل عام ، وكذلك الزيادة المطردة فى الإنتاج مقدراً بعدد الساعات التى يشتغلها الفرد فى اليوم الواحد ، وكذلك انتشار العمليات الآلية فى ميادين الصناعة ، وانتشار الأجهزة المنزلية ، وظهور أنواع جديدة منها كل عام . وبالإضافة إلى ذلك ، نرى أن سكان الولايات المتحدة لايرضيهم أن يقفوا عند حد إجراء شىء من التعديل فى ثقافتهم ، إذ أنهم يسعون لإدخال أفكارهم المستحدثة إلى المناطق الأخرى من العالم ، وهى المناطق التى لم تستكمل نموها بعد .

لقد صرف سكان الولايات المتحدة عشرة بلايين دولار على بحوث التنمية عام ١٩٦٠ ، ولسوف يزداد هذا الرقم إلى مايقرب من إحدى وعشرين بليوناً فى عشر سنوات . ومع ذلك فإن هذه المبالغ الباهظة التى تصرف على البحث العلمى ، لاتعتبر استثماراً حقيقياً ما لم تنتشر نتائج هذه البحوث فى أوسع نطاق ممكن ، وما لم يتم اعتناق الأفكار التى تتمخض عنها . ولما كانت هذه الحقيقة قد أصبحت واضحة تماماً فى السنوات الأخيرة ، فإن جهوداً عديدة تبذل الآن للإسراع بنشر نتائج البحوث والعمل على التغلب على آثارها إلى أبعد حد ممكن .

وبالرغم من الموقف المشجع الذى يقفه الأمريكيون عادة تجاه العلوم والتكنولوجيا ، فإنه من الضرورى أن تنقضى فترة طويلة ـ فترة اختبار ـ قبل أن تنال أية فكرة جديدة قبولاً عاماً لدى الناس ، وهذا أمر لاشك فيه بالرغم من الفوائد الاقتصادية التى تعود على الناس من ورائها . فمثلاً وجد أن ثمة فترة زمنية تبلغ أربعين عاماً انقضت فيما بين النجاح الذى صادفه اختراع الفرن السفلى فى صناعة الفخار وبين انتشار هذا الفرن . كذلك تطلب الحال مرور أكثر من أربعة عشر عاماً قبل انتشار بذور الذرة الهجين وإقبال زراع ولاية أيوا عليها . ومن المعروف أن مايقرب من خمسين عاماً انقضت عقب ظهور أسلوب التربية الحديثة إلى الوجود وقبل

أن يدخل هذا الأسلوب إلى مدارس التعليم العام . على أنه من المعلوم أن المدرسة الأمريكية العادية تعتبر متأخرة بما يقرب من خمسة وعشرين عاماً عن غيرها من المدارس التي تطبق أسلوب التربية الحديثة .

والبحوث الأخيرة التي أجريت على جديد الأفكار وطرق انتشارها تكشف عن وجود العديد من مثل هذه الثغرات الزمنية . فمثلاً المزارع الأمريكي العادي في مقدوره أن ينتج ما يكفي خمسين فرداً (وليس سبعة وعشرين فرداً) إذا اتبع الأساليب الحديثة في عمله . والواقع أنه ورد في تقارير إدارتين من إدارات وزارة الزراعة الأمريكية أن « الناس يتطورون ويستخدمون التكنولوجيا في الزراعة بطريقة تذكرنا بالحركة البطيئة في قفزات الضفدعة . والفترة الزمنية التي تنقضي بين كل قفزة يمكن أن تقدر بالشهور أو الأعوام ، أو حتى عشرات الأعوام » . لهذا السبب نرى أنه بالرغم من استثمار مبالغ باهظة في تطوير الأفكار الجديدة ونشرها بين المعنيين بها وتوصيلها إليهم فإنه لابد من انقضاء وقت طويل قبل أن يتبنى عدد كبير من الناس هذه الأفكار ويفيدون منها .

إن أحد الأهداف الظاهرة أو الباطنة لكثير من الدراسات التي تجرى على انتشار الأفكار الجديدة كان دائماً ينحصر في تحديد الأساليب التي يمكن بمقتضاها التعجيل بهذا الانتشار . على أن تحقيق هذا الهدف لهو من الأهمية بمكان كبير لأمريكا الحديثة وعلى وجه التحديد مركزها الدفاعي الخارجي . ومن الواضح أن البحوث وحدها ليست بكافية لحل معظم المشكلات بل إن نتائج هذه البحوث هي التي لابد أن تنتشر وأن تجد من يتبناها قبل أن تتحقق الفائدة منها . والواقع أن الفوائد التي تعود علينا من البحوث التي تجرى للتعرف على حقائق انتشار الأفكار الجديدة نفسها لا يمكن أن تتحدد مالم يتم نشر النتائج وتعميمها بين الناس . ومن الأسباب الجوهرية

التى دعتنا إلى إصدار هذا الكتاب العمل على دفع الناس إلى تفهم حقائق هذه البحوث .

على أنه لا ينبغى الافتراض بأن انتشار جميع الأفكار الجديدة واعتناق الناس لها هو حتماً من الأمور المرغوب فيها . ومما لا شك فيه أن هذا الكتاب سوف يستعرض الدراسات المتعلقة بالأفكار الجديدة التى لا تحظى منا بالرضا أو الأفكار غير الاقتصادية أو الأفكار الضارة بوجه عام لكل من الفرد والمجتمع .

ونحن نقول هنا أيضاً إنه بالرغم من أن انتشار معظم الأفكار الجديدة المناسبة لنا يحتاج إلى فترة زمنية طويلة فإن حتمية انتشار مثل هذه الأفكار أمر لا يقبل الجدل . ومعظم المحاولات الرامية إلى الحيلولة دون الانتشار لم يكتب لها النجاح . ولنا عبرة فيما فعله الصينيون القدماء عندما حاولوا أن يحتكروا استخدام البارود وأن يجعلوه وقفاً عليهم وفى الجهود التى بذلتها الولايات المتحدة للحيلولة دون ذيوع سر القنبلة الذرية . على أنه لا يستبعد أن يتمكن فى النهاية العدد الأكبر من الدول الصغيرة فى العالم اليوم من الحصول على المعلومات المتعلقة بالأسلحة النووية .

الاهتمام بالبحوث الخاصة بذيوع الأفكار الجديدة :

يتحدث الدكتور « جو اكرمان » مدير مؤسسة المزارع بشيكاجو عن تجربة توضح الاهتمام المتزايد بذيوع الأفكار الجديدة . فقد دعت مؤسسة المزارع عدداً من علماء علم الاجتماع الريفى المهتمين بموضوع انتشار الأفكار الجديدة إلى ندوة خاصة . وكان ذلك عام ١٩٥٥ . وبعد أن أفرغت الهيئة من مناقشاتها وضعت تقريراً يتضمن تلخيصاً للنتائج العامة المستخلصة من الدراسات المختلفة التى أجريت على هذا الموضوع . لقد أحس علماء الاجتماع هؤلاء — فى اعتقادهم أنهم هم وحدهم المهتمون بهذا الموضوع —

بأن خمساً وعشرين نسخة فقط من هذا التقرير تعتبر كافية . غير أن مدير المؤسسة استطاع أن يقنعهم فى النهاية بالموافقة على طبع خمسة آلاف نسخة من هذا التقرير . وما إن انتهى عام ١٩٦٢ حتى وجدنا أن ثمانين ألف نسخة أخرى قد وزعت فى أنحاء العالم ، كما وضعت ترجمات لهذا التقرير باللغات الهولندية والإسبانية وغيرهما من اللغات .

وفى عام ١٩٥٥ قام عالمان من علماء الاجتماع بجامعة أيوا بإلقاء أحاديث عامة لتوضيح الطرق التى تنتشر بمقتضاها الأفكار الجديدة فى ميدان الزراعة. وبعد مرور ست سنوات كانا قد تمكنا فى أثنائها من إلقاء هذه الأحاديث العامة بما يزيد على مائة وستين مرة أمام عدد كبير من الفئات ذات القدرة على إحداث التغيير الاجتماعى بنقل الجديد من الأفكار كالبائعين المتجولين ومندوبى شركات الإعلانات ورجال الخدمة العامة فى المؤسسة الزراعية ومديرى المصانع . ولقد ترك مثل هذا العمل أثراً كبيراً فى تعريف الناس بالنواحى النظرية وكذلك فى نشر نتائج البحوث التى أجريت فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة .

البحوث التى أجريت على ذيوع الأفكار الجديدة :

فى السنوات الأخيرة ، زاد عدد الدراسات التى أجريت على ذيوع الأفكار المستحدثة ، كما زاد الاهتمام بنتائج هذه الدراسات . فمثلاً نجد أن ما يزيد على ١٧٢ بحثاً عن الأفكار الجديدة فى عالم التربية والتعليم قد أجريت منذ عام ١٩٣٨ . كذلك حظيت البحوث المتعلقة بالأفكار الجديدة فى الزراعة باهتمام كبير إذ أن علماء الاجتماع الريفى قد أجروا ما يزيد على ٢٨٦ بحثاً منذ أن بدأت الحملة الأولى التى قادها « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ لتقصى الحقائق فى موضوع اعتناق الزراع لفكرة الذرة الهجين. ومما لاشك فيه أن أمراً كهذا يمثل من نواحى عديدة الأفكار الجديدة فى ميدان الزراعة تمثيلا صادقاً . لقد استطاع « رايان » و « جروس » أن

ينفذا إلى عدد كبير من المناطق ويتناولاها بالتحليل الدقيق ، تلك المناطق التى كانت دائماً هدفاً لدراسة الباحثين فى طبيعة انتشار الأفكار الجديدة .

أما البحوث التى يتناولها هذا الكتاب وعددها ٥٠٦ بحوث فقد تمخضت هى الأخرى عن نتائج مماثلة إلى حد كبير وإن كانت المحاولات التى بذلت للمفاضلة بين النتائج لم تكن كافية . وينبغى الإشارة هنا إلى أنه بالرغم من أن دراسات عديدة قد وضعت فعلاً ، ما زال هناك الكثير الذى لا بد أن يعمل فى هذا المجال . أما المجالات التى ما زالت تحتاج إلى دراسات فسوف نشير إليها فى أماكن مختلفة من هذا الكتاب .

والأفكار الجديدة التى كانت موضوعاً للدراسات والبحوث المذكورة فى هذا الكتاب توضحها الأمثلة التالية :

١ — شيوع المصل الواقى من الجدرى بين الأطباء فى إنجلترا وفرنسا فى القرن الثامن عشر وعلاقة ذلك بأحد الأدوية القائمة على المضادات الحيوية التى يستعملها أطباء ولاية إلينوى لنفس هذا المرض .

٢ — الأسمدة الكيماوية وثانى أكسيد الأيدروجين المبيد للأعشاب الضارة ، والسيارات ذات الصهاريج المستخدمة فى نقل الألبان ، وغير ذلك من الأفكار ذات الصلة بالزراعة وتربية الحيوانات والتى توجد فى البيئات الريفية .

٣ — تدريب التلاميذ على قيادة السيارات وبرامج علاج التأخر فى القراءة وغيرها من الأفكار الجديدة التى ذاع أمرها فى دنيا التربية والتعليم .

٤ — تنظيم النسل بين المهاجرين من بورتوريكو .

٥ — المنسوجات الجديدة المصنوعة من مواد مستحدثة كالنيلون ، والبطاطين الكهربائية ، وغيرها من المخترعات المنزلية التى انتشرت بين ربات البيوت .

٦ — أساليب تربية الأطفال وهى الأساليب الشائعة بين الأمهات الأمريكيات .

٧ — هواية صنع أجهزة الراديو .

٨ — استخدام ماكينات السحب العالى فى صناعة غزل ونسج القطن .

٩ — إقبال الفلاحين فى تايلاند على تربية الأسماك فى حقول الأرز .

وبالرغم من الصفات الخاصة التى تتسم بها كل فكرة من الأفكار المذكورة فإننا نرى تشابهاً أساسياً مشتركاً بين النتائج المستخلصة من الدراسات التى أجريت عليها . ويشكل هذا التشابه العمود الفقرى لهذا الكتاب .

الهدف الذى يسعى هذا الكتاب الى توضيحه:

وبالرغم من أن الباحثين فى عدد من مجالات البحث المختلفة قد قاموا بدراسة ظاهرة انتشار الأفكار الجديدة فإن العلاقة تكاد تكون مفقودة بين هذه البحوث بعضها ببعض . فمثلاً نجد أن رجال علم الاجتماع الطبى وعلماء التربية والتعليم وعلماء الأنثروبولوجيا ورجال علم الاجتماع الريفى يكاد يجهل كل منهم مايقوم به الآخر من أبحاث فى ميدانه وما توصل إليه من نتائج . وفى كل مجال من مجالات البحث تطورت الأمور إلى الدرجة التى يصبح معها من الميسور الحصول على نتائج أكبر لو تمت الاستعانة بنتائج البحوث التى أجريت فى المجالات الأخرى ، وذلك أفضل بكثير من القيام بمزيد من البحث المعتمد على مزيد من الجهد والمال فى نفس المجال . وفى ميدان الزراعة توجد ملخصات لنتائج البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة فى نطاق الزراعة وضعها « ليونبيرجر » عام ١٩٦٠ . أما فى مجال التربية والتعليم ، فقد وضع هذه الملخصات «روس» عام ١٩٥٨ . على أنه مامن باحث حاول حتى الآن إبراز المناهج المشتركة التى سارت بمقتضاها كافة البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة فى تلك المجالات . وهذا هو نفس ماننصدى له الآن .

والهدف الأساسى لهذا الكتاب هو تجميع وتقييم النتائج التى تمخضت عنها البحوث والنظريات التى تم وضعها فى هذا المجال . ولو كان لدى القارىء الوقت الكافى لقراءة وهضم تقارير عن عدد من البحوث يزيد على خمسمائة وستة بحوث فهو إذن ليس فى حاجة إلى مثل هذا الكتاب . على أنه ليس من الميسور أبداً الحصول على كثير من المطبوعات المتضمنة تلك البحوث حيث أن بعضاً منها عبارة عن رسائل علمية نفدت طبعاتها ، أو تقارير مكتوبة وموزعة فى أماكن متعددة . وإحدى وظائف هذا الكتاب العمل على تقريب هذه المصادر للقارىء ، كما أنه من المؤمل أن يحول هذا الكتاب مستقبلاً دون تكرار للجهود التى بذلت فى مجال البحث وازدواجها . أما المجالات التى تحتاج منا إلى أن نقوم فيها ببحوث خاصة فيمكن أن تدلنا عليها الطريقة التى نصطنعها عند التفكير فى وضع نظرية تعبر عن موضوع انتشار الأفكار الجديدة بين الناس .

ومعظم البحوث التى أجريت على هذا الموضوع تمت عن طريق الأداة المحببة لدى علماء الاجتماع ألا وهى المقابلة الشخصية . وبالرغم من نقائص معينة فى هذا الأسلوب ، فمن الميسور القول إن الجانب الأكبر من البحث الذى يجرى على إنتشار الأفكار الجديدة يتميز بالرصانة والقوة . ومؤلف هذا الكتاب لم يحاول تقرير نتائج رئيسية مستمدة من البحوث التى يتصدى لها بالدراسة فحسب بل سوف يبين باختصار طريقة الحصول على هذه النتائج ، ومن ثم يستطيع القارىء أن يحكم بنفسه على صدقها . والعديد من النتائج قد نظمت حول سلسلة من التعميمات التى تلخص الشواهد المتاحة على وجود علاقة بين مفهومين أو أكثر . وبالرغم من أن هذه التعميمات تتسم بقدر من الصدق ، فإننا لانستطيع أن ننظر إليها باعتبارها مبادىء عامة حتى نقوم بقسط أوفر من البحث ، وقبل ذلك فهذه التعميمات تتراوح بين حدى الفروض والمبادىء . على أن الأمر

يحتاج إلى مزيد من التعميمات تضاف إلى التعميمات الحالية كلما أصبح من الميسور الحصول على نتائج جديدة للبحوث .

وهذا الكتاب يتضمن أيضاً عدداً كبيراً من الأمثلة الشارحة للقضايا والمواقف . والمثال التالى يبين العوامل المعقدة التى يتضمنها انتشار الأفكار الجديدة وهو يصور فشل إحدى الحملات الصحية لإقناع سكان إحدى المدن فى جمهورية « بيرو » بغلى الماء قبل شربه . ومن الجائز أننا نستطيع أن نفيد من تحليل الفشل فى ذيوع الأفكار الجديدة ، كما نفيد من دراسة النجاح الذى تحرزه هذه الأفكار فى مجال الانتشار ، وإن كان عدد هذا النوع من التحليل الدراسى مازال قليلاً نسبياً .

فكرة جديدة لم يكتب لها الذيوع :

على الماء قبل شربه فى احدى مدن جمهورية بيرو :

حدث فى جمهورية « بيرو » أن دعت الأحوال الصحية إلى اتخاذ بعض الإجراءات الخاصة للمحافظة على الصحة العامة كغلى الماء الملوث قبل شربه . وبعد عامين من العمل الشاق لنشر هذه الفكرة بين سكان « لوس مولينوس » ، وهى بلدة ريفية تضم مائتين من السكان ، استطاعت إحدى المشرفات الصحيات المحليات أن تقنع ، بعد سلسلة من الزيارات للمنازل ، إحدى عشرة سيدة من سيدات البيوت بغلى الماء قبل شربه . لقد عاون « نيليدا » المشرفة الاجتماعية فى عملها هذا طبيب ، وكان بدوره يلقى من حين إلى آخر أحاديث عامة عن غلى الماء قبل شربه . كذلك عاونها عدد من ربات البيوت اللائى كن يغلين الماء قبل مجىء « نيليدا » .

وبالرغم من الجهود الجبارة التى بذلت لتعويد الناس على غلى الماء قبل شربه ، فإننا نتساءل فى عجب : لم لم يكتب لهذه الفكرة الذيوع فى تلك المدينة الصغيرة ؟ ولكى يمكن الإجابة على هذا السؤال لابد أولاً من فهم طبيعة سكان بلدة « لوس مولينوس » ومعرفة الكثير عن ثقافتهم .

« لوس مولينوس » :

ومعظم سكان بلدة « لوس مولينوس » هم من الفلاحين الذين يعملون فى المزارع المحلية عمالاً زراعيين . فى هذه البلدة لا ينقل الماء فى أنابيب ولكن يحمل مباشرة من النهر ، ومن الآبار بوساطة الأوانى المعدنية والدلاء والقلل والبراميل . والأطفال هم فى العادة الذين يتولون حمل الماء من مكان إلى آخر حيث أنه من غير اللائق لذوى السن المتقدمة أو المركز الاجتماعى أو أصحاب العائلات أن يتولوا بأنفسهم نقل الماء . وللماء فى هذه المدينة مصادر ثلاثة : الحفر الموسمية التى تستخدم لتجميع المياه وتوجيهها لرى الأراضى ، والعيون ، والآبار العامة . وهذه كلها معرضة فى جميع الأوقات للتلوث كما أنه قد ثبت تلوثها فى كل مرة فحصت فيها . ومن بين هذه المصادر الثلاثة تعتبر الحفر الموسمية أكثرها استخداماً إذ أنها تكون عادة قريبة من المنازل ويسهل على الأطفال الوصول إليها وجلب الماء منها ، كما أن الناس يفضلون ماءها لأنه يميل للجريان ولا يعتبر راكداً .

وإقامة شبكة لنقل الماء بطريقة صحية فى هذه المدينة ليست من الأمور الميسورة ولكن احتمالات انتشار أمراض كالتيفود وغيره من الأمراض التى تنتشر بتأثير تلوث المياه يمكن تقليلها إلى أقل حد ، وذلك بغلى الماء قبل شربه أو استخدامه . وفى خلال العامين اللذين أمضتهما « نيليدا » فى بلدة « لوس مولينوس » زارت جميع المنازل ، ولكنها كرست جهوداً خاصة للاهتمام بإحدى وعشرين أسرة من أسر المدينة ، فزارت كل أسرة من هذه الأسر المختارة عدداً من المرات يتراوح بين خمس عشرة وخمس وعشرين مرة . إن إحدى عشرة أسرة من الأسر الواحدة والعشرين يقومون الآن بغلى الماء بانتظام قبل استخدامه .

والآن لننظر إلى أفراد هذه الأسر نظرة فاحصة ونتناول بالدراسة ربات ثلاث : واحدة تغلى الماء لمجرد مسايرة العادات والتقاليد، وواحدة تغليه إرضاء للمشرفة الصحية ، وواحدة رفضت الفكرة تماماً .

السيدة الأولى :

وهى التى تساير العادات والتقاليد ، وقد شارفت على الأربعين وتشكو من جيوب أنفية ويطلق عليها أهل المدينة « السيدة المتمارضة » . إنها تغلى قدراً صغيراً من الماء وتستخدمه طوال اليوم . هذه السيدة ليست لديها أية فكرة عن الجراثيم، ولكن الدافع لها على غلى الماء تدعمه عقدة أوجدتها التقاليد المحلية ذات الصلة بالأطعمة « الساخنة » و « الباردة » . والمبدأ الأساسى لهذا الاعتقاد ينشأ من القول بأن كافة الأطعمة والسوائل والأدوية ومواد أخرى هى بطبيعتها إما ساخنة وإما باردة ، وهى فى ذلك لا تخضع لدرجة الحرارة السائدة فى الجو الخارجى . وفى حقيقة الأمر تستخدم الفروق فى مجال البرودة والسخونة كمجموعة من الإشعارات للابتعاد عن استعمال الشىء أو الإقبال عليه وبخاصة فى أوقات الصحة والمرض . والماء المغلى يرتبط فى أذهان الناس فى بلدة « لوس مولينوس » بالمرض ، ووفقاً للتقاليد فإن المرضى فقط هم الذين يستخدمون الماء المغلى، أو « الساخن » . وبمجرد أن يعتبر الشخص مريضاً ، يصبح من الأمور المستبعدة كثيراً أن يقدم هذا الشخص على أكل لحم الخنزير وهو « بارد جداً » ، أو شرب البراندى « وهو شراب « ساخن جداً » . والماء قبل الغلى هو أيضاً « بارد جداً » . ومن الواجب البعد كلية عن التطرف نحو إحدى ناحيتى السخونة والبرودة .

والسكان المحليون يتعلمون من مطلع الطفولة الباكرة كره الماء المغلى، ومعظمهم يستطيعون أن يتحملوه فى حالة ما إذا أضيف إليه ما يغير طعمه

فقط كالسكر أو القرفة أو الليمون أو الأعشاب البرية . أما هذه السيدة التى تساير العادات والتقاليد ، فتفضل أن تضيف إلى الماء الساخن قليلاً من القرفة . وهكذا نرى أن فكرة التلوث البكتريولوجى الماء لا يدخل أبداً فى نطاق الأفكار المكونة لثقافة هؤلاء الناس . وبمقتضى التقاليد الموروثة يهدف غلى الماء إلى القضاء على صفة البرودة الكامنة ذاتياً فى الماء غير المغلى ، وليس القضاء على البكتريا . إن هذه السيدة من عادتها أن تشرب الماء المغلى لمجرد مسايرة التقاليد ، ولكنها تشكو المرض برغم ذلك .

السيدة الثانية :

وهذه خضعت لإغراء المشرفة الصحية . لقد جاءت أسرة هذه السيدة إلى « لوس مولينوس » منذ جيل مضى ، ولكنها مازالت حتى الآن متأثرة بأسلوب الحياة فى وطنها الأصلى فى المرتفعات القريبة من البلدة . وربة هذه الأسرة تشعر برعب كامن من الأمراض التى يعتقد أن بيئة « لوس مولينوس » موبوءة بها . وقد يكون الخوف من المرض من جانب السيدة ربة هذه الأسرة أحد الأسباب التى عاونت المشرفة الصحية « نيليدا » على إغراء هذه السيدة بغلى الماء قبل استخدامه .

و « نيليدا » هى فى واقع الأمر صديقة لهذه السيدة ، وليست هى المفتشة اللعينة التى تبدو هكذا فى عيون بعض السيدات ، بل إن عملها إنما هو تبصير الأسر المهاجرة من الأقاليم المرتفعة بطبيعة الحياة فى المنطقة المنخفضة وتأمينهم ضد الأمراض الخطيرة المنتشرة فى هذه المنطقة . هذه السيدة تغلى المـــاء قبل استعماله . ليس هذا فحسب ، بل إنها أيضاً قد أقامت مرحاضاً ، كما أنها أرسلت ولدها الصغير إلى مركز الرعاية الصحية للكشف عليه .

هذه السيدة مازالت تعتبر غريبة على بيئة « لوس مولينوس » ، والسبب

فى ذلك لغتها الأسبانية الركيكة ، وهى لغة أهل المدينة ، وتسريحة شعرها المنقولة عن سيدات المنطقة الجبلية . وهذه السيدة عاجزة تماماً عن الاندماج الكامل فى مجتمع « لوس مولينوس » . ولما كانت بيئة هذه البلدة بالنسبة لهذه السيدة ليست بالمكان الطبيعى لها وهى لا تشعر نحو البلدة بروح الانتماء الطبيعى، فإن هذه السيدة لا تأخذ بالمعايير الاجتماعية الشائعة فى البيئة وخاصة فيما يختص بانتشار الأفكار الجديدة . ولما كانت هذه السيدة ليس لديها ما تخشى ضياعه من الناحية الاجتماعية ، فإنها تحس أنها تربح من ناحية الطمأنينة الذاتية عند ما تعطى أذناً صاغية لنصائح « نيليدا » الودية . ومن الواضح أن غلى الماء قبل استعماله بالنسبة لهذه السيدة لن يحسن من مكانتها الهامشية فى مجتمع « لوس مولينوس » ، كما لن يزيده سوءاً . إنها تحس بعرفان الجميل بالنسبة « لنيليدا » لأنها بصرتها بالطريقة التى تزيل بها عن نفسها شعور الخطر والخوف من الماء الملوث .

السيدة الثالثة :

وهى التى ترفض النصيحة . وتمثل هذه السيدة الغالبية العظمى من أسر « لوس مولينوس » التى لم تقنعها الحملة الصحية بغلى الماء قبل استخدامه . وهذه السيدة لا تعرف شيئاً عن الجراثيم بالرغم من جهود « نيليدا » لتفهيمها كل شىء عنها . إنها تظل تتساءل كيف لا تغرق هذه الجراثيم فى الماء ؟ هل هى من فصيلة الأسماك ؟ إذا كانت الجراثيم من الضآلة بحيث لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة . أو حتى الشعور بها، فكيف يمكن لمثل هذه الكائنات الدقيقة أن تعيش فى الماء ؟ فى العالم ما يكفيه من أخطار حقيقية جديرة بأن نهتم بها ونضطرب بسببها كالفقر والجوع ، فلم نضايق أنفسنا بالتفكير فى مخلوقات لا ترى أو تسمع أو تلمس أو تشم ؟ إن ولاءات هذه السيدة للمستويات التقليدية والمعايير الموروثة إنما هى فى صراع دائم مع فكرة غلى الماء قبل

استعماله . إن هذه السيدة ، لكونها تنتمي انتماء قوياً لعقدة البرودة والسخونة ، لتحس إحساساً عميقاً بأن معتلي الصحة هم وحدهم الذين يحتاجون إلى شرب الماء المغلي . ومعظم ربات البيوت ، وبخاصة أولئك اللاتي ينتمين لمستويات اجتماعية بسيطة ، يعارضن فكرة غلي الماء لأنهن لا يستطعن ذلك حتى لو اقتنعن بصدق الفكرة . وهؤلاء النسوة يتعللن بحاجتهن إلى الوقت لكي يقبلن على غلي الماء . والفقيرات من ربات البيوت لا يستطعن عادة تحمل ثمن الوقود اللازم لهذا الأمر وهن في ذلك يختلفن عن سيدات الطبقة الوسطى . هؤلاء النسوة الفقيرات يعملن عادة جنباً إلى جنب مع أزواجهن في الحقول وهذا يحرمهن من الوقت لغلي الماء لأسرهن .

وثمة فرق أيضاً في الكيفية التي تنظر بها الطبقتين الوسطى والدنيا إلى « نيليدا » . إن معظم الأسر الفقيرة تنظر إلى المشرفة الصحية باعتبارها « المفتشة الملعونة » أو « الجاسوسة » بعث بها إلى « لوس مولينوس » لتتصيد الأخطاء ولتضايق ربات البيوت بالضغط عليهن ومطالبتهن بالعناية بنظافة بيوتهن . ولما كانت هذه الفئة الفقيرة من ربات البيوت لا يملكن سوى القليل من وقت الفراغ ، فإن فرص إلتقائهن « بنيليدا » للتحدث عن فوائد غلي الماء قبل شربه كانت نادرة .

هذه الفئة محرومة أيضاً من فرص تكوين علاقات اجتماعية مع أناس من بيئات أخرى خارج البيئة التي يعشن فيها وهن ملتزمات لنمط الحياة ومخلصات للقيم الثقافية الشائعة في بلدة « لوس مولينوس » . وبسبب تمسك أفراد هذه الفئة الفقيرة بالتقاليد المحلية فإنهن يملن إلى مقاومة كل ما هو جديد واعتبار كل ما هو مستحدث خطراً داهماً يهدد التقاليد الثابتة .

ما نستنتج مما سبق :

فشلت فشلاً ذريعاً حملة صحية واسعة النطاق قامت بها زائرة صحية في

بلدة صغيرة من بلدان جمهورية « بيرو » تسكنها مائتا أسرة وكانت الحملة تستهدف إغراء السكان حتى يغلوا الماء قبل استعماله . أما أسباب الفشل فيمكن إرجاعها إلى المعتقدات الثقافية لسكان هذه البلدة وبخاصة عاداتهم المتعلقة بالأطعمة الباردة والساخنة وعلاقة ذلك بالأمراض ، فغلى الماء يجعله أقل « برودة » ومن ثم يصبح مناسباً فقط لذوى الصحة العليلة . أما إذا لم يكن الشخص مريضاً فإن المعايير الثقافية الشائعة تمنعه من شرب الماء المغلى .

والخارجون على تقاليد المجتمع هم وحدهم القادرون على تحدى العادات الخاصة بغلى الماء قبل استخدامه . وإن عاملا هاماً من العوامل التى تؤثر على مدى اعتناق الناس لفكرة جديدة ليكن فى القيم الثقافية الخاصة بأولئك الناس .

هذا المثال من شأنه أيضاً أن يبين أهمية العلاقات الجماعية فى مجالات اعتناق الأفكار الجديدة أو مقاومتها . فالسيدة الثانية ، وهى التى خضعت لإغراء الزائرة الصحية ، كانت من الناحية الاجتماعية غريبة على بيئتها وإن عاشت فيها سنوات عديدة ، فى حين كانت المشرفة الصحية بالنسبة لهذه السيدة تشكل « جماعة إسناد » أكثر مما كانت بيئة « لوس مولينوس » بالنسبة لها . ونتيجة لذلك اعتنقت السيدة الثانية فكرة غلى الماء . وفى أوساط ربات البيوت الفقيرات ، مثل السيدة الثالثة ، رأينا فى وضوح الشكوك التى أحس بها هؤلاء الناس نحو الزائرات الصحيات . كما لاحظنا أن أفراد هذه الطبقة لا يجدون الوقت أو المال لغلى الماء وأن فهمهم لطبيعة الجراثيم ما زال ناقصاً . إن شأن هذه السيدة الثالثة شأن الغالبية العظمى من ربات البيوت فى « لوس مولينوس » إذ أنها رفضت اعتناق فكرة غلى الماء قبل استخدامه .

عناصر انتشار الأفكار الجديدة :

سنستخدم التعاريف الخاصة بالمصطلحات التى وردت فى هذا القسم من الكتاب فى الجزء الباقى منه . على أنه تم حتى الآن تحديد مضمون بعض المفاهيم بطريقة عابرة من خلال التحدث عنها وإن كان ما زالت هناك حاجة إلى تحديد أكثر دقة لمعانى بعض المصطلحات الواردة فى هذا النص والتى تهدف إلى الإقلال ما أمكن من الاضطراب المستشرى للأفكار الذى أحاق ببعض المفاهيم الرئيسية فى هذا الموضوع .

وعند ما نتناول بالتحليل موضوع انتشار الأفكار الجديدة فإننا نجد عناصر أربعة رئيسية :

١ — الفكرة المستحدثة .
٢ — انتقال الفكرة الجديدة من شخص إلى آخر .
٣ — التركيب الاجتماعى للبيئة .
٤ — الفترة الزمنية الضرورية للانتقال .

وهذه العناصر الأربعة هى بوجه عام كتلك التى ذكرها « كاتز » عام ١٩٦١ باعتبارها لا غنى عنها فى أى دراسة لانتشار الأفكار وهى :

١ — اقتفاء آثار الفكرة الجديدة .
٢ — الفترة الزمنية اللازمة للانتشار .
٣ — وسائل هذا الانتشار .
٤ — التركيب الاجتماعى الغـــالب على البيئة التى تظهر فيها الفكرة الجديدة .

لقد اعتبر « لازويل » ذات مرة كافة البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة مجرد تحريات حول « من الذى قال ؟ » ، و « ماذا قال ؟ » ، و « بأية طريقة قيل هذا الشيء ؟ » ، و « لمن قيل هذا الشيء ؟ » ، و « ماهى النتائج ؟ » .

١ — الفكرة الجديدة :

والفكرة الجديدة ما هى إلا سانحة يتصور صاحبها أنها شىء جديد لا شبيه له ، ولا يهم كثيراً فى مجال السلوك البشرى سواء أ كانت الفكرة حقيقة جديدة أم لا عند ما تقاس بمدى الفترة الزمنية التى تنقضى من لحظة ظهورها أو استخدامها ، وإن جدة الفكرة بالنسبة للفرد إنما هى التى تحدد طريقة تصرفه حيالها .

والنظر إلى أية فكرة جديدة باعتبارها مجرد فكرة جديدة من شأنه أن يوسع من نطاق هذا التعريف . والفكرة الجديدة قد تتضمن مثلا الحركات الاجتماعية ومستحدثات الملابس وبدعها ورقصات التويست وغير ذلك من التقاليع . وعند ما يتطلب الأمر الإتيان بتعريف جامع مانع للأفكار الجديدة يمكن أن نتبع البدعة بكلمة « فنى » مثلا أو « تنظيمى » أو أية كلمة أخرى تفيد فى تحديد المعنى فنقول بدعة «فنية» أو بدعة «تنظيمية» . ومعظم الأفكار الجديدة ليست جميعها من البدع الفنية التكنولوجية .

٢ — انتقال الفكرة من شخص إلى آخر :

والانتشار هو العملية التى تذاع بواسطتها الفكرة الجديدة ، أو البدعة المستحدثة . وعملية الانتشار تنطوى على خروج فكرة جديدة من مصدرها إلى الذين يستخدمونها أو يعتنقونها .

ولب عملية الانتشار هو التفاعل الإنسانى الذى من خلاله ينقل شخص من الأشخاص فكرة جديدة إلى شخص آخر . بهذه الصورة الرامية إلى توضيح الفكرة بأبسط صورة ممكنة يمكن القول إن عملية الانتشار تتركب من:

(١) فكرة جديدة .

(٢) شخصية أولى تعرف شيئاً عن الفكرة الجديدة .

(٣) شخصية ثانية لم تعرف بعد شيئاً عن الفكرة الجديدة .

والعلاقات الاجتماعية بين الشخصيتين مسئولة إلى حد كبير عن الظروف

التى بمقتضاها تنقل الشخصية الأولى الفكرة الجديدة إلى الشخصية الثانية ، وعن نتائج هذا النقل .

٣ — التنظيم الاجتماعى السائد :

ونعنى بالتنظيم الاجتماعى المجموعة التى يختلف أفرادها من ناحية العمل الذى يقومون به ، وإن كانوا يشتركون فى اتباع سلوك اجتماعى واحد يستهدف حل ما يصادفونه من مشكلات . والأعضاء فى تنظيم اجتماعى واحد هم مجرد أفراد وإن كانوا يمثلون مجموعات غير عادية ، أو مؤسسات صناعية ، أو مدارس . وعند تحليل التنظيم الاجتماعى فى أية دراسة خاصة بطبيعة انتشار الآراء الجديدة نجد أنه قد يتركب من جميع الفلاحين فى إحدى المناطق ، والأطباء فى بيئة واحدة ، وأفراد قبيلة من القبائل الوطنية . وكل فرد من أفراد التنظيم الاجتماعى يمكن أن يتميز عن غيره من الأفراد . وجميع الأعضاء فى تنظيم اجتماعى واحد يتعاونون على الأقل طالما أن لديهم إحدى المشكلات المشتركة بينهم يسعون إلى حلها .

والأنماط الخاصة بتبنى الأفكار الجديدة تعتبر استمراراً لشىء واحد موصول الحلقات ، ويتراوح طرفا هذا الشىء ما بين الاختيار الحر من قبل الأفراد أنفسهم والقرارات الجماعية الملزمة :

١ — هناك أفكار جديدة كثيرة يتبناها فرد دون أى اعتبار لرأى غيره من الداخلين فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتمى إليه . ومن البديهيات أن الفرد فى القرارات التى يتخذها حيال فكرة جديدة قد يكون متأثراً بغيره من أفراد التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فى إطاره ، ولكن قرارات اعتناق الفكرة إنما تعود إلى حد كبير إلى الشخص نفسه .

٢ — وعلى مدار هذا الاستمرار الموصول الحلقات ، الذى يتراوح طرفاه ما بين الاختيار الحر من قبل الأفراد أنفسهم والقرارات الجماعية الملزمة ، يمكن التحقق من نقطة ذات موقع متوسط ، وهذه تمثل نمط الفكرة

الجديدة التى تتطلب قبولا مسبقاً من قبل الغالبية العظمى من أفراد التنظيم الاجتماعى السائد ، وذلك قبل أن يتخذ الفرد قراراته القاضية باعتناق الفكرة الجديدة . ومن المحتمل أن يرغب الفرد فى اعتناق فكرة معينة ، ولكنه لا يستطيع ذلك ما لم ينضم إليه آخرون فى هذا الاعتناق . والمثل على ذلك هو تبنى القبائل الهندية للنشاط الجماعى المتمثل فى رقصة الشمس . وهناك مثل آخر يتمثل فى إنشاء محطة كهرباء مركزية للفلاحين ، حيث لا بد أن يقبل الآخرون من أفراد البيئة هذه الفكرة قبل أن يستطيع فرد ما اعتناقها . وثمة فائدة قليلة يمكن أن تجنى من إنشاء مخبأ عائلى خاص للهرب فيه من الإشعاعات الذرية ما لم يتبين الفكرة العدد الأكبر من أهل الجيرة المحيطة .

٣ — ثمة آراء يتم اعتناقها عن طريق قرارات جماعية ترغم الآخرين على قبولها برغم معارضتهم لها ، والمثل على ذلك خلط مياه المدن بمادة الفلورين . وبمجرد أن تتخذ البيئة قرارها يصبح ملزماً لجميع المنتمين لها . وخلط الماء بالفلورين استحدثه خبراء صحة الأسنان حوالى عام ١٩٥٢ كوسيلة لمنع تسوس الأسنان ، واعتنق أناس كثيرون الفكرة فى الأعوام الأولى لظهورها . ولم يكد ينتهى عام ١٩٥٢ حتى أخذت المعارضة للفلورين شكلا منظما ، وقل تبعاً لذلك عدد المستجيبين للدعوة . وبنهاية عام ١٩٦١ شرب حوالى ثلث الأفراد فقط ممن يستخدمون الشبكات المائية الماء مخلوطاً بالفلورين ، كما أن حوالى ٨٠ ٪ من الأشخاص الذين سئلوا فى استفتاء محلى عن موقفهم من هذه الفكرة أجابوا بعدم رضائهم عنها . ويدلنا هذا المثال على أن انتشار الأفكار القائم على قرارات جماعية قد يشكل عملية أكثر تعقيداً ، وبخاصة عندما تكون المعارضة للفكرة على شىء من التنظيم مما يمكن أن يكون عليه الحال إزاء الأفكار الجديدة التى تتطلب حرية فردية . وفكرة تبنى البيئات لخلط الماء بالفلورين كان يمكن

أن يدعمها إلى حد كبير لو أمكن الحصول بسهولة على مادة أخرى مضادة للفلورين يستطيع المعارضون له أن يضعوها فى المياه التى يستخدمونها وبذلك يزيلون الأثر الناتج عن وضع الفلورين فى شبكة المياه الرئيسية فى المدينة . مثل هذا الإجراء الفردى من شأنه أن يحول الفكرة من فكرة تتطلب قراراً جماعياً ، إلى أخرى لا تتطلب إلا قراراً فردياً .

والمعايير الخاصة بالتنظيم الاجتماعى ، وبكل من الشخصيتين « ا » و « ب » فى التركيب الاجتماعى لهذا النظام ، من شأنها أن تؤثر فى عملية انتشار الفكرة الجديدة . وإن أهمية هذا التركيب الاجتماعى فى مجال تحليل عملية الانتشار قد سبق أن أشار إليها « كاتز » عام ١٩٦١ مؤكداً إياها بقوله : « يكاد يكون من غير المعقول دراسة عملية الانتشار دون وجود قدر من المعلومات المتعلقة بالتركيب الاجتماعى الذى يعيش فى إطاره الأفراد المتوقع اعتناقهم للفكرة الجديدة . ونحن إن فعلنا هذا نكون كمن يريد دراسة الدورة الدموية من غير معلومات كافية عن تركيب الأوردة والشرايين » . والفكرة الجديدة يمكن تعقبها وهى تنتشر فى تنظيم اجتماعى ما تماماً كما يتعقب العلماء كشافات الإشعاعات الذرية وهى تمرق خلال جسم الإنسان.

والتعريف السائد للمعيار الاجتماعى هو النمط السلوكى الشائع بين أفراد تنظيم إجتماعى معين . والمعايير الاجتماعية فى تنظيم اجتماعى قد تكون تقليدية قديمة وهى بذلك تقلل من إمكان اعتناق الأفكار الجديدة . وقد تكون عصرية وهى بذلك تشجع على اتباع الأفكار الجديدة . ومن الأمور البديهية أن الفرد قد يكون عضواً فى أكثر من تنظيم اجتماعى واحد ، والمعايير الاجتماعية الخاصة بهذه التنظيمات قد تتراوح ما بين قديمة تقليدية وحديثة عصرية .

وكدليل على أهمية المعايير الخاصة بتنظيم اجتماعى معين ما رآه مؤلف هذا الكتاب ذات مرة أثناء زيارته لجيرتين زراعيتين فى « هولندا » تبعدان

عن بعضهما خمسة أميال فقط إذ وجد أن المعايير الاجتماعية السائدة فيهما تختلف ما بين قديمة تقليدية فى إحداهما ، وحديثة عصرية فى الأخرى . والفلاحون فى الجيرة الأولى التقليدية لم يعتنقوا بعد الأفكار الزراعية التى استخدمت بنجاح لفترة تقرب من عشرين عاماً فى الجيرة الثانية التى تتغلب فيها المعايير العصرية الحديثة .

على أن الأفراد فى تنظيم اجتماعى معين لا يلعبون جميعهم أدواراً متكافئة فى مجال نشر الآراء الجديدة والتمكين لها . فثمة فرد قد يخبر غيره عن فكرة جديدة فى حين أن فرداً آخر قد ينشر الفكرة الجديدة بين عدد كبير من الناس . أى أن شخص « أ » قد ينقل الفكرة الجديدة ليس فقط إلى شخص « ب » بل أيضاً إلى أشخاص « ج » و « د » و « ه » .

والمشابهون لهذا الشخص فى مجتمع من المجتمعات ، وهم الذين يخبرون عدداً كبيراً بالأفكار الجديدة ، يطلق عليهم فى العادة قادة الفكر . وقادة الفكر هم أولئك الأفراد الذين يقصدهم غيرهم لطلب النصيحة والمعلومات . وطريقة قياس العلاقات الاجتماعية هى إحدى الطرق التى توضح أشكال الريادة الفكرية السائدة بين الأفراد فى تنظيم اجتماعى معين .

وحتى الآن لم نفكر إلا فى طريقة انتشار الأفكار الجديدة فى تنظيم اجتماعى معين . ولكن من الواضح أن الفكرة الجديدة لا بد أن تدخل التنظيم الاجتماعى من خلال مصدر من المصادر . والفكرة قد تخلق أو تخترع فى نطاق التنظيم الاجتماعى السائد ، أو أنها قد تأتى من أحد المصادر الخارجية . فأحد الأفراد قد يكون أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من غيره لأنه أخذ الفكرة الجديدة عن مصـــدر خارجى عن التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فى إطاره .

وقادة الفكر هم فى معظم الأحوال أعضاء فى التنظيم الاجتماعى الذى يمارسون فيه تأثيرهم . وفى بعض الحالات يكون الأفراد المؤثرون فى

التنظيم الاجتماعي من المحترفين الذين يمثلون منظمات خارجة عن التنظيم الاجتماعي . والأخصائي الاجتماعي ، والزائرة الصحية ، إنما هما شخصان محترفان يحاولان جهدهما أن يدفعا بحركة التبني لفكرة من الأفكار في اتجاه يشعران أنه مرغوب فيه . إنهما يسعيان في العادة إلى العمل على أن يتبنى الآخرون الأفكار الجديدة ، ولكنهما قد يسعيان أيضاً إلى الإقلال من سرعة انتشار الفكرة ، كما قد يعملان على الحيلولة دون اعتناق الناس لأفكار معينة .

٤ — الفترة الزمنية اللازمة للانتقال :

ما الذي يحدث بعد أن يسمع الشخص «ب» عن فكرة جديدة من الشخص «ا» ؟ في حالات معينة قد يقرر الشخص «ب» أن يعتنق الفكرة الجديدة . والاعتناق هو في حد ذاته قرار بالاستمرار في الاستخدام الكامل لفكرة جديدة ، وهذا التعريف يتضمن أن المعتنق للفكرة الجديدة مؤمن بها وموافق عليها .

وعملية التبني هذه ماهي إلا العملية العقلية التي يمر فيها الفرد منذ سماعه لأول مرة عن الفكرة الجديدة حتى مرحلة الاعتناق التام لها .

وثمة مراحل خمس تمر فيها عملية الاعتناق ، وهذه المراحل هي : الإدراك ، الاهتمام ، التقييم ، المحاولة ، وأخيراً الاعتناق . وعملية الاعتناق تختلف عن عملية الانتشار من ناحية أن الأولى تتعلق باعتناق الفرد لفكرة جديدة ، في حين أن عملية الانتشار تتعلق بذيوع الفكرة الجديدة داخل إطار التركيب الاجتماعي ، أو أنها تتعلق بانتشارها داخل المجتمعات المحدودة .

ونورد فيما يلي مثالا نوضح به معنى الاعتناق في مجال الجديد من الأفكار . هناك فلاح نرمز إليه بالحرف «ا» سمع لأول مرة عن بذور الذرة الهجين من قراءة مجلة زراعية وكان ذلك عام ١٩٣٣ . لم يقتنع بقيمة

هذا النوع من البذور حتى جاء عام ١٩٣٦ عند ما ناقش الفكرة مع أحد جيرانه ، وفى نفس هذا العام اشترى الفلاح مكيالا من هذه البذور. وحوالى عام ١٩٣٨ زرع هذا الفلاح كل أرضه المخصصة لزراعة الذرة بأنواع مهجنة من هذه البذور . والسؤال هنا ، متى اعتنق هذا الفلاح فكرة الذرة الهجين؟

فترة اعتناق الفكرة

مرحلة السماع بالفكرة الجديدة قرأها عام ١٩٣٣ فى مجلة زراعية	مرحلة تجريب الفكرة زرع الفلاح قليلا من البذور المهجنة عام ١٩٣٦	مرحلة اعتناق الفكرة عندما زرع كل أرضه المخصصة لزراعة الذرة بالبذور المهجنة عام ١٩٣٨

شكل رقم (١ — أ) « فترة اعتناق الفكرة من لحظة السماع عنها حتى تنفيذها »

ووفقاً للتعريف المستخدم فى هذا الكتاب اعتنق الفلاح الذى رمزنا إليه بحرف « أ » الفكرة عام ١٩٣٨ عندما قرر وضعها موضع التنفيذ . أما الفترة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٨ إنما هى الفترة الزمنية اللازمة لكى يمر الفلاح خلال عملية الاعتناق من لحظة السماع عنها حتى لحظة اعتناقها .

هذا الفلاح بالذات أصبح فيما بعد معارضاً لفكرة البذور المهجنة وعلى ذلك توقف عام ١٩٤١ عن اعتناقها عند ما زرع كل أرضه المخصصة للذرة ببذور بكر غير مهجنة . والتوقف هنا ما هو إلا قرار اتخذه هذا المزارع للإقلاع عن فكرة جديدة سبق أن اعتنقها . والرفض أيضاً فى هذه الحالة إنما هو نوع من الرفض للفكرة الجديدة ، والتوقف قرار بعدم التبنى لفكرة جديدة . وفى المثال الحالى ، لو أن الفلاح الذى رمزنا إليه بالحرف « أ » كان قد قرر عام ١٩٣٨ الإقلاع الكامل عن زراعة أرضه كلها بالبذور المهجنة ، فإننا نعتبره من الرافضين للفكرة .

أما لو كان هذا الفلاح قد تبنى هذه الفكرة عام ١٩٣٨ حين كان بعض الفلاحين من بيئته قد سبقوه فى هذا الشأن ففعلوا ذلك عام ١٩٣٢ فإن هذا الفلاح يعتبر أقل من غيره من أعضاء التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فيه انفتاحا للأفكار الجديدة . والانفتاح للأفكار الجديدة هو الدرجة التى يسبق بها الفرد غيره من أعضاء البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها استباقا نسبياً فى مجال اعتناق الأفكار الجديدة . ومن غير أن نقول عن هـــذا الفلاح إنه أقل إحساساً بجديد الأفكار من بعض الأفراد الذين يشكلون هيكل التنظيم الاجتماعى الذى يعيشون فيه ، فإنه من الأوفق أن نشير إليه باعتبار أنه يقف فى آخر الصف من الرعيل المتقدم . أى أنه ليس متأخراً بل إنه آخر المتقدمين . وهذا التمثيل المختصر يوفر الكلمات ، ويساعد على الفهم الواضح . وفئات المتبنين للأفكار الجديدة يشكلون قسما رئيسياً للأفراد داخل تنظيم اجتماعى على أساس الانفتاح لجديد الأفكار ومستحدثها . والفئات الخمس المستقلة المذكورة هنا هى : المبتكرون للأفكار الجديدة ، والمتبنون الأوائل ، والغالبية المتقدمة ، والغالبية المتأخرة ، والمتلكئون فى إعتناقها .

إن مقياس القدرة على استنباط جديد الأفكار وكذلك تصنيف الأفراد على أساس استنباطها واعتناقها إنما يؤسسان أصلا على الوقت الذى يتم فيه اعتناق الفكرة الجديدة .

* * *

الملخص :

وفى أى تحليل نجريه على ذيوع الأفكار الجديدة نجد عناصر أربعة رئيسية هى :

١ — الفكرة الجديدة .

٢ — انتقالها من فرد إلى آخر .

٣ — التنظيم الاجتماعى الذى يتم فى إطاره هذا الانتقال .

٤ — وأخيراً القاعدة الزمنية لهذا الانتقال .

والانتشار إنما هو العملية التى تنتقل بواسطتها الفكرة الجديدة . وعملية الانتشار هى خروج الفكرة من مصدرها إلى الذين يستخدمونها فى النهاية ، أو الذين يتبنونها . والتنظيم الاجتماعى ماهو إلا قطاع من السكان المتميزين وظيفياً المصطنعين لسلوك جماعى أساسه السعى إلى حل المشكلات . واعتناق الأفكار الجديدة فى حقيقته قرار لمواصلة استخدام هذه الفكرة استخداماً كاملا . وعملية الاعتناق هى العملية الفعلية التى يمر الإنسان خلالها من لحظة سماعه عنها لأول مرة حتى مرحلة التبنى النهائى لها . والانفتاح لقبول الأفكار الجديدة هو المرحلة التى يعتبر الفرد عندها أكثر استباقاً نسبياً إلى تبنى الأفكار الجديدة من غيره الذين ينتمون لتنظيمه الاجتماعى . وفئات المتبنين للأفكار المستحدثة يشكلون قسما رئيسياً من التنظيم الاجتماعى الذى يعمل الأفراد داخله على أساس من الانفتاح لقبول الجديد من الأفكار .

الفصل الثانى

مناهج البحث فى مجال انتشار الجديد من الأفكار

« والبحث فى انتقال الأفكار ، وفى قبول الناس للأساليب الجديدة فى استغلال المزارع وإدارتها ، يعتبر اهتماماً بالصراع الدائر حول قبول التغيير الاجتماعى وعدمه . وبالرغم من المشكلات المشتركة بين الجانبين ، فانه ما من جانب منهما قد أظهر اهتماماً بما يجرى فعلا فى الجانب الآخر » .

(« إلياهو كاتز » ، عام ١٩٦٠)

فى عام ١٩٥٥ عثر المؤلف على مجلة تربوية خاصة بالدراسات والبحوث ذات الصلة بذيوع الأفكار التربوية الجديدة بين الناس ، وكان هذا أول التقاء فى فترة سبعة عشر عاماً بين مجالين هامين من مجالات البحث الاجتماعى وهما العلوم التربوية وعلم الاجتماع الريفى فى محاولة للكشف عن القوانين التى تحكم انتشار الأفكار الجديدة .

وفى هذا الفصل نستعرض أمام القارىء النقاط الست البارزة فى مناهج البحث الخاصة بذيوع الأفكار الجديدة كما نحاول أن نبين مواضع الالتقاء بين هذه النقاط .

النقص فى ذيوع البحوث المتعلقة بجديد الأفكار وانتشارها :

والعلماء على اختلاف تخصصاتهم يميلون دائماً نحو التحسر على النقص الملحوظ فى ذيوع أساليب البحث وتسجيل النتائج ، كل عالم فى مجال تخصصه . وإن المرء ليرجو ألا تكون هذه الظاهرة موجودة فى مجال الدراسات التى تجرى على انتشار الأفكار الجديدة . ومع ذلك فإن أى استعراض للبيانات المتاحة لنا والمتعلقة بذيوع الأفكار الجديدة لابد أن يؤدى بنا إلى نتيجة واحدة ، وهى أن أسباب الانتشار لنتائج البحوث التى أجريت على

طبيعة ذيوع الأفكار الجديدة بين المهتمين بهذه البحوث ما زالت فى حاجة إلى تدعيم . فمثلا ثمة جماعتان بارزتان من جماعات البحث فى أصول انتشار الأفكار الجديدة تعيشان جنباً إلى جنب فى رحاب إحدى الجامعات الكبيرة ، ولا يفصل البناء الذى يضم ممثلى إحداهما عن البناء الآخر الذى يعيش فيه ممثلو الجماعة الأخرى إلا بضعة أبنية قليلة . والعجيب أنه بعد مرور سنوات عديدة من العمل المتواصل المعترف بقيمته من كافة الجهات ، لم يكن لدى هاتين الجماعتين المتسمتين بالتفكير العلمى إلا قدر قليل من الفهم المشترك ، ولم تدرك إحداهما الاتجاهات التى سارت عليها الأخرى كما لم تعرف الواحدة النتائج التى توصلت إليها الأخرى .

وثمة شواهد أخرى عديدة على انعدام الاتصال بين جماعات البحث فى مجال انتشار الأفكار الجديدة . ونذكر هنا أن بحثاً عن تبنى الأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة فى أستراليا لم يشر إلى كتاب واحد من الكتب المائة والعشرين التى تناولت هذا الموضوع . لقد ذكر أحد العلماء الاستراليين فى حديث خاص جرى بينه وبين مؤلف هذا الكتاب أنهم كانوا على علم ببعض هذه المراجع ، ولكن البحث خلا تماماً مما يدل على أنهم تأثروا بها . والدارسون لموضوع ذيوع الأفكار الجديدة فى ميدان التربية والتعليم لديهم إدراك ضعيف لطبيعة الدراسات الاجتماعية أو الانثروبولوجية التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة ، ولم يدركوا كيف تنتشر الأدوية الجديدة بين الأطباء أو كيف يعتنق المزارعون الأفكار المستحدثة فى الزراعة . كذلك لا يعلم العاملون فى مجالات علم الأجناس شيئاً عن الدراسات التى تتناول هذا الموضوع .

والسبب فى هذه الحوائل التى تحول دون تلاقى الجهود المختلفة فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة سوف نتحدث عنه فيما بعد ، كما سوف نتحدث عن دلالات هذا الانفصال . والآن لنرى كيف نشأت مناهج البحث المختلفة .

مناهج البحث :

ومنهج البحث ما هو إلا سلسلة الدراسات التى تجرى على موضوع سبق أن درس دراسات متتابعة خضعت لمعايير فاحصة . ومن شأن هذه الدراسات أن تهيء لنا الفرصة لاقتفاء آثار الخطوات العلمية التى سارت فيها الدراسة التى نحن بصددها .

لقد نظر « كاتز » إلى الدراسات التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة ، كما نظر إليها بالاشتراك مع « ليفين » باعتبار أنها الدراسات التى تتقضى :

١ — فكرة جديدة .
٢ — على مدى فترة زمنية معينة .
٣ — خلال وسائل انتقال محددة .
٤ — داخل تنظيم اجتماعى معين .

وفى مجال الدراسات التى تجرى على ذيوع الأفكار الجديدة تتحدد مناهج البحث عندما يدرس الباحثون العناصر سابقة الذكر ، أو بعضها . لقد أشار « كاتز » و « ليفين » عام ١٩٥٩ إلى سبعة مناهج أساسية فى مجال البحث عن الأسس التى تحكم انتشار الأفكار الجديدة بين الناس ، وهذه المناهج هى :

١ — المنهج الاجتماعى .
٢ — منهج علم الاجتماع القديم .
٣ — منهج علم الأجناس .
٤ — منهج البحث القائم على المشكلات اليومية .
٥ — منهج البحث القائم على أسس الانتقال الجماعى .
٦ — منهج البحث القائم على أسس علم الاجتماع الريفى ، وأخيراً

٧ — منهج البحث المتجه نحو التنقيب عن المعاونات الفنية التى تساعد على انتشار الأفكار المستحدثة .

وفى هذا الفصل من الكتاب نقوم بدراسة ستة مناهج من مناهج البحث الأساسية هى :

١ — منهج البحث القائم على نظريات علم الأجناس .
٢ — منهج البحث القائم على نظريات علم الاجتماع القديم .
٣ — منهج البحث القائم على أساس علم الاجتماع الريفى .
٤ — منهج البحث فى مجال التربية والتعليم .
٥ — منهج البحث الخاص بالصناعة . وأخيرا ،
٦ — منهج البحث المتعلق بأصول علم الاجتماع الطبى .

لقد أمكن تحديد معالم مناهج للبحث فى انتشار الأفكار الجديدة ، وهى المناهج الأساسية فى هذا الميدان ، ومع ذلك فإنه من الملاحظ أن كل علم من العلوم السلوكية الحديثة أصبحت الآن تهتم اهتماماً كبيراً بدراسة الأسس التى تنتشر بمقتضاها الأفكار الجديدة . وعلم الأجناس من شأنه أن يتناول بالبحث تأثير الثقافة على انتشار الأفكار المستحدثة وخاصة فى المجتمعات المختلفة . كذلك علم الصحة العامة يهتم بدراسة انتشار المعلومات الصحية والتطبيقات فى هذا المجال . كذلك نرى أن علم الكلام يهتم اهتماماً خاصاً بانتشار الأنماط الجديدة ، والقوالب اللغوية المستحدثة . وأخيراً نرى أن علم التسويق يهتم كثيراً بظهور المنتجات الجديدة فى الأسواق وما يتبع شراءها وبيعها من طرق ونظريات ، كما أن السلوك الجمعى يدخل فى اعتباره ظهور التقاليع والمودات والحركات الاجتماعية اليومية ، ويتناولها بالبحث والتحليل .

والقائمة التى وضعها « كاتز » و « ليفين » عام ١٩٥٩ والمتعلقة بمناهج

البحث تتضمن البحوث الخاصة بالأفكار المستحدثة فى ميدان التسويق ، فى حين أن القائمة الحالية لمناهج البحث تخلو منها . على أن الدراسات الموجودة لدينا الآن فى هذا المجال تعتبر قليلة العدد نسبياً ، وقد يكون من الصحيح القول بأن الجانب الأكبر من « الاهتمام بظهور الأفكار المستحدثة فى مجال التسويق يكمن فى ملفات الهيئات المستقلة التى تهتم بمثل هذه الأمور » .

والقائمة الحالية لمناهج البحث تتضمن ما هو متعلق بالبحوث التى أجريت فى مجال التربية والتعليم وعددها ١٧٢ ، وما هو متعلق بالبحوث التى أجريت فى مجال الصناعة وعددها ١٢ ، وكل هذه لم يأت ذكرها فى قائمة « كاتز » و « ليفين » . أما منهج البحث الخاص بعلم الاجتماع الطبى فيدخل فيه ٢١ بحثاً تحليلياً أجريت على تعاطى الأدوية والمسكنات ، وذلك بالإضافة إلى ١٦ بحثاً تحليلياً أجريت على المستحدثات الطبية كمصل شلل الأطفال . وكلمة « علم الاجتماع الطبى » يبدو أنها تصلح لأن تكون اسماً أكثر مناسبة للبحوث التى تجرى حالياً فى هذا الميدان الآخذ الآن فى الاتساع من كلمة « الاتصال الجمعى » ، التى فضلها « كاتز » و « ليفين » على غيرها من التعبيرات . كذلك يعتبر هذان العالمان ما يطلقان عليه كلمة « المعاونة الفنية » منهجاً جديداً يضاف إلى ما سبق ذكره من مناهج البحث المعروفة . ولقد قمت بتصنيف هذه الدراسات بنفس النظام الذى اتبعاه على اعتبار أنها دراسات تخضع لمنهج البحث فى ميدان علم الأجناس .

ومن الممكن طبعاً أن نقوم بتصنيف مناهج البحث فى أى موضوع من الموضوعات وفقاً لعدد من المعايير المختلفة . فمثلا مناهج البحث الحالية المعروفة تصنف وفقاً لما يأتى :

١ — نوع الأفكار الجديدة موضوع البحث (كالأدوية والمسكنات والأفكار الجديدة فى مجالات الزراعة والتربية) .

٢ — الاتجاهات التى يخضع لها الباحثون مثل (الاتجاه الأنثروبولوجى والاتجاه الاجتماعى والاتجاه التربوى) .

وفى الأقسام التالية سوف نتحدث فى إسهاب وتفصيل عن مناهج البحث الستة الأساسية .

منهج البحث المتفق مع علم الأنثروبولوجيا :

ومنهج البحث الأنثروبولوجى فى دراسة انتشار الأفكار الجديدة هو بلا شك أقدم المناهج الستة التى نتحدث عنها الآن . لقد كان لهذا المنهج تأثير كبير على منهج علم الاجتماع القديم ، وعلى منهج علم الاجتماع الريفى ، وعلم الاجتماع الطبى ، وإن كان تأثيره أقل على المنهج التربوى ، ومنهج البحث فى مجال الصناعة . أما مناهج البحث الخمسة الأخرى ، فلم يكن لها بدورها أى تأثير ملموس على الدراسات التى أجريت أخيراً على موضوع انتشار الأفكار الجديدة فى مجال منهج البحث الأنثروبولوجى . وعندما نشأت البحوث الأولى فى مجال علم الأنثروبولوجيا ، نشأ نقاش كبير حول الانتشار وهل هو أهم من الاستنباط . كانت المشكلة فى حقيقتها هى هل الأفكار تستنبط استنباطاً حراً فى نطاق ثقافتين مختلفتين ، أو أن الفكرة تستنبط فى ثقافة ، ثم تنتقل إلى أخرى ؟ لقد قيدت جماعات معينة من العلماء فى مطلع إجراء الدراسات التى أجريت وفقاً لمنهج علم الأنثروبولوجيا أنفسها باستعمالات محددة مثل « ناشرو الفكرة البريطانيون » و « ناشرو الفكرة الألمان » وهذا من شأنه أن يوحى بالأهمية البالغة لمفهوم الانتشار على مدى التاريخ الطويل لعلم الأنثروبولوجيا . ومهما يكن من أمر فإن ناشرى الأفكار الأول كانوا فعلاً على درجة قليلة من الاهتمام بفهم طبيعة عمليات نشر الأفكار ذاتها . وكلما تطور ميدان الأنثروبولوجيا واتسع ، اهتم عدد كبير من الدراسات الأنثروبولوجية بتحرى حقيقة قبول

المجتمعات البدائية للآراء الحديثة الصادرة عن الغرب . وبالرغم من الانشعابات العضوية لهذه الدراسات الموغلة فى التفسير الثقافى فإنها تسهم مساهمة قليلة نسبياً فى تكوين الخطوط المنهجية الأساسية لهذا الكتاب . لقد كان علماء الأنثروبولوجيا على وجه العموم مهتمين بانتقال الأفكار بين المجتمعات وكان اهتمامهم هذا يفوق اهتمامهم بمعرفة طبيعة انتشار الفكرة الواحدة داخل مجتمع واحد بذاته .

وأياً كان الأمر فإن « كروبر » و « وايسلر » نشرا عام ١٩٢٣ أعمالاً أنثروبولوجية أثرت تأثيراً مباشراً على كثير من الدراسات التى ظهرت أخيراً ، وكان هذا التأثير فى نطاق المنهج الأنثروبولوجى ، وفى غيره من مناهج البحث . فمثلاً نرى « وايسلر » عام ١٩٢٣ يقتفى أثر انتقال الخيول من المستكشفين الأسبان إلى قبائل الهنود الحمر فى أمريكا . وذكر « لنتون » عام ١٩٣٦ ملخصاً مختصراً للمعلومات الأنثروبولوجية المتعلقة بانتشار الأفكار والتى كانت سائدة فى أيامه . ومن الجائز أنه كان أحد العلماء الأول الذين قرروا بأن السمات المميزة للفكرة الجديدة تؤثر على مدى قابليتها للانتشار .

وعلماء الأنثروبولوجيا قد أظهروا ميلاً لتأكيد النتائج الاجتماعية المترتبة على انتشار الأفكار الجديدة ، وهذا الميل يفوق ميلهم إلى تأكيد أهمية أى منهج آخر من مناهج هذا البحث ، ويوضح ذلك تحليل « شارب » عام ١٩٥٢ للآثار التى ترتبت على اعتناق إحـــدى القبائل الاسترالية الوطنية لفكرة البلطة الصلب .

البلط الصلب والاستراليون الأول :

والنتائج المترتبة على قبول إحدى القبائل الاسترالية الوطنية لفكرة البلطة الصلب إنما تهيء لنا مثلاً حياً للبحوث التى أجريت على انتشار

الأفكار فى مجال منهج البحث الأنثروبولوجى . أما القبيلة فاسمها قبيلة « يور يورينت » وينتقل أفرادها فى مجموعات كبيرة فى منطقة واسعة بحثاً وراء حيوانات الصيد . كانت البلطة الحجرية الدعامة الأساسية فى ثقافة أفراد هذه القبيلة إذ أنهم اكتشفوا أنها من الأمور التى لا يمكن الاستغناء عنها فى سعيهم للحصول على الطعام ، وفى إقامة المأوى ، وفى الحصول على الدفء . ومن الصعب تخيل ثورة أعظم ولا أكمل من تلك التى أوجدها استخدام البلطة ذات الرأس الحديدية بدلاً من البلطة ذات الرأس الصخرية .

وطريقة الدراسة التى اتبعها « شارب » عام ١٩٥٢ — كما اتبعها معظم زملائه الذين ساروا فى بحوثهم وفقاً للتقليد الأنثروبولوجى — لدراسة سلوك هذه القبيلة هى طريقة الملاحظة المشتركة . والباحث المتبع لهذه الطريقة يدرس الثقافة عن طريق الملاحظة الفعلية ، أى عن طريق الاشتراك فى النشاط اليومى للجماعة التى يدرسها . وفى عام ١٩٣٠ استطاع عالم من علماء علم الأجناس أن يشارك قبيلة « يور يورينت » ثلاثة عشر شهراً فى حياتها اليومية دون أن يلتقى برجل أبيض آخر . وبسبب حياة العزلة التى يعيشها أفراد هذه القبيلة ، لم يتأثر معظمهم بالحضارة الحديثة ، واستمر الحال كذلك إلى أن أنشىء فى السنوات الأخيرة مركز قريب من مراكز التبشير ، وكان المبشرون قد قاموا بتوزيع عدد كبير من البلط ذات الرؤوس الحديدية على أفراد القبيلة على صورة هبات مقابل أعمال أداها هؤلاء الأفراد لهم .

وقبل أيام البلطة الصلب كانت البلطة الحجرية رمزاً للرجولة والاحترام لكبار السن من أفراد القبيلة ، إذ كان الرجال يقتنون البلط الحجرية فى حين كانت النساء والأطفال هم المنتفعون الحقيقيون بهذه الأدوات ، وعلى هذا كانت البلط تستعار من الآباء والأزواج أو الأعمام وفقاً لنظام قائم على العلاقة الاجتماعية وتمليه العادات والتقاليد . لقد درج

أفراد هذه القبيلة على الحصول على رؤوس بلطهم الحجرية عن طريق المبادلة بالحراب مع أفراد القبائل الأخرى ، وكانت هذه المبادلات تتم وفقاً لطقوس معقدة ، وتقام لها احتفالات موسمية .

وعندما وزع المبشرون البلط الصلب على أفراد قبيلة « يور يورينت » كان الأمل يراودهم فى حدوث تطوير سريع يمس أسلوب الحياة الشائع بين أفراد القبيلة . لم تكن هناك مقاومة جدية للتحول عن البلط الحجرية والإقبال على تلك ذات الرؤوس المصنوعة من الصلب ، إذ أن أفراد القبيلة كان من عادتهم أن يحصلوا على أدواتهم عن طريق المتاجرة مع الآخرين . لقد كانت البلط الصلب أكثر قدرة على أداء معظم الأعمال ، وعلى ذلك سرعان ما اختفت البلط الحجرية بين أفراد القبيلة . على أن البلطة الصلب لم تسهم إلا بقليل فى معركة التطوير إذ أن أفراد هذه القبيلة استخدموا وقت الفراغ الذى هيأه لهم الاختراع الجديد فى النوم ، وهو « فن أجادوه إجادة تامة » .

كان رجال الإرساليات قد قاموا بتوزيع البلط الصلب على الرجال والنساء والأطفال دون تمييز ، وفى الواقع كان الشباب أكثر قابلية لاستخدام الأدوات الجديدة من كبار السن الذين لم يثقوا بالمبشرين ثقة تامة ، ونتيجة لذلك ساءت العلاقات الأسرية بين أفراد تلك القبيلة واختلطت الأوضاع القائمة على أساس السن والجنس واضطربت اضطراباً كبيراً . والشيوخ ، بعد أن كانوا يتمتعون باحترام الجميع ، أصبحوا الآن عالة على النساء والشبان واضطرتهم الظروف الجديدة إلى أن يستعيروا من هؤلاء بلطهم الصلب .

لقد اضطربت أيضاً نظم التبادل التجارى التى كانت شائعة بين أفراد تلك القبيلة فانهارت روابط الصداقة بين المتبادلين واضمحل اهتمام الناس بالأسواق والمهرجانات التى كان يتم فيها مبادلة البلط الحجرية بالحراب .

أما النظامُ الدينى والبناء الاجتماعى لهذه القبيلة فقد أصابه الخلل نتيجة لعجز الناس عن التكيف مع الفكرة الجديدة . ولعله من الأمور الهامة هنا ملاحظة أن البلطة الصلب لم تسبب وحدها كل التغييرات الاجتماعية التى لحقت أفراد هذه القبيلة ولكنها كانت المحور الذى تدور حوله كل هذه الاضطرابات الثقافية .

التطورات الأخيرة فى علم الأنثروبولوجيا

يوضح تحليل « شارب » لاعتناق أفراد قبيلة « اليور يورينت » فكرة البلطة ذات الرؤوس الحديدية الأهمية النسبية التى يمنحها منهج البحث الأنثروبولوجى لردود الفعل الاجتماعى التى توجدها الفكرة الجديدة . وقضية البلط الصلب هذه من الواجب أن تعارضها تحليلات أخرى أنثروبولوجية تكون فيها الفكرة الجديدة مصدراً لنتائج اجتماعية على جانب من الخطورة ليس كبيراً . والمثل على ذلك الدراسة التى قام بها « صتل » عام ١٩٥١ على نتائج إدخال زراعة البطاطس على إحدى القبائل الهندية التى تعيش فى جزر الباسفيك .

من الجائز أن يكون الكتاب الذى وضعه « بارنت » عام ١٩٥٣ وعنوانه « جديد الأفكار » هو واحد من أفضل الكتب التى نعرفها الآن والتى تعالج موضوع انتشار الأفكار المستحدثة وفقاً للنهج الأنثروبولوجى . لقد اهتم المؤلف فى المقام الأول بالكلام عن اعتناق الأفكار الجديدة على المستوى السيكولوجى بالرغم من أنه لم يستخدم مفهوم عملية اعتناق الفكرة الجديدة استخداماً واضحاً . والمادة التى يستخدمها « بارنت » فى هذا الكتاب مستمدة من ثقافات ست تتراوح ما بين الثقافة الشائعة فى المجتمع الأمريكى الحديث وثقافة القبائل الهندية الساكنة فى

جزر المحيط الهادى . والرأى الذى يعلل به « بارنت » اعتناق الأفراد للأفكار الجديدة يقوم على أساس نظرى أكثر منه عملى .

وفى السنوات الأخيرة عدل المنهج الأنثروبولوجى اتجاهه شيئاً ما وأخذ يسير نحو زيادة الاهتمام بالبرامج الثقافية المختلطة ذات الاتجاه العملى. وفى العديد من تقارير بحوث هذا المنهج يدلل أصحابها على أن معتنقى هذا الاتجاه العملى عجزوا عن أن يدخلوا فى حسابهم القيم الثقافية لجمهور التجارب . ومن الجائز أن عدد الحالات التى قام الباحثون الخاضعون للمنهج الأنثروبولوجى بتحليلها وفشلوا فيها تزيد على عدد تلك التى نجحوا فيها .

منهج البحث المتفق مع علم الاجتماع القديم :

ومنهج البحث المعروف فى هذا الكتاب بعلم الاجتماع القديم يمكن العثور على نشأته فى كتابات العالم « تاردى » . وثمة عدد من المراجع لايقل عن خمسة عشر مرجعاً فى البحوث التى أجريت وفقاً لهذا المنهج وظهرت فى المدة من أواخر عام ١٩٢٠ حتى أوائل عام ١٩٤٠ .

والأهمية الحقيقية للمنهج المعروف بعلم الاجتماع القديم لاتكمن فى عدد الدراسات التى أجريت وفقاً له ولا فى التعقيد الذى تتسم به طرق البحث المستخدمة فيها بل إن هذه الاهمية لتكمن فى مالكتابات رجال علم الاجتماع القديم من تأثير على الباحثين الذين جاءوا فيما بعد وتصدوا لموضوع ذيوع الافكار الجديدة .

لقد اقترح « تاردى » عدة أفكار رائدة طورها ومحصها الباحثون الذين ظهروا فى الفترة الاخيرة . فمثلاً قرر « تاردى » أن اعتناق الأفكار الجديدة يسير عادة بالنسبة للبعد الزمنى بطريقة تشبه الحرف الإنجليزى (S) . فى مبدأ الامر يعتنق عدد قليل من الناس الفكرة الجديدة ، وبعدها تبدأ أعداد كبيرة فى قبول الفكرة ، وفى النهاية يقل المعدل الذى

يعتنق الناس بمقتضاه هذه الفكرة . كذلك قرر « تاردى » أنه كلما كان أصحاب الأفكار الجديدة يتميزون بالانفتاح على العالم الخارجى ، كان هذا دافعاً لهذه الفئة على سرعة تقبل أفكار غيرهم . ومن الجائز أن تكون المساهمة الكبرى التى أسهم بها « تاردى » هى تعمقه فى فهم العمليات التى تؤدى بالناس الى تقليد رواد الفكر الجديد فى سلوكهم .

وتحليل «شارب» عام ١٩٢٨ لذيوع فكرة الحكم الذاتى فى نطاق المدينة إنما هو إحدى المحاولات الباكرة التى أجريت لدراسة الأفكار المستحدثة وفقاً لمنهج علم الاجتماع القديم . لقد استخدم « شارب » مصادر معلومات من الدرجة الثانية ، كما هى عادة معظم رجال علم الاجتماع القديم . كذلك اقتفى « شارب » أثر « تاردى » عند ما أظهر أن اعتناق فكرة الحكم الذاتى فى نطاق المدينة سار فى الولايات المتحدة وفقاً لمنحنى خاص له شكل الحرف الانجليزى « S » . وثمة عدد كبير آخر من رجال علم الاجتماع القديم الذين اعتنقوا فكرة « منحنى النمو » ذى الشكل السابق فى مجال تبنى الأفكار الجديدة .

وثمة اتجاه آخر شائع فى عدد من البحوث التى أجريت وفقاً لمنهج علم الاجتماع القديم ، وهو الاهتمام بدراسة أثر البيئة فى انتشار الأفكار الجديدة . فمثلاً درس كل من « بامبرتون » عام ١٩٣٦ و « بوورز » عام ١٩٣٨ الفروق الموجودة بين البيئة الريفية ، والبيئة الحضرية ، وأثر ذلك فى مدى انتشار أجهزة الراديو . ونمط الأفكار المستحدثة الذى درسه رجال علم الاجتماع القديم تأثر بإمكانية الحصول على هذه الأفكار من السجلات ، أو من غيرها من المصادر الثانوية ، كما يتضح من القائمة التالية :

١ — الاتجاهات السياسية « رايس » عام ١٩٢٨
٢ — طوابع البريد « بمبرتون » عام ١٩٣٦ و ١٩٣٨
٣ — قوانين التعليم الإلزامى « بمبرتون » عام ١٩٣٩

٤ — الحكم الذاتى فى نطاق المدينة « شارب » عام ١٩٢٨ و« ماكفورى » عام ١٩٤٠

٥ — المكائن الجديدة لتنشيط القطن وغزله « دافيز » عام ١٩٤١ . وأخيراً .

٦ — جمعيات الآباء والمعلمين « بمبرتون » عام ١٩٣٧ .

ومعظم رجال علم الاجتماع القديم حاولوا أن يتبعوا طريقة انتشار فكرة واحدة جديدة فى رقعة جغرافية معينة . ومن الاستثناءات التى تمت فى هذا المجال مافعله « ماكفورى » عام ١٩٤٠ اذ أنه أنشأ كشافاً مكوناً من إثنى عشرة فكرة جديدة فى نظم الإدارة الحكومية . هذا الكشاف كان محاولة باكرة لقياس القدرة على اتباع الأفكار الجديدة ، وكان فى حد ذاته سابقة سار على منوالها ـ وبخاصة فى مجال علم الاجتماع الريفى ـ عدد كبير من الباحثين الذين جاءوا فيما بعد .

ومن المحتمل أن تحقيق « بووارز » عام ١٩٣٧ و ١٩٣٨ كان أول دراسة أجريت وفقاً لمنهج علم الاجتماع القديم بغرض استخدام مصادر معلومات أخرى بالإضافة الى تلك التى أمكن الحصول عليها من سجلات رسمية . لقد اتصل « بووارز » بعدد من هواة تشغيل الراديو بلغ ٣١٢ هاوياً فى كافة أنحاء الولايات المتحدة عن طريق استفتاءات مكتوبة بغرض تحديد المؤثرات التى أدت بهم إلى اتباع هذه الهواية . و « بووارز » كان أول باحث يجد أن المؤثرات الشخصية أهم من المؤثرات غير الشخصية ، وذلك بالنسبة للهواة الأول ، وليس الحال كذلك بالنسبة للهواة الذين جاءوا بعد ذلك . واختتم « بووارز » تحقيقه بقوله : « إن عملية الانتشار تصبح أكثر تنظيماً ، وأكثر قابلية للتوسع عند ما تثبت دعائمها وتقوى جذورها .

لقد ازداد عدد هواة تشغيل محطات الراديو فى الولايات المتحدة

زيادة كبيرة ، فبعد أن كانوا ثلاثمائة عام ١٩٤١ ، أصبحوا ستة وأربعين ألفاً في عام ١٩٣٥ . لقد حاول « براورز » أن يقرر إذا ماكان هذا الانتشار يتبع شكلاً عادياً وانتهى إلى أنه يسير وفقاً لمنحنى عادى له شكل حرف « S » باستثناء هضبة بالقرب من وسط المنحنى . وبنفس الطريقة التى اتبعها غيره من الباحثين الذين ساروا فى بحوثهم وفقاً للنهج الاجتماعى ، تتبع « بووارز » عام ١٩٣٨ آثار بعض العوامل البيئية المؤثرة على الكائن الحى ، وهى التى تلعب دوراً كبيراً فى علم الأحياء مسجلاً العلاقة بين حجم المدينة والمنطقة ودرجة التحضر ، وبين مدى انتشار هواية تشغيل محطات الراديو .

كان اهتمام رجال علم الاجتماع القديم منصباً بصفة خاصة على دراسة انتشار الأفكار الجديدة التى كان من المتوقع أن تسهم فى إحداث التغيرات الاجتماعية الكبيرة . ورجال علم الاجتماع القديم ، باستثناء « بووارز » ، لم يهتموا اهتماماً خاصاً بعملية التبنى ، وهى العملية التى يقرر الفرد عن طريقها اعتناق الفكرة . كما أنهم لم يركزوا اهتمامهم على العمليات التى عن طريقها يؤثر الأفراد على غيرهم فى مجال تبنى الأفكار أو مقاومتها . هذا القصور نشأ عن اعتماد رجال علم الاجتماع القديم على المصادر الثانوية للمعلومات وكذلك على كون وحدة اعتناق الفكرة لم تكن فرداً واحداً بل كانت فى معظم الأحايين ولاية أو مدينة أو مؤسسة .

لقد كان رجال علم الاجتماع القديم يعرفون رجلاً من أمثال « لووى » و « ويسلر » و « كروبر » من بين المشتغلين بعلم الأجناس ، ولكنهم لم يستفيدوا من أفكار هؤلاء إلا قليلاً . ودراسات رجال علم الاجتماع القديم أسهمت بدورها إسهاماً غير مباشر فى الحصول على النتائج المذكورة فى الفصول التالية من هذا الكتاب ، ولكن نتائج دراسات علماء الاجتماع القديم لايشار إليها إلا نادراً .

منهج البحث المتفق مع علم الاجتماع الريفى :

ومنهج البحث الذى أثمر أكبر عدد من الكتب والدراسات حول انتشار الأفكار الجديدة هو منهج علماء الاجتماع الريفى . ومعظم الدراسات التى تمت فى نطاق هذا المنهج تدور حول انتقال الابتكارات الزراعية من علماء الزراعة إلى المزارعين أنفسهم . ومنهج علم الاجتماع الريفى قد يكون « المنهج العلمى الوحيد » فى إطار العلوم الاجتماعية الذى يستطيع أن يباهى بميله إلى النواحى الاجتماعية فى موضوع ذيوع الأفكار الجديدة .

(« كاتز » عام ١٠٦١)

والخلفية التاريخية لهذا المنهج ترجع إلى الوراء إلى عام ١٩٢٠ عندما شرع أعضاء مجلس الخدمات الأمريكى يضعون معايير لتقييم فاعلية برامج الخدمات ، وكانت إحدى مقاييس التقييم تقوم على أساس معرفة قابلية الأفراد لاعتناق الأفكار الجديدة . ومما يمثل هذه الدراسات تمثيلاً دقيقاً تلك الدراسة التى وضعها « ويلسون » ، كما أن إحدى دراسات هذا الأخير تضمنت معلومات مستقاة من ٧٨٠٢ عائلة فى عشر ولايات ، والدراسة تدور أساساً حول معرفة أنجع الأساليب المؤدية إلى اعتناق الناس للأفكار الجديدة المرغوب فى اعتناقها . وفى عام ١٩٢٥ كان « ويلسون » وأعوانه يقومون بدراسة العلاقة بين الأفكار الجديدة المتبناة ، والتكاليف النسبية التى يتكلفها انتشارها بين الناس. (« ويلسون » و « جالوب » عام ١٩٥٥)

وعقب ذلك لم تجر دراسات على أساس منهج علم الاجتماع الريفى ، إلى أن جاء عام ١٩٤٠ عند ما قام « كومورجن » بتحرى الحقيقة فيما يختص باستعداد الزراع السويسريين المنحدرين من أصل ألمانى لتقبل الأفكار الجديدة ونقيض ذلك فى غير المنحدرين من هذا الأصل . وأصبح موضوع ذيوع الأفكار الجديدة جزءاً من البناء الأساسى لعلم الاجتماع

الريفى فى مطلع عام ١٩٤٠ . ولقد درس « هوفا » عام ١٩٤٢ اعتناق زراع الكرفس بولاية متشجان ، وهم من أصل هولندى ، لأساليب الزراعة الحديثة فى زراعة هذا النوع من النباتات ، كما قام « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ بدراسة انتشار فكرة الذرة الهجين فى ولاية « أيوا » ، وهذه الدراسة تمت وفقاً للأصول التقليدية الخاصة بمنهج علم الاجتماع الريفى . والواقع أن دراسة فكرة الذرة الهجين هى بلا شك أشهر الدراسات التى تمت وفقاً لمنهج علم الاجتماع الريفى .

والدراسة التى قام بها « هوفر » عام ١٩٤٢ كان الفضل فى إتمامها يعود إلى إصرار مدير محطة التجارب الزراعية فى « متشجان » ، إذ امتلأت نفسه حيرة عند ما رأى زراع الكرفس المنحدرين من أصل هولندى فى «متشجان» يرفضون استخدام المبيدات الحشرية التى استنبطها علماء الزراعة ، كما وجد أن اهتمام هؤلاء الزراع بالاقتصاد فى المصروفات ، وتوفير الأموال يشكل حائلاً كبيراً يحول دون اتباعهم للأفكار الجديدة فى زراعة الكرفس . وحتى لو كان فى مقدور الواحد من هؤلاء أن يشترى مبيداً جديداً يتكلف خمسين دولاراً كى ينقذ محصوله من الكرفس الذى يبلغ ثمنه الآلاف من الدولارات ، فإنه لا بد أن يرفض الفكرة لأنه يعتقد بأن اقتصاد المال لن يكون إلا عن طريق عدم صرفه فى الوجوه التى يصرف فيها المال . والدراسة التى قام بها « هوفر » من الجائز أن تكون ذات قيمة كبيرة بسبب طبيعتها التجريبية ، إذ أنها تقوم على أساس اتخاذ عدد من الزراع كعينة « للقياس » وعدد آخر كعينة أخرى « للتجريب » . وإلى هنا وتعتبر الدراسة التى قام بها «هوفر» خروجاً واضحاً على التشكيل التقليدى القديم الذى شاع فى الدراسات التى أجريت فى موضوع انتشار الأفكار مهما كان المنهج الذى يحكم إجراءها .

الدراسة التى أجريت على بذور الذرة الهجين :

وأكثر من أية دراسة أخرى ، أثرت الدراسة التى قام بها « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ فى موضوع انتشار فكرة إقبال الزراع على بذور الذرة الهجين وعلى الأساليب والنتائج والتفسيرات الخاصة بالدارسين الذين دخلوا فيما بعد ميدان البحث الاجتماعى القائم على علم الاجتماع الريفى . والدراسة التى قامت بها محطة التجارب الزراعية فى « أيوا » كان السبب فيها :

١ — أهمية بذور الذرة الهجين كعنصر من عناصر تكنولوجيا الزراعة التى شاعت فى الثلاثينيات من هذا القرن .

٢ — الصفات المميزة لهذه الدراسة ، تلك الصفات التى جعلت منها مثلاً يحتذى فى مجال الدراسات الاجتماعية .

٣ — الاهتمام الشخصى لدى « برايس رايان » بالتغير الثقافى .

كان « نيل جروس » حديث العهد بالتخرج من قسم الاجتماع الريفى بجامعة « أيوا » ، وكان يعرف القليل عن حياة الريفيين ، ولا يعرف شيئاً عن فن المقابلة للحصول على المعلومات . أما واجبه فكان مقابلة الفلاحين وسؤالهم عن رأيهم فى استخدام بذور الذرة الهجين . لقد أخبر بعضهم «جروس» أن عادة مزارعى « أيوا » كانت النهوض فى السادسة صباحاً ، وعلى ذلك أسرع عند الفجر بالانتظار على باب مخزن للحبوب مملوكاً للشخص الأول الذى اتخذه ركناً من أركان دراسته . وما إن انصرم حبل النهار حتى كان « جروس » قد أنجز واحداً وعشرين مقابلة من المقابلات اللازمة لإتمام بحثه . والواقع أن « جروس » كان ينجز فى المتوسط أربع عشرة مقابلة يومياً خلال الفترة التى خصصها لجمع المعلومات ، وكان ذلك عام ١٩٤١ . وهذا من الأمور الملفتة للنظر كثيراً ، إذا علمنا أن أربع

مقابلات فى اليوم الواحد تعتبر فى رأى علم الاجتماع الريفى الحديث المتوسط العادى لمثل هذه المقابلات .

ومجموع المزارعين الذين اجتمع بهم « جروس » على انفراد وصل إلى ما يقرب من ثلاثمائة وخمسة وأربعين مزارعاً ، وهؤلاء جاءوا من بلدتين صغيرتين فى ولاية « أيوا » هما « جراند جانشن » و « سكرانتون » . ولقد استبعد « جروس » من مقابلاته مع هؤلاء المزارعين اثنى عشر مزارعاً يملكون أقل من عشرين فداناً ، كما استبعد أربعة وسبعين مزارعاً آخرين تصادف أن اتخذوا الزراعة مهنة لهم بعد انتشار فكرة الذرة الهجين . وهكذا تناقص عدد الأفراد الذين اتخذهم الباحث أساساً لدراسته حتى أصبح مائتين وتسعة وخمسين فرداً وكان جميعهم ، باستثناء اثنين منهم ، قد اعتنقوا فكرة بذور الذرة الهجين ، فى نفس الفترة التى بدأت فيها الدراسة ، أى فى عام ١٩٤١ .

وفكرة استخدام بذور الذرة الهجين جاءت نتيجة لسنوات عديدة من العمل الشاق ، والبحث المتعمق من قبل علماء الزراعة . لقد وجد هؤلاء أن قوة البذرة الناشئة عن التهجين لا تستمر فى الجيل التالى ، وعلى ذلك كان لابد للمزارعين من أن يشتروا فى كل عام بذور مهجنة جديدة . وقبل ظهور تلك الفكرة ، كان على الفلاحين أن يختاروا بذورهم من بين البذور ذات اللقاحات المتعددة . وكانت هذه أضعف إنتاجاً . إذ أن ميزة البذور المهجنة أنها تحقق زيادة فى المحصول تصل إلى ٢٠٪ منه ، وهذه هى الميزة الكبرى للفكرة . وفكرة البذور الهجين لم تكن معروفة حتى عام ١٩٢٨ ، ولكن ما إن جاء عام ١٩٤١ إلا وكانت الفكرة قد شاعت فى أوساط الفلاحين ، وساعد على هذا الانتشار المؤسسات التجارية النشيطة وهيئات الخدمة العامة فى ولاية « أيوا » .

أما النتائج المترتبة على هذه الدراسة ، فيمكن تلخيصها فى الآتى :

١ — انتشار فكرة بذور الذرة الهجين صار على شكل جرس ، وهذا ما توصل إليه « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ . لقد قسم « جروس » المعتنقين للفكرة إلى أربع فئات على أساس درجة المبادرة إلى اعتناقها ، وبعدها تحددت الصفات الاجتماعية المميزة لكل من الفريقين ، المبادر منهما والمتمهل ، تلك الصفات التى كان منها السن ، والمركز الاجتماعى ، ودرجة الانفتاح على العالم الخارجى .

٢ — كشف الباحثون عن مراحل ثلاث فى عملية تبنى الفكرة الجديدة هى :

(ا) مرحلة السماع عن الفكرة الجديدة لأول مرة .

(ب) مرحله محاولة تجريب الفكرة لأول مرة .

(ج) مرحلة تبنى الفكرة أو استعمالها استعمالاً كاملاً .

٣ — بلغ متوسط فترة التبنى للفكرة من وقت السماع عنها حتى وقت اعتناقها اعتناقاً كاملاً تسع سنوات لجميع الأفراد الذين أجرى البحث عليهم كما بلغ متوسط الفترة من لحظة السماع عن الفكرة إلى لحظة محاولة تجريبها خمس سنوات ونصف . ومن مرحلة التجريب حتى مرحلة الاعتناق الكامل كانت الفترة حوالى ثلاث سنوات ونصف .

٤ — سمع الفلاح العادى عن البذرة الهجين لأول مرة من بائع متجول ، ولكن أفراد الجيرة القريبة كانوا هم العامل الرئيسى الذى أدى بالفلاحين إلى الاعتناق الكامل للفكرة ، ومعنى هذا أن البائعين الجوالين كانوا هم مصدر من مصادر المعلومات بالنسبة للطلائع الأولى ، فى حين أن أفراد الجيرة القريبة كانوا كذلك بالنسبة لمن تبنى الفكرة بعد ذلك .

وفيما يلى نورد عدة انتقادات وجهت لهذا البحث :

١ — اتخذت الدراسة من نفسها دعامتين مستمدتين من الكتابات الأنثروبولوجية والاجتماعية القديمة ، وكذلك البحوث التى أجريت على

ذيوع الأفكار الجديدة ، وبالرغم من ذلك فان الدراسة التى قام بها « هوفر » عام ١٩٤٢ على زراع الكرفس بولاية « متشجان » وكذلك الدراسة التى قام بها « وارت » و « كورنيل » بجامعة كولومبيا على انتشار الأفكار الجديدة فى مجال التربية والتعليم قد أغفل أمرها تماماً .

٢ — تخلو هذه الدراسة من أى تحليل للرأى العام فى مجال انتشار فكرة الذرة الهجين بين الفلاحين ، وان كان تركيب العينة التى اعتمدت عليها الدراسة ، واحتوائها على عناصر أصيلة مستمدة من بيئتين زراعيتين لا بد أن تجعل من السهولة بمكان استخدام الأسئلة الهادفة الى قياس العلاقات الاجتماعية . « لقد جمعت المعلومات عن طريق استفتاء أفراد البيئة دون تنظيم ، كالو كانوا مجرد أفراد فى عينة عشوائية لاتربطهم صلة » .
(« كاتز » و « ليفين » عام ١٩٥٦)

٣ — حدد « رايان » و « جروس » معنى كلمة « التقبل » بأنها استخدام البذرة الهجين لأول مرة (مرحلة المحاولة) وتجاهل الى حد كبير البعد الخاص بالتبنى من بين أبعاد الفكرة ، والتبنى هو الاستخدام الكامل ، وذلك فى نطاق المعلومات التى جمعاها . وهكذا يمكن القول بأن تصنيف معتنق الفكرة الى فئات أربع إنما تم على أساس زمنى وليس على أساس الفكرة ذاتها .

وبالرغم من هذه العيوب الواضحة ، فإن عمق التحليل لفكرة البذرة الهجين كان من القوة بمكان كبير ، وثمة عدد كبير من الدراسات التى جاءت بعد ذلك ، والتى أحرزت تقدماً هاماً فى مجال البحث منتفعة فى ذلك بما أبداه « رايان » و « جروس » من أصالة وتجديد . على أن عدداً كبيراً من الدراسات الاجتماعية الريفية التى أعقبت هذه الدراسة سارت فى طريق آخر اتسم بالجمود وضعف القدرة على التخيل ، ولم تضف نتائجها الى معلوماتنا سوى القليل النادر ، وذلك فى أغلب الأحايين .

التطورات الاخيرة فى مجال البحوث التى وضعت وفقا لمنهج علم الاجتماع الريفى :

وأول دراسة تمت وفقاً لمنهج علم الاجتماع الريفى وتعتمد على قياس العلاقات الاجتماعية هى تلك التى قام بها « كولمان » عام ١٩٤٦ وموضوعها إقبال فلاحى ولاية « إلينوى » على استخدام أساليب المحافظة على حيوية التربة . وتأثير الصحبة والجيرة فى مجال تبنى الأفكار الجديدة ، وقد أشير إلى أهمية ذلك فى دراسات سابقة ، هو موضوع تحمس له « كولمان » فى الدراسة التى قام بها . على أن علماء علم الاجتماع الريفى « لم يسبق لهم إطلاقاً أن خططوا الشكل العام لانتشار فكرة جديدة معينة وعلاقة هذا الانتشار بالشكل العام الذى تتشكل بمقتضاه العلاقات الاجتماعية فى البيئة » .

(« كاتز » عام ١٩٦٠)

وفى أواخر عام ١٩٤٠ دخل هذا الميدان عالمان كبيران من علماء منهج علم الاجتماع الريفى ، ففى « ميسورى » وجه « هوبرت ليون بيرجر » عام ١٩٤٩ و ١٩٥١ بحثه وجهة معينة تستهدف التحقق من طبيعة المصادر التى تأتى منها الأفكار الزراعية التى يستخدمها صغار الفلاحين . وبعد ذلك ببضع سنوات أصبح « ليون بيرجر » عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٩ أكثر اهتماماً بتتبع أهمية المعايير الاجتماعية السائدة فى البيئة وأهمية الميل العام الى الأخذ بما هو جديد ، مع الاحتفاظ بالقديم وأهمية الوضع الاجتماعى السائد ، وأهمية القيادة الفكرية ، وأثرها فى انتقال الأفكار الزراعية الجديدة انتقالاً تدريجياً غير ملحوظ عن طريق الكلمة المنطوقة .

و « يوجين ويكلنج » وهو معاصر « لليون بيرجر » درس فكرة اعتناق الفلاحين بولاية « كارولاينا الشمالية » للأفكار الزراعية الجديدة ،

وكان ذلك فى الأعوام ١٩٤٩ و ١٩٥٠ و ١٩٥١ و ١٩٥٢ فى ولاية « وسكونسن » . لقد كانت دراسات « ويكلنج » التى أجراها فى ولاية « كارولاينا الشمالية » هى أول دراسات من نوعها تتجه وجهة اجتماعية نفسية لكى تقرر حدود العلاقات بين الاتجاهات والقيم واهتمامات الجماعات والقدرة على استنباط الأفكار المبتكرة . لقد تركزت جهود « ويكلنج » فى ولاية « وسكونسن » بصفة خاصة حول تأثير أفراد العائلة الواحدة على تبنى الأفكار الجديدة .

ومنذ منتصف عام ١٩٥٠ حتى اليوم أصبحنا نرى أعداداً متزايدة من البحوث التى تتمخض عنها قرائح علماء علم الاجتماع الريفى ، ومعظم هذه البحوث تبنتها محطات التجارب الزراعية التابعة للولايات ، أو هيئة البحوث التابعة للحكومة الفيدرالية ، أو الشركات الزراعية التابعة للقطاع الخاص ، كما تصرف الآن الإدارات المركزية والمحلية مبالغ طائلة على البحث العلمى الذى يستهدف البحث عن تكنولوجيا الزراعة . والمشرفون على توجيه سياسة هـــذه الإدارات أصبحوا الآن مقتنعين تماماً بأهمية البحوث الاجتماعية التى تستهدف نشر نتائج هذه الدراسات على المزارعين . ومعظم رجال علم الاجتماع الريفى يعملون فى خدمة المعاهد الزراعية ، ومما لاشك فيه أن قرب هؤلاء من الهيئات التى تعمل على تطوير الخدمات الزراعية وتوسيع نطاقها بين الزراع قد أثر على منهج البحث الذى يطبقونه .

وفى السنوات الأخيرة أنجز عدد كبير من علمــاء علم الاجتماع الريفى الأمريكيين بحوثاً عديدة فى الدول الأجنبية سالكين فى هـذه البحوث طرقاً تشبه إلى حد كبير الطرق المستخدمة فى الولايات المتحدة . ومن أمثلة هذه البحوث ما قام به « بولسن » و « بال » عام ١٩٥٥ فى « الفلبين » ، و « ويكلنج » عام ١٩٦٠ فى « استراليا » ، و « لندستروم » عام ١٩٥٨ فى « اليابان » . وثمة عدد من الدارسين الأجانب سبق لهم أن درسوا فى الولايات المتحدة

أصول علم الاجتماع الريفى يعملون الآن فى بلادهم فى ميدان البحوث ذات الصلة بموضوع ذيوع الأفكار الجديدة ، ومن بين هؤلاء «فان دنبان» و «راوداكار» و «بوز» و «برنابا» . والنظرة الدولية المعاصرة لعلم الاجتماع الريفى تؤكد أهمية هذا التزاوج بين البحوث وما يتمخض عنه من نتائج ذات أثر ملحوظ على كل ما يجرى من هذا النوع فى الولايات المتحدة وخارجها .

وبعد شىء من التطور البطىء ، ذلك التطور الذى ظهر عام ١٩٣٠ وعام ١٩٤٠ ، نرى أن عدد الدراسات التى أنجزت وفقاً لمنهج علم الاجتماع الريفى قد زاد زيادة سريعة عام ١٩٥٠ ، وكذلك فى مطلع عام ١٩٦٠ . لقد أدى تحليل «جروس» لذيوع فكرة بذور الذرة الهجين إلى نشوء كثير من الدراسات حول طبيعة انتشار الأفكار الجديدة وما يدخل فى ذلك من علاقات تشترك فى تكوين القدرة على ابتداع هذه الأفكار وعلى تقبلها ، وكذلك حول مصادر المعلومات فى المراحل التى تتكون منها عملية نقل الأفكار الجديدة (الفصل الرابع من هذا الكتاب) . وثمة أنماط أربعة أخرى من أنماط البحث وفقاً لهذا المنهج هى :

١ — المعايير الشائعة فى التنظيم الاجتماعى لقياس القدرة على ابتكار الأفكار الجديدة وإمكانية انتشارها (الفصل الثالث من هذا الكتاب) .

٢ — الصفات المميزة للأفكار الجديدة (الفصل الخامس) .

٣ — القيادة فى مجال الرأى (الفصل الثالث) .

٤ — دور الاخصائيين الاجتماعيين وغيرهم من العاملين فى مجالات نشر الجديد من الأفكار فى هذه البحوث (الفصل التاسع) .

وفى مجال مقارنة مناهج البحث بعضها ببعض ، قد يكون رجال علم الاجتماع الريفى الذين يدرسون موضوع ذيوع الأفكار المستحدثة ألصق

من غيرهم بمنهجهم . وتكرس جمعية علم الاجتماع الريفى كل عام عدداً من الدراسات لموضوع ذيوع الأفكار المستحدثة والكثير من هذه الدراسات ينشر فى مجلة الجمعية واسم هذه المجلة « مجلة علم الاجتماع الريفى » . وهناك اجتماعات نصف سنوية يعقدها رجال علم الاجتماع الريفى فى ولايات الوسط لدراسة هذا الموضوع وهذه الاجتماعات تعضدها مؤسسة المزارع وجمعيات المزارعين . ولقد تمخضت هذه الاجتماعات عن عدد من المنشورات والكتيبات . وثمة نشرة حديثة من هذه النشرات ظهرت أخيراً فى شكل كتاب من وضع « ليو نبيرجر » عام ١٩٦٠ .

ثمة نقد يوجه عادة لمنهج البحث المتبع فى مجال علم الاجتماع الريفى ويقول به علماء هذا العلم أنفسهم ألا وهو عدم الاهتمام بالنظرية الاجتماعية . وهناك ميل واضح فى كثير من الدراسات التى أجريت فى علم الاجتماع الريفى على ذيوع الأفكار المستحدثة نحو الأخذ بالمذهب التجريبى أو الاختبارى فى صوره البدائية مع تأكيد بسيط على الأهمية الاجتماعية للنتائج .

ومنهج البحث المتبع فى علم الاجتماع الريفى قد يكون قد صادف تقديراً طيباً من البعيدين عنه أكثر مما ناله من تقدير من القريبين منه ، فمثلاً نرى « كاتز » يقرر عام ١٩٥٦ أن علم الاجتماع الريفى « هو جزيرة من البحوث التى تجرى على تحديد العلاقات المستمدة من منهج اجتماعى يأخذ فى اعتباره أن الفلاحين يتحدثون عادة إلى فلاحين مثلهم ، وأن مثل هذه التفاعلات يترتب عليها عادة ردود أفعال يشترك فيها الأفراد والجماعات على السواء » .

منهج البحث المتفق مع النشاط فى مجال التربية والتعليم :

ومنهج البحث الخاص بانتشار جديد الأفكار فى مجالات التربية والتعليم إنما هو من أكبر مناهج البحث من حيث عدد الدراسات ولكن هذا المنهج

قد يكون أقل أهمية من ناحية إسهامه فى تحديد المفاهيم المتعلقة بذيوع الأفكار . والدراسات التى أجريت فى ميدان التربية والتعليم توضح نوعاً قوياً من الصلات المتبادلة داخل حدود المنهج المذكور ، وإن كانت مثل هذه الدراسات لا تقيم وزناً كبيراً لغيرها من الدراسات التى أنجزت وفقاً لمناهج البحوث الأخرى . و « روس » بعد أن استعرض الدراسات التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة فى مجالات التربية والتعليم اختتم كلامه بالآتى : « من الصعب أن نعثر فى أى جانب من جوانب التربية والتعليم على بحث يمكن أن يسمى بحث متكامل ، ويصلح أن يكون دراسة نمطية على ذيوع الأفكار الجديدة فى مجال التربية والتعليم » . ومن الأمور الملفتة للنظر هنا أنه لا التربية والتعليم ، ولا علم الاجتماع قد اهتما بإجراء دراسات على ذيوع الأفكار الجديدة فى ميدان التربية والتعليم . وفى كتب علم الاجتماع التربوى الرئيسية لا نجد إشارة لشىء من هذا النوع .

وغالبية الدراسات التى أجريت على ذيوع الأفكار الجديدة فى ميدان التربية والتعليم أنجزت فى معهد واحد فقط هو كلية المعلمين الملحقة بجامعة « كولومبيا » تحت رعاية باحث واحد هو « بول مورت » . لقد أطلق على هذا الأخير «القوة المحركة» فى كافة الدراسات التربوية . والبدايات الأولى للبحوث التى تمت فى مجال التربية والتعليم تمت بصلة قوية إلى البحث الأول الذى أجراه « مورت » وآخرون على الإدارة المالية للمدارس . هؤلاء الباحثون كانوا يحاولون الكشف عن قيمة الرقابة المحلية على القرارات ذات الصلة بالإدارة المالية للمدارس . ومن المميزات التى أحس بها « مورت » فى مجال هذه الدراسة أن الرقابة المحلية من شأنها أن تؤدى إلى زيادة التفاعل بين القائمين على شئون المدرسة ، وبين أفراد البيئة . والتفاعل هنا يمكن أن يكون مرادفاً لأمور عدة أهمها ابتكار جديد الأفكار واعتناقها ، كما أن هذا التفاعل حدد « بقدرة المدرسة على اصطناع أساليب

جديدة ، ونبذ الأساليب القديمة التي راح عهدها » . ولقد قال « هربرت » و « كورنيل » :

« إن إدارة المدارس اليوم ، بمقتضى الأساليب التي كانت سائدة منذ خمسين عاماً ، إنما هي عمل ينطوي على إضاعة أموال المدرسة ووقتها . وإن القدرة على التفاعل ، وهي القدرة على مجابهة الاحتياجات الجديدة للمدرسة عن طريق تبني أهداف جديدة وأساليب جديدة ، إنما هي عمل لا غنى عنه لأي نظام مدرسي فعال » .

هذه الفقرة لا توحي بالشك في أن المدارس تعجز عن تطبيق ما هو جديد في عالم التربية والتعليم ، واعتناق الأفكار المستحدثة ، بل إن هذا هو بالذات ما يطلب منها ، وإن الحال لكذلك في جميع المطبوعات التي خرجت من جامعة « كولومبيا » في موضوع ذيوع الأفكار الجديدة في التربية والتعليم .

والحاجة إلى الاستعراض التفصيلي للدراسات المائة والخمسين التي أجرتها جامعة « كولومبيا » في موضوع انتشار جديد الأفكار التربوية قد لا تكون ملحة الآن ، إذ أن هذا العمل تولاه « روس » فعلاً عام ١٩٥٨ ، مهما كان المدى الذي يذهب إليه هذا الاستعراض من مجرد الكشف عن الأثر الذي تتركه دراسة ما من الدراسات التي تتبع هذا المنهج على غيرها من الدراسات . ومعظم الدراسات التي تمت في جامعة « كولومبيا » طبعت باعتبارها رسائل تقدم بها أصحابها لنيل درجة الدكتوراه في التربية ، أو باعتبارها تقارير علمية من بين تلك التي تصدرها كلية المعلمين بالجامعة المذكورة . ومما يثير الاهتمام هنا أن نعرف بأن العون المالي لهذه الدراسات أتى الجانب الأكبر منه من المدارس العامة التي كانت موضوع الدراسة . أما الميزانية الإجمالية التي رصدتها جامعة « كولومبيا » للبحوث التي تتناول هذا الموضوع فقد أربت على ربع مليون دولار عام ١٩٥٠ والجانب الأكبر

من هذه الإعانة أعطى على صورة رسم سنوى دفعه كل عضو من أعضاء مجلس البحوث التربوية « بنيويورك » ، وكل مدرسة من المدارس المشتركة فى هيئة المدارس العامة ، وهى الهيئة التى تضم جميع المدارس العامة فى الولايات المتحدة .

والمادة العلمية اللازمة لهذه البحوث كانت فى معظم الأحايين تجمع عن طريق استفتاءات يرسلها بالبريد مفتشو الأقسام أو نظار المدارس ، ومعظم هذه البحوث تجعل من المدرسة والنظام التعليمى السائد ، الأساس الذى تدور حوله الدراسة . ولقد تمخضت هذه البحوث عن حقائق رئيسية يمكن إجمالها فيما يأتى :

١ — من بين الموضوعات العديدة المنوعة ذات الصلة بقدرة المدارس على اعتناق الأفكار الجديدة فى مجال التربية والتعليم ، موضوع التكافة على أساس التلميذ الواحد ، وهو نفسه مايطلق عليه فى اقتصاديات التعليم «عامل الثروة» . ولقد اتضح أن هذا العامل هام جداً عند قياس قدرة المدارس العامة على اعتناق الأفكار الجديدة .

٢ — قبل انتشار الأفكار الجديدة فى مجال التعليم ، لابد من مرور فترة زمنية طويلة . «والمدرسة الأمريكية العادية تتأخر عادة خمسة وعشرين عاماً عن أختها التى تعتنق الأساليب المستحدثة» (مورت عام ١٩٤٦). ما السبب فى أن الأفكار التربوية الجديدة أبطأ انتشاراً من مثيلاتها فى مجالات الزراعة والطب ؟ قد يكون السبب :

(١) حاجة التعليم إلى مصدر علمى يخدم الأفكار الجديدة وينشرها .
(٢) حاجة التعليم إلى إخصائيين متفرغين لنشر الأفكار الجديدة .
(٣) الافتقار إلى الحافز الاقتصادى الذى يدفع العاملين فى التعليم إلى اعتناق الأفكار الجديدة .

قال « بيلى » عام ١٩٤٨ :

« لسوء الحظ يبدو أنه ما من فائدة مادية ترجى من وراء أن يكون المرء داعية لفكرة تربوية جديدة » .

وطبعاً يوجد اختلاف كبير فى معدل السرعة الذى يحدث التبنى للأفكار الجديدة بمقتضاه . فمثلاً قارن «ألن» عام ١٩٥٦ بين انتشار فكرة تدريب التلاميذ على قواعد المرور وانتشار فكرة تدريبهم على دراسة البيئة ، فوجد أن انتشار الفكرة الأولى احتاج إلى ثمانية عشر عاماً لكى تتبعها ١٦٨ مدرسة ، فى حين احتاجت الفكرة الثانية إلى ستين عاماً لكى تبلغ هذه الدرجة من الانتشار .

٣ — يسير نمط تبنى الأفكار المستحدثة فى مجال التعليم فى منحنى له شكل حرف « S » من أحرف الأبجدية الإنجليزية . ففى أول الأمر نجد أن عدداً قليلاً من « مدارس الطليعة » هى التى تتبنى الفكرة المستحدثة ، وبعد ذلك يقرر العدد الأكبر من المدارس أن الفكرة الجديدة مقبولة ، وفى النهاية يخف انحناء منحنى التبنى ، وذلك عندما تسير البقية الباقية من المدارس فى ركاب الفكرة الجديدة .

٤ — أوجد « مورت » و « بيرسن » عام ١٩٤٧ مقياساً لقياس القدرة على ابتكار الأفكار الجديدة ، وهذا المقياس يتكون من عدد من الأفكار التربوية الجديدة . كذلك وضعا نظاماً لتقدير الدرجات بحيث تنال المدرسة عدداً أكبر من الدرجات عندما تبادر قبل غيرها إلى اعتناق الفكرة الجديدة . هذا المقياس أدى ظهوره إلى تحسين أساليب قياس القدرة على تبنى الأفكار الجديدة ، ليس فى مجال التعليم فحسب ، بل فى المجالات الأخرى كذلك . وطريقة « روجير » لتحديد درجات التبنى وتصنيف المتبنين للأفكار فى مجال علم الاجتماع الريفى تتبع مباشرة طريقة « مورت » و « بيرس » التى وضعت قبل ذلك بأحد عشر عاماً .

وأول دراسة على مستوى الدولة فى مجال التعليم قام بها « كوكنج »

عام ١٩٥١ إذ صنف ١٢٠٠ مدرسة من مدارس الولايات المتحدة على أساس تبنيها لسبع أفكار تربوية مثل إكساب التلاميذ تجارب عملية ، وعقد الاجتماعات التي توجه التلاميذ إلى اختيار المهنة المناسبة ، وإقامة ورش للراديو . لم يجد « كوكنج » أن الولايات يختلف بعضها عن بعض من ناحية المبادرة إلى تبنى هذه الأفكار الجديدة ، بينما وجد أن المدارس الكبيرة الواقعة بالقرب من المدن الكبرى أكثر من غيرها قابلية لتبنى الأفكار الجديدة .

وضخامة عدد الدراسات التي أجريت فى جامعة « كولومبيا » على ذيوع الأفكار المستحدثة فى مجال التربية والتعليم تجعل المرء يتساءل لِمَ مرت هذه الدراسات دون أن يلحظها إنسان ؟ هذا الإهمال ليس مصوراً على الدراسات التي تمت فى مجال التعليم فحسب ، بل إنه موجود أيضاً بالنسبة لكثير من الدراسات التي أنجزت فى المجالات الأخرى .

والتزاوج بين الدراسات التي تمت على موضوع انتشار الأفكار الجديدة فى مجال التربية والتعليم ، وبين تلك التي تمت فى المجالات الأخرى ظهر بوضوح نتيجة لعدة دراسات أجريت على المقاومة التي تنشأ لدى العاملين بالتربية والتعليم للآراء الجديدة . وهذه الدراسات قد أنجزت فعلاً فى معاهد أخرى غير جامعة « كولومبيا » . فمثلاً نرى « أيكهولتس » عام ١٩٦١ يستخدم المنهج الاجتماعى الريفى . ومنهج التربية والتعليم عند تحليله لأسبابه رفض بعض المربين للأفكار الجديدة فى مجال المعينات السمعية والبصرية كالأشرطة السينمائية والشرائح ، وبرامج الراديو ، وعروض التليفزيون . لقد جمع « أيكهولتس » معلومات استقاها من خمسة وأربعين معلماً من معلمى المدارس الابتدائية فى مدينة واحدة . ومن المهم أن نذكر هنا أنه فى هذه الدراسة اتخذ « ايكهولتس » من المعلم ، وليس المدرسة ، موضوعاً لتحليله ، كما اصطنع نظرية لربط الأفكار الجديدة ، وهذه النظرية تسير فى أتجاه

موازٍ (وإن كان عكسياً) لتبنى الأفكار الجديدة . أما المحاولات الرامية إلى اختبار هذه النظرية المتعلقة بربط الأفكار الجديدة ، فلم يتهيأ لها نجاح كامل .

ويقوم « بارتون » حالياً بدراسات الغرض منها التحقق من ذيوع الأساليب التربوية المستخدمة فى تعليم الأطفال المعوقين ، و « بارتون » من رجال علم الاجتماع العاملين بمكتب الأبحاث الاجتماعية التطبيقية الملحق بجامعة « كولومبيا » ، وهذه الدراسة بصورتها الراهنة تنطوى على الجمع بين منهجى علم الاجتماع ، والتربية والتعليم .

خلاصة ذلك أن درجة التزاوج بين مناهج البحث فى مجال التربية والتعليم وبين المناهج الأخــــرى ، تفوق أى تزاوج بين أى منهج ومنهج آخر .

منهج البحث المتفق مع النشاط فى مجال الصناعة :

والبحوث التى أجريت على هذا الموضوع فى مجال الصناعة ، قام بهـا باحثون يمتازون بخبرات أوسع فى مجالات التنظيم ، وهم من تلك الناحية يفوقون غيرهم من الباحثين فى الميادين الأخرى . فنحن نجد مثلاً بين الباحثين فى ميدان الصناعة مؤرخين للاقتصاد الصناعى ، كما نجد خبراء ومهندسين صناعيين ، وجميع هؤلاء قاموا ببحث موضوع ذيوع الأفكار الجديدة فى ميدان الصناعة . وفى جميع هـــذه البحوث نلاحظ اتجاهاً اقتصادياً قوياً ، وأغلب الظن أن النتائج التى توصل إليها هؤلاء فى مجال الأفكار الجديدة قد خضع للتحليل الدقيق ، وهذه الظاهرة إنما هى أوضح ما تكون فى هـــذا الميدان منها فى الميادين الأخرى . وأكثر الأساليب شيوعاً لدى الباحثين فى انتشار الأفكار الجديدة فى ميدان الصناعة ، هو أسلوب الدراسة الفردية ، أى دراسة كل حالة على حدة . هذا الأسلوب يجمع فى سياقه تحليلات رياضية وإحصائية جمعت فى الفترة

الأخيرة . ويمكن القول على وجه العموم إن المعلومات التى يستعين بها هذا الأسلوب تستمد من مصادر ثانوية كالوثائق التاريخية . وفى معظم هذه البحوث تكون المؤسسة الصناعية هى وحدة الدراسة .

وفى عام ١٩٤٩ أشار « دان هوف » إلى فئات أربع من الفئات التى ينطوى تحتها المعتنقون للأفكار الجديدة فى ميدان الصناعة ، وهذه الفئات هى :

١ — المبتكرون لحديث الآراء .

٢ — المجددون ، وهم الذين يعتنقون الآراء الجديدة بمجرد ظهورها .

٣ — الفابيون ، وهم الذين يعتنقون الآراء الجديدة عندما يثبت نفعها ويعترف كل إنسان بجدواها .

٤ — المتلكئون ، وهم آخر من يعتنق الآراء الجديدة .

ومنذ أن أعلن «دان هوف» عن هذه الآراء الجديدة أخذ عدة باحثين يحددون الصفات المميزة للمؤسسات الصناعية من ناحية استعدادها للأخذ بالأفكار الجديدة ، فنجد أن «كارتر» و «وليامز» يصنفان عام ١٩٥٧ مائة وثلاثين مؤسسة صناعية بريطانية من ناحية استعدادها لهذا الأمر ، وبعدها انتقلا الى محاولة تحديد الصفات المميزة لأكثر المؤسسات الصناعية تطوراً وأسرعها أخذاً بالأساليب الحديثة . وثمة اتجاه مماثل التزم به نفس هذين المؤلفين «كارتر» و «وليامز» عام ١٩٥٥ عندما قاما بتحليل خمسين مؤسسة إنجليزية ، كما التزم به « سازلاند » عام ١٩٥٩ عند دراسته لست عشرة شركة من شركات غزل القطن . على أن اهتماماً خاصاً بالعلاقة بين الأخذ بالمستحدث من الأفكار ، وبين الاستثمار المادى الناتج عن ذلك ، قد بدا فى وضوح عند «اينوس» عام ١٩٥٨ وعام ١٩٦٠ ، و «مانسفيلد» عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦١ ، و «ستراسمان» عام ١٩٥٩ . وهذا الأخير يستخدم فى دراسته أمثلة خاصة منتقاة من بين المؤسسات الصناعية الآخذة بالأفكار

الجديدة فى مجالات صناعة الصلب والنسيج والآلات ، وتوليد الكهرباء ، بغرض تحديد حجم المغامرة التى قد ينطوى عليها السلوك التقدمى ، والاتجاه إلى الأخذ بجديد الأفكار .

والدراسة التى أجراها «كارتر» و «وليامز» عام ١٩٥٩ على خمسين مؤسسة من المؤسسات الصناعية الإنجليزية قد تمثل إلى حد ما منهج البحث فى ميدان الصناعة . لقد قيست كل مؤسسة من هذه المؤسسات الخمسين من ناحية «تطورها الفنى» بمقتضى مقياس ذى نقاط عشر ، كما أن هذين الباحثين حددا الصفات المميزة لأكثر المؤسسات الصناعية قابلية لاتباع الأفكار الجديدة ، ولأقلها من هذه الناحية . ومن العوامل التى وجد أنها ذات صلة بالأخذ بالأفكار الجديدة ما يأتى :

١ — الروح الطيبة التى تبديها المؤسسة الصناعية نحو الأخذ بالمنهج العلمى ونحو العلوم عامة كما توضحه المكانة الخاصة التى يتمتع بها الأفراد العلميون بالمؤسسة .

٢ — النظرة العالمية للأمور ، ويوضحها ميل الرؤساء والمشرفين بالمؤسسة الصناعية للسفر والاتصال بالعالم الخارجى وعدم اتباع السرية فى كل ما يتعلق بأعمال المؤسسة مع زائريها .

٣ — العمل على أن تكون لدى المؤسسة مصادر للمعلومات مناسبة ، ويوضح ذلك الاشتراك فى المجلات العلمية ، والاتصال المباشر بالجامعات .

٤ — المعدل المرتفع للتنمية الذى تعمل المؤسسة على تحقيقه .

٥ — انعدام المعارضة للتجديد ، وللأخذ بجديد الأفكار بين صفوف العاملين فى القاعدة .

وفى مجلة اقتصاديات الصناعة ، ظهر عدد من الدراسات التى أنجزت فى ميدان الصناعة على موضوع انتشار الأفكار الجديدة ، ولكن يبدو أننا لا نعلم كثيراً عن الدراسات الأخرى التى تمت وفقاً لهذا المنهج بعكس

الحال فيما يختص بالدراسات التى أجريت وفقاً لمناهج البحث الأخرى . على أنه قد يكون السبب فى ذلك تعدد الاتجاهات التنظيمية ، وتنوع أساليب العمل لدى الباحثين عن حقيقة انتشار الأفكار الجديدة فى ميدان الصناعة . وقد يكون السبب أيضاً أن هذه البحوث قد أجريت فى إنجلترا والولايات المتحدة فقط . ومما لا شك فيه أن ثمة قطيعة أكاديمية بين البحوث التى تجرى فى ميدان الصناعة ، وتلك التى تجرى فى الميادين الأخرى . وأول دليل على أن الباحثين فى ميدان الصناعة عن ذيوع الأفكار الجديدة بدأوا يدركون شيئاً عن مناهج البحث فى الميادين الأخرى لم يأت إلا فى عام ١٩٦٠ عندما تحدث « مانسفيلد » عن برنامج البحث فى ميدان علم الاجتماع الريفى ومنهج البحث فى ميدان علم الاجتماع الطبى ، وعندما جمع بين هذين المنهجين فى دراساته .

منهج البحث المتفق مع النشاط فى مجال علم الاجتماع الطبى :

ومنهج البحث فى علم الاجتماع الطبى بدأ العمل به فى فترة متأخرة نوعاً عن غيره من مناهج البحث الأخرى . وفى ميدان علم الاجتماع الطبى درست موضوعات منها :

١ — هل الأفضلية للأدوية الجديدة ، أو لأساليب العلاج الجديدة عندما يكون الأمر متعلقاً بالأطباء ؟

٢ — هل الأفضلية لمصل شلل الأطفال ، أم لأشعة إكس ، أم لموضوعات طبية أخرى عند ما يكون الأمر متعلقاً بالجمهور عامة ؟

ومنهج البحث الخاص بعلم الاجتماع الطبى بلغ أشده فى الخمسينيات من هذا القرن ، وهو نفس الوقت تقريباً الذى بدأ فيه علم الاجتماع الطبى يحرز اعترافاً باعتباره ميداناً من ميادين التخصص الداخلة فى نطاق علم الاجتماع . ومن أوائل الدراسات التى أجريت على انتشار دواء ما ، البحث الذى

قام به «كابلو» عام ١٩٥٢ وحده، وكذلك البحث الذى قام به بالاشتراك مع «ريمون» عام ١٩٥٤، وهذان الأخيران عملا جاهدين على تحديد درجة تأثير قادة الرأى فى مجال انتشار أدوية معينة فى أوساط الأطباء. على أن النتائج التى وصلا إليها لم تكن حاسمة.

الدراسة التى قامت بها جامعة «كولومبيا» على انتشار أنواع معينة من العقاقير الطبية:

من المقطوع به أن الدراسة الأساسية فى ميدان علم الاجتماع الطبى هى تلك التى قام بها ثلاثة من علماء الاجتماع هم: «اليهو كاتز» و«هربرت ميتشل» و«جيمس كولمان»، وجميعهم أعضاء بإدارة البحوث الاجتماعية التطبيقية فى جامعة «كولومبيا». وأهمية هذه الدراسة ـ وقد أطلق عليها فيما بعد «دراسة العقاقير الطبية» ـ يمكن مقارنتها من حيث الأهمية بالدراسة التى قام بها «رايان» و«جروس» لفكرة استخدام الفلاحين للذرة الهجين من حيث إسهام هذه الدراسة فى تنمية معلوماتنا عن انتشار الأفكار الجديدة بين الناس. والجذور التى نشأت منها هذه الدراسة المتعلقة بالعقاقير الطبية يمكن إرجاعها إلى سلسلة من المحاورات التى نظمها أعضاء إدارة البحوث الاجتماعية التطبيقية بجامعة «كولومبيا»، تلك المحاورات التى تدور حول الميادين التى ما زال ينقصها البحث والتحرى. وفى أثناء هذه المحاورات، اقترح «اليهو كاتز» تتبع آثار التأثيرات الشخصية التى تنتج عنها أنواع معينة من السلوك المتغير على أن يكون هذا التتبع على صورة تصوير تخطيطى للعلاقات الاجتماعية. لقد كان أحد أعضاء هذه الإدارة مديراً لقسم بحوث التسويق بإحدى مؤسسات الأدوية الكبيرة، وهى مؤسسة «شارلز وايزر» وشركاه «بنيويورك»، وكان هذا العضو قد تقدم إلى الإدارة المذكورة عام ١٩٥٤ طالباً المعاونة فى دراسة تنشر فى مجلة

مؤسسة « وايزر » عن أثر العقاقير الطبية التى تنتجها تلك المؤسسة ، ومدى انتشار هذه العقاقير فى أوساط الأطباء . فى هذا البحث نجد أن فكرة « كاتز » الرامية إلى دراسة التأثير الذاتى قد استخدمت لمعرفة الظروف التى يقرر فيها الأطباء استخدام عقاقير جديدة .

لقد قدمت مؤسسة « وايزر » منحة مالية قدرها أربعون ألف دولار توضع تحت تصرف الإدارة المذكورة للصرف منها على تلك الدراسة التى بدأت عام ١٩٥٤ . وفى مايو عام ١٩٥٤ بدأ هـــذا المكتب فى دراسة استطلاعية متخذاً لها موضوعاً هو إقبال ثلاثة وثلاثين طبيباً فى مدينة من مدن « نيو إنجلاند » على استعمال عقار جديد ، وتحدث عن نتائج هذه الدراسة فيما بعد « منتزل » و « كاتز » عام ١٩٥٥ .

وبعد أن جربت الأساليب الفنية ، وطرائق العمل ، ومحصت فى ضوء ما تم فى الدراسة الاستطلاعية ، نفذت الخطوات الأولى لهذا البحث فى مدن أربع من ولاية « إلينوى » ، وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٥٤ . وقد وجد أن ثلاثة من القطاعات التى وقع عليها الاختيار بلغ عدد سكانها من ثلاثين ألفاً إلى أربعين ألفاً فى حين كان القطاع الرابع عبارة عن مدينة عدد سكانها مائة وعشرة آلاف . أما المعلومات التى تمخض عنها هذا البحث ، فقد جاء ذكرها فى مؤلف « ميتزل » عام ١٩٥٩ ، وفى كتابات « كولمان » عام ١٩٥٧ وعام ١٩٥٩ ، وفى كتابات « كاتز » ، وفى مؤلف « كاتز وليفين » ، كما أشار إليها « ميتزل » مرة بعد ذلك . والنقاش الحالى الذى نورده حول هذا الموضوع يقوم على المعلومات المستمدة أصلاً من المدن الأربع فى ولاية « إلينوى » أكثر مما يقوم على تلك التى حصلنا عليها من الدراسة الاستطلاعية التى أجريت فى « نيو إنجلاند » .

قامت هذه الدراسة ، « دراسة العقاقير الطبية » ، بتحليل انتشار إحدى المضادات الحيوية التى ظهرت فى أواخر عام ١٩٥٣ . والدواء الجديد

أشارت إليه إدارة البحوث الملحقة بجامعة «كولومبيا» فى معظم مطبوعاتها ، وأطلقت عليه اسماً رمزياً هو «جامانين» . و «الجامانين» جربه مرة على الأقل ٨٧ ./. من أطباء المدن الأربع فى ولاية «إلينوى» وكان ذلك فى استفتاء جرى بعد ظهوره بخمسة عشر شهراً . لقد ظهر أن هؤلاء الأطباء قبل ظهور العقار الجديد كانوا يستخدمون بكثرة نوعين متلازمين من العقاقير ، وهما ينتسبان إلى نفس العائلة التى ينتسب إليها عقار «الجامانين» . بهذا الوضع يمكن القول إن العقار الجديد قد حل محل فكرة كانت موجودة بالفعل بنفس الطريقة التى حلت بها بذور الذرة الهجين محل البذور ذات اللقاحات المتعددة .

وشركات الأدوية من عادتها الاحتفاظ بأعداد من العاملين الذين يطلق عليهم «هيئة الدعاية» ، وهم يترددون على الأطباء لكى يحيطوهم علماً بالأدوية الجديدة . لقد أملت مؤسسة «وايزر» أن تعرف من الدراسة التى قامت بها إدارة البحوث بجامعة «كولومبيا» شيئاً عن الطريقة التى يمكن التأثير بها على الأطباء حتى يشتروا الدواء الجديد ، كما أن هدف المؤسسة كان أيضاً إدخال التعديلات على تبويب مجلاتها العلمية ، وتنوير العاملين بالدعاية فيها . وقد يكون من اللازم هنا ملاحظة أن الموعزين بهذه الدراسة لم يستخدموا استخداماً كاملاً نتائج الدراسة ، كما أنهم لم يقدروا الأهمية الاجتماعية لهذا البحث حق قدره .

وبالطبع إنه المريض ، وليس الطبيب هو الذى يدفع ثمن الدواء الجديد ذى السعر المرتفع ، وإن كان الطبيب هو الذى يصدر القرارات فى هذا الموضوع . وأحد المواقف القليلة الشبيهة بهذا الموقف نجده عندما يلتزم أحد هيئات التدريس فى إحدى الكليات بكتاب مدرسى معين ، يقوم طلابه بشرائه فعلاً . ومتعهد بيع الكتاب ، شأنه فى ذلك شأن مندوب

الدعاية فى حالة الدواء ، لايقوم بالبيع الفعلى للسلعة ، ولكنه يحاول جهده أن يؤثر على المعلم كى يلتزم بالكتاب ، ويدعو إلى شرائه .

لقد قام أعضاء إدارة البحوث بالجامعة المذكورة ، وجميعهم من علماء الاجتماع ، بمقابلة مائة وخمسة وعشرين طبيباً من الممارسين العموميين ، وأخصائيي الأمراض الباطنية، وأخصائى طب الأطفال ، وجميعهم يعملون فى المدن الأربع بولاية « إلينوى » وهم يكونون ٨٥ ./. من الأطباء العاملين فى التخصصات التى كان للعقار الجديد أهمية خاصة فى علاج الأمراض المتصلة بها .

وفى أثناء المقابلة الشخصية طلب من كل طبيب أن يذكر :

١ — أسماء ثلاثة من أقرب الأصدقاء إلى نفسه من بين مجموعة الأطباء .

٢ — ثلاثة أو أربعة أطباء يفضل أن يتبادل وإياهم الرأى فى الأمراض وطرق العلاج .

٣ — الزملاء الذين يلجأ إليهم عادة عند ما يكون فى حاجة إلى معلومات خاصة ، أو نصيحة معينة ، فى ميدان استخدام العقاقير العلاجية .

والأطباء المائة والخمسة والعشرون موضوع الاستفتاء أشاروا أيضاً بضرورة استفتاء مائة وثلاثة أطباء أخر من ذوى التخصصات الأخرى فى المدن التى يعملون بها . وفى حين أن العديد من النتائج المستمدة من هذه الدراسة تنهض أساساً على الاستفتاء القائم على الأطباء المائة والخمسة والعشرين ، فإن تحليل الرأى العام وقياس مدى ما هنالك من زيادة فكرية يقوم على أساس المعلومات المستمدة من مجموعة الأطباء المائتين والثمانية والعشرين ، وهى المجموعة التى تتألف منها العينة ككل ، وهؤلاء يشكلون ٤ ./. من مجموع الأطباء العاملين فعلاً فى العيادات الطبية الخاصة فى المدن الأربع .

وتحديد اليوم المقرر لفحص بطاقاقات الدواء التى صرفها كل طبيب من

هؤلاء الأطباء تم عن طريق مراجعة هذه البطاقات المسجلة بمخازن الدواء المنتشرة فى المدن الأربع موضوع الدراسة . كذلك حددت أيام ثلاثة أختيرت من كل شهر من الشهور السبعة عشر التالية لظهور عقار « الجامانين » ثم دوست جميع التذاكر الطبية التى صدرت خلال هذه الأيام الثلاثة . لقد روجعت سجلات البيع فى أربعة وستين مخزناً من مخازن بيع الأدوية من مجموع مخازن الأدوية فى المدن الأربع وعدد هذه المخازن أربعة وثمانون مخزناً . أما العشرون الباقية فلم يكن لها أهمية كبيرة فى سوق الأدوية .

أحد الأساليب البارعة التى استخدمت فى هذه الدراسة فى دقة وذكاء هو الزمن باعتباره مقياساً موضوعياً حيث اهتم الباحثون بالتوصل للوقت الذى دخل فيه هـذا العقار مجال الاستعمال ومصدر ذلك التواريخ المسجلة على التذاكر الطبية التى كتبها الأطباء لمرضاهم . وباستثناء الدراسة التى قام بها « هافن » عام ١٩٦٢ لتحليل انتشار فكرة نقل الحليب فى فناطيس معدنية ، يمكن القول بأن هذا البحث الذى قامت به جامعة « كولومبيا » على انتشار عقار « الجامانين » هو الدراسة الوحيدة التى تحرر فيها الباحثون من قيود الاعتماد على المعلومات المألوفة فى جميع البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة ، وهى المعلومات التى تخضع لأحكام الذاكرة . والواقع أنه كان ثمـة ميل قوى لدى معظم الأطباء للادعاء بأنهم استعملوا العقار الطبى سابق الذكر قبل التواريخ المذكورة فى سجل الصيدليات .

وأسلوب البحث الذى استخدم فى هـــذه الدراسة هو دراسة عقار « الجامانين » بالرغم من أنه يسقط من حسابه مصدراً من مصادر عدم الدقة والاختلال من ناحية تحديد طول الفترة الزمنية التى استخدم فى أثنائها . وثمة مصدر آخر من مصادر عدم الدقة ألا وهو موقف الطبيب الذى وصف هذا الدواء فى يوم من الأيام السبعة والعشرين من الشهر ، وهى الأيام

الخارجة عن نطاق الفحص ، ولم يصفه خلال الأيام الثلاثة من الشهر ، وهى الأيام المقررة للفحص . ومهما يكن من أمر ، فإن الاعتماد على السجلات الحاوية على تواريخ التذاكر الطبية قد يعتبر فى حد ذاته تقدماً كبيراً فى مجال التغلب على صعوبات الأخذ بالمعلومات المستوحاة من الذاكرة ، ومن الأمور المدعاة لسوء الحظ أن الباحثين اتبعوا نظام تحديد أيام ثلاثة فقط من أيام الشهر لإجراء الفحص الأحصائى ، وكان الأنسب مراجعة جميع أيام الشهر ، والخروج من هذه المراجعة بمتوسط عام يقاس به مدى الإقبال على وصف العقار للمرضى .

وثمة عيب آخر فى هـذه الدراسة ألا وهو اعتماد الباحثين على التاريخ الذى بدأت فيه التجربة ، وليس على تاريخ دخول العقار إلى مجال الاستعمال الفعلى . ومن هذه الناحية تعرضت هذه الدراسة إلى ضعف مشابه للضعف الذى تعرضت له دراسة تجربة الذرة الهجين إذ أن تواريخ القيام بالتجربة جاءت مباشرة فى أعقاب تواريخ تبنى الأطباء لعقار « الجامانين » ، وقد ترتب على ذلك شىء من عـدم الدقة فى قياس مدى الإنتشار فيما يتعلق بذيوع هذا العقار فى أوساط الأطباء .

لقد انتقد « هاوكنز » عام ١٩٥٥ هـذه الدراسة للنقص الذى لاحظه عليها من حيث الاستعانة بما كتب فى مجال العقاقير وملابسات انتشارها فى أوساط الأطباء والمرضى . والواقع أن الباحثين الذين قاموا بهذه الدراسة ، دراسة « الجامانين » ، لم يكونوا على علم بالبحوث التى جرت فى المجالات الأخرى ، كما أنهم لم يكونوا على بينـة من البحوث التى جرت على انتشار العقاقير فى الوقت الذى كانت تجمع فيه المعلومات الخاصة بعقار « الجامانين » . على أن هذا النقص الأخير قد لا يعتبر من الأمور الخطيرة بالنسبة للبحث إذا ما راعينا أنه ما كان ليتأثر كثيراً لو أن القائمين على البحث كانوا على علم بما سبق أن أجرى من دراسات على العقاقير الطبية وانتشارها .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الدراسة قد عانت بعض المعاناة من حيث

التخطيط لها والأسلوب الذى استخدم فيها وبسبب جهل القائمين عليها بالبحوث التى أجريت فى المجالات الأخرى وفقاً لمناهج بحث مغايرة. فمثلاً نحن نلاحظ على هذه الدراسة عدم الاهتمام بالمراحل التى سارت فيها عملية تبنى الفكرة الجديدة . وليس سراً القول بأن أعضاء هيئة البحوث فى جامعة « كولومبيا » ، أولئك الذين تعهدوا بالقيام بهذا البحث وإنجازه، قد أعلنوا دهشتهم عند ما علموا بوجود دراسة أخرى خاصة بانتشار فكرة بذور الذرة الهجين. وهذه الدراسة التى جرت على عقار « الجامانين » تمت منذ بضعة سنوات مضت دون أن يعلم القائمون بها مدى التشابه والتماثل بينها وبين الدراسة التى قام بها « رايان » و « جروس » عن الذرة الهجين قبلها بخمسة عشر عاماً.

ومن الصعب أن نقول فى دقة متى حدث الالتقاء بين هذه الدراسة ، وبين غيرها من الدراسات التى أجريت فى مجالات أخرى ، ووفقاً لمناهج بحث مغايرة . ومما لا شك فيه ، أن أعضاء هيئة البحوث فى جامعة « كولومبيا » ، وهى الهيئة التى قامت بهذا البحث ، كانوا على علم بمنهج البحث المطبق فى علم الاجتماع الريفى ، ولكن إدراكهم لهذا الأمر لم يؤد مباشرة إلى تبادل محسوس للخبرات العلمية بين المنهجين لسنوات طويلة . وإحدى نتائج الالتقاء — وفقاً لما أشار به « كاتز » و « ليفين » — تأثر بها الباحثون فى موضوعات الانتقال الجمعى للأفكار ، وبخاصة أولئك الذين وقعوا فى خطأين متصلين بفكرتهم عن المجتمع الحديث .

هذان الخطآن هما :

١ — الافتراض بأن وسائل الاتصال الجمعى تصلح كأداة طيعة لتفسير الظواهر المختلفة لحياة الناس .

٢ — النظر إلى المجتمع الإنسانى على اعتبار أنه « كتلة واحدة أساسها أشتات من الناس منعزل بعضهم عن بعض » .

هذان العيان الهامان تنبه إليهما أخيراً الباحثون فى مجلات الاتصال الجمعى فأخذوا يعملون على ملاقاتهما وخاصة فى الدراسات التى أجريت فى ميادين علم الاجتماع الريفى .

والنتائج المستمدة من الدراسة التى قامت بها جامعة « كولومبيا » على عقار « الجامانين » ، تلك النتائج التى يمكن اعتبارها على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لموضوع هذا الكتاب ، تتضمن أموراً ثلاثة هى :

١ — المعلومات المفصلة ذات الأهمية فى قياس العلاقات الاجتماعية ، وهى المعلومات التى أدلى بها الأطباء الممارسون والذين يستخدمون العقار ، قد مهدت الطريق للقيام بتحليل عميق لأنماط التأثيرات التى عاونت على انتشار « الجامانين » فى أوساط الأطباء ، وهذا أدى بدوره إلى تحديد العلاقة بين القيادة العسكرية وبين انتشار الأفكار . وإن المعلومات الكاملة عن المكانة التى يشغلها الأطباء فى المجتمع الذى تجرى فيه التجربة كان لها الفضل فى ظهور إحدى الدراسات التحليلية المعقدة للتأثيرات الشخصية فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة .

٢ — أنشأت هذه الدراسة أسس الارتباط ومعاملاته ، تلك الأسس والمعاملات ذات الصلة باستعدادات الأطباء موضوع الدراسة لتبنى الأفكار الجديدة . وهذه الناحية لم يتطرق إليها أحد فى دراسة سابقة . ومعظم معادلات التغير الخاصة بالاستعداد لاعتناق الأفكار الجديدة كالمعادلات الخاصة بمدى الانفتاح على العالم الخارجى ، والأوضاع الاجتماعية ، والقيادة فى ميادين الرأى ، وحجم العمليات ، والحساسية الاجتماعية ، كل هذه أمكن وضعها موضع الدراسة والفحص فى عينات مؤلفة من فلاحين وعاملين . على أنه من الهام ملاحظة أن نفس هذه المعادلات تحكم التصرفات التى تصدر عن الأطباء الممارسين فى مجال الأخذ بالأفكار الجديدة .

وثمة عامل من العوامل ذات الصلة بالاستعداد لتبنى الأفكار الجديدة هو : هل الطبيب موضع الاستفتاء يضع أصول المهنة فى المقام الأول

أو أنه يتجه نحو إرضاء المريض على حساب المهنة ؟ والمصدر الذى يرجع إليه الفاحص بالنسبة لهذا العامل فى وضعه الأول هم زملاء الطبيب أنفسهم فى حين أنه بالنسبة للوضع الثانى يُنظر إلى مدى احترام المرضى للطبيب المعالج . والأطباء الذين يضعون أصول المهنة فى المقام الأول استخدموا عقار « الجامانين » لأول مرة قبل أن يستخدمه الفريق الآخر ، وهم الذين يتجهون نحو إرضاء المرضى على حساب المهنة لفترة زمنية تقدر بثلاثة أشهر فى المتوسط .

٣ — أما الفائدة الثالثة التى نخرج بها من دراسة جامعة « كولومبيا » على عقار « الجامانين » ، فهو الأسلوب الفنى الذى اتبع لتحديد تاريخ استخدام الأطباء لعقار « الجامانين » لأول مرة على أساس ما هو مسجل فى التذاكر الطبية لا على أساس ما تعيه الذاكرة البشرية .

الدراسات التى أجريت أخيراً على موضوع انتشار الأفكار الجديدة فى مجال علم الاجتماع الطبى :

ومنذ الوقت الذى قامت فيه جامعة « كولومبيا » بإجراء دراستها على عقار « الجامانين » ، وكيفية انتشاره بين الأطباء والمرضى ، أنجز عدد من التحليلات للرأى العام فى مجال العلاج والأدوية ، ومن أمثلة هذه التحليلات ما يأتى :

١ — انتشار مصل « سولك » لشلل الأطفال وقام بهذه الدراسة « ديزى » عام ١٩٥٦ ، و « جليزر » عام ١٩٥٨ ، و « سيلز » و « جيل » عام ١٩٥٩ .

٢ — استخدام أشعة إكس فى تشخيص الأمراض ، وقام بهذه الدراسة « هوشبوم » و « بيراكاريز » عام ١٩٦١ .

٣ — وضع الفلورين فى مجمعات مياه الشرب لمنع تسوس الأسنان ،

وقام بهذه الدراســـة « ماكنيل » عام ١٩٥٧ و « جامسون » عام ١٩٦١ و « ديفيز » عام ١٩٥٩ وآخرون .

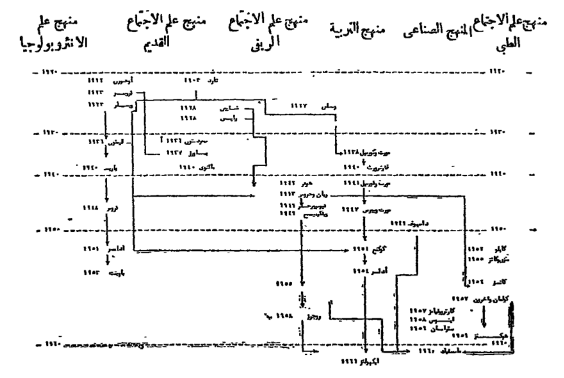
ومعظم الدراسات الحديثة فى ميدان علم الاجتماع الطبى تحلل الارتباطات الداخلة فى تكوين الاستعدادات لاعتناق الأفكار الجديدة ، ومن أمثلة هذه الارتباطات المركز الاجتماعى ، والميل إلى الأخذ بالأسلوب العلمى . هذه الدراسات من المحتمل أنها لم تضف سوى النزر القليل نسبياً إلى معلوماتنا عن ذيوع الأفكار بين الناس .

العلاقة بين الدراسات التى تمت وفقاً لمناهج البحث المختلفة :

ثمة تبادل ثقافى بين الدراسات التى تمت وفقاً لمناهج البحث الستة . وهذا التبادل من ناحية الحجم يفوق أى تبادل بين الدراسات الأخرى . ولقد لاحظنا أن ثمة عزلة بين الدراسات التى تمت وفقاً لمنهج البحث فى علم الأنثروبولوجيا وبين تلك التى تمت وفقاً لمنهج البحث فى مجال الصناعة .

وشكل (٢ — أ) يوضح عدداً من العلاقات المشتركة بين الدراسات التى تمت وفقاً لمناهج البحث الستة . وهذه العلاقات جاء ذكرها فى التقارير التى كتبت عن هذه الدراسات . وعلى العموم ، فى الامكان ملاحظة اتجاه واضح سار فيه الباحثون الذين طبقوا المناهج القديمة فى دراساتهم ، وهذا الاتجاه يفيد عند البحث فى المناهج التى ظهرت أخيراً .

لمَ يوجد مثل هذا النقص الواضح فى الصلات بين مناهج البحث الستة الرئيسية ؟ ثمة سبب واحد على الأقل ، وقد يكون هو الانعزال التام بين هذه المناهج وعدم إحساس أى منها بوجود الآخر بالرغم من أن جميع الأفراد العلميين الذين يقومون بهذه الدراسات يتعلمون فى الجامعة « أن البحث يبدأ أولاً فى المكتبة وليس فى المعمل » . وثمة سبب آخر نجده فى الحوائل المصطنعة التى نشأت بين هذه المناهج بعضها ببعض ، وهذه الحوائل عاقت



(شكل رقم ٧ — أ) يبين العلاقات بين كل منهج من مناهج البحث فى الميادين الستة و بين غيره من المناهج الأخرى فى مجال انتشار الافكار الجديدة .

الاتصال بين الباحثين كما أثرت فى مدى تقدير كل منهم لعمل الآخر . وفى هذا يتحدث « كاتز » عن « الانعزالية العلمية التى كان من نتائجها انقطاع الصلة بين مناهج البحث فى الميادين الستة » .

ومن الممكن أن يكون أحد المؤلفين على علم بمناهج البحث الأخرى غير المنهج الذى يعمل فى إطاره لأنه يعتبر المناهج الأخرى هامة بالنسبة للعمل الذى يقوم به . ومهما يكن من أمر ، فإن السبب قد يكون على الأغلب جهل الباحث بالبحوث التى أنجزت فى الميادين الموازية للميادين التى يعمل فيها ، وهذا الجهل من شأنه إعاقة الاتصال بين الميادين المختلفة . مثال ذلك أن منهج البحث فى مجال علم الاجتماع الريفى ظل يجهل كل شىء عن منهج

البحث الضخم فى مجال التربية والتعليم حتى بعد عام ١٩٥٥ بالرغم من أن المنهجين استمرا فترة تزيد على سبعة عشر عاماً .

وإحدى نتائج انعدام الاتصال بين مناهج البحث المختلفة ، وهى نتيجة طيبة على أى حال ، تتلخص فى أن تكرار الدراسات من شأنه تمهيد الطريق لظهور صور متعددة لشىء واحد . مثال ذلك موقفنا من المجددين والمتمردين على الأوضاع السائدة : هل الطلائع المجددة ينظر إليها باعتبار أن أفرادها من المنحرفين ؟ إننا نجد الجواب على ذلك يكاد يكون موحداً من خلال جهود الباحثين فى علم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الريفى وعلم الاجتماع الطبى . إن كل باحث من هؤلاء قد درس المشكلة وليس فى جعبته سوى القليل من العلم بجهود الآخرين .

وثمة طريقة مشوقة من الطرق المؤدية إلى تحليل التقاء مناطق البحث فى الدراسات التى أنجزت فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة ألا وهو اقتفاء أثر فكرة معينة من الأفكار المتعلقة بموضوع الانتشار من لحظة ظهورها حتى انتشارها . فمثلاً فى مقدور المرء أن يكشف النقاب عن الاتجاه التطورى الذى سار فيه الخط البيانى ذو الشكل الشبيه بالحرف « S » لمن يتبنى الفكرة الجديدة من عهد « تاردى » عام ١٩٠٣ و « شابان » عام ١٩٢٨ من خلال علم الاجتماع القديم وعلم الاجتماع الريفى والعلوم التربوية وعلم الاجتماع الطبى . إما هذا ، أو أن المرء فى مقدوره أن يقتفى أثر أفكار معينة فى مجال الدراسات التى تجرى على انتشار الأفكار الجديدة ، ومن أمثال هذه الأفكار تصنيف جماعات المجددين إلى فئات ، أو قياس القدرة على ابتداع الأفكار والسير فى طريق التجديد ، أو طرق القياس فى العلاقات الاجتماعية واستخدام هذه الطرق فى الكشف عن قادة الرأى فى الجماعات المختلفة ، أو الصفات المميزة للأفكار الجديدة . وحتى هذه اللحظة فإن هذا

النوح من التحليل لمناهج البحث فى مجال انتشار الأفكار الجديدة لم يستكمل مقوماته بعد .

الملخص :

ثمة مناهج ستة رئيسية للبحث فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة ، وهذه المناهج هى : المنهج الأنثروبولوجى ، ومنهج علم الاجتماع القديم ، ومنهج علم الاجتماع الريفى ، ومنهج العلوم التربوية ، ومنهج علم الاجتماع فى ميادين الصناعة ، ومنهج علم الاجتماع الطبى . ومنهج البحث هو مجموعة الدراسات التى أجريت على موضوعات متشابهة داخل إطار واحد مع تأثر هذه الدراسات بما سبقها . ومما هو معروف أن القائمين بالدراسات الخاصة بانتشار الأفكار الجديدة لا يعرفون كثيراً عن الدراسات الأخرى التى تجرى على نفس هذا الموضوع فى مجال آخر .

وفيما يلى بيان تلخيصى بالصفات الخاصة بكل منهج من مناهج البحث فى الميادين الستة :

دراسة مقارنة لمناهج البحث الخاصة بانتشار الأفكار الجديدة فى الميادين الستة

جدول رقم (٢ — ١)

المنهج	الميادين الأساسية التى يعمل فيها	الطريقة الأساسية المستحدثة فى جمع المعلومات وتحليلها	وحدة الدراسة	الأنماط الأساسية للمستخلصات من الدراسة
١ — علم الأنثروبولوجيا	علم الأنثروبولوجيا	الاعتماد على الباحث وعلى الشخص الذى يجرى عليه البحث والاستعانة بالتحليل الوصفى .	المجتمعات أو القبائل	كيف تنتشر الفكرة من مجتمع إلى مجتمع
٢ — علم الاجتماع القديم	علم الاجتماع	معلومات مستقاة من مصادر ثانوية .	فى الأعم الاغلب بيئات صغيرة وفى بعض الأحايين أفراد	يسير الخط البيانى الذى يمثل اعتناق الفكرة الجديدة وفقاً لشكل يمثل حرف « S »
٣ — علم الاجتماع الريفى	علم الاجتماع	مقابلات شخصية وتحليل إحصائى	أفراد من المزارعين	إرتباطات فى مجال الانتشار وسمات مميزة للأفكار وهذه السمات تقوم على أساس السرعة التى يتم بها اعتناق هذه الأفكار ، مصادر المعلومات فى كل مرحلة من مراحل اعتناق الفكرة الجديدة
٤ — التربية والتعليم	التربية والتعليم	إستفتاءات ترسل بالبريد وتحليل إحصائى	وحدات مختارة من المدارس	إرتباطات فى مجال الانتشار
٥ — ميدان الصناعة	الاقتصاد الصناعى ، التاريخ الاقتصادى ، الهندسة الصناعية .	دراسة لحالات معينة وتحليل للاحصائيات ، المقابلات الشخصية	المصانع أفراد معينون	إرتباطات فى مجال الانتشار ، قيادة فكرية فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة
٦ — علم الاجتماع الطبى	علم الاجتماع ، علم الصحة			إرتباطات فى مجال الانتشار

الفصل الثالث

الثقافات والمعايير الاجتماعية وعلاقتها بذيوع الأفكار المستحدثة

« إذا عرفنا ماهية الثقافة السائدة فى مجتمع ما ، بما فى ذلك قيمها الخاصة بها ونوازعها ، فاننا نستطيع أن نتنبأ بشىء كثير من الثقة ، بما إذا كان العدد الأكبر من أفراد هذا المجتمع يرحبون بفكرة مستحدثة أم يقاومونها » .

« رالف لينتون عام ١٩٥٢ »

والهدف من هذا الفصل إنما هو العمل على إبراز أهمية القيم الثقافية فى ذيوع الأفكار الجديدة ، وبناء الملامح الأساسية فى نمطين مثاليين من أنماط المعايير الاجتماعية وهما النمط التقليدى القديم والنمط العصرى الحديث ، وتوضيح أثر المعايير السائدة فى تنظيم اجتماعى على قابلية أفراده لتبنى الأفكار المستحدثة .

أهمية الثقافة

فى مجال انتشار الأفكار المستحدثة

والمعيار يحدد معناه باعتباره النمط الشائع للسلوك العام الذى يتميز به أفراد تنظيم اجتماعى معين . والمعايير من شأنها أن تؤثر على انتشار الآراء الجديدة إذ أن المعايير اللاصقة بتنظيم اجتماعى معين يمكن أن تكون حائلاً يحول دون إحداث التغيير كما أوضحنا فى المثال الذى أوردناه فى صدر هذا الكتاب وتحدثنا فيه عن غلى مياه الشرب فى إحدى قرى جمهورية « بيرو » . والمقاومة للمستحدث من الأفكار كثيراً ما نجدها فى العادات الخاصة بالطعام والشراب . فنى بلاد « كالهند » مثلاً تجوس الأبقار المقدسة خلال الحقول وترعى كيفما تريد فى حين أن هناك ملايين من الناس يعانون من

المجاعة . وفى البلاد الإسلامية لا يأكل الناس لحم الخنزير . وفى معظم البلاد الآسيوية ، وكذلك فى الولايات المتحدة ، يؤكل الأرز بعد ضربه وتبييضه وذلك بالرغم من أن الأرز الخام أكثر فائدة لجسم الإنسان . والعادات المتعلقة بالطعام تكون على الأغلب ذات جذور عميقة فى تقاليد المجتمع وعلى ذلك فإنها تتأثر تأثراً مباشراً بالقيم الثقافية .

لقد صور « أبوداكا » أهمية المعايير المتعلقة بتنظيم اجتماعى معين فى إحداث التوقف الذى يلحق بانتشار فكرة جديدة فذكر أن بذور الذرة الهجين أدخلها ذات مرة أحد المرشدين الزراعيين إلى إحدى القرى المكسيكية مع اتخاذ كل ما يمكن من عناية حتى تنجح الفكرة وتنتشر بين سكان هذه القرية وكانوا من أصل أسبانى . ومن قبيل العناية تم اختيار التربة المحلية والتأكد من قابليتها لاحتضان البذرة الجديدة . فى العام الأول لهذه التجربة اكتشف المرشد الزراعى أن البذرة الجديدة أعطت ثلاثة أمثال المحصول العادى الذى كان متوقعاً من البذور القديمة . والذى حدث أن نصف الفلاحين فى القرية اعتنقوا فكرة الذرة الهجين وزرعوها فى العام التالى . ولكن بعد مرور عامين عاد جميع الفلاحين تقريباً إلى عادتهم القديمة فى زراعة بذورهم التى اعتادوا على زراعتها من قديم .

لِمَ توقف فلاحو هذه القرية عن تطبيق الفكرة الجديدة ؟ السبب هو أن زوجاتهم لم يحببن الذرة الهجين إذ أن الذرة كانت فى العادة تطحن لعمل الخبز المكسيكى وهو على شكل أرغفة مستوية السطح ولا يمكن لأولئك الفلاحين أن يستغنوا عنها فى وجباتهم اليومية . أما الذرة الهجين فكان لها طعم غريب المذاق بالنسبة إليهم ، كما أن عجينتها لم تكن تصلح لعمل هذه الأرغفة ، وعلى ذلك يمكن القول بأن معايير التنظيم الاجتماعى فى تلك القرية كانت فى جانب الأنواع القديمة من بذور الذرة ، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لبذور الذرة الهجين . ولو كان المرشدون الزراعيون قد أدخلوا

فى اعتبارهم المعايير الاجتماعية المحلية بالإضافة إلى اهتمامهم بالظروف المحلية للتربة ، فمن الجائز أنهم كانوا قد توصلوا إلى إنتاج أرغفة أفضل بالإضافة إلى ماحققوه من محصول أكبر .

وثمة مثل آخر من الأمثلة الدالة على أهمية القيم الثقافية فى انتشار الأفكار الجديدة وفى هذه المرة يأتى المثال من « فيتنام » . فعند مانقص محصول الأرز فى عام من الأعوام القليلة الماضية ، أدخل مندوبو المعونة الفنية الأمريكية فى تلك البلاد سمك «التيلابيا» . ومن خصائص هذا النوع من الأسماك التكاثر السريع كالأرانب، وفى هذه الحال يمكن توفير البروتين اللازم للناس، وذلك بالإضافة إلى المذاق اللذيذ الذى تميزت به هذه الأسماك . وسار كل شيء على مايرام وامتلأت البحيرات والبرك الواقعة وسط المزارع بكميات هائلة من الأسماك إلى أن حدث أن أشاع بعض الناس أن السمك سام . وانتشرت الإشاعة وساعد على انتشارها أن كل من أكل من هذه الاسماك ثم مرض بعد ذلك عزى مرضه إلى هذا النوع من السمك . ولقد ترتب على ذلك ظهور قدر كبير من المعارضة للفكرة ، وكان لابد أن تمضى فترة طويلة تقدر بسنوات ثلاث قبل أن يصبح سمك « التيلابيا » جزءاً أساسياً فى الطعام المحلى .

يوضح هذا المثال أن انتشار الأفكار الجديدة ليس مجرد أمر ينطوى على فوائد اقتصادية وإن كانت العوامل الاقتصادية قد تكون هامة فى كثير من الحالات . والاعتبارات الاقتصادية قد تكون على الأغلب ذات أهمية فى المجتمعات الحديثة تفوق الأهمية التى لها فى المجتمعات التقليدية القديمة وواحدة من أولى الدراسات التى أجريت وفقاً لمنهج علم الاجتماع قد أكدت هذه النقطة . ولقد قارن « بدرسون » عام ١٩٥١ بين معدل السرعة الذى يتم بمقتضاه تبنى الأفكار الجديدة فى مجال الزراعة فى محيط الزراع المنحدرين من أصول دانماركية وبولونية فى ولاية « وسكونسن » وبين نفس المعدل

فى أوساط أخرى، ومن هذه المقارنة اتضحت له حقائق هامة منها أن المزارعين البولونيين متأثرون بمنبتهم الأصلى حيث تخدم الزراعة أهداف الاستهلاك المحلى فى حين أن المزارعين الدانماركيين يعملون فى المقام الأول لخدمة اغراض التصدير والتسويق الخارجى. والقيم الثقافية للمزارعين الدانماركيين من شأنها المعاونة على اعتناق الأفكار الجديدة فى حين أن المعايير السائدة فى البيئة البولونية تخدم استمرار الأوضاع القديمة الموروثة .

وثمة مثال أخير على الصلة بين الثقافة وانتشار الأفكار الجديدة فى بيئة من البيئات نجده واضحاً فى مجتمع هنود « الشوشونى » الضاربين فى ولاية « نيفادا » . إن القيم الثقافية من شأنها أن تؤثر ليس فقط على اعتناق الفكرة الجديدة أو رفضها ، بل أيضاً على الطريقة التى يتم بمقتضاها اندماجها فى صميم أسلوب الحياة السائدة فى مجتمع من المجتمعات . والنتائج المترتبة على انتشار فكرة مستحدثة يقررها ويحدد شكلها العام الثقافة السائدة فى المجتمع . فعند ما دخلت الخيول فى ثقافة هنود « الشوشونى » استطاع هؤلاء أن يعرفوا ماذا ينبغى لهم أن يصنعوه بهذه الخيول . لقد كان لهذه القبائل خبرة سابقة بالخيول إذ سبق لهم أن سرقوا خيول المهاجرين الأول وذبحوها لطعامهم ، وعلى ذلك عندما كانوا يمنحون عدداً من الخيول لاستخدامها فى نقل الأثقال وجر العربات رحبوا بها ترحيباً كبيراً ولكنهم كانوا يأكلونها .

المعايير القديمة والحديثة

ومن الأمور الهامة ، من الناحية النظرية ، أن نفرق بين نمطين مثالين من أنماط المعايير وهما النمط التقليدى القديم والنمط الحديث . ولسوف نتحدث الآن عن هذين النوعين من أنماط المعايير ولكننا نعتقد أن القارىء ينبغى أن يفهم أولاً المقصود « بالأنماط المثالية » . والأنماط المثالية ماهى

إلا مفاهيم واقعية قائمة على أساس ملاحظات تدور حول الحقيقة وهذه المفاهيم ذات تركيب يثير المقارنات . والأنماط المثالية ليس من الضرورى أن توجد على شكل اختبارى ولكنها قد تنشأ عن طريق تجريد السمات المميزة للسلوك الذى نقوم بتحليله تجريداً يصل إلى حدود المنطق الوضعى .

والأمثلة الاختبارية (فى حالة المعايير) تقارن عادة مع الأنماط المثالية لرؤية مدى اقتراب الحالات الاختبارية من الأنماط المثالية . والهدف من إقامة الأنماط المثالية إنما يدخل مباشرة فى نطاق مناهج البحث إذ أن هذه الأنماط توفر الأدوات اللازمة للتحليل وما يتفرع عنه من تعمق فى الفهم . والأنماط المثالية إنما هى « مثالية » ليس من ناحية أنها تبصرنا بما ينبغى أن يكون بل لأنها تبرز منطقياً بعض أبعاد التحليل . والأنماط المثالية يمكن أن تنشأ لأغراض التحليل المنطقى فى مجالات الدراسة بكل أنواعها .

ومنذ عهود سحيقة فكر رجال علم الاجتماع فى الأنماط القطبية التى هى فى الواقع أنماط مثالية تتضمن ما عبر عنه عالم الاجتماع « دوركيم » بالتضامن الآلى العضوى ، و « فيبر » بالأنماط الاجتهادية والتقليدية ، و « هاولى » بالأنماط ذات الكيان المشترك مع الحياة المستقلة ، و« مرتون » بالأنماط المحلية العالمية ، و « سوروكن » بالأنماط الخاصة مع العامة ، و « بيكر » بالأنماط الدينية الدنيوية . والأنماط المثالية للمعايير الخاصة بالتنظيم الاجتماعى وهى المعايير المستخدمة هنا — بنوعيها التقليدى والحديث — تقوم ، على الأقل فى ناحية من نواحيها ، على أسس مستمدة من الأنواع المثالية سابقة الذكر .

ومن الجائز أن نرى من يستخدم عدداً من المرادفات لما أوجزنا فى مجال وصف النمط الحديث للثقافة فيقال إنها ثقافة أكثر استعداداً لقبول

الأفكار الحديثة ، أو أكثر قابلية للتطور ، أو أكثر تقدماً ، أو أكثر إحساساً بأهمية العامل الاقتصادى . والبعد الخطر ، على أى حال ، هو أن الأفراد فى التنظيمات الاجتماعية التى تأخذ بالمعايير الحديثة تنظر إلى الأفكار الجديدة نظرة أفضل وهم على استعداد لاعتناقها أسرع مما هو الحال مع أولئك الذين ينتمون إلى تنظيمات اجتماعية تقليدية . إن دعاة التجديد من شأنهم الترحيب بالتغيير فى حين أن أنصار النظم السائدة يقاومون كل ما هو جديد .

وفى كلمات عامة ، يمكن القول إن التنظيم الاجتماعى ذى المعايير التقليدية يتميز بسمات معينة ، منها :

١ — الأسلوب التكنولوجى المتأخر — الزراعة لأغراض التموين المحلى هى الاتجاه الغالب .

٢ — التعليم المحدود الذى لا يرتفع عن مستوى القراءة والكتابة — الاتصال عن طريق الكلمة المنطوقة وليس عن طريق وسائل الإعلام الجماعى .

٣ — ابتعاد أفراد التنظيم الاجتماعى عن الاتصال بغيرهم ممن يعيشون فى تنظيمات اجتماعية أخرى .

٤ — انعدام التفكير الاقتصادى بحيث ينظر الناس إلى العلاقات الجماعية الأولى كالود والكرم ليس باعتبارها أموراً أساسية فى المجتمع ، بل باعتبارها غايات فى حد ذاتها وليست وسائل إلى غايات .

٥ — انعدام القدرة لدى الأفراد على وضع أنفسهم فى مواضع الغير وتخيل ما يحدث بعد ذلك . والشخص الخاضع للأوضاع التقليدية لا يقابل أفراداً جدداً ، ولا يقوم بأعمال جديدة ، ولا يدخل نفسه فى علاقات اجتماعية جديدة كما يفعل الشخص العصرى . والأفراد المنتمون لتنظيم اجتماعى تقليدى قديم يقومون فى العادة بعمل واحد محدد الملامح ولا يحاولون أن يتعلموا أعمالا أخرى .

والتنظيم الاجتماعى العصرى يتميز بالآتى :

١ — تكنولوجيا متقدمة مع تخصص دقيق . وأفراد هذا التنظيم تغلب على أعمالهم المسحة الحضرية وهم من تلك الناحية يفوقون غيرهم ممن ينتمون للتنظيم الاجتماعى التقليدى القديم . وبالرغم من أن التنظيم الاجتماعى التقليدى قد يكون قد لحقه شيء من التصنيع إلا أن نمط هذا التصنيع لن يخرج عن نطاق الصناعة الصغيرة ، صناعة الكوخ ، وليس صناعة المصنع الكبير .

٢ — تقدير عال للعلوم والتربية .

٣ — عالمية العلاقات الاجتماعية . والآراء الجديدة تأتى عادة إلى التنظيم الاجتماعى من مصادر خارجية كما أن أفراد التنظيم الاجتماعى العصرى يتفاعلون عادة مع غيرهم ممن يعيشون فى تنظيمات اجتماعية أخرى .

٤ — التخطيط فى هذا التنظيم يكون عادة على درجة كبيرة من الدقة كما أن القرارات التى تصدر فى نطاق هذا التنظيم تتجه وجهة اقتصادية مفيدة للجميع كما أن أنجع الوسائل تستخدم للوصول إلى الأهداف المرجوة .

٥ — القدرة على أن يضع المرء نفسه فى مكان غيره ويتصور عمله ومسئولياته .

والخلاصة أن التنظيم الاجتماعى الخاضع لمعايير حديثة يكون فى العادة أكثر تقدماً تكنولوجياً ، كما يكون أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى ، وأكثر انغماساً فى قضايا التعليم ، وأكثر واقعية فى التفكير ، وأخيراً أكثر ثقة وأكثر تأكيداً . والاستراتيجية التقليدية للحدث وصفها « فون نيومان » و «موجانسترن» عام ١٩٥٣ فى تعبيرات شبيهة بتلك التى يستخدمها المهتمون بالرياضة البدنية . فاللاعب التقليدى ، بدلا من أن يتخذ قراراته تبعاً للحاجة إلى مثل هذه القرارات وخضوعاً لظروفها ، يفكر عادة تفكيراً

سابقاً لأوانه ويتخذ لكل أمر عدته . على هذا نقول إن الشخص التقليدى « يبدأ لعبه بخطة كاملة ، أى بخطة تتضمن النص على ما ينبغى أن يفعل فى كل موقف من المواقف التى قد يتعرض لها وإزاء ما يمكن أن يعتنقه من أفكار ومعلومات » . وفى التنظيم الاجتماعى التقليدى تتولى سلطة عليا ، هى سلطة استلهام الأمس والعودة إلى ما كان يفعله الآباء ، تقرير نوع التصرف الذى ينبغى أن يتبع فى موقف من المواقف .

وثمة خطر واحد ينتج عن التفكير بطريقة الأنماط الثقافية المثالية ألا وهو أن مدى التباعد بين الفروق الكامنة فى المعايير من الجائز أن يبالغ فى التأكيد عليها . أى أنها قد تعمل من الحبة قبة . والخلاصة أن الأنماط المثالية التقليدى منها والحديث ما هى إلا مراحل قطبية على الطريق التى يقطعها انتشار الفكرة الجديدة .

وحديثنا هذا ينبغى ألا يفهم على أنه يعنى أن المعايير التقليدية ليست مطلوبة بالضرورة . وفى حالات عديدة ، قد يمنح القدم صفة الاستقرار لتنظيم اجتماعى معرض للتغيير السريع ولخطر التفكك .

قياس البعد الموضح لمدى القدم أو الحداثة

١ — على مستوى الفرد :

ها نحن قد فرغنا من الكلام عن معايير النظام الاجتماعى التقليدى والحديث . ومن الممكن أن نقيس مراكز الأفراد فوق رقعة منتشرة تبدأ من نمط مثالى إلى نمط مثالى آخر . والأساليب الفنية المنوعة التى استخدمت لقياس البعد المعبر عن مدى القدم أو الحداثة على مستوى الفرد تتضمن :

١ — مقياس « بنفنوتى » الذى وضعه عام ١٩٦١ وهو يتكون من عشر نقاط . ولقد سئل كل فلاح فى مجموعة من الفلاحين عددها ٤٨٤ ، وتسكن بلدة ريفية فى هولندا معرضة لتغيرات اجتماعية عديدة ، سئلوا

رأيهم عن كل نقطة من النقاط العشر . لقد خصصت درجات لكل إجابة عن كل نقطة من النقاط العشر سواء أكانت صحيحة أم خاطئة : وإن درجة انغماس الفرد فى قضايا المجتمع الخارج عن بيئته الصغيرة التى يعيش فيها كانت على هذه الحال كأنها المسطرة التى استخدمها « بنفنوتى » لقياس درجة العصرية والتحرر من قيود الماضى . وثمة من الشواهد مايثبت صدق هذا المقياس .

٢ — مقياس « ليرنر » الذى وضعه عام ١٩٥٨ لقياس درجة العصرية والتحرر من تقاليد الماضى وطبقه على عدد من مواطنى بعض الدول الواقعة فى منطقة الشرق الأوسط سائلاً إياهم رأيهم فى تسعة أسئلة تدور حول قضايا عامة . لقد قسم « ليرنر » هؤلاء المواطنين إلى فئات ثلاث على أساس ما فى إجاباتهم من اتجاهات سواء نحو القديم ، أو نحو المتوسط ، أو نحو الحديث . لقد افترض « ليرنر » أن الأفراد المتجهين نحو الأخذ بالحديث ينبغى أن تكون لديهم القدرة على تقمص المواقف والأدوار الخاصة بمن ينتمون للبيئات الأخرى الخارجة عن البيئة الضيقة للفرد وهم بذلك يجب أن يكون لهم رأى فى القضايا العامة ذات الصلة بمجتمعات خارجة عن مجتمعاتهم .

٣ — الكشاف الذى وضعه العالم « كوب » عام ١٩٥٦ والخاص بهذا البعد فى أوساط مربى الأغنام بولاية « كانساس » ، وهذا الكشاف وضع بسؤال هؤلاء عما اعتقدوا أنه من مقومات النجاح فى مجالات الزراعة وإدارة المزارع . ولقد قسمت الإجابات إلى حديثة (أى مرنة) أو تقليدية (أى جامدة) . ومن الإجابات التى اعتبرها « كوب » ذات اتجاه تقليدى قديم إجابات مثل : « عمل شاق » ، « كد وعناء لا ينتهيان » ، « لا تذكرنى عما أعانى » .

٤ — مقياس « هوب » الموضوع عام ١٩٦٠ ويوضح إذا ما كانت العينة

التى اختارها، وهى العينة المكونة من ٣١٥ مزارعاً من مزارعى ولاية «أيووا» «تسير فى طريق العمل التقليدى» أو أنها «تتجه نحو التنظيم». لقد اعتبر «هوب» أن السير فى الطريق التقليدى إنما هو دلالة من دلالات التعلق بالقديم.

وفى لمحة كلامية بارزة المعالم أدلى بها فلاحان هولنديان من بين الذين اتخذهم «بنفنوتى» موضوعاً لدراسته عام ١٩٦١، نستطيع أن نحظى بإشراقة تبصرنا بمواقع الأفراد من السياق المطرد للبعد الموضح لمدى القدم أو الحداثة.

الفلاح الأول: عصرى الاتجاه:

تسكن عائلة هذا الفلاح مزرعة يفوق حجمها الأحجام المعتادة فى المزارع، ولكن الاتجاه العصرى لأفراد هذه العائلة يعزى لشىء آخر أكثر من مجرد المستوى الاجتماعى المرتفع. ورب هذه الأسرة مشغول دائماً وهو أيضاً يعطى ما يعمل كل اهتمامه وعلى ذلك كان مما لا مناص منه أن يحل الحديث التليفونى محل المقابلة الشخصية. لقد كان هذا الفلاح مسئولاً عن الجمعية التعاونية المحلية كما كان مشتركاً فى عدة هيئات محلية فى قريته. ولما سئل عما لوحظ على مخزن غلاله وعلى منشئاته من اختلال فسر الفلاح ذلك بقوله: «لابد للمرء من أن يتساهل قليلا فى المظاهر وأن يحاول العمل بجد وكفاية على قدر الطاقة».

وهذا الفلاح يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً، متخرج من مدرسة زراعية، ولم ينقطع منذ تخرجه عن حضور الدراسات المسائية العملية فى الزراعة. لقد أخذ المزرعة عن أبيه الذى تركها وعاش فى المدينة. وزوجة هذا الفلاح ترتدى الملابس العصرية وكانت قد عادت تواً من جولة فى المحال العامة للشراء عند ما ذهب الباحث لمقابلتها ومعرفة ردودها على أسئلة الاستفتاء. لقد أظهر أطفال العائلة سلوكاً ودياً تجاه الزائر إذ من الواضح أنهم كانوا معتادين على رؤية الغرباء فى منزلهم. كانت العائلة قد عادت تواً

من زيارة سياحية لعدة مدن هولندية نظمتها إحدى الجمعيات الريفية ، وكانت العائلة معتادة على تمضية إجازاتها فى زيارة الأصدقاء المقيمين فى مدن أخرى أو الاسترخاء على شاطىء البحر . على أن هذه العائلة لم يكن لديها أصدقاء من بين أهالى الجيرة القريبة ، كما أن أصدقاءهم فى المدن لم يكونوا من فئة المزارعين أمثالهم . وفى أثناء المقابلة مع الباحث حضر شخص من جيران المزارع طالباً النصيحة فى مشكلة زراعية وكان من الواضح أن جيران هذا المزارع ينظرون إليه على أنه من الفلاحين ذوى النزعة التقدمية .

كان هذا المزارع يدير شئون مزرعته إدارة مالية دقيقة، ويستخدم بذوراً نظيفة ، كما كان الممثل المحلى لإحدى شركات الآلات الزراعية وكان على علم ببعض الأفكار الزراعية الحديثة اكتسبها من أسفاره العديدة ومن اطلاعه على المطبوعات التى تعالج الموضوعات الزراعية . ومن الجدير بالذكر أن الباحث استطاع أن ينشىء علاقة مباشرة مع هذا المزارع فكان يزوره مرة كل شهر كما كان يتصل به تليفونياً مرات عديدة . وفى ختام البحث عندما صحب الباحث حتى الباب الخارجى قال المزارع للباحث : « عندما تكمل بحثك هلا مكنتنى من الاطلاع على نتائجه ؟ » .

النموذج الثانى : متمسك بالتقاليد :

ومن نواحى عديدة تشكل عائلة هذا الفلاح الصورة المضادة لعائلة الفلاح الأول . والفلاح الثانى أكبر سناً من الفلاح الأول كما أنه أقل تعليما وصحبته لا تتعدى الأفراد المحليين ولا تتجاوزها أبداً إلى آفاق أكبر وكذلك الحال مع أفراد عائلته . وعندما سئلت زوجته عما إذا كان أصدقاء العائلة من بين أفراد الجيرة القريبة أم لا أجابت بنبرة خاصة مؤداها : « كيف يمكن للإنسان أن يكوّن لنفسه مجموعة من الأصدقاء إذا لم يختر أصدقاءه من بين الساكنين بالقرب منه ؟ » .

وأبنية المزرعة التى يملكها هذا الفلاح تحتاج إلى الكثير من الإصلاحات الضرورية كما أنها تنقصها المعدات والآلات اللازمة للزراعة وما يتفرع عنها من أعمال وكذلك تنقصها الإدارة المالية المنظمة . ولقد ارتبك هذا الفلاح واستولت عليه الحيرة عند سماعه لكثير من الأسئلة التى طرحها عليه الباحث الاجتماعى ولم يجد لها جواباً إذ لم يكن قد فكر فى الموضوعات التى تناولتها الأسئلة. وعندما سئل عن السبب الذى من أجله يساء استخدام حيوانات المزرعة وتنعدم العناية بها أجاب قائلاً : « حسن ، لقد كان هذا هو حالها دائماً ونحن نراها ملائمة لنا هكذا » .

ظل هذا الفلاح يكرر القول بأنه مضطر إلى أن يعمل عملا شاقاً متواصلاً لكى يعيش هو وأفراد عائلته فلا أجازات ولا تسلية من أى نوع بل حرمان كامل من الصحبة والزوار والأصدقاء . أما أطفال هذا الفلاح فكان يبدو عليهم الميل إلى الانزواء والشعور بالخجل ، ولقد جلسوا منكمشين فى ركن من المطبخ أثناء الحديث بين الباحث الاجتماعى وأبيهم . كانت الأسرة تعتبر من الأسر الكثيرة العدد إذ أن والد هذا الفلاح ووالدته شاركاه حياته كما كان لهما تأثير كبير على مجرى الأمور فى حياة الأسرة . لم يكن من عادة أفراد هذه الأسرة أن يطلعوا على الجرائد والمجلات كما لم يهتموا أى اهتمام بالسياسة والقضايا العامة .

على أن هذا الفلاح كان معارضاً للإجراءات التى تحتمها الحكومة لضمان النظافة العامة فى أماكن حلب اللبن وتصنيعه ، وكان يقول : « إن العيب عيب الموظفين الذين لا هم لهم اليوم سوى البحث عما يحفظ لهم وظائفهم » . ومن السهل على المرء أن يكتشف ما يحس به هذا المزارع من شعور بالغرابة إزاء البيئة التى يعيش فيها وأهلها — إنه ليحس بأن هذه البيئة تتغير تغيراً سريعاً وتسير فى اتجاهات لا سلطة له عليها .

وجد أفراد الأسرة صعوبة فى الإجابة على عدد كبير من الأسئلة التى

كانت توجه إليهم من الباحث الاجتماعى . ويمكن القول إن الاستهتار وعدم الاهتمام كان الطابع المميز لهؤلاء عند الإجابة على الأسئلة المكون منها الاستفتاء . والإجابة الأولى لكل سؤال تقريباً كانت « أجل » . فمثلا عندما كان السؤال :

« هل والداك مازالا على قيد الحياة ؟ » ، كانت الإجابة « أجل ولكنهما توفيا » . لم يحس هذا المزارع بالكثير من الاهتمام فى شأن الأسئلة التى كانت توجه إليه من قبل الباحث الاجتماعى ولذا كانت ردوده مقتضبة وظل الحال كذلك حتى نهاية المقابلة .

والتسميات المميزة للأفراد العصرى الاتجاه والمتمسكين بالتقاليد الذين تقابلهم عادة فى المجتمعات الأخرى قد تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التى تميز هذين الشخصين : المزارع الأول والمزارع الثانى . وبالرغم من ذلك نقول إن المزارع الأول يمثل النمط المثالى الحديث الذى سبق أن تحدثنا عنه فى مطلع هذا الفصل . ونحن إذا قارنا بينه وبين المزارع الثانى لوجدناه أقدر منه من الناحية الفنية التكنولوجية ، وأكثر انفتاحاً على العالم الخارجى ، وأكثر تعلماً ، وأعمق فهماً لأوضاعه المادية وأشد ثقة بنفسه .

ومن الأمور الهامة ملاحظة أنه فى كل دراسة من هاتين الدراستين ، كلما وجد مقياس مناسب لقياس البعد الخاص بالاتجاه نحو القديم أو بالأخذ بأسباب الحديث على مستوى الفرد ، فإن درجة مبادرة الفرد إلى تبنى الفكرة الجديدة تخضع لمدى تعرضه للمؤثرات العصرية لا لغيرها من المؤثرات . ومما يثير دهشتنا حتما أن نجد أحداً من الناس ممن يتعرضون للمؤثرات العصرية أقل حساسية للأفكار المستحدثة من غيره . ومما يبعث الطمأنينة إلى نفوسنا علمنا بأن هذا التقييم تؤيده إلى أبعد الحدود البحوث العلمية التجريبية .

والأفراد المنتمون لتنظيم اجتماعى معين ممن يتميزون بالاتجاه نحو

الحديث لا يكونون أكثر خضوعاً للأفكار الحديثة من أقرانهم التقليديين فحسب ، بل من الجائز أن نعثر على قدر يسير من الصلات الاجتماعية بين الفئتين ، وهذا ما يوضحه «فان دى بان» عام ١٩٥٧ فى بحثه عن انتشار فكرة الحلب الصناعى فى قرية من قرى هولندا ، حيث وجد أن عدداً قليلا ممن يأخذون بالأفكار الحديثة كان لهم قصب السبق فى الأخذ بالفكرة الجديدة ، وبعدها مباشرة تكاثر اتباع الفكرة . على أنه بعد ذلك لوحظ أن مدى انتشار الفكرة بدأ يضعف بسبب أن الغالبية العظمى من المزارعين ذوى الاتجاهات التقليدية لم يعتنقوا الفكرة الجديدة . لقد اكتشف «فان دى بان» أن الصلات الاجتماعية بين الفئتين من المزارعين ـ العصريين والتقليديين ـ تكاد أن تكون معدومة ، كما لو كانت كل فئة تعيش فى تنظيم اجتماعى منفصل عن الآخر وليس فى بيئة واحدة .

٢ ـ معايير التنظيم الاجتماعى :

والبعد الخاص بمدى الأخذ بالأفكار الحديثة أو الاتجاه نحو الأوضاع التقليدية القديمة يقاس الآن ليس فقط على مستوى الفرد بل كذلك على مستوى معايير التنظيم الاجتماعى السائد . والصعوبة الناشئة عن قياس هذا البعد على المستوى الجديد ، وهى الصعوبة التى أوجدها تعـــدد الأنماط السلوكية فى التنظيم الاجتماعى الواحد ، قد تكون فى حد ذاتها أكبر من صعوبة قياس التمسك بالقديم على المستوى الفردى .

وفى مجال الأخذ بالأفكار الحديثة أو الالتزام بالقديم ، ثمة طرائق ثلاث متباينة لقياس معايير التنظيم الاجتماعى السائد :

١ ـ إيجاد المعدلات الرقمية لأفراد التنظيم الاجتماعى فى مجال الأخذ بالأفكار الحديثة ، وبعدها يمكن المقارنة بين هذه المعدلات فى بيئة معينة وبين مثيلاتها فى بيئات أخرى . ومن بين الباحثين الذين استخدموا هذه

الطريقة،طريقة المعدلات الرقية ، «مارش» ، و«كولمان» ، و«فان دى بان» ، و «راهودكار» ، و «روجرز» ، و «بيردج» . وثمة صعوبة يواجهها أحياناً من يأخذ بطريقة المعدلات الرقمية هي أن الأفكار المستحدثة ليست هي نفسها فى كافة المجتمعات التى تجرى فيها الدراسة . فالفلاحون فى بيئة من البيئات مثلا قد لا يربون أبقار الحلب وعلى ذلك فإن الأفكار المستحدثة فى مجال الحلب لا يمكن أن تستخدم لقياس مدى « عصرية » أفراد هذه البيئة .

٢ — إيجاد مقياس قائم على أساس فكرة أفراد البيئة عن الذين يأخذون بجديد الأفكار ، فإذا كان أفراد البيئة ينظرون إلى هؤلاء نظرة طيبة يمكن القول بأن التنظيم الاجتماعى السائد فى تلك البيئة يسير وفقاً لمعايير عصرية . فمثلا نحن نجد أن « فان دى بان » يسأل الفلاحين فى ثلاث قرى هولندية : « كيف ينظر الناس هنا إلى الفلاحين الذين يبادرون قبل غيرهم إلى اتباع الآراء الحديثة فى الزراعة ؟ » . بعد ذلك يتخذ من الشعور الغالب لدى أفراد البيئة ، سواء أكان طيباً أو رديئاً ، أساساً لقياس معايير التقدم أو التأخر فى مجال الأخذ بالأفكار الجديدة فى البيئة .

٣ — الاعتماد على تقديرات الخبراء ، وهؤلاء يكونون عادة على معرفة عميقة بكل النظم والتركيبات الاجتماعية للبيئة التى تدرس ، وقادرين على ترتيب هذه النظم من ناحية تقدمها أو تأخرها فى مجال الأخذ بالأفكار الجديدة على أن يقاس هذا التقدم أو التأخر وفقاً للمعايير التى يضعها هؤلاء الخبراء . وهذه الطريقة استخدمها « كامبل » و « هوليك » عام ١٩٦٠ فى بيئتين زراعيتين من بيئات ولاية « ميزورى » ، وكذلك استخدمها « روجرز » و « بيردج » عام ١٩٦٢ فى سبع قرى فى ولاية « أوهايو » .

ويعطينا الجدول التالى بياناً مقارناً للمقاييس الثلاثة التى تقاس بها المعايير

المختلفة فى تلك القرى السبع . والتشابه الكبير الذى نلحظه على هذه المقاييس الثلاثة يوحى بأن كل مقياس من هذه المقاييس له نفس الدرجة من الثبات .

ما من واحد من هذه المقاييس الثلاثة لقياس المعايير الاجتماعية يمكن أن يقال إنه فوق النقد الموضوعى . ومع ذلك فلابد أن نتذكر دائماً أنه، بالرغم من الأهمية الكبيرة للمعايير فى الكتابات الاجتماعية، فإن ثمة محاولات قليلة جداً بذلت لقياسها . ومن الجائز أن نجد مستقبلاً جهوداً فى مجال البحث تستهدف تطوير المقاييس الخاصة بالمعايير الاجتماعية فى مجال الأخذ بالجديد أو إلتزام القديم وفى غير ذلك من المجالات .

وبالرغم من ذلك تهيء المقاييس الراهنة لنا دليلا يهدينا إلى المعايير ذات الصلة بالتنظيم الاجتماعى .

ومن الممكن القول بأن المعايير الخاصة بإحدى التنظيمات الاجتماعية إنما هى أكثر التزاماً بالتقاليد أو أكثر اتجاهاً نحو الجديد من معايير تنظيم اجتماعى آخر .

بيان مقارن

لثلاثة مقاييس تقيس التنظيم الاجتماعى فى مجالات التزام القديم أو الأخذ بالجديد مع الاستعانة بمعلومات مستمدة من سبع قرى زراعية فى ولاية «أوهايو»

أسماء القرى السبع فى ولاية «أوهايو»	المعدلات النسبية الدالة على استعداد الفلاحين للأخذ بالأفكار الجديدة فى كل قرية كمعيار من معايير البيئة	النسب المئوية للفلاحين فى كل قرية الذين ينظرون نظرة طيبة إلى من يأخذ بجديد الأفكار باعتبار هذه النسب معياراً من معايير البيئة	التقديرات المعيارية لثلاثة قضاة لتحديد المعايير الدالة على «عصرية» أهل البيئة
أوك جروف	٥,١٥	١٠٠ ٪	٦,٧
دى فولا	٤,٩٢	٦٧ ٪	٦,٣
بيفرلى	٤,٦٠	٨٩ ٪	٣,٧
رينو	٤,٢٢	٨٦ ٪	٣,٣
لويل	٣,٩٥	٥٦ ٪	٣,٣
بلبرى	٣,٨٦	٤٣ ٪	٢,٣
هبلجرووز	٣,٨٣	٦٥ ٪	٢,٣

معايير التنظيم الاجتماعى
وقابلية الفرد للأخذ بجديد الأفكار

لقد أوضحنا فى أول هذا الفصل أن للمعايير السائدة فى البيئة دخل كبير فى تقرير ما إذا كانت الفكرة الجديدة قابلة للانتشار بين أفراد البيئة ونتائج هذا الانتشار . كذلك أوضحنا أنه إذا كانت المعايير الخاصة بالتنظيم الاجتماعى فى مجال التزام القديم والأخذ بالجديد على درجة كبيرة من الأهمية فإن هذه المعايير ينبغى أن توضح ناحية من نواحى الاستعداد لتبنى الأفكار الجديدة وهى الناحية التى لايمكن تفسيرها بأية طريقة أخرى . وفى كلمات أخرى ، نقول إن المعايير الخاصة بتنظيم اجتماعى معين ينتظر أن تؤثر على سلوك أفراد هذا التنظيم . إن استعداد الفرد للأخذ بجديد الأفكار يختلف مباشرة مع المعايير التى يصطنعها تنظيمه الاجتماعى لهذا الاتجاه .

وثمة دراستان هامتان تؤكدان صحة هذه القضية الأخيرة :

١ — درس « فان دى بان » عينة مكونة من ٩٠٣ من الفلاحين المقيمين فى ٤٧ دائرة سكنية . والمعيار الذى وضع لكل ناحية من هذه النواحى السبع والأربعين لقياس التمسك بالقديم أو الاتجاه نحو الجديد قام أساساً على طريقة حساب المعدلات النسبية الدالة على مدى الاستعداد للأخذ بالأفكار الجديدة . وإن صفات مثل درجة تعلم الفلاح ، وحجم المزرعة ، والحالة الاقتصادية الغالبة ، ظهر أنها ترتبط ارتباطاً إيجابياً بقابلية الفرد لاعتناق الأفكار الجديدة . غير أن المعايير الخاصة بتلك الدوائر السكنية اتضح أنها أقدر على الكشف عن قابلية الأفراد لتبنى الأفكار المستحدثة من تلك الصفات الاجتماعية والاقتصادية . وانتهى « فان دى بان »

فى دراسته إلى أن الفلاح ، ذا الدرجة العالية من التعليم والمزرعة الكبيرة والمستوى المادى المرتفع وإن سكن منطقة لها معيار اجتماعى يتمسك بأهداب القديم ، فإنه يميل إلى اعتناق قدر من الأفكار الزراعية الحديثة أقل من القدر الذى كان لا بد أن يعتنقه لو أنه عاش فى منطقة سكنية لها معايير اجتماعية تتجه نحو الأخذ بما هو عصرى فى مجال الزراعة وإدارة المزارع .

٢ — والدراسة الثانوية هى الدراسة التى قام بها «روجرز» و «بيردج» عام ١٩٦٢ على سبع قرى فى ولاية «أوهايو» تهتم بزراعة الخضروات . لقد وجد الباحثان أن معايير تلك البيئة تفسر من الناحية الإحصائية عشرين فى المائه من التغيرات فى المعدلات النسبية بقابلية الفلاحين لاعتناق الأفكار الجديدة وذلك بالإضافة إلى التغيرات المتسببة عن أربع صفات اجتماعية .

والمعايير الخاصة بالتنظيم الاجتماعى تؤثر على قابلية الفرد لاعتناق الأفكار الجديدة ، وليس هذا فقط بل إنها أيضاً تدخل فى تكوين تعميمين سوف يأتى ذكرهما بالتفصيل فى الفصل الثامن . والتعميمان هما :

١ — معايير التنظيم الاجتماعى فى مجال اعتناق الأفكار الجديدة يبدو أنها تقرر ، على الاقل جزئياً ، قابلية قادة الرأى فى البيئة لاعتناق الأفكار الجديدة . وقادة الرأى فى التنظيمات الاجتماعية ذات الاتجاه العصرى ثبت من عدد كبير من الدراسات أنهم فى غالبيتهم ممن يقبلون على اعتناق الأفكار الجديدة كما يسبقون غيرهم فى هـذا المجال . غير أنه فى التنظيمات الاجتماعية حيث يتمسك الناس بقديم التقاليد يكون قادة الرأى فيها أقل قابلية لاعتناق المستحدث من الأفكار .

٢ — إن الاختلافات فى درجة قابلية الناس لاعتناق الأفكار الجديدة إنما تشكل حائلا هاماً يحول دون تدفق التأثيرات داخل التنظيم الاجتماعى ذى المعايير المتطورة وأهمية هذا الحائل تفوق أهميته عندما تكون المعايير

قديمة جامدة . فمثلاً في التنظيم الاجتماعي التقليدي القديم قد يبحث الملتزمت عن معلوماته لدى أحد المعتنقين الأول للأفكار ، أما في التنظيم الاجتماعي العصري فمن الأمور الأكثر احتمالاً أن يتحدث الملتزمت إلى فرد يفوقه قليلاً من حيث القابلية لاعتناق الجديد من الأفكار .

البحث الذي نحتاجه :

يخلو الميدان الآن من بحث يتناول أثر المعايير المتعلقة بالتنظيم الاجتماعي على قابلية الفرد لاعتناق الأفكار الجديدة في ميدان الثقافات خارج الولايات المتحدة ، في حين أن الفروق المعيارية قد تكون نسبياً أكثر أهمية ، وعلى ذلك فهي خليقة باهتمامنا .

من الجائز أن تكون التعميمات الخاصة بانتشار الأفكار في البلدان التي « لم تستكمل نموها بعد » على درجة من الغموض لأن بحوثنا في هذا الشأن نسبياً « لم تستكمل نموها بعد » وبخاصة لأن ثقافات هذه البلدان مازالت غريبة على أفهامنا . والنقص في النتائج الجادة المترتبة على بحوث انتشار الأفكار الجديدة في البلدان التي من هذا النوع توضحه الحقيقة الثابتة ألا وهي أنه ما يقرب من تسعة وثلاثين بحثاً فقط من البحوث الأربعمائة والخمسة والستين التي يستعرضها هذا الكتاب جرت في مناطق لم تستكمل نموها بعد . ومن أمثلة ذلك أن الخمسمائة والثماني والخمسين ألف قرية ريفية في الهند تهيء لنا مختبراً مفيداً يساعدنا على تمحيص الآراء حول أثر المعايير السائدة في المجتمع على انتشار الأفكار . ومن الأمور المتوقعة في هذا المجال أن تهدف الجهود التي تبذل في ميدان البحث إلى تحديد العلاقات التي تربط معياراً بمعيار ، وكذلك أثر المعايير على سلوك الفرد .

ومن أمثلة الدراسات التي أجريت للكشف عن العلاقات التي تربط معياراً اجتماعياً بمعيار اجتماعي آخر ، ما قام به « أرمسترونج » عام ١٩٥٩

من محاولة لتفسير المتغيرات فى مجال انتشار الأفكار الزراعية المستحدثة بين سكان قرى ولاية « كنتكى » . لقد أوجد هذا الباحث مقياساً يقيس به المعايير، وهذا المقياس يختلف باختلاف البيئات الواقعة فى تلك الولاية ، وربط بينه وبين المتغيرات الشائعة فى كل بيئة كدرجة التحضر ، والمستوى الاقتصادى للقاطنين فى البيئة ، والتخصص الزراعى الذى تلتزم به تلك البيئة . والمحاولة فى هذا النمط من البحث إنما تستهدف بقدر الإمكان تفسير التغير فى معايير البيئة ، تلك المعايير التى تقيس درجة إقبال الناس على اعتناق الأفكار الجديدة ، أكثر مما تفسر التغير فى قابلية الأفراد أنفسهم على اعتناق الأفكار الجديدة .

والجدول الآتى يبين خمسة أنواع مختلفة من أنواع التحاليل التى وضعها الباحثون فى مجال انتشار الأفكار الجديدة . والنمط الأول من هذه التحاليل سوف يكون موضوع دراستنا فى الفصل الخامس ، والنمط الثانى فى الفصل السادس . أما النمطان الثالث والرابع فقد نوقشا فى هذا الفصل من الكتاب ولكنهما لم يحظيا بالاهتمام الذى ناله النمط الثانى ، والنمط الرابع خاص بتحليل العلاقة بين معيار ومعيار وهو النمط الذى تعرضنا له فى هذا القسم من الكتاب وتمثله أكمل تمثيل الدراسة التى قام بها « أرمسترونج » . أما النمط الخامس والأخير فلم يوضع موضع الدراسة بعد وإن كان لابد أن يدرس . ناحية أخرى من نواحى البحث المطلوب ، أو البحث الناقص ، هى محاولة الكشف عن الطريقة التى تظهر بمقتضاها معايير التنظيم الاجتماعى سواء على الجانب العصرى أو الجانب التقليدى القديم . هذا النوع من الدراسة قد يؤدى إلى الاهتمام بالناحية التاريخية .

وإذا كانت المعايير مهمة فى تشكيل السلوك الفردى ، فى هذه الحال

أنماط التحليلات التى قام بها الباحثون فى مجال انتشار الأفكار الجديدة
أو التى يمكن أن يقوموا بها مستقبلا

الأنماط	المتغير التابع*	المتغيرات المستقلة*	وحدة التحليل
النمط الأول	معدل السرعة الذى يتم بمقتضاه تبنى الفكرة الجديدة فى التنظيم الاجتماعى .	الصفات المميزة للفكرة الجديدة كما يراها أفراد التنظيم الاجتماعى	الفكرة الجديدة
النمط الثانى	قدرة الأفراد على تبنى الأفكار الجديدة فى تنظيم اجتماعى معين .	الصفات المميزة للأفراد .	الفرد نفسه
النمط الثالث	قدرة الأفراد على تبنى الأفكار الجديدة فى تنظيم اجتماعى معين .	معايير التنظيم الاجتماعى فيما يختص بالتزام القديم والأخذ بالحديث.	الفرد نفسه
النمط الرابع	معايير التنظيم الاجتماعى فيما يختص بالتزام القديم والأخذ بالحديث .	معايير أخرى وصفات مميزة للتنظيم الاجتماعى.	التنظيم الاجتماعى
النمط الخامس	الصفات المميزة للفكرة الجديدة كما يراها أعضاء التنظيم الاجتماعى .	قدرة الأفراد فى التنظيم الاجتماعى على تبنى الأفكار الجديدة .	الفرد نفسه

* المتغير التابع هو العامل الأساسى فى الدراسة فى حين أن المتغيرات المستقلة هى تلك العوامل ذات الصلة بالمتغير التابع

يكون من الضرورى تحديد الطريقة التى يتم بمقتضاها تغيير المعايير التى تسود فى التنظيم الاجتماعى .

وحتى وقتنا هذا ، ثمة قدر صغير من التوفيق بين ما هو معروف عن ذيوع الأفكار الجديدة وبين النظريات الحالية للتغير الاجتماعى . مثل هذا التوفيق قد ينتج عنه ازدهار متزايد لكلا الجانبين .

* * *

الخلاصة

المعيار هو النمط الغالب للسلوك الظاهرى الذى يصطنعه أفراد تنظيم اجتماعى معين . والأنماط المثالية هى مدركات ذهنية أساسها ملاحظة الواقع .

وثمة نمطان مثاليان للمعايير يطلق عليهما النمط المثالى التقليدى والنمط المثالى العصرى . والتنظيم الاجتماعى ذو الأنماط العصرية إنما هو أكثر تقدماً من الناحية التكنولوجية ، وأكثر انفتاحاً على العالم الخارجى ، وأكثر دراية بأصول القراءة والكتابة ، وأكثر خضوعاً لحكم العقل ، وأكثر ثقة بالنفس من غيره من التنظيمات ذات الأنماط الأخرى . والبعد الخاص بالتزام القديم أو الاتجاه نحو الحديث تم قياسه على المستوى الفردى كما قيس لخدمة التنظيم الاجتماعى . ومن نتائج القياس على المستوى الفردى اكتشافنا بأن قابلية الأفراد لاعتناق الأفكار الجديدة تتأثر بالدوافع العصرية وليس بالدوافع التقليدية القديمة . لقد استخدم الباحثون ثلاثة أنماط من المقاييس لقياس المعايير الخاصة بالتزام القديم أو الاتجاه نحو الحديث هى :

١ — المستوى العام لميل أفراد التنظيم الاجتماعى إلى اعتناق الأفكار الجديدة .

٢ — شعور أفراد التنظيم الاجتماعى تجاه المعتنقين للأفكار الجديدة .

٣ — رأى القضاة الخبيرين فى المعايير وترتيبهم لها وفقاً لأهميتها . والمعايير السائدة فى البيئة يبدو أنها تفسر التغيرات فى قدرة الأفراد على اعتناق الأفكار الجديدة ، تلك التغيرات التى لا تفسرها المتغيرات الأخرى ، مثل الصفات الاجتماعية . وقدرة الفرد على اعتناق الأفكار الجديدة تتغير مباشرة وفقاً للمعيار السائد فى تنظيمه الاجتماعى والذى يقيس قدرة أفراد هذا التنظيم على اعتناق الأفكار الجديدة .

الفصل الرابع

عملية تبني الأفكار المستحدثة

« إن بذور الاكتشافات العظيمة تملأ الجو حولنا ، ولكنها لا تستقر إلا فى العقول المهيأة لاستقبالها » .

« ولتر كانون عام ١٩٤٥ »

وعملية تبنى الأفكار المستحدثة إنما هى العملية العقلية التى ينقل الفرد عن طريقها من مجرد السماع عنها لأول مرة حتى اعتناقها . وعملية التبنى ينبغى أن نفرق بينها وبين عملية الذيوع التى هى انتقال الفكرة الجديدة من مصدرها الذى اخترعها أو أوجدها إلى الذين يستعملونها فى النهاية أى إلى معتنقيها . وثمة فارق كبير بين عملية الانتشار وعملية التبنى إذ أن الانتشار يقع عادة بين الناس فى حين أن التبنى ماهو إلا أمر يتعلق بالفرد وحده .

وهدف هذا الفصل هو الكشف عن التشابه بين عملية التبنى وعملية التعلم وبين أنماط أخرى من الأفعال المشابهة ، والبحث فى وجود المراحل التى تسير فيها عملية التبنى ، والحديث عن مصادر المعلومات التى يعتمد عليها الأفراد فى كل مرحلة من مراحل التبنى ، وأخيراً تحليل الفترة اللازمة للتبنى .

نظرية التعلم :

والتسلسل الأكاديمى للبحوث الاجتماعية التى أجريت على عملية التبنى يمكن أن نتتبعه على هدى نظريات التعلم التى قال بها علماء النفس . لقد عرف علماء النفس التعلم بالتغير الدائم نسبياً فى رد الفعل الناتج عن مؤثر من المؤثرات العديدة فى البيئة . ولب معظم نظريات التعلم إنما يكمن فى العلاقات الموجودة بين المؤثر ورد الفعل . والمؤثر يتلقاه الفرد ويفسره

وفقاً لرأيه ثم يصدر رداً عليه . والتقوية المستمرة لهذا الرد الناشيء عن مؤثرات تالية ينتج عنها تغيير دائم على وجه من الوجوه فى سلوك الفرد وهذا ما نطلق عليه كلمة التعلم .

والعملية التى يتم عن طريقها تبنى الأفكار الجديدة هى فى جوهرها مثل صغير للكيفية التى يتم بها أى نوع من أنواع التعلم . وفى عملية التبنى للأفكار المستحدثة ، تصل الفرد مؤثرات متباينة تدور حول الفكرة الجديدة وهذه المؤثرات تأتى من مصادر الإعلام . وكل منبه يأتى بعد ذلك من منبهات الفكرة الجديدة يتراكم إلى أن يستجيب الفرد لهذه المنبهات ، وفى النهاية يعتنق الفكرة الجديدة أو يرفضها .

والتعلم يحدث طبعاً فى الفصل وليس هذا فحسب بل أيضاً فى كل مواقف الحياة . على هذا نقول إن العملية التى يتعلم بها التلميذ البادىء عمليات الجمع والطرح والضرب هى على وجه العموم مشابهة للعملية التى يتعلم بها الطبيب شيئا جديداً عن دواء جديد ، وهى نفسها الطريقة التى يعتنق رجل التعليم بمقتضاها فكرة تربوية حديثة .

اتخاذ القرارات :

وعملية التبنى فى مجال الأفكار الجديدة إنما هى نوع من أنواع اتخاذ القرارات . وتبنى الفكرة الجديدة يتطلب قراراً يصدره الفرد المتبنى للفكرة ، وهذا الفرد لا بد له من أن يشرع فى استخدام الفكرة الجديدة ، وفى معظم الأحايين عليه أن يقرر متى يتوقف عن استخدام الفكرة القديمة وإحلال الجديدة محلها . وعملية التبنى هى فى واقع الأمر أكثر تعقيداً مما تدل عليه هذه الكلمة . ومن المؤكد أن ثمة قرارات متشابكة لا بد من اتخاذها فى أثناء عملية التبنى .

واتخاذ القرارات هو العملية التى بواسطتها يتم تقييم المعنى والنتائج

المترتبة على أنواع السلوك التى يتم الاختيار من بينها . لقد أورد «جونسون» و «هافر» عام ١٩٥٣ الخطوات التالية عند اتخاذ القرارات :

١ — ملاحظة المشكلة .

٢ — تحليل المشكلة .

٣ — الاتفاق على أساليب العملَ المتاحة .

٤ — اختيار أسلوب من الأساليب .

٥ — قبول النتائج المترتبة على القرار الذى يتخذ .

واتخاذ القرارات بهذه الصورة عملية يمكن أن تقسم إلى سلسلة من المراحل يتخلل كل منها نمط مختلف من أنماط العمل . وبالمثل يمكن القول بأن الطريقة التى يتبنى الفرد بواسطتها فكرة جديدة يعتبرها معظم الباحثين عملية على درجة من التعقيد . وتبنى الفكرة الجديدة إنما هو حزمة تضم حوادث متشابكة تقع بترتيب زمنى معين ، وباختصار يمكن القول بأن هذا التبنى هو عملية كاملة .

ومعظم السلوك الإنسانى الذى وضعه علماء الاجتماع موضع الدراسة يتضمن أنماطاً مختلفة من القرارات ، ومن أمثلة هذا السلوك إقبال الناس على سلعة معينة وإعراضهم عن سلعة أخرى ، وتفضيل وظيفة على وظيفة ، وإدارة المصانع والمزارع ، والهجرة من مكان إلى آخر ، والإدلاء بالأصوات فى أوقات الانتخابات . والأنواع المختلفة لاتخاذ القرارات ، تلك الأنواع التى كانت تتضمن موضوعاً للبحث فى هذه الدراسات ، هى على وجه العموم اختيار منهج واحد للعمل من بين عدة مناهج وطرق بديلة . وفى حالة تبنى الفرد لفكرة جديدة فإنه يختار بديلا جديداً ويضمه إلى ما لديه من أفكار .

والخلاصة ، إن عملية التبنى للأفكار الجديدة ما هى إلا نوع من أنواع اتخاذ القرارات ، إنها نوع خاص من أنواع اتخاذ القرارات وإن

كان لهـذا النوع من الصفات ما لا نجد له مثيلا فى أنواع أخرى من المواقف .

تبنى الأفكار الجديدة كعملية متطامنة :

من الجائز أن تقسيم عمليـة تبنى الأفـكار الجديدة إلى مراحل ما هو إلا تقسيم صناعى يهدف إلى توضيح الفـكرة فى الأذهان . هذا التقسيم من صفاته أن يكون :

١ — منسجماً مع طبيعة الظواهر ،
٢ — متمشياً مع نتائج البحوث السابقة ،
٣ — مفيداً فى مجال التطبيق العملى .

ومن الواجب أن نشير هنا إلى أنه لا يوجد بالضرورة خمس مراحل فقط فى عملية التبنى . بل إنه ، فى الوقت الحالى ، يبدو أن ثمة خمس وظائف رئيسية تدخل فى تـكوين عملية التبنى للأفـكار الجديدة ، وكل وظيفة من هذه الوظائف الخمس مرتبطة بمرحلة . وعـدد المراحل التى تنطوى عليها عملية التبنى للأفكار الجـديدة يُختار بادىء ذى بدء على أساس سهولة إدراكنا للموضوع الأصلى وهو اعتناق الفـكرة الجديدة . على ذلك يمكن القول بأن عدد المراحل قد يزيد أو ينقص فى مجال تبنى الأفـكار الجديدة وفقاً لقدرتنا على التخيل، على أنه لا بد هنا من أن نذكر عدداً من التقسيمات الفرعية إذا أريد أن يكون لتحليلنا هذا فائدة أكبر .

لقد أعطانا الباحث « سيل » تفسيراً معقولا للسبب الذى من أجله يمكن النظر إلى عملية التبنى باعتبارها تتـكون من عـدة مراحل . وكما هو الحال فى العرض السينمائى ، مجرد رفع الحاجب إلى أعلى يتطلب عدة صور على الشريط ولـكن عندما يعرض هذا الأخير على الشاشة فإن هذه الصور الـكثيرة تبدو لنا مجرد حركة واحدة . على ذلك فنحن نسأل أنفسنا هذا السؤال:

هل هى حركة واحدة أم عدة حركات؟ والجواب على هذا السؤال قد يكون الإثنان فالأمر يتوقف على وجهة النظر التى نصطنعها . إن رفع حاجب العين إلى أعلى قد ينظر إليه كعمل واحد أو كسلسلة من الأعمال المتصلة .

فكرة المراحل وكيف تكونت :

عند هذه النقطة ، قد يكون من المفيد أن نتتبع فى اختصار فكرة التبنى والمراحل التى تتكون منها . من الجائز أن يكون « راتان » و « جروس » أول من تنبه ـ وكان ذلك عام ١٩٤٣ ـ إلى أن تبنى الفكرة الجديدة يتكون من مراحل . لقد ميزا بين « الشعور » بالفكرة الجديدة ، وكانت بذور الذرة الهجين ، وبين « الإقتناع » بفائدتها ، ومحاولة « قبولها » ، وأخيراً التبنى الكامل لها » . كذلك أشار « بيدرسن » عام ١٩٥١ إلى أن ثمة سلسلة من الأحداث التى تؤدى فى النهاية إلى تبنى الفرد للفكرة .

ومهما يكن من أمر ، فإن « ويكلننج » هو أول من قال بأن الفرد عند ما يقرر اعتناق فكرة جديدة فإن هذا القرار لا بد أن ينطوى على عملية تتكون من مراحل أو خطوات . لقد قال « ويكلننج » عن اعتناق الفرد للفكرة الجديدة إنها « عملية تتكون من عناصر لها صلة بالتعلم ، والتصميم ، والإقدام وهذه الأمور تحدث خلال فترة زمنية معينة . واتباع المرء لطريقة ما وإتيانه بسلوك خاص كل ذلك لا يتم نتيجة لقرار فردى يتخذه الشخص ، بل لسلسلة من التصرفات والأعمال التى تتم بعد تفكير » . واستمر « ويكلننج » يقول إن ثمة مراحل أربع تسبق عملية التبنى للأفكار الجديدة وهذه المراحل هى :

الشعور بالفكرة ، والحصول على معلومات عن الفكرة ، والاقتناع بالفكرة ثم تجربتها ، وأخيراً اعتناقها .

وهذه المراحل ، مع شيء قليل من التغيير فى مسمياتها ، قد أعلن عنها بشتى طرق الإعلان من قبل هيئة مكونة من عدد من علماء الاجتماع الريفى. وهذه الهيئة ذكرت الكثير عن هذه المراحل فى نشرتها ذات الانتشار الواسع ، واسم هذه النشرة : « كيف يتقبل المزارعون الأفكار الجديدة فى مجالات الزراعة » .

وثمة بحثان عليان خططا أصلا لتقرير ما إذا كانت فكرة المراحل التى تسبق عملية التبنى للأفكار المستحدثة صحيحة من الناحية العلمية الاختيارية. لقد أثبت « بيـل » وزملاؤه عام ١٩٥٧ ، وكذلك « كوب » وزملاؤه عام ١٩٥٨ ، أن فكرة المراحل صحيحة كل الصحة . ولسوف نتعرض لهذه البحوث بالتعليق والمناقشة بطريقة أكثر دقة فيما بعد ، وفى هذا الفصل بالذات .

ليس ثمة اتفاق كامل فيما يختص بعدد المراحل التى تتضمنها عملية التبنى للأفكار المستحدثة وإن كان ثمة قبول عام لفكرة المراحل وكذلك لفكرة أن التبنى للفكرة الجديدة قلما يقع نتيجة لقرار « عفوى » . لقد استخدم « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ أربع مراحل كما فعل « ويكلننج » عام ١٩٥٣ . كذلك تحدثت الجمعية الفرعية للدراسات الاجتماعية عام ١٩٥٥ عن مراحل خمس لعملية التبنى وذلك عقب استعراضها لجميع المطبوعات التى كانت موجودة حتى ذلك التاريخ . كذلك استخدم « بيل » سبع مراحل فى الدراسات التى أنجزها . غير أن « امرى » و « أوزر » عام ١٩٥٨ و « ويكلننج » عام ١٩٥٦ استخدموا ثلاث خطوات فحسب فى حين أن « لافرج » و « ستينر » عام ١٩٦١ سارا فى مراحل ست .

ونشأة فكرة المراحل فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يمكن أن يقتفى أثرها فى البحوث التى أجريت وفقاً لمنهج البحث الخاص بدراسات علم

الإجماع الريفى ويكاد يكون هذا هو مجالها الوحيد . على أن « هولمبرج » عام ١٩٦٠ استخدم سبع مراحل فى حديثه عن عملية التبنى الأفكار المستحدثة وذلك أثناء تدريسه لمنهج الأنثروبولوجيا فى جامعة « كورنيل » إذ قال إن أول مرحلة من المراحل السبع فى عملية « التغير الثقافى للفرد » هى تمكن هذا الفرد من الحصول على الأفكار المستحدثة . أما المراحل الخمس الأساسية عند « هولمبرج » فهى مشابهة لتلك التى تحدث عنها علماء الاجتماع الريفى وهى :

الشعور بالفكرة ، والاهتمام بها ، وتجربتها ، وتقييمها ثم اعتناقها . أما المرحلة الأخيرة عند « هولمبرج » فهى مرحلة امتزاج الفكرة الجديدة بحياة الفرد اليومية ودخولها فى سياق عمله اليومى .

مراحل فى عملية التبنى

فى هذا الكتاب جاء ذكر خمس مراحل هى :

١ — الشعور .
٢ — الاهتمام .
٣ — التقييم .
٤ — المحاولة .
٥ — وأخيراً ، التبنى .

أما نمط السلوك الذى يمارسه الفرد عند كل مرحلة من هذه المراحل فقد تم تحديده ، وكذلك الوظيفة الأساسية التى تؤديها كل مرحلة فى أثناء عملية التبنى للفكرة الجديدة .

١ — مرحلة الشعور بالفكرة :

فى مرحلة الشعور بالفكرة يتعرض الفرد للفكرة ولكنه يحس بحاجته

الشديدة إلى معلومات كافية عنها . إن الفرد يشعر بالفكرة ولكنه لا يجد ما يحفزه على البحث عن معلومات جديدة عنها . والوظيفة الأولية لمرحلة السماع بالفكرة هى فتح الطريق لسلسلة المراحل التى سوف تأتى بعدذلك مؤدية فى النهاية إلى تبنى الفكرة الجديدة أو رفضها .

ومعظم الباحثين يتخيلون فى قرارة أنفسهم مرحلة الشعور بالفكرة الجديدة كأنها حدث عفوى لا يرمى إلى هدف إذ أن الفرد يسمع عادة بالفكرة الجديدة عن طريق المصادفة المحضة ، وهو لا يستطيع أن يسعى إلى فكرة جديدة لا يعلم بوجودها ولم يسبق له السماع بها . على أن «هاسنجر» ،مع ذلك ، انتقد أخيراً افتراض انعدام الهدف فى مرحلة الشعور بالفكرة الجديدة ويقول إن الشعور بالفكرة يجب أن يوجده الفرد نفسه وأنه ليس بالحدث السلبى . ويشير « هاسنجر » أيضاً إلى أن وجود المعلومات لدى الفرد عن الأفكار الجديدة لا يخلق عنده الشعور بالفكرة أو الإدراك لها حتى ولو كان هذا الفرد معرضاً لتلقى هذه المعلومات من مصادر مختلفة ، ما لم يكن لدى الفرد مشكلة ويأمل أن تحلها الفكرة الجديدة .

ومن الجائز أن يجابه المرء هنا مشكلة من نوع مشكلة البيضة والفرخة ومن منهما وجد أولاً . هل الحاجة تسبق إدراك الشخص للفكرة المستحدثة أو هل الإدراك للفكرة الجديدة يخلق الحاجة إلى تلك الفكرة ؟ على أن الدراسات المتاحة لنا حالياً لم تهيء لهذا السؤال رداً واضحاً ولكن الشواهد القليلة توحى بأن الشق الثانى من السؤال هو الأكثر شيوعاً .

٢ — مرحلة الاهتمام :

وفى مرحلة الاهتمام يصبح المرء راغباً فى التعرف على دقائق الفكرة الجديدة ويسعى إلى تنمية معلوماته بشأنها . وموقف الفرد تجاه الفكرة

المستحدثة فى هذه المرحلة موقف طيب على وجه العموم ، ولكنه لم يستكمل بعد حكمه بشأن فائدتها بالنسبة له وذلك فى ضوء ظروفه وطبيعة موقفه .

ووظيفة هذه المرحلة أساساً هى تنمية معلومات الفرد عن الفكرة الجديدة إذ أن الجانب « المعرفى » أو « الإدراكى » للسلوك يتكون فى مرحلة الاهتمام وذلك على حد قول « لافرج » و « ستينر » عام ١٩٦١ . والفرد يصبح أكثر امتزاجاً من الناحية النفسية بالفكرة الجديدة فى مرحلة الاهتمام أكثر منه فى مرحلة إدراك الفكرة . قبل ذلك سمع الفرد عن الفكرة الجديدة أو قرأ عنها ، ولكن فى مرحلة الاهتمام نراه يفتش فى صبر عن المعلومات ذات الصلة بالفكرة . لقد أصبح سلوكه الآن غرضياً بشكل قاطع وكان قبل ذلك عشوائياً . وإن شخصيته والقيم التى يدين بها ، وكذلك المعايير الاجتماعية السائدة فى مجتمعه ، قد توحى إليه بالمكان الذى يبحث فيه عن المعلومات ، وبالكيفية التى يفسر بها هذه المعلومات ذات الصلة بالفكرة المستحدثة .

ومرحلة الاهتمام سبق أن أشار إليها « بيل » وآخرون عام ١٩٥٧ باعتبارها مرحلة « المعلومات » ، وكذلك اعتبرها « لافرج » و « ستينر » عام ١٩٦١ مرحلة « المعرفة » ، كما اعتبرتها جماعة علم الاجتماع الريفى فى « نورث سنترال » عام ١٩٦١ مرحلة « الاهتمام وجمع المعلومات » .

٣ — مرحلة التقييم :

وفى مرحلة التقييم يطبق المرء الفكرة المستحدثة تطبيقاً عقلياً على موقفه الراهن وكذلك موقفه الذى يتوقعه مستقبلا وبعدها يقرر ما إذا كان عليه أن يجرب تلك الفكرة أم لا . وفى مرحلة التقييم يحدث نوع من « التجريب العقلى » إذ لو أحس المرء بأن مزايا الفكرة الجديدة تفوق سيئاتها فإنه سوف يقرر القيام بتجربتها . على أن التجريب فى حد ذاته يختلف من الناحية الإدراكية عن مجرد العزم على هذا التجريب . ومن الجائز أن

تكون مرحلة التقييم من ناحية التمايز أقل المراحل الخمس الخاصة باعتناق المرء للفكرة الجديدة ومن الناحية الاختبارية الميدانية تعتبر من أصعب المراحل .

والفكرة الجديدة تحمل للمرء فى أعماقها خطراً ذاتياً إذ أنه يكون غير واثق من نتائجها ولهذا لا بد من مدد قوى فى مرحلة التقييم لإقناع الفرد بأن تفكيره يسير فى الطريق الصحيح . وفى هذه المرحلة يسعى الفرد إلى الحصول على المعلومات والنصائح من الآخرين . ووسائل الاتصال الجمعية من شأنها أن تنقل الرسائل ذات الطبيعة العامة وهى لذلك لا تهئ الرد القوى الذى يحتاجه الفرد فى مرحلة التقييم .

لقد أطلق بعض الباحثين على مرحلة التقييم كلمة « التطبيق » ، وذلك وفقاً لما ذكره « بيل » وآخرون عام ١٩٥٧ ، و « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ ، وكلمة «القبول» أطلقها « كوب » وآخرون عام ١٩٥٨ ، وقرار التقييم والتطبيق أطلقتها « جمعية الدراسات الاجتماعية فى نورث سنترال عام ١٩٦١ » .

وكلمة « الإقناع » أطلقها « روجرز » و « يوست » عام ١٩٦٠ ، و « روجرز » و « بيتز » عام ١٩٦٠ . وجميع هذه التعبيرات تتضمن بأن المركب السلوكى، وهو عبارة عن الشعور الطيب أو غير الطيب إزاء الفكرة ، داخل فى تركيب مرحلة التقييم ،

٤ — مرحلة التجريب :

وفى مرحلة التجريب يستخدم المرء الفكرة المستحدثة على نطاق ضيق وذلك لكى يحدد فائدتها بالنسبة له فى نطاق ظروفه الخاصة . والوظيفة الأساسية لمرحلة التجريب إنما هى إظهار الفكرة الجديدة فى إطار ظروف الفرد الخاصة وتحديد إمكانية الإفادة منها لغرض التبنى الكامل لها . والوضع على هذه الصورة يعتبر اختباراً لمعرفة درجة صلاحية الفكرة ، أو بجرد

«مناورة بالذخيرة الحية» وإن كان القرار القاضى باستخدام الفكرة بعد تجربتها قد اتخذ فى مرحلة التقييم . وللمرء أن يبحث عن معلومات معينة بشأن الطريقة التى يستعمل بها الفكرة الجديدة وذلك فى مرحلة التجريب .

ومعظم الناس لا يعتنقون فكرة جديدة قبل أن يجربوها لمعرفة مدى صلاحيتها لهم . لقد وجد «رايان» و «جروس» عام ١٩٤٣ أنه مهما أظهر التطبيق العملى فى البيئة فى مجال استخدام الذرة الهجين من فوائد مؤكدة ، فإن معظم المزارعين كانوا يصممون على قيامهم شخصياً بالتجربة قبل أن يتبنوا الفكرة تبنياً كاملا . وحتى أواخر المعتنقين لفكرة الذرة الهجين فى ولاية «أيووا» ، فبالرغم من أنهم كانوا محاطين من كل جانب بجيران يستخدمون هذه البذرة استخداماً ناجحاً ، فإنهم لم يقبلوا إلا أن يزرعوا جزءاً صغيراً من أرضهم فى سنتهم الأولى مستخدمين فى ذلك البذرة الجديدة على سبيل التجربة . كذلك وجد «ستراسمان» عام ١٩٥٩ أن الأفكار الجديدة فى مجال الصناعة فى القرن التاسع عشر كانت فى العادة تطبق على أضيق نطاق ممكن حتى يثبت نفعها .

وفى حين أن رفض الفكرة المستحدثة قد يحدث فى أية مرحلة من المراحل التى تتكون منها عملية التبنى نجد أن هذا الرفض يحدث أحياناً عندما يساء تفسير النتائج التى تظهر فى مرحلة التجريب ، وثمة مثال لذلك وهو يأتى إلينا من خلال المقابلة التى تمت بين أحد الباحثين وبين مزارع من ولاية «أيووا» كان قد استخدم نوعاً من السماد الكيماوى فى جزء من أرضه :

« عجباً . لقد وضعت من السماد ما يكفى لتغطية نصف الحقل الذى أزرعه بالشوفان وكانت نسبة الخلط مائة رطل للفدان الواحد ونتيجة لهذا زاد المحصول بنسبة عشرة بوشلات للفدان وهذه الزيادة لم يحصل عليها

أى فلاح آخر من جيرانى وكنت أتصور أن هذا شىء عظيم . زد على ذلك أن البرسيم كان ينمو فى حقلى نمواً هائلا . ولكن عندما أقبل شهر سبتمبر وأخرجت بقراتى لترعى فى حقلى أصيبت إثنتان منهما بأورام مفاجئة وبعد ذلك توفيتا . إنك لن تستطيع أن تقول لى إن هذا السماد ليس ساماً » .

لقد عزى هذا المزارع نفوق بقرتيه لسبب بعيد عن الواقع وهو ما ظنه الخصائص السامة للسماد الكيماوى ولم يعزه للسبب الحقيق وهو البرسيم المبتل مما ترتب عليه رفض الفكرة من جانبه . والخلاصة إن المقابلات التى أجريت مع المزارعين من جيران هذا المزارع أوضحت أنهم لا يستخدمون هذا السماد وأن العدد الأكبر منهم كان يشير فى حديثه إلى تجربة هذا المزارع وإلى بقراته التى نفقت .

ومن الجائز أن معظم الأفراد يحكمون على نتائج مرحلة المحاولة بطريقة أدق من طريقة المزارع الذى أشرنا إليه فى المثال السابق . وعلى أى حال ، فإن نتائج المحاولة تكون عادة على درجة كبيرة من الأهمية عند اتخاذ القرارات الخاصة باعتناق الفكرة أو رفضها .

٥ — مرحلة تبنى الفكرة :

وفى مرحلة تبنى الفكرة الجديدة يقرر المرء عادة الاستمرار فى الاستخدام الكامل للفكرة . والوظائف الأساسية لمرحلة التبنى هى وضع نتائج المحاولة موضع الاعتبار من قبل المتبنى للفكرة وتقرير الإقدام على الاستخدام المتواصل مستقبلا للفكرة الجديدة . أما ناحية الدوافع والحوافز الداخلة فى تكوين السلوك الفردى فنجدها فى مرحلة التبنى ، كما نجدها فى مرحلة التجريب .

إتباع طريقة تخزين المأكولات

فى مقاطعة من مقاطعات ولاية « جورجيا »

يصور هذا المثال كيف يتبنى أحد الناس فكرة جديدة وهى هنا تخزين المأكولات وحفظها فى علب من الصفيح ، ولقد وضعنا بين أقواس الملاحظات الخاصة بالمراحل التى تقع فى سياق عملية التبنى . هذا المثال يصور أهمية المؤثرات الشخصية التى تصدر عن الزملاء والأصدقاء والجيران وتدفع الأفراد إلى اعتناق الأفكار الجديدة .

حملة تخزين الطعام فى علب من الصفيح :

فى مقاطعة « جرين » بولاية « جورجيا » ، وكما هو الحال فى كافة المناطق التى تزرع القطن فى ولايات الجنوب ، يتركب غذاء معظم أجزاء الأرض من لحم الضأن والذرة المسلوقة والعسل الأسود .

وفى الأربعينيات الأولى من هذا القرن بدأ أكثر من خمسمائة أسرة من أسر المزارعين القاطنين فى مقاطعة « جرين » ، وكانوا من أصحاب الدخول القليلة ، يختزنون ما حجمه خمسمائة كورات من الطعام للشخص الواحد فى العام .

لقد بدأت حملة تخزين الطعام فى علب من الصفيح عام ١٩٢٩ فى مقاطعة « جرين » من ولاية « جورجيا » (والمقاطعة فى هذا المثال هى التنظيم الاجتماعى) . ومايزيد على خمسمائة أسرة من أسر هذه المقاطعة تسلموا فعلا قروضاً من إدارة الأمن الزراعى وهى إدارة تابعة لوزارة الزراعة الأمريكية ، كما أفادوا من التوجيهات الفنية التى أصدرتها تلك الإدارة فى هذا الشأن . ومعظم هذه الأسر كانت من الأجراء وكانت قبل عام ١٩٢٩ تخزن ما حجمه إثنا عشر كوارتاً للأسرة الواحدة فى العام (لا يدخل فى الثقافة العامة لهؤلاء الناس إلا قدر قليل من الخبرة المتعلقة بتنفيذ الفكرة

الجديدة) . والذى حدث بعد عام ١٩٢٩ أن هذه الأسر أخذت تزيد من المقادير التى تخزنها عاماً بعد عام فبلغ المتوسط عام ١٩٢٩ — ٢٢٥ كوارتاً للأسرة الواحدة، وفى عام ١٩٤٠ — ٣٥٠ كوارتاً ، وفى عام ١٩٤١ — ٣٨٦ كوارتاً ، وفى عام ١٩٤٢ — ٤٩٩ كوارتاً . أما كيف رفعت هذه الأسر متوسط تخزينها للأطعمة من إثنى عشر كوارتاً إلى ما يقرب من خمسمائة للأسرة الواحدة فى أربع سنوات فإن هذا يمكن معرفته معرفة جيدة من داخل المقاطعة ذاتها .

حالة « لولا ماك كومونز » :

« لولا ماك كومونز » ، وهى أم زنجية لسبعة أطفال ، لم تكن تؤمن بجدوى تخزين الطعام فى أوان من الصفيح (المرء هنا يدرك لفكرة التخزين ولكن تنقصه المعلومات الخاصة بمزايا هذه الفكرة) . كان من عادتها أن تذهب إلى البقال لشراء ما تأكله عند ما تستطيع الذهاب . أما عند ما لا تستطيع ذلك فكانت وأفراد أسرتها يلتمسون أكل أى شىء وفى بعض الأحايين لا يأكلون شيئاً . لم يحدث أن اختزنت « لولا » قدراً من الطعام يزيد على ثمانية أو تسعة كوارتات وكانت تقول : « ليس لدى ما يكفى من الأوانى ثم من أين لى بالمواد الغذائية التى أستطيع أن أختزنها ؟ » (الفرد هنا يحصل على مزيد من المعلومات فى مرحلة الاهتمام) . وعند ما أخبرت بعدد الأوانى التى ينتظر منها أن تستخدمها فى اختزان الطعام قالت : « ما من فائدة ترجى من القول بأنى أستطيع أن أختزن هذا القدر من الطعام . إنى لا أكذب . أنا لا أستطيع » . وكل طرق الإغراء لجأ إليها المسئولون لدفع هذه السيدة إلى تبنى فكرة اختزان الطعام ، فنجد أن مندوبى إدارة الأمن الزراعى (رعاة التغيير الاجتماعى) يلجأون إلى زوج تلك السيدة كما أن ابنتها «مارى» البالغة من العمر اثنى عشرة سنة طلب منها

هى الأخرى أن تقدم معاونتها فى هذا الموضوع . لقد وعد الجميع بالقيام بكل ما يستطيعون فى هذا الشأن ولكن ما من نتيجة . ثم دعيت السيدة «لولا» مع ابنتها «مارى» لزيارة أسرة قريبة لا يبعد بيتها كثيراً من بيتهما ، وكانت هذه الأسرة مشهورة بقدرتها على تخزين الأطعمة وحفظها فى أوان من الصفيح بطريقة سليمة ، وعند تلك الأسرة أمضت السيدة وابنتها ساعة أو أكثر قليلاً فى حديث عن تخزين الأطعمة (يتعرض الفرد هنا لمؤثرات شخصية صادرة عن أقران يقيمون بالقرب منه وذلك فى مرحلة التقييم) .

وبعد أن مرت بضع سنوات . شرعت «لولا» فى تخزين المأكولات ، وبدأت بكمية حجمها ٧٥ كوارتاً (تجربة على نطاق ضيق) . وفى يوم الأحد التالى ذهبت « لولا » إلى الكنيسة وهناك سمعت النساء يتحدثن عن تخزين الأطعمة وعن الكميات والأنواع التى يقمن بتخزينها فقالت: « كنت أقول بينى وبين نفسى لو استطاعت العجوز « مارى روث » وبقية السيدات الأخريات تخزين كل الكمية التى أردن تخزينها فإنى أنا الأخرى أستطيع ذلك . وعلى هذا أخزيت الشيطان وشرعت أخزن كل ما استطعت أن أضع عليه يدى من الطعام » . ولقد فعلت إذ أنها قامت فعلاً بتخزين ما حجمه ٦٧٥ كوارتاً من الأطعمة فى تلك السنة (لقد وصل الفرد الآن مرحلة الانطلاق فى تنفيذ الفكرة الجديدة ، وهى مرحلة التبنى المتواصل) . وفى العام التالى قامت السيدة « لولا ماك كومونز » بتخزين ما يقرب من ثمانمائة كوارت .

النتـــائج

أحد النتائج غير المتوقعة فى حملة التخزين هذه هو عنصر التفاخر الذى سرعان ما ارتبط فى أذهان الناس بالأطعمة المحفوظة فى الأوانى . والواقع

أن العديد من الأسر كانت تعرض أوانيها المختلفة الأشكال والأحجام فى غرف الاستقبال وقاعات الزوار أو تضعها على أرفف مثبتة على جدران المطبخ . وبعض الأسر دفعها حماسها إلى استخدام جميع ما لديها من أوان وملأتها بالبطاطا والقرع واللفت وغيرها من الأنواع التى يمكن تخزينها ولا تحتاج إلى الحفظ فى علب من الصفيح (يستخدم الأفراد الفكرة المستحدثة بطريقة مغايرة لما كان متوقعاً ـ وهذا مثل من أمثلة المبالغة فى تبنى الفكرة) . لقد بلغ إعجاب الكثيرين بأطعمتهم المحفوظة فى عامهم الأول إلى درجة أنهم ما كانوا ليقربوها بل كانوا يتركونها على حالها مما دعا المشرفون التابعين لإدارة الأمن الزراعى إلى الاتصال بهذه الأسر وتعليم أفرادها ضرورة استخدام الأطعمة التى حفظوها (بعض نتائج انتشار الفكرة المستحدثة لا نتوقع حدوثها) .

توقف بعض الناس عن استخدام الفكرة المستحدثة

والفكرة المستحدثة قد يرفضها الناس فى أية مرحلة من مراحل عملية التبنى . ورفض الفكرة ما هو إلا قرار بعدم تبنى هذه الفكرة . والمرء قد يقرر فى مرحلة التقييم أن الفكرة المستحدثة لا تناسب موقفه وهو لذلك قد يرفض الفكرة من الناحية العقلية . وفى مقام آخر ، قد يرفض الفكرة المستحدثة فى مرحلة المحاولة والتجريب عندما يكون الفرد بصدد التقرير بأن الفائدة المتوقعة من التبنى للفكرة لا تفوق الجهود والتكاليف التى تبذل فى سبيل تبنيها . والرفض للفكرة قد يحدث لأسباب أقل واقعية من هذا السبب ولدينا مثل على ذلك القصة السابقة للفلاح الذى نفقت بقراته مما دعاه إلى التأثير على جيرانه من الفلاحين لكى يرفضوا تسميد الشوفان .

ورفض الفكرة يمكن أن يحدث أيضاً عقب تبنيها وهذا السلوك يسمى

« التوقف » . و « التوقف » هو القرار الذى يصدره الفرد للإقلاع عن استخدام الفكرة الجديدة بعد تبنيها .

وثمة دراسات ميدانية عديدة تستهدف البحث فى طبيعة عملية التوقف غير أن الكثير من هذه الدراسات تطلق على هذا السلوك إسماً آخر . والقليل من هذه الدراسات وضعت أسسها أصلا لتحرى طبيعة التوقف ، ومن الأمور التى شاعت بين الذين قاموا بهذه الدراسات الميدانية أن « اكتشاف » طبيعة التوقف كان شيئاً « مفاجئاً » ولم يكن أمره فى الحسبان . لقد اكتشف « تشابين » عام ١٩٢٨ أن ثمة عدداً من المدن الأمريكية قد « تركت » فكرة الحكم عن طريق المجلس التمثيلى وكان ذلك من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩٢٣ ، كما اكتشف أيضاً أن ثمة مدناً كثيرة قد تركت من تلقاء نفسها تطبيق بعض النظم الإدارية التى شاع أمرها فى الولايات الأخرى ، وكان ذلك « الترك » فى خلال سنوات معينة فى الوقت الذى كانت فيه ولايات أخرى تتبنى هذه النظم وتطبقها .

ونورد فيما يلى بياناً للدراسات التى تبحث موضوع التوقف فى تبنى الأفكار الجديده :

١ — اتضح عن طريق الدراسة الميدانية فى صفوف فلاحى ولاية « كارولاينا الشمالية » أن أكثر من ٢٠ ٪ من هؤلاء الفلاحين توقفوا عن استعمال بذور الذرة الهجين .

٢ — اكتشف « آدلر » عام ١٩٥٥ أن ثمة توقفات حدثت فى استخدام عدد من الأفكار التربوية المستحدثة يتراوح ما بين ١٦ و ٣٣ فكرة جديدة فى مجالات التربية والتعليم ، وكان هذا الاكتشاف نتيجة لدراسة قام بها فى ١٧٠ مدرسة من المدارس العامة .

٣ — الدراسة التى قام بها فى الهند مكتب التخطيط والتقييم والتى قامت

على أساس التعمق فى فهم مشكلات ٤٣٢٦ أسرة هندية ، وكشفت هذه الدراسة النقاب عن معدلات للتوقف عن تبنى الأفكار الجديدة تتراوح ما بين ٩٧٪ إلى أقل من ١٪ .

٤ — اكتشف « أيكهولتز » عام ١٩٦١ أن التوقفات كانت أكثر شيوعاً من أحدعشر نوعاً من أنواع الرفض الأخرى للأفكار الجديدة، وكان ذلك فى سياق دراسته لأسباب رفض الأفكار الجديدة المتعلقة بالوسائل السمعية البصرية من جانب خمسة وأربعين معلماً من العاملين فى خمس مدارس ابتدائية عامة .

٥ — وجد « سيلفرمان » و « بيلى » عام ١٩٦١ أن عدد التوقفات التى حدثت فى فترة زمنية مقدارها ثلاث سنوات فى محيط مائة وسبعة فلاحين من ولاية « مسيسبى » تبلغ نصف الحالات التى تم فيها التبنى للأفكار الجديدة .

ومن الجائز أن يكون أكمل دراسة وأشملها لموضوع التوقف عن تبنى الأفكار المستحدثة هى تلك التى قام بها « جونسون » و « ڤان دى بان » عام ١٩٥٩ . لقد نجحا فى استبعاد استبعاداً جزئياً إحدى المشكلات الرئيسية التى تتضمنها الدراسات التى تتصدى لموضوع التوقفات فى مجال تبنى الأفكار الجديدة ألا وهى مشكلة انعدام الدقة فى ردود الأشخاص موضوع الاستفتاء وذلك عند ما قاما بجمع المعلومات من ١٧٦ فلاحاً من فلاحى ولاية « وسكونسن » ، وكان ذلك عام ١٩٥٢ ، ثم أعادا الكرة عام ١٩٥٧ . وفى خلال السنوات الخمس الواقعة بين هذين التاريخين قام المائة والستة والسبعون شخصاً موضوع الاستفتاء باتخاذ ٢٦٦ موقفاً إيجابياً تجاه سبع عشرة فكرة مستحدثة كانت موضوعاً للدراسة ، كما قام هؤلاء بمائتين وخمسة وخمسين توقفاً فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة . ومن الأمور الواجبة التنويه عنها هنا أن هؤلاء الفلاحين كانوا أيضاً بصدد تبنى أفكار

أخرى مستحدثة — خلاف الأفكار السبع عشرة التى درست عام ١٩٥٢ ثم عام ١٩٥٧ — وذلك فى الفترة عينها . ومع ذلك ، تبين المعلومات التى حصل عليها الباحثان سابقا الذكر من الدراسة التى قاما بهـا فى ولاية « وسكونسن » أن عدداً كبيراً من التوقفات فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يحدث فى فترة زمنية قصيرة نسبياً . لقد وجد أن القليل من تلك التوقفات تسببت عن حلول فكرة مستحدثة على جانب كبير من الأهمية محل فكرة مستحدثة أخرى سبق أن تبناها هؤلاء الفلاحون موضوع الدراسة .

إحدى النتائج ذات الأهمية القصوى التى حصل عليها « جونسون » و « فان دى بان » عام ١٩٥٩ كانت تدل على أن الأشخاص الذين يتأخرون فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة تعرضوا لتوقفات فاق عددها عدد تلك التى تعرض لها أوائل المتبنين لتلك الأفكار . لقد افترض الباحثون السابقون على هذين الباحثين أن المتبنين الأواخر كانوا نسبياً أقل قابلية لاعتناق حديث الأفكار لأنهم لم يتبنوا تلك الأفكار أو أنهم كانوا بطيئين نسبياً فى مجال تبنيها . والشواهد التى أتى بها « جونسون » و « فان دى بان » تدل على أن المتبنين الأواخر قد يتبنون ولكن يحدث بعد ذلك بفترة من الزمان أن يتوقفوا عن هذا التبنى .

والخلاصة أن معدل التردد فى مجال التوقف عن تبنى الأفكار المستحدثة ليس بالمعدل الضئيل . والعديد من الباحثين قد وقفوا على حالات متعددة من حالات التوقف ، وذلك بالرغم من أن عدداً قليلاً من أولئك الباحثين كان يقصد البحث عن مثل هذه الحالات . والمدى الذى تنتشر فيه حالات التوقف يبدو أنه يختلف تبعاً لطبيعة الفكرة ووفقاً للصفات المميزة لطرق تبنى الأفراد لحديث الأفكار . والنتائج التى توصل إليها « أدلر » عام ١٩٥٥ و « جونسون » و « فان دى بان » عام ١٩٥٩ ، و « سيلفرمان » و « بيلى » عام ١٩٦١ ، من شأنها أن تدعم النظرية القائلة بأن المتبنين الأواخر

هم فى الواقع أكثر تعرضاً لحالات التوقف عن تبنى حديث الأفكار من المتبنين الأوائل . والمتبنون الأواخر هم فى العادة من أصحاب الدخول الأقل ، وإن ضعف مواردهم قد يحول دون اعتناقهم لحديث الأفكار ، أو أنه قد يسبب التوقفات لأن الأفكار الجديدة لا تناسب إمكانياتهم المادية المحدودة .

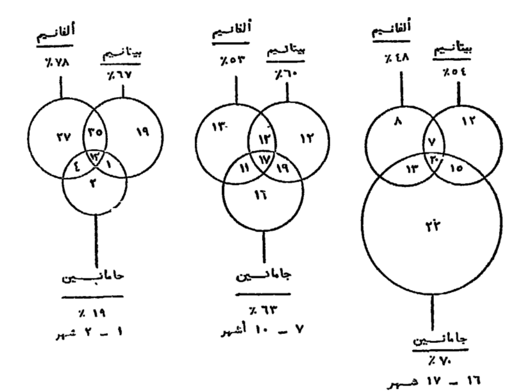
ومن الجائز أن يكون ثمة توقفات واقعية وأخرى غير واقعية تماماً كما توجد إرادات للتبنى واقعية وأخرى غير واقعية . والواقعية هنا هى عبارة عن استخدام الوسائل ذات الكفاية العالية للوصول إلى هدف معين . ومثل التوقف غير الواقعى هو غادة التجربة غير المرضية التى يعانيها الفرد عند تبنيه لفكرة مستحدثة عندما لا تفهم تلك الفكرة على وجهها الصحيح . وهذا النمط من التوقف من الجائز أن يحدث بين صفوف المتبنين الأواخر أكثر من حدوثه بالنسبة للمتبنين الأوائل . والمتبنون الأواخر يكونون عادة على درجة قليلة من التعليم كما يكون لديهم من القيم التقليدية عدد أكبر. ومن شأن هذين العاملين أن يعملا على إحداث التوقفات فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة .

لقد سمع مؤلف هذا الكتاب عن أحد الهولنديين الذين كانوا من أواخر الذين تبنوا فكرة إقامة حزم القش على صورة هرم ثلاثى الدعائم حتى تسمح بتخلل الهواء وكان هذا التبنى بناء على توصية أحد الجيران . على أن هذا الشخص كان يقيم الحزم بشكل خاطىء ولهذا السبب جاءت النتائج غير مرضية مما دعاه إلى التوقف عن تبنى الفكرة بعد مرور عام واحد من تنفيذها . وكثيراً ما يحدث أن أحد المتبنين الأواخر قد يتبنى فكرة جديدة ولكنها ليست من بين الأفكار ذات الصلة بالفكرة الأصلية والتى لا بد أن تكون مصاحبة لها حتى يمكن تحقيق نتائج طيبة . ويمثل هذه الحالة

الفلاح الذى تحدث عنه « سلفرمان » و « بيلى » عام ١٩٦١ ، ذلك الفلاح الذى تبنى فكرة الإكثار من زراعة صفوف الذرة فى الخط الواحد ولكنه لم يتبن الفكرتين المصاحبتين لهذه الفكرة وهما التسميد واستخدام البذور الهجين . وإن ما حققه هذا الفلاح من محصول كان بالتأكيد أقل مما لو لم يتبن أياً من الأفكار الثلاث .

وأية فكرة مستحدثة ، بمجرد أن يتبناها شخص من الأشخاص، فإنها تتعرض لخطر حلول أفكار أخرى تظهر بعدها محلها . والشكل التالى (شكل ٤ - ١) يوضح كيف حل عقار الجامانين تدريجياً محل عقارين كانا شائعين بين أطباء ولاية «إلينوى» . فى مناخ ثقافى معرض للتغيير السريع يتعرض الإنسان بشكل دائم لفيض متجدد من الأفكار المستحدثة .

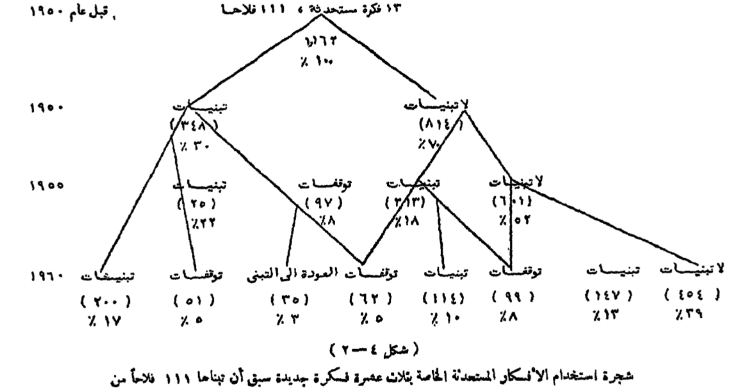
ونتيجة حتمية من نتائج هذا الوضع حدوث نسبة عالية من التوقفات الواقعية كما أشرنا قبلاً :



(شكل ٤ — ١)

كيف يحل تدريجياً عقار جديد « الجامانين » محل عقارين موجودين بالفعل

توضح هذه البيانات النسبة المئوية للأطباء فى أربع بلدان واقعة فى ولاية « إلينوى » وهؤلاء الأطباء تبنوا عقاراً جديداً هو « الجامانين » فى فترات تتراوح ما بين شهر وشهرين ، ثم من سبعة أشهر إلى عشرة ، ثم من ستة عشر شهراً إلى سبعة عشر شهراً بعد ظهور هذا العقار فى السوق . والزيادة السريعة فى استخدام هذا العقار ليس معناها أن العقارين الموجودين فعلا فى السوق ، وهما « الألفانيم » و « البيتانيم » ، قد بطل استعمالهما . بل إن ٢٢ ٪ فقط من مجموع الأطباء استعملوا « الجامانين » وحده وكان ذلك بعد مرور من ١٦ إلى ١٧ شهراً بعد ظهور هذا العقار فى السوق فى حين أن ٤٨ ٪ من الأطباء كانوا يستعملون هذا العقار واستعملوا عقاراً آخر معه . والعقار الجديد كان دواء يضاف إلى الأدوية التى كان العديد من الأطباء يستعملونها وليس مجرد بديل .



(شكل ٤ — ٢)

شجرة استخدام الأفكار المستحدثة الخاصة بثلاث عشرة فكرة جديدة سبق أن تبناها ١١١ فلاحاً من « كنتكى » وما تخلل ذلك من توقفات

شجرة استخدام الأفكار الحديثة :

وإحدى الطرق الحديثة لتحليل التوقفات التى تحدث فى فترة زمنية معينة هى « شجرة استخدام الأفكار الحديثة » . هذه الشجرة هى وصف تاريخى للنقلات التى تقع بين التبنى والتوقف فى مجال الأفكار المستحدثة فى فترة زمنية معينة .

لقد حصل « كوهينور » عام ١٩٦١ على معلومات مستمدة من عينة مكونة من ١١١ فلاحاً من ولاية « كنتكى » بشأن تبنيهم وعدم تبنيهم لثلاث عشرة فكرة من الأفكار المستحدثة فى عالم الزراعة . ومن نتيجة تجميع ١١٦٢ قراراً من قرارات التبنى والإعراض تكونت الوحدات موضوع التحليل . وشكل (٤ — ٢) يبين شجرة استخدام الأفكار الحديثة وهى الشجرة التى تكونت على هدى المعلومات . من هذه الشجرة يتبين الاتجاه العام للفلاحين نحو الاستمرار فى : إما التزام التبنى وإما التزام الإعراض عن الأفكار المستحدثة فى فترة زمنية طولها خمس سنوات . ومما يبدو للعيان هنا أن السلوك القديم إنما يسهم إسهاماً كبيراً فى تشكيل نوع السلوك المتوقع مستقبلاً .

لقد حدث عدد من التوقفات فى خلال فترة السنوات العشر التى مرت من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٠ . هذه التوقفات تبلغ حوالى ١٨ ٪ من الأحكام الألف والمائة والإثنين والستين التى اتخذت حتى عام ١٩٦٠ ، وهذا بالتأكيد تقدير متواضع لأن المادة العلمية جمعت على مدى خمس سنوات فقط . والشكل (٤ — ٢) يبين ٣٥ حالة تميزت بأن الفلاح فيها انتقل من حالة التبنى إلى حالة التوقف وبالعكس من التوقف إلى « إعادة التبنى » . لقد اقترح « كوهينور » عام ١٩٦١ عدة مفاهيم جديدة فى حالة استخدام أشجار الأفكار الحديثة ومن أمثال هذه المفاهيم :

« توقفات الصف الأول » (التوقفات التى حدثت عام ١٩٥٥)
و « توقفات الصف الثانى » (التوقفات التى حدثت عام ١٩٦٠ لأول مرة) .

وشجرة استخدام الأفكار المستحدثة إنما هى طريقة قيمة لإظهار المنظر الكلى للتبنى والإعراض فى فترة زمنية معينة . ومن الممكن طبعاً التنبؤ بالفترة الزمنية التى يتم فى نهايتها التحرر من سحر الفكرة المستحدثة تماماً كما يمكن مقدماً تقدير مدى السرعة الذى يتم بمقتضاه تبنى الفكرة المستحدثة . والدراسات المستقبلة قد تهتم بإثبات ما إذا كانت النسبة المئوية التراكمية لعملية التوقف تأخذ عادة شكل حرف (S) كما هو الحال فى مدى السرعة الذى يتم بمقتضاه التبنى .

هل يتم التبنى على مراحل ؟ :

ومن الناحية النظرية يمكن القول بوجود خمس مراحل أو خطوات فى عملية التبنى .

ما هى الشواهد الدالة على وجود هذه المراحل ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، ينبغى أن نشير هنا إلى أن الإتيان برد محدد إنما هو أمر من الأمور الصعبة غاية الصعوبة .

والباحثون فى استطاعتهم أن يتغلغلوا فى أعماق العمليات العقلية للأفراد الذين يتبنون فكرة مستحدثة وإن كان هذا التغلغل يتم بطريقة غير مباشرة . على أنه ثمة شواهد تدل على أن فكرة المراحل فى عملية التبنى لها أساس من الصدق . والبحثان الأساسيان اللذان أجريا عن هذا الموضوع تمخضا عن نفس النتيجة وأثبتا وجود المراحل فى عملية التبنى ولدينا الآن أربعة أنماط أساسية للشواهد التى تثبت ذلك :

١ — آراء الأشخاص موضوع الاستفتاء :

فى بحث أجرى بولاية « أيووا » عن تبنى فكرتين مستحدثتين من الأفكار ذات الصلة بالفلاحة ، وجد « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ أن معظم الأشخاص الذين اعتمد عليهم الباحثون يقررون بأنهم مروا فى سلسلة من المراحل فى أثناء انتقالهم من حالة الإدراك للفكرة المستحدثة إلى حالة التبنى الكامل لها . قالوا إنهم تلقوا معلومات من مصادر مختلفة ولم يجدوا صعوبة كبيرة فى تذكر الوقت الذى بدأت فيه لديهم حالة الإدراك للفكرة المستحدثة ، أوالوقت الذى بدأوا يجربونها فيه ، أو حينما شرعوا فعلاً فى تبنيها . لقد اضطر هؤلاء الأشخاص إلى الإجابة عن أسئلة محددة وفى هذه الحالة يمكن القول بأن فكرة المراحل قد « فرضت » عليهم فرضاً . ومع ذلك ، لو أن المراحل لم تكن ذات معنى بالنسبة لهؤلاء الأشخاص فلا بد أنهم قد ذكروا هذا الأمر فى حينه ، أو أنهم رفضوا الإجابة على ما وجه لهم من أسئلة ، أواقترحوا مراحل أخرى أوإجراءات مختلفة . والواقع أن عدد الإجابات التى قالت « لا أعرف» أو«لا أذكر» كانت قليلة للغاية .

٢ — المراحل التى يصرف النظر عنها عند التطبيق :

ومراحل التبنى ينبغى أن تكون بحيث يستطيع معظم الأفراد أن يمروا بكل مرحلة من المراحل الخمس المتعلقة بكل فكرة مستحدثة . لقد وجد « روجرز » و « بيل » عام ١٩٦٠ أن عشرين مرحلة فقط من مجموع ١١٧٠ مرحلة قد صرف النظر عنها عند التطبيق،وهذه الإحصائية مأخوذة من استفتاء أجرى على فكرتين حديثتين تبنى الفكرة الأولى ١٢٩ فلاحاً والثانية ١٠٤ فلاحين والمجموعتان كانتا موضعاً للاستفتاء.ومرحلة المحاولة والتجريب كانت من المراحل التى كثر تجاهلها وبخاصة من قبل المتبنين

الأواخر . ولكون عدد قليل من الأفراد الذين كانوا موضوعاً للاستفتاء قد اعترفوا بإسقاطهم لبعض المراحل فإن هذا الأمر لاشك يزودنا بالدليل على أن فكرة المراحل صحيحة .

٣ — *اختلاف المصادر التي تأتي منها المعلومات :*

من الممكن لأى فرد أن يستخدم نفس المصادر ، ومن الجائز أن يكون استخدامه لها بأساليب مختلفة ، وفى مراحل متعددة أثناء عملية التبنى . ومع ذلك ، إذا ذكر الأشخاص الذين هم موضوع الاستفتاء مصادر مختلفة للمعلومات فى كل مرحلة ، فإن هذا لابد أن يدل على التفريق بين المراحل .

لقد وجد « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ أن جميع الأفراد الذين كانوا موضوعاً لاستفتائهم ذكروا مصادر للمعلومات مختلفة لفكرتين مستحدثتين وكان ذلك فى مرحلتى المحاولة والتبنى . وفى مرحلتى الإدراك والاهتمام ، وكذلك فى مرحلتى التقييم والمحاولة ، وجد أن ثمة تفريق أقل بين مصادر المعلومات . وأقل تفريق ممكن وجد فى مرحلتى التقييم والمحاولة حيث لوحظ أن ٤٣ ٪ فقط من مجموع المتبنين للفكرة المستحدثة الأولى و ٥٣ ٪ من مجموع المتبنين للفكرة المستحدثة الثانية ذكروا فى ردودهم على أسئلة الاستفتاء مصادر للمعلومات مختلفة . وهناك بحوث كثيرة أخرى استعرضناها فى أماكن أخرى من هذا الكتاب وهى تشير أيضاً إلى وجود تفريق بين المصادر التى تأتى منها المعلومات فى مراحل مختلفة من مراحل عملية التبنى .

٤ — *الاختلاف فى الزمن :*

ثمة سؤال منطقى يمكن إثارته بشأن فكرة المراحل وصدقها فى حالة ما إذا أفاد الأشخاص موضوع الاستفتاء أنهم تبنوا الفكرة المستحدثة بوحى من ذاتيتهم وبطريقة مفاجئة — أى أنهم أدركوا الفكرة المستحدثة

وتبنوها فى الحال . لقد وجد « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ أنه ما من واحد من الأشخاص المائة والثمانية والأربعين الذين أدلوا إليه بردودهم فى الاستفتاء تبنى الفكرة المستحدثة بهذه الطريقة المفاجئة . وبدلاً من ذلك وجد هذان الباحثان أن ٧٣ ٪ من المتبنين للفكرة المستحدثة الأولى و ٦٣ ٪ من المتبنين للفكرة المستحدثة الثانية ذكروا سنوات مختلفة وقعت فيها مرحلتا الإدراك والمحاولة . وبعض الأفـــراد ذكروا تواريخ مختلفة لحدوث مرحلتى المحاولة والتبنى ، وهؤلاء الأفراد بلغت نسبتهم ١٤ ٪ فى مرحلة المحاولة و ٢٥ ٪ فى مرحلة التبنى ، ولكن قد يكون السبب فى ذلك أن الأفكار المستحدثة يمكن فى سهولة أن تجرب وتعتنق فى نفس السنة . ومعظم الأفراد يبدو أنهم يحتاجون إلى فترة زمنية ، وهذه يمكن أن تقاس بالسنوات ، لكى ينتقلوا من مرحلة إلى أخرى من مراحل عملية التبنى . وهذا فى حد ذاته قد يزودنا بالبرهان على أن السلوك الذى يتبعه الناس عند التبنى لفكرة مستحدثة هو شيء معقد وينطوى على عملية عقلية قد تتكون من مراحل .

والخلاصة أننا قد نجد مايؤكد لدينا صدق الفكرة القائلة بحدوث التبنى على مراحل ، ولكن النتائج التى تمخضت عنها البحوث ليست قاطعة من هذه الناحية . والشواهد على كم من المراحل بالضبط تنطوى عليها عملية التبنى ما زالت قليلة إلى حد كبير . وبالرغم من ذلك ، وإلى أن يتيسر لنا من الشواهد عدد أكبر ، يبدو أنه من الواضح من الناحية الذهنية ومن الصحة من الناحية العملية أن نستخدم الخطوات الخمس المتعلقة بعملية التبنى ، وهى الخطوات المذكورة فى هذا الكتاب .

مصادر المعلومات فى كل مرحلة من المراحل :

والعديد من البحوث المتعمقة فى الدراسة نجد أن أصحابها يحاولون جاهدين تحديد الأهمية النسبية لمصادر المعلومات المختلفة فى مراحل متباينة من مراحل عملية التبنى .

وفى هذا القسم من الكتاب سوف نستعرض تعميمين مختلفين متعلقين بمصادر المعلومات المستخدمة فى المراحل الداخلة فى صميم عملية التبنى .

الاتصالات الشخصية ونقيضها من الاتصالات غير الشخصية :

والاتصالات الشخصية تتضمن تبادلاً مباشراً للأفكار بين شخصين هما المقبل على الاتصال والمستقبل لهذا الاتصال . والاصطلاحان « المصادر الشخصية للمعلومات » و « التأثير الشخصى » إنما يستخدمان بشكل تبادلى بعض الشيء وإن كان من المعترف به أن هذين الاصطلاحين لايتطابقان تطابقاً كاملاً مع المعنى الحرفى لكل منهما . والاتصال هو الطريقة التى ينتشر التأثير تبعاً لها . والاتصالات غير الشخصية لاتتضمن تبادلا مباشراً بين القائم بالاتصال ومتلق الاتصال . والاتصالات غير الشخصية تنتشر دائماً عن طريق وسيلة من وسائل الاتصال الجمعى . والاتصالات غير الشخصية تعمل بصفة أساسية كموزعة للمعلومات تتصف بالكفاية والسرعة وإن كانت تصدر من جانب واحد . ووسائل الاتصال الجمعى إنما هى على درجة كبيرة من الفاعلية فى توجيه انتباه الأفراد إلى القرارات البديلة واختيار المناسب منها نظراً لانتشارها فى مجالات أوسع إذ بسبب طبيعتها لا يمكن حصرها فى جماعة محددة من الناس من ذوى الخصائص والتخصصات المعنية . وباختصار ، فإن مصادر المعلومات غير الشخصية إنما هى على درجة كبيرة من القدرة على إيجاد الوعى بالفكرة لدى الأشخاص.

وثمة تعميم تسنده دراسات عديدة وهو يقول بأن المصادر غير الشخصية للمعلومات إنما هى على درجة كبيرة من الأهمية فى مرحلة الإدراك للفكرة ، والمصادر الشخصية تكون هامة جداً فى مرحلة التقييم الداخلة فى نطاق عملية التبنى للأفكار المستحدثة . ومما هو مسلم به أن الناس يفضلون تصديق الناس على تصديق الحقائق وذلك فى مرحلة تقييم الأفكار

المستحدثة . أما أسباب الأهمية الفارقة بين المصادر الشخصية والمصادر غير الشخصية الداخلة فى تكوين عملية التبنى للأفكار المستحدثة فقد أشار إليها « ويكلننج » و « روجرز » و « بيل » فى السنوات ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ على التوالى . والاتصال الشخصى إنما هو على درجة كبيرة من الأهمية فى مرحلة التقييم حيث يتكون لدى الفرد الحكم العقلى على قيمة الفكرة المستحدثة ، ولذلك أسباب منها :

١ — الاتصال الشخصى يسمح بتبادل للأفكار من ناحيتين. والشخص الواقع عليه الاتصال قد يحظى من صاحب الاتصال بمعلومات إضافية أو بتمحيص لهذه المعلومات التى تدور حول الفكرة المستحدثة .

٢ — الاتصال الشخصى قد يؤثر على السلوك كما أنه ينقل الأفكار . وفى معظم الحالات ، يكون للأفراد الذين يتجاوب كل منهم مع الآخر قيم واتجاهات متشابهة ويجوز للبعض منهم أن يكونوا جماعة إسناد بالنسبة للبعض الآخر .

والاتصالات الجمعية قلما تؤثر على القرارات تأثيراً مباشراً وذلك بالرغم من أن هذه الاتصالات قد تعمل من خلال متغير طارىء خاص بالتفاعل الجماعى وبحيث يترتب على هذه الاتصالات تعديلات فى السلوك .

٣ — ومن أسباب أهمية مصادر المعلومات الشخصية فى مرحلة التقييم للأفكار المستحدثة سهولة هذه المصادر وإمكان تصديق ماتأتى به من معلومات حيث أنه عندما يكون المصدر معروفاً فى نطاق واسع فمن الأمور المتوقعة أن ينظر إليه باعتباره جديراً بالثقة .

٤ — قد يكون للاتصال الشخصى فاعلية أكبر فى مواجهة أية معارضة للفكرة المستحدثة أو كره لها من جانب الشخص الواقع عليه الاتصال . والمصادر غير الشخصية للمعلومات يمكن فى العادة أن تكون أكثر قابلية لأن يتحاشاها الإنسان أو يتجاهلها من المصادر الشخصية . والدراسة

التى قام بها « ليونبرجر » عام ١٩٥٥ على عدد من مزارعى ولاية « ميزورى » تزودنا بمثل حى لهذه النقطة حيث أنها دراسة عملية تقوم على أساس رسم تخطيطى للعلاقات الاجتماعية . لقد وجد هذا الباحث أن المزارعين الذين لا يتجاوبون مع الأفكار المستحدثة (وهم الذين عارضوا معظم الأفكار الجديدة فى مجالات الزراعة) كانوا يظهرون استعدادهم للحصول على المعلومات والنصائح الزراعية من مزارعين كانوا بدورهم من أكثر الفلاحين تقبلاً للأفكار المستحدثة واعتناقاً لها . لقد انتهى « ليونبرجر » إلى أن « المصادر الشخصية للمعلومات ، وهى المصادر القائمة على تبادل المؤثرات بين الأفراد ، من شأنها أن تزودنا بمسالك ذات طاقات للاعتراض والمقاومة ضعيفة فى مجال المعلومات الزراعية ، تلك المعلومات التى لا تقبل عندما تصدر عن الأجهزة الرسمية ذات الاختصاص المباشر فى هذا المجال » .

وفيما يختص بأهمية النسبية للاتصالات الشخصية وغير الشخصية فى كل مرحلة من مراحل تبنى المحلول الكيماوى (٢ ، ٤ د) ، وهو المحلول القاتل للحشائش الضارة بالمزروعات ، حصل « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ على المعلومات الأساسية فى هذا الموضوع من ١٤٨ مزارعاً فى ولاية « ايووا » . لقد كانت النسبة المئوية لأشخاص الاستفتاء الذين ذكروا فى إجاباتهم مصدراً شخصياً للمعلومات (مثل الجيران ، والأصدقاء ، والأقارب) تتزايد من ٣٧ ٪ فى مرحلة الإدراك إلى ٥٠ ٪ فى مرحلة الاهتمام وإلى ٦٣ ٪ من مرحلة التقييم . غير أنه وجد أن هذه النسبة تتناقص إلى ٥٠ ٪ فى مرحلة المحاولة والتجريب . والخبرة بالفكرة المستحدثة ، تلك الخبرة المستمدة فى مرحلة المحاولة والتجريب ، قال عنها ٩٠ ٪ من مجموع الأفراد موضوع الاستفتاء أنها أهم مصدر من مصادر المعلومات فى مرحلة التبنى .

والمصادر غير الشخصية للمعلومات (مثل المجلات الزراعية والنشرات) تكون أكثر أهمية من المصادر الشخصية وذلك فقط فى مرحلة الإدراك الخاصة بتبنى محلول ٢ ، ٤ د القاتل للأعشاب الضارة .

وبصفة عامة نجد نماذج مشابهة فى مجال الأهمية التى نعطيها للاتصالات الشخصية والاتصالات غير الشخصية فى عملية التبنى ، وهذه النماذج قد كشفت عنها المعلومات المستقاة من ١٧٥ فلاحاً من ولاية « بنسلفانيا » فى البحث الذى أجراه « كوب » وغيره عام ١٩٥٨ . هذه المعلومات تدل على اتجاه طبيعى أصيل تسير فيه المصادر الشخصية للمعلومات متزايدة من ناحية الأهمية النسبية من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التقييم ، وتقل حينئذ أهمية الاتصالات الشخصية فى مرحلة المحاولة والتجريب .

لقد وجد « سيل » عام ١٩٥٨ أنه فى حالة التوسع فى ترجيح التبنى للفكرة المستحدثة ، فلابد من استخدام مصادر المعلومات فى تتابع زمنى مثالى . وفى دراسة قام بها « كوب » وآخرون عام ١٩٥٨ على ١٧٥ فلاحاً من « بنسلفانيا » ، وجد « أن ثمة تتابعاً زمنياً فى الاتصال الزراعى من ناحية أن رسائل هذا الاتصال تذاع من خلال وسائط معينة هدفها إيجاد الإدراك لدى المسئولين ثم لدى الجماعات ثم لدى الأفراد . والمزارع الذى يعمل على الإخلال بهذا التتابع بأية طريقة من الطرق فإنه يعوق التقدم فى إحدى نقاط عملية التبنى » .

وإن أعظم « الثمرات » التى تتمخض عنها مرحلة الإدراك لتعزى إلى وسائل الاتصال الشعبى، وتلك التى تتمخض عنها مرحلة المحاولة والتجريب تعزى إلى التأثيرات الصادرة عن الجماعات . أما تلك الدفعات التى تتجه نحو مرحلة التبنى فتعزى إلى خبرات الفرد إزاء المحاولة . أما استخدام الفرد لمصدر من مصادر المعلومات فإنه لا يتناسب ومرحلة تبنى معينة فقد وجد أنه مرتبط بالمراحل المتأخرة من التبنى .

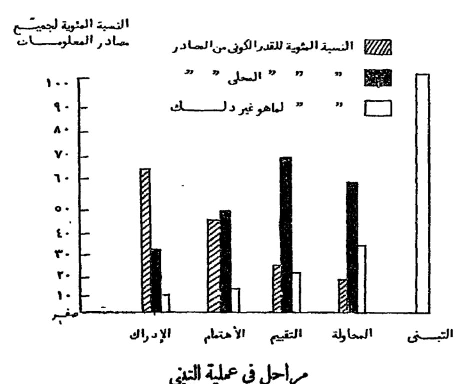
مصادر المعلومات لها صفة الكونية أى الانفتاح على العالم الخارجى :

والتعميم الثانى بشأن مصادر المعلومات فى مرحلة التبنى يحتاج هو الآخر إلى دراسة . والكونية أو الانفتاح على العالم الخارجى ، هو الدرجة التى

يعتبر عندها الفرد ميمماً وجهه خارج التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فيه إلى تنظيم اجتماعى آخر بعيد عنه . والأفراد يقسمون إلى مجموعتين إحداهما كونية والأخرى محلية ، ولا يقف الأمر عند هـذا الحد بل إن مصادر المعلومات هى الأخرى يمكن أن تقسم تبعاً لدرجة انفتاحها على العالم الخارجى . والمعلومات الكونية عن الأفكار المستحدثة هى المعلومات التى تصدر من خارج التنظيم الاجتماعى ، فى حين أن معلومات أخرى عن أفكار جديدة تصل الفرد من مصادر داخل التنظيم الاجتماعى .

ومصادر المعلومات الكونية إنما هى أكثر ما تكون أهمية فى مرحلة الإدراك ، فى حين أن مصادر المعلومات المحلية تصبح كذلك فى مرحلة التقييم . هذا التقييم تدعمه نتائج البحوث التى قام بها « ويكلننج » وآخرون عام ١٩٦٠ ، كما تدعمه المعلومات المبينة فى (شكل ٤ — ٣) . والمادة العلمية فى هذه البحوث جمعها « بيل » و « روجرز » عام ١٩٥٧ من ١٤٨ زوجة من زوجات المزارعين ، وهذه المادة أعيد تحليلها على أساس صفتها الكونية ، واستخدم الباحثان فى هذا التحليل نظاماً للتصنيف سبق أن اقترحه «كامبل» عام ١٩٥٩ و « ليونهولد » عام ١٩٦٠ . ومن الواجب أن نحذر هنا من أنه قد يكون ثمة علاقة بين هذا البعد ، بعد الكونية والمحلية ، وبين بُعد الذاتية وعدم الذاتية لمصادر المعلومات . والمصادر الذاتية أو الشخصية هى فى العادة محلية أكثر منها كونية . وبالرغم من ذلك فإن تقسيم مصادر المعلومات إلى مصادر « محلية » وأخرى « كونية » إنما هو تقسيم كامل من الناحية النظرية كما هو كذلك من الناحية العملية .

المادة العلمية هنا جاءت من ١٤٨ فلاحة فى إحدى بلدان ولاية «أيووا» ، وهذه المادة تتعلق بمصادر المعلومات التى يرجع إليها الفضل فى تبنى أولئك النسوة لفكرة الأقمشة « المعجزة » ، وهى الأقمشة المصنوعة من العجائن الصناعية . هذه المصادر قسمت إلى :



مراحل فى عملية التبنى

شكل (٤ — ٣)

أهمية المصادر التى تأتى منها المعلومات ، تلك المصادر ذات الطبيعة الكونية والمحلية ، فى كل مرحلة من مراحل تبنى ربات البيوت فى ولاية « أيووا » لفكرة الأقمشة الحديثة المصنوعة من الجانب الصناعية (الأقمشة المعجزة) .

١ — مصادر كونية ، أى المصادر الخارجة عن البيئة ، أو

٢ — مصادر محلية وهى المصادر الموجودة فى البيئة .

ومن الشكل السابق يمكن الاستدلال على أن المصادر الكونية تكون على أكبر درجة من الأهمية فى مرحلة الإدراك . أما المصادر المحلية فتلعب أعظم أدوارها فى مرحلة التقييم .

والنتائج التى توصل إليها « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ ، وكذلك « كاتز » عام ١٩٦١ ، توحى بأن الاتصالات الكونية أكثر أهمية بالنسبة إلى أولئك الذين يسبقون غيرهم فى تعلم فكرة جديدة . والمعلومات الخاصة

بالأفكار المستحدثة تخرج عادة من مصادر خارجة عن التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فيه أولئك السباقون وبذلك تبدو لهم هذه المعلومات مستساغة. وبمجرد أن تكسب الفكرة أنصاراً من المقيمين داخل التنظيم الاجتماعى، تصبح المصادر المحلية للمعلومات ميسورة بالنسبة للأشخاص الذين يعتبرون متأخرين عن غيرهم نسبياً فى السماع عن الفكرة المستحدثة. والدراسة التى أجريت على الذرة الهجين دلت هى الأخرى على أن المزارعين الذين علموا بالفكرة متأخرين نسبياً عن غيرهم كان احتمال سماعهم بالفكرة من مصادر شخصية ذاتية أكبر.

الفرض القائل بأنه : «تبنى الشخص الفكرة لا يتم إلا بعد تعرضه لمؤثراتها» :

ثمة فرض أساسى سبق أن وضع موضع الاختبار فى عدد كبير من البحوث الدراسية (مثل البحوث التى قام بها «هوفر» عام ١٩٤٢، و «امرى» و «ويزر» عام ١٩٥٨، و «كوهينور» عام ١٩٦٠، و «راهودكار» عام ١٩٦١، و «لاكى»، و «لارسون» عام ١٩٦١) ألا وهو أن التبنى لفكرة مستحدثة يختلف اختلافاً مباشراً تبعاً لمدى تعرض الشخص لهذه الفكرة. والنتائج المستمدة من الدراسات السابقة تدل على أن هذه العلاقة بين التعرض والتبنى هى على وجه العموم على درجة كبيرة من الأهمية. ومن الجائز أن يكون الأمر هكذا لأن كل ما يقرره هذا الفرض هو أن الإدراك لابد أن يسبق التبنى فى مجال الأفكار المستحدثة، ومن ثم يمكن القول إن الإضافة الحقيقية التى تضيفها هذه النتائج إلى هذا الفصل إنما هى مزيد من الاعتماد على فكرة المراحل فى عملية التبنى للأفكار المستحدثة والوثوق من صحة هذه الفكرة.

تحذيرات :

هذا القسم المخصص لمصادر المعلومات فى مراحل التبنى ينبغى أن نختتمه بالتحذيرات التالية :

١ — التحليلات الحالية تتجاهل أثر :

(ا) الصفات المميزة للفكرة المستحدثة .

(ب) الفئة التى ينطوى تحتها الأفراد موضوع الاستفتاء من حيث تبنيهم للأفكار المستحدثة وذلك فى مجال التحرى عن المصادر المستخدمة للمعلومات .

لقد اكتشف «ويكلنتج» عام ١٩٥٠ فروقاً كبيرة فى مصادر المعلومات المستخدمة فى كل مرحلة من مراحل التبنى على أساس الأفكار المستحدثة التى كانت موضوعاً للدراسة . وفى الفصل السادس من هذا الكتاب سيجد القارىء بضعة تعميمات حول الفروق الموجودة فى مصادر المعلومات على أساس الفئة التى ينضوى تحتها المتبنى للفكرة المستحدثة .

٢ — فى الدراسات التى ذكرت ، عملت الأسئلة التى قصد بها تحديد مصادر المعلومات على توجيه الإجابات نحو المصادر الخارجية . ألا يمكن اعتبار خبرة الفرد السابقة أو استنباطاته من المعلومات المعروفة لديه مصدراً للمعلومات ؟ والغرض الضمنى لمعظم البحوث السابقة التى أجريت على هذا الموضوع هو أن مصادر المعلومات فى مجال التبنى تكون خارجية بالنسبة للفرد . على أنه ينبغى أن ندرك أن الأمر ليس بالضرورة هكذا .

فترة التبنى :

وفترة التبنى هى الفترة الزمنية التى يحتاجها الإنسان لكى يمر فى عملية التبنى من مرحلة الإدراك إلى التبنى الكامل . والزمن المنقضى من الإدراك للفكرة الجديدة الى التبنى يقاس بالأيام أو الشهور أو الأعوام .

وفترة التبنى هى على هذا الحال فترة حضانة تأخذ فى أثنائها الفكرة الجديدة فى التخمر العقلى .

والعديد من العاملين فى حقل الإعلام وقياس الرأى العام يرغبون رغبة أكيدة فى الإسراع بالعملية التى يتم بمقتضاها تبنى الأفكار المستحدثة. وثمة طريقة لتحقيق ذلك ألا وهى العمل على توصيل المعلومات عن الأفكار الجديدة بشكل أكثر فاعلية ومن ثم يخلق الوعى بها والإدراك لكنهها خلقاً أكيداً .

طريقة أخرى يمكن التنويه عنها هنا وهى تقصير الفترة الزمنية اللازمة للتبنى بمجرد أن يصبح الفرد مدركاً للفكرة الجديدة . وثمة شواهد على أن النقص فى معارفنا عن الأفكار المستحدثة يؤخر تبنينا لها . والذين لا يتبنون الأفكار المستحدثة هم فى العادة مدركين لها ولكنهم لا يجدون الحافز الكافى لوضعها موضع التجريب ثم تبنيها .

لقد أعلن « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ أن معظم المزارعين فى ولاية « أيووا » سبق لهم أن سمعوا عن بذور الذرة الهجين قبل أن يشرع عدد كأصابع اليد الواحدة فى زراعتها فعلاً .

وشكل (٤ — ١) يوضح متوسط فترة التبنى لعدد من الأفكار المستحدثة . والأفكار المستحدثة ذات السمات المميزة تكون فى العادة أسرع فى التبنى من غيرها من الأفكار التى لا سمات لها . فمثلاً الأفكار المستحدثة ذات الطبيعة البسيطة والسهلة فى مجال التطبيق والمرتبطة بالخبرات السابقة قد يكون لها فترة تبنى أقصر من تلك التى للأفكار المستحدثة الخالية من هذه السمات . والبعد الأساسى من أبعاد التحليل فى هذا الموضوع إنما هو الفوارق الفردية فى طول فترة التبنى ، وليس الفوارق فى فترات التبنى بالنسبة للأفكار المستحدثة بشتى أنواعها .

طول فترة التبني بالنسبة لعدد من الأفكار المستحدثة

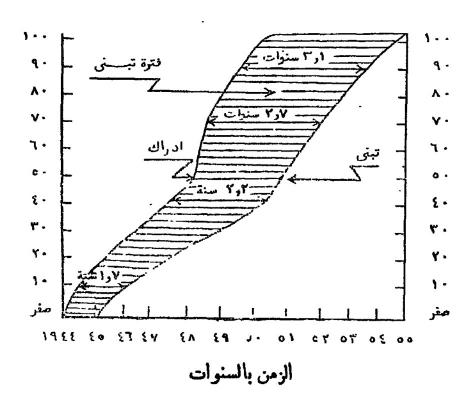
الأفكار الجديدة	متوسط طول فترة التبني بالسنوات	النسبة المئوية لتبنيها	الأشخاص موضوع الاستفتاء	الدراسة التي أجريت على الفكرة الجديدة
١ ـ بذرة الذرة الهجين	٩و٠	٩٩٪	٢٥٩ فلاحاً من «أيووا»	جروس عام ١٩٤٢
٢ ـ زراعة الأطراف للحيلولة دون تآكل التربة	٥و٠	—	١١٠ فلاحاً من «إلينوى»	كولمان عام ١٩٤٦
٣ ـ تحسين المرعى	٨و٠	٩٤٪	١٠٠ فلاحاً من كارولاينا الشمالية	ويكلننج وسانتوبولو عام ١٩٥٢
٤ ـ زراعة البرسيم الحجازى	٥و٠	٢٦٪	» » » » »	» » » »
٥ ـ عشر أفكار مستحدثة عن إدارة المزارع	٣و٧	—	٤٩٣ فلاحاً من «فرجنيا»	ديميت عام ١٩٥٤
٦ ـ إضافة المضادات الحيوية إلى طعام الخنازير	١و٦	٧١٪	١٤٨ فلاحاً من «أيووا»	بيل وروجرز عام ١٩٦٠
٧ ـ إستعمال المحاليل الكيماوية لإبادة الحشائش الضارة	٢و١	٨٧٪	» » » »	» » »
٨ ـ النسيج «المعجزة»	١و٦	٩١٪	» » » »	روجرز عام ١٩٥٥
٩ ـ إستعمال المحاليل الكيماوية لإبادة الحشائش الضارة (محلول ٢ ، ٤ د)	١و٣	٧٨٪	١٠٤ فلاحاً من «أوهايو»	روجرز عام ١٩٥٧
١٠ ـ إستعمال مادة الورفارين لقتل الفيران	٠و٨	٧٨٪	» » » »	» » »

معدلات الإدراك والتبني :

وفترة التبني للمحلول الكيماوى المبيد للحشائش الضارة قد أوضحها ما هو مبين بشكل (٤ — ٤) حيث جمعت المادة العلمية الموجودة فيه بمعرفة « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ . من هذا الشكل يمكن ملاحظة أن الإدراك يقع بمعدل أسرع من معدل التبني . فمثلاً نرى أن ثمة فترة زمنية معدلها ١,٧ سنة بين ١٠ ./ من حالات الإدراك و ١٠ ./ من حالات التبني ، ولكن ثمة فترة زمنية معدلها ٣,١ سنوات بين ٩٢ ./ من حالات الإدراك و ٩٢./ من حالات التبني .

ما السبب فى وجود فارق فى معدل السنوات فى التواريخ الخاصة بمرحلة الإدراك وهى المبينة بالشكل (٤ — ٤) ؟ إن الاتصالات غير الذاتية تكون على أكبر درجة من الأهمية فى مرحلة الإدراك . والطابع «الجماعى» لهذه المصادر يوحى بأن جميع الأفراد فى تنظيم اجتماعى معين ينبغى أن يصبحوا فى وقت واحد مدركين للفكرة الجديدة . وإذا كان الأمر كذلك، لماذا يوجد إذن مدى زمنى قدره عدة سنوات فى مرات الإدراك الموضحة فى شكل (٤ — ٤) ؟ من الجائز أن نجد الجواب على ذلك فى العمليات النفسية الاجتماعية المصاحبة لعملية الانتخاب . و « الاتجاه الانتخابى » هو ميل الأفراد إلى أن يعرضوا أنفسهم للدخول فى اتصالات تتفق وآراءهم الراهنة . وبالرغم من أن المثير قد يقدم لعدد من الناس ، فإن أفراداً معينين فقط هم الذين يستقبلونه ويتأثرون به ، وإن استقبالهم له أو عدم استقبالهم ليتوقف عادة على عوامل معينة مثل خبراتهم السابقة وقيمهم الاجتماعية وحالتهم العقلية ومقدار ما لديهم من معرفة . والطريقة التى يدرك بها الفرد فكرة جديدة وهل هو يحتفظ بها فى ذاكرته أم لا ، كل ذلك يتوقف على آرائه واتجاهاته . هكذا يحدث أن يسوق المزارع

سيارته بحذاء حقل يمتد مائة ميل مزروع بالذرة الهجين وبالرغم من ذلك فإنه قد لا « يرى » أو يدرك الذرة الهجين . وقد يكون « هازنجر » على صواب فى ادعائه بأن مرحلة الإدراك ينظر إليها من قبل الباحثين بطريقة سلبية . والخلاصة ، من الجائز أن تكون عمليات الانتخاب هى السبب فى أن جميع الأفراد فى التنظيم الاجتماعى الواحد لا يصبحون مدركين للفكرة الجديدة فى وقت واحد .



شكل (٤ — ٤) فترة التبنى عند عدد من الفلاحين فى ولاية «أيووا» تبنوا فكرة استعمال المحلول الكيماوى المبيد للحشائش الضارة (٢ ، ٤ د) والوحدة الزمنية هنا هى العام

المنطقة المظللة فى هذا الشكل توضح فترة التبنى الواقعة بين مرحلتى الإدراك والتبنى لفكرة المحلول الكيماوى المبيد للحشائش الضارة. والإدراك يسير فى معدل أسرع من ذلك الذى يسير به التبنى وهذا يوحى بأن أواخر المتبنين لديهم فى المتوسط فترة تبنى أطول من الفترة التى للمتبنين الأوائل .

طول فترة التبنى لدى الفئات المختلفة من المتبنين للأفكار المستحدثة

فئات المتبنين للأفكار المستحدثة	طول فترة التبنى مقدرة بالسنوات			
	بالنسبة لاستعمال المبيد الكيماوى للحشائش الضارة (٢ ، ٤ د) فى « أيووا »	بالنسبة للمضادات الحيوية فى « أيووا »	بالنسبة لاستعمال المبيد الكيماوى للحشائش الضارة (٢ ، ٤ د) فى « أيووا »	بالنسبة إلى استعمال الأقمشة « المعجزة » المصنوعة من العجائن فى « أيووا »
المبتدعون للأفكار	,٤٠	١,٥٠	٠,٢٠	صفر
المتبنون الأوائل	,٥٥	٠,٥٥		٠,٦١
الغالبية المتقدمة	١,١٤	٠,٧٩	١,٢٠	١,٧٠
الغالبية المتأخرة	٢,٣٤	١,٥٢	٢,١٤	١,٤٩
المتلكئون	٤,٦٥	٤,١٢	٥,٠٩	٢,٧١

جدول رقم (٤ — ٢)

فمثلاً يوجد ١,٧ سنة بين ١٠./٠ من الإدراك ، و١٠ ./٠ من التبنى ، ولكن هناك ٣,١ سنوات بين ٩٢ ./٠ من الإدراك ، و٩٢ ./٠ من التبنى .

طول فترة التبنى لدى الفئات المختلفة من المتبنين للأفكار المستحدثة :

يحتاج السابقون فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة إلى فترة للتبنى أقصر من الفترة التى يحتاجها اللاحقون . والجدول رقم (٤ — ٢) يبين أن فترة التبنى هى فى جميع الحالات أطول باعتبار السنوات لكل فئة من فئات المتبنين ابتداء من المبتدعين للأفكار حتى أواخر المتبنين لها ، وهذا يوحى بأن أولئك الذين يبادرون قبل غيرهم إلى تبنى الأفكار يفعلون ذلك ليس فقط لأنهم يدركون الفكرة أسرع من جيرانهم ولكن لأنهم أيضاً يحتاجون إلى عدد أقل من السنوات لكى ينتقلوا من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التبنى . والمبتكرون للأفكار المستحدثة من الجائز أنهم يكسبون جزءاً من وقتهم بصفتهم مبتكرين عن طريق خبرتهم بالأفكار المستحدثة ومعرفتهم لها فى وقت مبكر ، ولكن المادة الموجودة فى هذا الجدول توحى أيضاً بأن المبتكرين للأفكار المستحدثة هم أول من يتبنى هذه الأفكار لأنهم يحتاجون إلى فترة للتبنى أقصر نسبياً .

لماذا يحتاج المبتكرون للأفكار المستحدثة إلى فترة تبنٍ أقصر ؟ تدل الدراسات العلمية على أن هذه الفئة لها فى العادة اتجاهات نفسية موانية نحو الأفكار الجديدة ولا يحتاج الأمر إلى قدر كبير من المقاومة للتغيير . والمبتكرون للأفكار الجديدة قد يمرون بفترات تبنى أقصر لأنهم يستخدمون مصادر للمعلومات أكثر دقة من الناحية الفنية مثل الاتصال المباشر بالأفراد العلميين ، ولأنهم يضعون ثقة أكبر فى هذه المصادر تفوق الثقة التى يضعونها فى الفرد العادى . والمبتكرون للأفكار المستحدثة من الجائز أن لهم أيضاً نوعاً من القدرة العقلية تمكنهم من تفهم الموضوعات

المعنوية . والمبتكر للأفكار المستحدثة يجب أن يكون قادراً على التصور الذهني للمعلومات المحسوسة التي تدور حول الأفكار الجديدة وتطبيق هذه المعلومات الجديدة على موقفه الخاص . والمتبنون الأواخر للأفكار المستحدثة يستطيعون أن يلاحظوا نتائج هذه الأفكار على المتبنين الأوائل وقد لا يحتاجون إلى هذه القدرة العقلية ، القدرة على التصور الذهني .

طول الفترة المنقضية ما بين مرحلة الادراك ومرحلة المحاولة والتجريب والفترة بين هذه الاخيرة والتبني :

وفترة التبني هي الفترة التي يحتاج إليها الفرد لكي يمر في عملية التبني متنقلاً من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التبني . والباحثون في هذا الميدان نجحوا في عزل فترتين زمنيتين متميزتين تكونان جماع فترة التبني وهما :

١ ـ فترة الانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب وهي الفترة المطلوبة للفرد لكي يمر من مرحلة إدراك الفكرة المستحدثة إلى مرحلة تجريبها .

٢ ـ فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبني وهي الفترة المطلوبة للفرد لكي يمر من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبني للفكرة المستحدثة .

والشواهد المستمدة من عديد الدراسات تسند الرأي القائل بأنه بالنسبة لمعظم الآراء المستحدثة تكون فترة الانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب أطول من فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبني . فمثلاً نجد أن :

١ ـ ٥,٥ من السنوات كانت لازمة للانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب في مجال استخدام بذور الذرة الهجين و ٣,٣ من السنوات للانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبني .

٢ — ١,٥٨ سنة كانت لازمة للانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب فى مجال استخدام المادة الكيماوية ٢ ، ٤ د لإبادة الحشائش الضارة . أما فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى فكانت ٠,٤٨ من السنة .

٣ — ١,٤٣ سنة كانت لازمة للانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب فى مجال إضافة المضادات الحيوية على علف الخنازير فى حين أن المدة المطلوبة للانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى لنفس الفكرة كانت ٠,١٨ من السنة .

٤ — وجد « ديميت » أن ثمة فترة للتبنى متوسطها ٣,٧ سنوات لعدد من الأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة وإدارة المزارع بلغ عددها إحدى عشرة فكرة . أما طول فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى فإنها تراوحت ما بين ١,٣٥ سنة و٢,٠٦ سنة لنفس العدد من الأفكار المستحدثة . لقد انتهى « ديميت » إلى وجود فترة زمنية بين مرحلتى الإدراك والتجريب أطول من الفترة التى تقع بين مرحلتى التجريب والتبنى وذلك بالنسبة لأية فكرة مستحدثة .

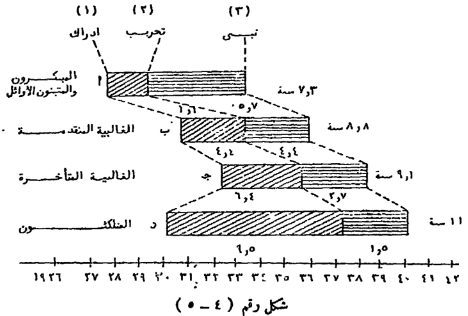
وشواهد البحث توحى بأن مرحلة التبنى من شأنها أن تتبع مباشرة مرحلة التجريب . على هذا الحال ، يمكن القول إن الجهود التى تبذل لتشجيع الأفكار المستحدثة قد تعمل على الإسراع بعملية التبنى . لقد درس « كلونجلان » وآخرون عام ١٩٦٠ أثر تجربة حرة لمحلول كيمائى جديد لمكافحة الأعشاب الضارة كان قد عرض على عدد من المزارعين فى ولايات الغرب الأوسط من قبل إحدى شركات الكيماويات الزراعية . لقد قدر هذان الباحثان أن التجربة الحرة عجلت بعملية التبنى فيما يختص باستخدام المحلول الكيماوى المبيد للحشائش الضارة بما يقدر بعام .

الفترات التى تمر بين مرحلتى الادراك والتجريب وبين هذه ومرحلة التبنى لدى المتبنين للأفكار المستحدثة بشتى فئاتهم :

سبق القول إن المتبنين الأوائل يقضون فى مرحلة التبنى فترة زمنية أقصر من تلك التى يقضيها المتبنون الأواخر . وإذا ما حاولنا أن نقسم فترة التبنى إلى فترتين زمنيتين صغيرتين ، وهما الفترة التى يقضيها المتبنى فى انتقاله من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب ، وفى انتقاله من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى ، فإن ذلك من شأنه أن يزودنا ببصيرة أكبر فى مجال تفهم هذا القول الذى أسلفناه .

والآن نورد قولين عامين آخرين أكثر تفصيلاً هذه المرة :

١ — الفترة التى تمر من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب أقصر لدى المتبنين الأوائل منها لدى الأواخر . وهذا القول يتفق وما سبق أن قيل عن طول فترة التبنى لدى المتبنين بشتى فئاتهم . ويوضح شكل رقم (٤ — ٥)



شكل رقم (٤ — ٥)

طول فترة الانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب وفترة الانتقال من هذه إلى مرحلة التبنى فى مجال استخدام بذرة الذرة الهجين بالنسبة لفئات المتبنين المختلفة .

أن المبتدعين والمتبنين الأول لفكرة استخدام بذور الذرة الهجين احتاجوا إلى فترة زمنية مقدارها ١,٦ سنة لكى ينتقلوا من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب فى حين أن أواخر المتبنين احتاجوا إلى ٩,٥ من السنوات. والواقع أن الفرد العادى من فئة المتأخرين فى تبنى هذه الفكرة لم يتنبه إلى وجود البذرة الهجين إلا بعد أن انتهى المبتكر العادى والمتبنى المبكر العادى من تجريب الفكرة الجديدة .

٢ — الفترة التى تنقضى ما بين مرحلتى التجريب والتبنى تكون أطول لدى المتبنين الأوائل منها لدى الأواخر . وللوهلة الأولى ، يبدو هذا القول متعارضاً مع واقع هؤلاء فيما يختص بفترة التبنى الكامل والفترة التى تقع بين الإدراك والتجريب إذ أنه بالقياس إلى ماهو حادث بالنسبة إلى المتبنين الأواخر ، يحتاج المتبنون الأوائل إلى سنوات أكثر لكى ينتقلوا من التجريب الى التبنى . ومع ذلك ، لايوجد تعارض حقيق بين هذين القولين .

وطالما أن المتبنين الأوائل يتعرضون عادة لمجازفة أكبر نسبياً فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة ، خلال الفترة التى يتبنونها فيها ، نجدهم يبدأون محاولتهم بزرع نسبة مئوية ضئيلة من مجموع أراضيهم بالذرة الهجين . والمبتكرون للأفكار والمتبنون الأول لها يجدون أنفسهم عادة بلا سوابق يسترشدون بها ، بل إنهم يوجدون السوابق لمن يأتى بعدهم من المتبنين لهذه الأفكار . وبسبب ضخامة هذه المغامرة الذاتية بالنسبة لهاتين الفئتين ، فإنهما يحتاجان عادة إلى فترة انتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى أطول من الفترة التى يحتاجها أفراد الفئات الأخرى. والمتبنون الأول يحتاجون عادة إلى عدد أكبر من السنوات لكى ينتقلوا من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى الكامل لفكرة استخدام البذرة الهجين . والشكل (رقم ٤ — ٥) يبين أن المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين الأول يقضون فترة فى

الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى (٥,٧ سنوات) وهذه الفترة أطول من تلك التى يقضيها المتأخرون (١,٥ سنة) .

وطالما أن الفترة التى تنقضى ما بين الإدراك والتجريب أطول من تلك التى تنقضى بين التجريب والتبنى ، فإن فترة التبنى الكامل تكون فى العادة أقصر نسبياً عند المتبنين الأوائل (٧,٣سنوات كما هو ظاهر فى شكل ٤-٥) منه عند أى فئة أخرى من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة . ومنهم المتأخرون (١,٥ سنة) .

وثمة شواهد أخرى على هذا الذى ذكرناه هنا عن البذرة الهجين أدلى بها « رايان » عام ١٩٤٨ فى بحثه عن ذيوع فكرة الذرة الهجين فى ولاية « أيووا » إذ قال : « وكما ينبغى أن نتوقع ، نرى أن المزارعين الذين تلكأوا فى تبنى هذه الفكرة أقبلوا عليها بكل قوة بحيث انتهى بهم الأمر بعد فترة قصيرة إلى زراعة كل أرضهم بهذه الطريقة . ومع ذلك ، ظهر أن التاريخ الذى تحقق فيه التبنى الكامل لهذه الفكرة أسبق فى الترتيب من التاريخ المماثل لدى فئة المتبنين الأوائل للفكرة » .

ومن الواجب أن نأخذ فى الاعتبار هنا أن حديثنا عن الفترة اللازمة للانتقال من مرحلة الإدراك إلى التجريب والانتقال من هذه الأخيرة إلى التبنى ، مؤسس تأسيساً كاملاً على فكرة مستحدثة واحدة ، ألا وهى فكرة الذرة الهجين ، وهذا قد لا يصدق بالنسبة للأفكار المستحدثة الأخرى .

تبنى الأفكار المستحدثة على أقساط :

والمتبنون الأوائل ليس فقط يحتاجون إلى فترة انتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى أطول من الفترة التى يحتاجها المتبنون الأواخر ، ولكنهم يجربون أيضاً الأفكار المستحدثة بشكل اجتهادى . والأطباء الممارسون الذين

استخدموا عقار « الجامانين » قبل غيرهم كانوا يستخدمونه فى مرحلة التجريب بكميات قليلة جداً . هذه المعلومات ، وكذلك تلك المستمدة من دراستين أخريين أجريتا على بذور الذرة الهجين ، تظهر فى الجدول (٤-٢). والقاعدة التى نستخلصها من هذه المعلومات هى أن المتبنين الأوائل يجربون عادة الأفكار المستحدثة على نطاق أضيق مما يفعل المتبنون الأواخر . والمبتكرون للأفكار المستحدثة ، بمقارنتهم بالمتلكئين ، ينتقلون من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى على أقساط متزايدة وهم يجربون الفكرة المستحدثة بدفعة كبيرة فى البداية .

والدراسة التى قام بها « هيبر » على تبنى فكرة المعامل اللغوية من قبل المدارس الثانوية فى الولايات المتحدة ، من شأنها أن تدعم هذه القاعدة العامة التى نحن بصددها . لقد اختتم « هيبر » بحثه بالآتى : « يبدو تماماً أن أولئك الذين يعرفون كيف يستخدمون الفكرة المستحدثة يعرفون أيضاً أن الأمر يحتاج إلى فحص شامل . أما أولئك الذين لم يسبق لهم أن استخدموا هذه الفكرة المستحدثة فإنهم يقبلون عليها فى اندفاع كبير وبخاصة فى الأجزاء التى تحتاج إلى روية وإعمال فكر » .

وبالرغم من الفحوص العديدة التى يجريها رجال الصناعة على المنتجات الجديدة ويذيعونها على الناس ، يتردد الناس فى تبنى الفكرة المستحدثة ويظلون بعيدين عنها إلى أن يجربونها بأنفسهم ويخرجون من التجربة راضين عنها . وفى الدراسة التى أجريت على استعمال الذرة الهجين فى ولاية « أيووا » ما من مزارع واحد ذكر عنه أنه زرع كل أرضه بالذرة الهجين فى سنته الأولى . وحتى الخبرات التى يحصل عليها المتبنون الأوائل للأفكار المستحدثة لا تكفى لإقناع المبتكرين الأواخر الذين لا ينفكون يظهرون قدراً من التردد فى أثناء محاولاتهم لتجريب الأفكار الجديدة .

ونحن مازلنا فى حاجة إلى دراسات أخرى نجريها على فترة التبنى .

جدول رقم (٤ — ٣)

المتبنون الأوائل يجربون الأفكار المستحدثة على نطاق أضيق من النطاق الذى يجرب فيه المتبنون الأواخر

سنة تجريب الذرة الهجين من قبل ٢٧٥ فلاحاً من ولاية « أيـــووا »	النسبة المئوية للأرض المزروعة بالذرة الهجين فى السنة الأولى .	سنة تجريب الذرة الهجين من قبل ٤٣٣ فلاحاً من ولاية « أيـووا ».	النسبة المئوية للأرض المزروعة بالذرة الهجين فى السنة الأولى	تاريخ تجريب عقار الجامابين من قبل ١٢٥ طبيباً .	عدد التذاكر الطبية خلال ثلاثة أيام
قبل سنة ١٩٣٦	١٣ ٪	قبل سنة ١٩٣٥	١٩ ٪	الشهران الأولان عقب ظهور العقار	١ر٥
١٩٣٦ — ١٩٣٧	١٩ ٪	١٩٣٥ — ١٩٣٦	٢٧ ٪	الشهران الثالث والرابع	٢ر٠
١٩٣٨	٢٥ ٪	١٩٣٧	٢٨ ٪	الشهران الخامس والسادس .	٢ر٧
بعد سنة ١٩٣٨	٤٢ ٪	بعد سنة ١٩٣٧	٤٤ ٪	الشهران السابع والثامن .	٢ر٦

والهدف البعيد لهذه الدراسات قد يكون الحصول على توجيهات يهتدى بها دعاة التغيير الاجتماعى لعلهم ينجحون فى تقصير الفترة التى تقضى فى عملية تبنى الأفكار المستحدثة ومن ثم تلك التى تقضى فى عملية ذيوعها بين الناس.

فترة التبنى فى عملية ذيوع الأفكار المستحدثة :

وفى حين أن عملية التبنى هى العملية العقلية التى يمر فيها الفرد فى انتقاله من مرحلة السماع عن الفكرة إلى مرحلة تبنيها ، نجد أن عملية الذيوع هى انتشار فكرة جديدة من المصدر الذى أطلقها أو أوجدها حتى وصولها إلى المتبنين أو المستخدمين لها .

وطول الفترة التى تتميز بها عملية التبنى يحسب عادة من الوقت الذى يصبح فيه الفرد مدركاً للفكرة المستحدثة إلى الوقت الذى يتم فيه التبنى الكامل لها وذلك فى نطاق تنظيم اجتماعى معين . وفترة الذيوع اللازمة لجماعة من الناس لكى يحققوا حالة التبنى الكامل لفكرة من الأفكار هى ، على الأقل جزئياً ، مظهر أساسى من مظاهر طول فترة التبنى بالنسبة للأفراد الذين يأخذون بالأفكار المستحدثة . هذا الأمر قد لا يكون مظهراً وظيفياً يسير فى خط واحد . وإن الفكرة المستحدثة التى لها فترة تبنى قصيرة نسبياً (فى المتوسط) من الجائز أن يكون لها فترة ذيوع قصيرة نسبياً . وكلما زادت فترة التبنى طولاً (فى حالة أفكار مستحدثة أخرى) ، من الجائز أن تصبح فترة الذيوع أطول بنفس النسبة .

المبتدعون للأفكار المستحدثة والمتبنون الأوائل لها يقضون فترة انتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب أقصر (١,٦ سنة) من الفترة التى يقضيها المتلكئون (٩,٥ سنة) . هؤلاء المتبنون الأوائل أصبحوا مدركين للفكرة المستحدثة قبل المتبنين الأواخر بعدد من السنوات ، ولكنهم انتقلوا بسرعة أكبر إلى مرحلة التجريب (فى هذا

المثال وهو السبق فى مجال استخدام بذور الذرة الهجين فى الزراعة) بعد أن تمت مرحلة الإدراك .

والمبتكرون والمتبنون الأوائل لديهم فى المتوسط فترة انتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى أطول (٥,٧ سنة) من الفترة التى يقضيها المتلكئون (١,٥ سنة). هؤلاء المتبنون الأوائل يتعرضون عادة لمغامرة أكبر عندما يتبنون الفكرة الجديدة وهى فكرة استخدام بذور الذرة الهجين وعلى ذلك نراهم يزرعون نسبة أقل من أرضهم بهذه البذور . إنهم فى حاجة إلى عدد من السنوات أكبر لكى ينتقلوا من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى الكامل للفكرة.

الخلاصـــة

عملية التبنى هى العملية العقلية التى يمر فيها الفرد من وقت أن يسمع عن فكرة جديدة حتى التبنى النهائى لها . هذه العملية التى يتم بمقتضاها تبنى الأفكار المستحدثة إنما هى شبيهة بالطريقة التى يحدث بها التعلم .

وعملية التبنى تتمثل عادة فى مراحل خمس هى : الإدراك ، الاهتمام ، التقييم ، المحاولة والتجريب ، وأخيراً التبنى . وفى مرحلة الإدراك يتعرض الفرد للفكرة المستحدثة ولكن تنقصه الدراية والمعلومات الكاملة عنها . وبعد هذا التعرض ، يصبح الفرد على درجة من الاهتمام بالفكرة المستحدثة بحيث يبدأ فى البحث عن معلومات عنها ترضى رغبته فيها وهذه هى مرحلة الاهتمام . وفى مرحلة التقييم يقوم الفرد بالتطبيق العقلى على موقفه الحاضر والمستقبل ومن ثم يقرر ما إذا كان ينوى تجربة الفكرة أم لا . والفرد يستخدم الفكرة المستحدثة على نطاق ضيق حتى يستطيع أن يقرر مدى فائدتها بالنسبة لموقفه فى مرحلة التجريب . وفى مرحلة التبنى يقرر الفرد الاستمرار فى الاستخدام الكامل للفكرة المستحدثة . والشواهد المستقاة من الدراسات والبحوث المختلفة تدل على أن فكرة الخطوات الخاصة بالتبنى قد تكون فى حد ذاتها سليمة .

والفكرة المستحدثة قد ترفض فى أية مرحلة خلال عمليـــة التبنى . والتوقف عن استخدام الفكرة المستحدثة هو قرار الامتناع عن الاستعانة بالفكرة بعد أن يكون الفرد قد بدأ فى تطبيقها فعلاً . والمتبنون الأواخر معرضون فى أغلب الأحايين للتوقف عن استخدام الأفكار المستحدثة وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأوائل .

والاتصال الشخصى يتضمن التبادل المباشر الذى يتم بين شخصين هما المؤثر (الموجب) والمتأثر (السالب) . ومصادر المعلومات غير الذاتية تكون على أكبر درجة من الأهمية فى مرحلة الإدراك فى حين أن المصادر الذاتية تكون هامة فى مرحلة التقييم أثناء عملية التبنى . ومصادر المعلومات الكونية — أى المنفتحة على العالم الخارجى — تبلغ ذروة الأهمية فى مرحلة الإدراك فى حين تصبح مصادر المعلومات المحلية أكثر ما تكون أهمية فى مرحلة التقييم .

وفترة التبنى هى الفترة اللازمة للشخص لكى يمر فى عملية التبنى منتقلاً من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التبنى . والإدراك يقع بمعدل أسرع من معدل التبنى فى تنظيم اجتماعى . وثمة شواهد قليلة تثبت بأن النقص فى المعلومات المتعلقة بالأفكار المستحدثة من شأنها أن تؤخر تبنى الناس لها .

والأشخاص الأول فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يحتاجون عادة إلى فترة تبنى أقصر من تلك التى يحتاجها المتبنون الأواخر . والجزء من فترة التبنى الواقع بين مرحلتى الإدراك والتجريب يكون أطول من الجزء الواقع بين التجريب والتبنى . والفترة الواقعة بين الإدراك والتجريب أقصر بالنسبة إلى المتبنين الأوائل من تلك المتعلقة بالمتبنين الأواخر . على أن فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى تكون عادة أطول بالنسبة إلى المتبنين الأوائل منها بالنسبة للأواخر . والمتبنون الأوائل يجربون الأفكار المستحدثة على نطاق أضيق من النطاق الذى يجرب على أساسه المتبنون الأواخر .

الفصل الخامس
الصفات المميزة للفكرة المستحدثة

« واستقبالنا للفكرة المستحدثة ليس عملا عفوياً أو طارئاً وإن بدا الأمر فى بعض الأحايين هكذا . وإن طبيعة الفكرة هى فى ذاتها عامل أساسى من العوامل التى تحدد موقفنا حيالها . »

(هومر بارنت عام ١٩٥٣)

وفى أى تنظيم اجتماعى تنتشر بعض الأفكار المستحدثة بين أفراده ويأخذ هذا الانتشار مسيرته ابتداء من ظهور الفكرة حتى ذيوعها الكامل فى بحر سنوات قليلة . ما هى السمات المميزة للأفكار المستحدثة والتى تؤثر على معدل السرعة الذى تنتشر الفكرة المستحدثة بمقتضاه ؟

وهدف هذا الفصل هو اقتراح قائمة بالصفات المميزة التى تتسم بها أية فكرة مستحدثة وذلك رغبة منا فى إظهار الكيفية التى يتفهم بها الأفراد هذه السمات وتوضيح كيف يستخدمونها للتنبؤ بمدى السرعة التى يتبنون بها الأفكار المستحدثة . وبوجه عام ليس لدينا سوى عدد قليل من الدراسات التى تهدف إلى التغلغل فى طبيعة هذه الموضوعات . هذه الدراسات ليس من أهدافها تناول المشكلات الأخرى الأساسية المذكورة فى هذا الكتاب . والقضايا المذكورة هنا ذات طبيعة افتراضية ولا تقوم على أسس تجريبية تعمل على تدعيمها .

والدراسات السابقة ركزت اهتمامها على عمليتى الانتشار والتبنى للأفكار الجديدة وليس على هذه الأفكار ذاتها . وهذه الدراسات اتجهت نحو اعتبار جميع الأفكار المستحدثة وحدات متساوية ومتكافئة من

ناحية التحليل ومقتضياته . على أن هذا القول لا يخرج عن كونه إمعاناً في التبسيط له مخاطره إذ توجد شواهد على أن ليست جميع الأفكار المستحدثة وحدات متكافئة ومن هذه الشواهد أن بعض المنتجات التي تخرج إلى السوق يومياً تسقط في حين أن البعض الآخر يصادف نجاحاً . وهناك في « نيويورك » الآن مؤسسة صناعية تقوم بدراسات توحي بأن ٢٣ سلعة من ٢٦ سلعة تخرج إلى السوق تفشل . هذه النسبة العالية من السلع الفاشلة التي نجدها في المنتجات الجديدة أشارت إليها أيضاً مؤسسة كبيرة من المؤسسات الإعلانية في أمريكا إذ قالت بأنه من بين كل ٢٥ سلعة تخضع للفحص الفني تحظى واحدة فقط بالتقدير المطلوب . لقد قدرت وزارة التجارة الأمريكية بأن ٩٠ ٪ من كافة المنتجات الجديدة تفقد قيمتها في السوق في بحر أربع سنوات من خروجها إليه .

والعديد من الشركات والمؤسسات الصناعية في العالم تحاول أن تتنبأ بمدى تبني الناس لفكرة من الأفكار المستحدثة قبل أن تتم تصنيعها وتصديرها إلى الأسواق على نطاق واسع . والمثال التالي يوضح واحدة من هذه السقطات . وقصة الدواء الذي سقط يوضح لنا بعض المصاعب التي ينطوي عليها التنبؤ بمدى تبني الناس لفكرة من الأفكار حتى بعد إجراء الاختبارات المتعددة على الدواء وعلى المتعاطين له .

الدواء الذي لم يكتب له النجاح :

وقصة « الأنالوزي » ، وهو مزيج مسكن للآلام المعوية ، تزودنا بما يثبت أنه إذا كانت نتائج الفحوص التي تجرى على المستهلكين ملائمة فبالرغم من ذلك قد تفشل السلعة الجديدة وقد لا تجد من يشتريها . ورجال الأعمال الذين وقفوا خلف إنتاج هذا الدواء تأثروا كثيراً بالحقيقة الواقعة وهي أن الأمريكان يتناولون كميات هائلة من المسكنات . ولما كان

هذا هو الواقع ، فقد تساءلوا قائلين ، أليس مما لا يقبل الشك أن المسكن الذى يؤخذ بدون الماء يجد سوقاً رائجة ؟ ولإدراكهم للنجاح الذى لاقته حبوب « الأنتاسيد » المسكنة فقد قرروا بعد ذلك أن يجعلوا من عقار « الأنالوزى » خليطاً جامعاً .

وأنتجت معامل الشركة الدواء المطلوب بالشكل الذى ارتآه كبار المنفذين والمسئولين بالشركة وكانت الحبوب الجديدة ذات مذاق يشبه طعم الكرز . وبمعاونة دار كبيرة من دور الإعلان فى نيويورك ، قدمت المصانع عينات من « الأنالوزى » ومعه منتجات أخرى منافسة إلى مجموعة من الخبراء يمثلون المستهلك . لقد جاء حكم هؤلاء الخبراء فى جانب « الأنالوزى » بشكل واضح تماماً .

حدث بعد ذلك أن كتبت شركات الإعلان التى تولت الدعاية لهذا المسكن تقول إن « الأنالوزى » مزيج مسكن ومزيل للحموضة فى نفس الوقت وهو « يذوب بدون الماء » . وجاءت نتيجة التحريات تثبت أن الدعاية فعالة للغاية . كذلك كانت العبوات خفيفة أنيقة والثمن معقول . بعد ذلك أرسل « الأنالوزى » وسط حملة كبيرة من الدعاية والإعلان إلى الأسواق الهامة مثل « دنفر » ، و « ممفيس » و « فونيكس » و « أوماها » . لقد كان المتعهدون متحمسين بدرجة كبيرة كما كانت الآمال فى النجاح هائلة . وتبدأ التقارير عن البيع تترى . وبالرغم من كافة مظاهر الاهتمام والعناية اتضح أن الجمهور لم يقبل على الشراء إقبالاً كبيراً . ومرت الأسابيع ولم يطرأ أى تحسن على الموقف وأخيراً سحب المنتج حبوب « الأنالوزى » من هذه الأسواق الهامة .

وبعد أشهر من الدراسة والفحص الدقيق المتصل ، انتهى الرأى إلى أن الخطأ القاتل جاء من الحملة التى تقول إن « الأنالوزى » يذوب بدون الماء . ولقد ثبت أن الذين يعانون من الصداع يربطون بطريقة لاشعورية

بين أى مسكن يتعاطونه وبين الماء وعلى ذلك فهم لايثقون فى دواء يذوب فى الفم .

النتائج المستمرة من هذه الواقعة :

يبين هذا المثال أن المستهلكين لم ينظروا إلى الدواء الجديد باعتباره من الأمور التى تنسجم وقيمهم السائدة بشأن أهمية الماء كجزء لايتجزأ من علاج الصداع . والصفات المميزة للفكرة المستحدثة لها دخل كبير فى تقرير مدى إقبال الناس عليها . إن الصفة المميزة للسلعة الجديدة هى التى تقرر كل شىء ، الصفة لا كما يراها الخبراء ولكن كما يتخيلها الجمهور وهو العامل الفعال فى هذا المجال . لقد أكد « ويسين » هذه النقطة عام ١٩٦٠ بعد أن استخدم عدة حالات على سبيل المثال لكى يدلل على أن « نجاح الفكرة المستحدثة أو فشلها يتوقف أساساً على طبيعة ما هو « جديد » فعلاً فى هذه الفكرة — الجديد كما يراه الفرد العادى المستفيد من تبنى الفكرة » .

الصفات المميزة للأفكار المستحدثة :

لايهم كثيراً أن تكون للفكرة المستحدثة ميزة كبيرة على الفكرة التى تحل محلها أم لا . ولكن الذى يهم هو هل الفرد يلاحظ الفائدة النسبية للفكرة المستحدثة أم لا يلاحظ . وبنفس الطريقة ، يمكن القول إن قدرة المتبنى للفكرة المستحدثة على تخيل انسجامها مع قيمه السائدة وتعقدها وقابليتها للتقسيم والنقل إلى مجالات جديدة هى التى تؤثر على قابليتها للتبنى .

وفى هذا القسم من الكتاب ، نقوم نحن بالحديث عن صفات خمس مميزة للأفكار المستحدثة وذلك بغرض تحديد معالم هذه الصفات . وكل صفة من هذه الصفات الخمس تختلط اختلاطاً كلياً بالصفات الأخرى وإن كان كل منها متميزاً بذاته . واختيار هذه الصفات الخمس قد تم على أساس

الكتابات السابقة والبحوث القديمة وكذلك الرغبة العميقة فى الوصول إلى صيغ عامة . وكل ما نطلبه الآن إنما هو مجموعة من الصفات المميزة للأفكار المستحدثة بحيث تكون جامعة مانعة بقدر الإمكان . هـــذه الصفات الخمس هى :

١ — الميزة النسبية .
٢ — الانسجام مع القيم السائدة لدى الفرد .
٣ — التعقد والتشابك مع افكار أخرى .
٤ — القابلية للتقسيم .

وأخيراً :

٥ — القابلية للانتقال من فرد ومن بيئة إلى أخرى .

الميزة النسبية :

والميزة النسبية هى درجة تفوق الفكرة المستحدثة على غيرها من الأفكار السابقة لها . ودرجة التفوق النسبى هذه يقصد بها عادة مدى الفائدة الاقتصادية التى تعود على الأشخاص الذين يتبنون الفكرة المستحدثة . ولكن أبعاد هذا التفوق يمكن أن تقاس بأساليب أخرى غير أسلوب الفوائد الاقتصادية . فمثلاً إحدى الميزات الأساسية التى يمتاز بها المحلول الكيماوى المزيل للحشائش الضارة على غيره من المواد الكيماوية المستخدمة فى هذا المجال هى التقليل ما أمكن من الأعمال البدنية والجهود المضنية وهذا فى حد ذاته فائدة اقتصادية تفوق الكسب المادى المترتب على زيادة المحصول .

والميزة النسبية لأية فكرة جديدة يمكن أن تتأكد عن طريق أزمة تحدث فجأة . ولقد درس «ويكلننج» عام ١٩٥٣ أثر التغير المناخى المفاجىء على تبنى مزارعى «وسكونسن» للأعلاف المجففة التى تخزن عادة فى

صوامع مغلقة للاستعمال عند ما يسوء الطقس.ووجد أن النسبة المئوية للمزارعين الذين استخدموا هذا النوع من الأعلاف ارتفعت من ١٦ ٪ عام ١٩٥٠ إلى ٤٨ ٪ عام ١٩٥١ . لقد جعلت الأمطار والثلوج التى هبطت بغزارة عام ١٩٥١ تجفيف الدريس وإعداده لطعام الماشية من الأمور الصعبة وعلى ذلك تحول العديد من الفلاحين إلى استخدام الأعلاف المجففة . ولو لم تكن المزية النسبية لفكرة الأعلاف المجففة قد حظت بالقدر الكافى من الدعاية والإعلام فى أوساط الفلاحين ، لما كان للطقس وأزمته المفاجئة تأثيره الكبير فى تلك السنة .

وبطريقة مشابهة ، عمل التهديد المفاجىء للسلم العالمى ، وهو التهديد الناتج عن تأزم الأوضاع الدولية بسبب مشكلة « برلين » ، على الإسراع ببناء المخابىء الذرية فى الولايات المتحدة . لقد عملت الدراسات والبحوث المختلفة على تأكيد الفكرة القائلة بأن الأزمات المفاجئة من شأنها أن تدعم الميزة النسبية للفكرة المستحدثة كما تؤثر على سرعة تبنى الناس لها . فمثلاً ، « ملفورد » عام ١٩٥٩ انتهى إلى أن الأزمة الاقتصادية تسببت فى زيادة تبنى أهالى ولاية « أيووا » لفكرة تكوين اللجان المختصة بالتنمية الصناعية . كذلك أوضح « سزرلند » عام ١٩٥٩ أن إحدى الأفكار المستحدثة فى عالم غزل القطن انتشرت فى أوساط الغزالين فى إنجلترا انتشاراً مفاجئاً بسبب النقص فى الأيدى العاملة فى أثناء الحرب العالمية الثانية . ووجد « برتراند » عام ١٩٥١ أن أزمة العمال الزراعيين المنضمين للاتحادات والنقابات وكذلك النقص فى الأيدى العاملة المتسبب عن الحرب عاونا على انتشار الميكنة الزراعية فى ولاية « لويزيانا » .

وثمة بحثان آخران يدلان على أن أى حادث حاسم قد يعطل انتشار الفكرة المستحدثة وإن كان الناس فى العادة من شأنهم أن ينهضوا إلى العمل عقب انتهاء الأزمة وبذلك يعوضون ما فاتهم . لقد وجد «أدلر » أن

الأزمات الاقتصادية والحروب قد عملت على تأخير انتشار الأفكار المستحدثة فى مجال التربية والتعليم ولكنه وجد أيضاً أن المسئولين عن المدارس والتعليم زادوا من سرعة تبنيهم للأفكار الجديدة بمجرد انتهاء الأزمات . أما « بمبرتون » فقد وجد عام ١٩٣٧ حالة مشابهة لتلك فى دراسته التحليلية لحركة الانضمام لعضوية المنظمة القومية للآباء والمعلمين إذ وجد أن الحرب العالمية الأولى وما أعقبها من أزمة اقتصادية عملت على عرقلة حركة تبنى الأفكار الجديدة ولكن أفراد المجتمع الذى أجريت فيه الدراسة هبوا إلى تعويض ما فاتهم بمجرد أن انتهت الحرب واختفت آثارها .

والميزة النسبية للفكرة المستحدثة يمكن أن تؤكدها أيضاً الجهود القوية الدافعة التى تبذلها الأجهزة ذات التأثير فى مجال التغيير الاجتماعى . فمثلاً حاول « روس » عام ١٩٥٢ تحديد الأسباب التى عملت على الانتشار السريع نسبياً لفكرة إدخال قيادة السيارات فى برامج المدارس الثانوية . إن خمسة عشر عاماً لا بد فى العادة أن تنقضى قبل أن يتبنى الفكرة التربوية الحديثة الثلاثة فى المائة الأولى من المدارس العامة فى الولايات المتحدة . ومع ذلك فإن ٨٧ ٪ من المدارس فى البحث الذى قام به « روس » أدخلت برنامج قيادة السيارات فى الخمسة عشرة عاماً الأولى . ما السر فى أن هذا البرنامج تبنته المدارس العامة بهذه السرعة ؟ إن الخدمات التى يقدمها متعهدو بيع السيارات للمدارس واستعدادهم الدائم لتأجير سياراتهم لمعلمى مادة قيادات السيارات دون مقابل والجهود التى تبذلها شركات التأمين لتشجيع هذا الاتجاه وكذلك جهود رابطة السيارات الأمريكية كل هذه عاونت على تأكيد الميزة النسبية للفكرة الجديدة . ونحن بالطبع لا نغفل هنا حقيقة أخرى ألا وهى ظهور الحاجة إلى تعليم التلاميذ قيادة السيارات عقب الزيادة الهائلة فى عدد الحوادث التى تسببها القيادة الخاطئة للسيارات .

وإن خطورة هذا الأمر وما يستدعيه من ضرورة التفكير فى طريقة لتلافيه إنما هو دليل على الميزة النسبية للفكرة الجديدة .

الخلاصة أن الميزة النسبية للفكرة المستحدثة تستحق منا تفكيراً وإدراكاً عميقين ، ومن الممكن القول إن الميزة النسبية للفكرة الجديدة — كما يتخيلها أفراد المجتمع الذى تظهر فيه — تؤثر على مدى انتشارها بين هؤلاء الأفراد .

٢ — انسجام الفكرة المستحدثة مع القيم السائدة :

والانسجام هو درجة اتفاق الفكرة المستحدثة مع القيم السائدة لدى المتبنين لها وتجاربهم السابقة . والفكرة التى لا تنسجم مع المعايير الثقافية للتنظيم الاجتماعى لا تلاقى انتشاراً سريعاً مثل الفكرة التى تنسجم مع هذه المعايير . والانسجام من طبيعته أن يزود المتبنى المرجى بقدر أكبر من الطمأنينة والأمان كما أنه يجعل الفكرة المستحدثة يسيرة الفهم بالنسبة له . ويوضح لنا هذه النقطة ، وهى عدم انسجام الفكرة المستحدثة مع المعايير السائدة فى المجتمع ، الدعوة إلى تنظيم النسل فى البلدان التى يحول دينها دون تشجيع هذا الاتجاه . كما أن عدم انسجام فكرة تجفيف اللحوم وتصنيعها لأغراض التسويق الخارجى فى الهند مع القيم الثقافية السائدة فيها يحول دون انتشار الفكرة فى هذه الدولة .

والفكرة المستحدثة قد تكون منسجمة ليس فقط مع القيم الثقافية ولكن مع الأفكار الأخرى التى سبق أن تبناها أفراد المجتمع كذلك . وانسجام الفكرة المستحدثة مع فكرة قديمة فى المجتمع سبق أن نظر إليها نظرة سيئة قد يعطل تبنيها من قبل أفراد هذا المجتمع . وهكذا يمكن القول بأن الانسجام قد يساعد إما على نشر الفكرة الجديدة أو تعطيل انتشارها . والأفكار القديمة هى الأدوات الأساسية التى تستخدم فى تحديد القيمة

الذاتية للأفكار الجديدة . والإنسان لا يستطيع أن يحدد موقفه إزاء الفكرة المستحدثة إلا على أساس ماهو مألوف وما هو قديم . ودرجة انتشار الفكرة الجديدة تتأثر بالفكرة القديمة التى تحل محلها . على أنه من الواضح إذا كانت الفكرة الجديدة تتفق اتفاقاً كاملا مع ما هو سائد فى المجتمع فعلا، لا نتفت إذن الجدة عن تلك الفكرة .

وثمة عدة دراسات ترينا أن صفة الانسجام هذه فى الفكرة الجديدة ، كما يتخيلها الناس فى تنظيم اجتماعى معين ، تؤثر إلى حد بعيد على درجة انتشارها .

لقد وجد « جراهام » عام ١٩٥٦ أن ٢٤ فى المائة فقط من الأغنياء فى المجموعة التى طرح عليها استفتاءه يتسلون بمشاهدة العروض التليفزيونية فى حين أن ٧٢ فى المائة من فقراء هذه المجموعة فضلوا التليفزيون كوسيلة للتسلية . لقد اكتشف « جراهام » أن لعبة الورق المسماة « كاناستا » كانت شائعة لدى ٧٢ فى المائة من أفراد الطبقة العليا كوسيلة من وسائل التسلية ولكن ١٢ فى المائة فقط من أفراد الطبقة الفقيرة يفضلون هذه الطريقة من طرق تمضية وقت الفراغ . أما التفسير لهذه الفروق فى مجال انتشار الأفكار فنجده فى القيم المتعلقة بأفراد الطبقات العليا والدنيا حول طرق التسلية . إن انسجام الفكرة المستحدثة مع القيم الخاصة بالطبقة الاجتماعية لمن شأنها أن تحدد درجة انتشارها .

لقد وجد « براكاريس » عام ١٩٦١ أن قبول الناس لفكرة الفحص ضد السل « تشكل تجسيداً للدرجة التى يمكن أن تبلغها الصفات المميزة للفكرة المستحدثة فى مجال انسجامها مع الأساليب الصحية الموجودة فى البيئة ، ومع الاتجاهات والقيم السائدة لدى الأشخاص موضوع الاستفتاء » .

لقد حاول «هاولى» أن يقرر لم اعتنق هنود «البويبلو» فى «ريوجراندى» المذهب الكاثوليكى فى حين أن هنود «البويبلو» فى ولايات الغرب قاوموه بشدة كبيرة إلى درجة أنهم ذبحوا القسس وأحرقوا المراكز التبشيرية. لقد انتهى «هاولى» فى بحثه إلى أن الكثلكة أكثر انسجاماً مع ثقافة «البويبلو» فى «ريوجراندى»، تلك الثقافة التى تغلب عليها المسحة الأبوية والنظام البطريركى.

وتحدث «سانتوبولو» عام ١٩٦١ عن الصعوبة التى واجهها الأخصائيون الاجتماعيون بولاية «كنتكى» فى إقناع الفلاحين لكى يتحولوا عن زراعة أوراق الدخان والاهتمام بالخضروات التى تستخدم فى صناعة المخللات. وبالرغم من أن هذا النوع الأخير من المحصولات كان مربحاً للغاية فإن الفلاحين رفضوا الفكرة إذ أنهم كانوا ينظرون إلى الخيار على اعتبار أنه قرين الفقر فى حين أن زراعة الدخان كانت من الأمور التى تبعث الفلاحين على الزهو.

وفى قسم من أقسام جنوب ألمانيا قسمت المزارع إلى أقسام صغيرة جداً يطلق عليها عادة «طوابع البريد» وذلك بتأثير عادات التوريث عند سكان هذه المنطقة. لقد حدث أن قامت الحكومة بتجميع هذه القطع الصغيرة من الأرض وأعادت توزيعها على أصحابها بحيث تقع كل مزرعة فى قطعة أرض كبيرة والغرض من ذلك تمكين الفلاحين من استخدام الآلات استخداماً جماعياً ورفع مستوى العمل عن طريق الاستعانة بالخبرة المتاحة للجميع. غير أن موقف الفلاحين من الأرض فى وضعها الجديد لم يتغير. ولقد قابل مؤلف هذا الكتاب بعض المزارعين الألمان الذين عادوا إلى تقسيم أراضيهم إلى خمس وسبعين قطعة صغيرة. لقد برروا هذا العمل من جانبهم قائلين إن البذار والتسميد لابد أن يتما على أساس القطع الصغيرة من الأرض وهم لذلك يقاومون أية جهود لتجميع

القطع الصغيرة من الأرض فى قطعة واحدة كبيرة . لقد كانت فكرة تجميع المزارع تتعارض مع القيم الثقافية لهؤلاء الفلاحين ومالم تتغير هذه القيم لا يمكن فرض الفكرة الجديدة عليهم فرضاً من قبل الأجهزة الحكومية . هذه القضية تشبه إلى حد كبير قضية سكان الحوارى فى المدن الكبيرة فى الولايات المتحدة ، هؤلاء السكان الذين منحتهم الحكومة مساكن جديدة فى عمارات سكنية حديثة بدون أن تحاول تغيير قيمهم أو تعليمهم كيف يستخدمون مساكنهم الجديدة .

لقد حاول « ماك كوركل » عام ١٩٦١ أن يعرف السر فى انتشار الطب الطبيعى فى ريف ولاية « أيووا » ، وهو الطب القائم على أساس تدليك السلسلة الفقرية ، وانتهى إلى أن هذا النوع من الطب يشبع حاجات معينة لدى فلاحى هذه الولاية ويتفق مع قيمهم الثقافية ، وهو من هذه الناحية يفضل الطب التقليدى . والفلاح فى ولاية «أيووا» يستطيع أن يعتمد على الطب الطبيعى عندما تتوعك صحته كما أن هذا النوع من الطب قليل التكاليف ولا يحتاج إلى الاستعانة بالمستشفيات . إن الآلاف من الممارسين للطب الطبيعى فى ولاية «أيووا» لينهضوا شاهداً على أن الفكرة فى ذاتها منسجمة مع ثقافة ريف هذه الولاية .

ووجد « باريسن » عام ١٩٥٤ أن الفلاحين الأستراليين اتبعوا الأساليب الآلية الحديثة بطريقة أسرع من اتباعهم للأساليب غير الآلية . كذلك وجد « براندينو » و « زويرمان » عام ١٩٥٨ أن أساليب المحافظة على تماسك التربة ، تلك الأساليب التى لا تستهدف إلا زيادة المحصول والتى تتطلب أقل قدر من الصيانة ، كانت مفضلة لدى مزارعى ولاية (نيويورك) الذين أقبلوا عليها أكثر من إقبالهم على الأساليب الأخرى المتبعة فى جهات كثيرة مثل التسطيح والتسميد أى أن قيم المزارعين الثقافية

تميل فى هذا الحال إلى أن تكون أكثر انسجاماً مع البدع والمبتكرات الآلية ومع تلك التى تعمل على زيادة الإنتاج .

والأفكار المستحدثة قلما ينظر إليها الناس باعتبارها شيئاً مفرداً ، بل إنهم يتخيلونها ككل متشابك العناصر متداخل الأجزاء قائم على الحداثة والجدة . واعتناق إحدى الأفكار الجديدة قد يفتح الطريق أمام اعتناق أفكار أخرى جديدة . فمثلا شراء الفلاح لجرار آلى قد يؤدى إلى أن يتبنى هذا الفلاح مجموعة كاملة من الآلات والأدوات الزراعية ذات الصلة بالجرار ذاته . طبعاً من الممكن أن يكون الفلاح قد اشترى الجرار لكى يستخدم الأدوات والآلات الملحقة ولكن النتيجة فى كلتا الحالتين واحدة . ومن الواضح هنا أن ثمة وحدة واحدة متشابكة معقدة من الأفكار الجديدة اعتنقها الفلاح وليس مجرد عدد من الأفكار المتناثرة التى لا رابطة بينها .

وواحدة من الدراسات القليلة التى أجريت على خاصية تعقد الأفكار الجديدة هى الدراسة التحليلية التى قام بها « سيلفرمان » و « بيلى » عام ١٩٦١ لعملية تبنى ثلاث أفكار مستحدثة فى مجال زراعة الذرة لدى ١٠٧ مزارعين من ولاية « المسيسبى » . والأفكار الثلاث (التسميد والتهجين والتركيز) مترابطة ترابطاً وظيفياً بطريقة تجعل الاستغناء عن إحداها يؤدى إلى إضعاف مؤكد للمحصول النهائى وهذا العيب فى ذاته أكبر مما لو لم تطبق الأفكار الثلاث كلها . ومعظم الفلاحين إما طبقوا الأفكار الثلاث جميعها ، أو أنهم لم يطبقوا واحدة منها ولكن ٨ فى المائة من الفلاحين طبقوا تركيبات مختلفة لم يصادفها النجاح . ولقد أفاد «سيلفرمان» و «بيلى» بضرورة أن تقوم الهيئات المسئولة عن التغيير الاجتماعى بتبصرة أعداد أكبر من الفلاحين بالتشابك والترابط الموجود بين الأفكار الثلاث المتعلقة بزراعة الذرة .

وثمة عدد من أصحاب المحال التجارية يتبعون طريقة « البيع الشامل » وهى أسلوب يقوم على أعلى درجة من الانسجام بين مجموعة من المنتجات الحديثة . فالغسالة الكهربائية الجديدة تباع لربات البيوت ومعها أدوات أخرى وثيقة الصلة بها مثل المجفف للملابس وآلات الرتق والكى . وبعض خطط التسويق تعتمد على الربط بين سلعة غير مطلوبة وبين فكرة مستحدثة منسجمة مع القيم السائدة وعلى درجة عالية من الميزة النسبية .

ما زلنا فى حاجة إلى تحليل المجموعات المتشابكة من الأفكار المستحدثة فى بحث يتم مستقبلا كما أننا نحتاج إلى دراسة الأفكار فى تسلسل ارتقائى وتقرير درجة الانسجام كما يتخيلها الناس بين الآراء المترابطة .

٣ — التعقد والتشابك مع الأفكار الأخرى :

التعقد والتشابك هو الدرجة التى تكون عليها الفكرة المستحدثة من ناحية الصعوبة النسبية فى مجال الفهم والاستعمال . وأية فكرة جديدة يمكن أن تصنف تبعاً لدرجة تعقدها أو بساطتها . وبعض الأفكار المستحدثة واضحة فى معناها بالنسبة لأفراد التنظيم الاجتماعى والبعض الآخر ليس كذلك . وبالرغم من أن الشواهد ليست قاطعة يمكن القول إن تعقد الفكرة المستحدثة وتشابكها مع غيرها من الأفكار ، كما يتخيلها أعضاء التنظيم الاجتماعى ، يؤثر على درجة انتشارها بين الناس .

وفى عام ١٩٦٠ وجد « كيفلن » أن تعقد الأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة وتشابكها مع غيرها من الأفكار يرتبط ارتباطاً كبيراً مع درجة انتشارها وهذا الارتباط يفوق أى ارتباط آخر بين درجة الانتشار وبين أى صفة مميزة أخرى للفكرة المستحدثة ما عدا الميزة النسبية .

وحاول « جراهام » عام ١٩٥٦ أن يعرف السبب فى أن لعبة الورق المعروفة « بالكانستا » والعروض التليفزيونية ينتشران بدرجتين مختلفتين

فى الأوساط العليا والسفلى من المجتمع . لقد انتهى إلى أن أحد الأسباب هو اختلاف درجة التعقد والتشابك مع أفكار أخرى لكل من الوسيلتين المستخدمتين لتمضية وقت الفراغ . ولعبة الورق المعروفة « بالكانستا » من خصائصها أن يتعلمها الإنسان عن طريق الاتصال بشخص آخر يجيد لعبها والحصول منه على تفاصيل دقيقة متعلقة باللعبة إذ أن خطواتها معقدة وصعبة على من يريد إتقانها . أما التليفزيون فيبدو أنه مجرد فكرة « بسيطة » نسبياً لا يتطلب أكثر من مجرد الضغط على زرار معين .

٤ — القابلية للتقسيم :

والقابلية للتقسيم هى مدى ما يمكن للفكرة المستحدثة أن تجرب على أساس ضيق . والأفكار الجديدة التى يمكن أن تجرب جزءاً جزءاً يقال إنها تنتشر بسرعة أكبر من الأفكار التى لا تقبل التقسيم . وبعض الأفكار التى لا يمكن تقسيمها بغرض تجربتها على نطاق ضيق يجوز أن نخضعها للتجريب على مدى زمنى . يوضح ذلك مثال الفلاح الذى جرب فى ولاية « أوهايو » علفاً جديداً على كل حيوانات قطيعه واستمر فى التجربة أسبوعاً وبعدها أخذ يقارن محصوله من اللبن بما كان يحصل عليه فى الأسابيع السابقة على التجربة . ومهما يكن من أمر ، فإن بعض الأفكار المستحدثة يصعب تقسيمها أكثر من غيرها لأغراض التجريب . على أنه يمكن أن نورد هنا نظرية عامة تصلح لمعظم الحالات وإن كان يعوزها البرهان ، وهذه النظرية تقول إن قابلية الفكرة المستحدثة للتقسيم ، وفقاً لما يراها أعضاء التنظيم الاجتماعى ، تؤثر على مدى انتشارها .

وثمة شواهد مستمدة من عدة بحوث تتلخص فى أن المتبنين الأوائل للأفكار المستحدثة قد ينظرون إلى قابلية التقسيم باعتبار أنها أمر هام وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأواخر . والمتلكئون ينتقلون من مرحلة التجريب المبدئى إلى مرحلة الاستخدام الكامل أسرع مما تفعل فئتا

المبتدعين والمتبنين الأوائل . والأفراد ذوو الاتجاهات النشيطة نحو الأفكار الجديدة لا يجدون أمامهم فى العادة أية سوابق يهتدون بها فى حين أن المتبنين الأواخر يكونون فى العادة محاطين بأقران انتهوا فعلا من تبنى الفكرة المستحدثة . هؤلاء الأقران قد يمثلون بالنسبة للمتبنين الأواخر الجانب السيكولوجى من مرحلة التجريب ومن ثم تكون قابلية التقسيم للفكرة الجديدة قليلة الأهمية بالنسبة لهم .

٥ — القابلية للانتقال من فرد إلى فرد ومن بيئة إلى أخرى :

والقابلية للانتقال يقصد بها خاصية ذيوع نتائج الفكرة المستحدثة وانتقالها إلى الآخرين . ونتائج بعض الأفكار تلاحظ فى سهولة وتنتقل إلى الآخرين فى يسر فى حين أن البعض من الأفكار المستحدثة يصعب وصفها للآخرين . وقابلية الأفكار المستحدثة للانتقال ، كما يتخيلها أعضاء التنظيم السياسى الاجتماعى ، تؤثر على معدل السرعة الذى تنتشر بمقتضاه . والذى يوضح لنا ذلك فكرة مبيدات الحشائش الضارة قبل ظهورها على سطح الأرض إذ أن انتشار هذه الفكرة كان بطيئاً فى أوساط فلاحى الولايات الغربية والوسطى بالرغم من ميزتها النسبية ، وذلك لانعدام الأعشاب الميتة التى يمكن أن يراها الفلاح بعينيه .

لقد قسم « روشكا » عام ١٩٦١ الأفكار المستحدثة فى عالم الزراعة إلى أربع فئات من ناحية قابليتها لأن يراها أو يلاحظها الناس ، وذلك فى بحث استقصائى عن دور الفلاحين النموذجيين فى نشر الأفكار الزراعية الجديدة فى القرى الألمانية . والأفكار التى اعتبرت على درجة عالية من القابلية للانتقال انتشرت دون عائق من الفلاحين الذين طبقوها إلى غيرهم من الجيران والأقربين . لقد أثبت نفس هذا البحث أن عدد القرويين الذين عرفوا شيئاً عن طريقة جديدة لعمل الدريس فاق عدد الذين عرفوا شيئاً عن الطرق الخاصة بمسك حسابات المزارع نظراً لصعوبة انتقال هذه الفكرة .

ويرينا « أرازمس » أن قابلية الفكرة المستحدثة للظهور للعيان إنما هي مهمة بوجه خاص في تقرير درجة انتشارها وذلك في المجتمعات المتخلفة والبدائية . فمثلا في عام ١٩٥١ قامت النقطة الرابعة الأمريكية في « بوليفيا » بإدخال زراعة الذرة الصفراء الكوبية في مدينة واحـــدة من مدن هذه الجمهورية . وفي بحر عامين فاق الطلب المحلي على بذرة هذا النوع من الذرة المعروض منها . لقد كان الفلاحون أميين ولكنهم اقتنعوا بجدوى اعتناقهم للفكرة الجديدة بتأثير النتائج الباهرة للبذرة الجديدة ، تلك البذرة التي ضاعفت محصولهم من الذرة ثلاث مرات تقريباً . لقد كانت نتائج تطبيق الفكرة الجديدة ظاهرة للعيان بشكل واضح كما كانت قصتها على كل لسان إلى درجة أن الوضع العام ما كان في حاجة إلى إجراء مقارنة علمية بين الفكرة الجديدة والأنواع القديمة من البذور حتى يقتنع الفلاحون بجدوى الفكرة الجديدة .

وفي عام ١٩٦٠ قدم « منتزل » فرضاً علمياً يتضمن أن الرأي العام خارج المدينة لا بد أن يكون أكثر قابلية لتبني فكرة « الجامانين » (وهي فكرة سهلة الانتقال من جهة إلى أخرى) منه للأفكار الطبية الحديثة الخاصة بالمرضى وطرق العناية بهم (وهي فكرة ضعيفة نسبياً من ناحية قابليتها للانتقال) . والنتائج التي توصل إليها « منتزل » لم تأت بما يدعم هذا الفرض أو يثبت صحته ولكن ما قام به من عمل يوحي بما سوف يأتي به المستقبل من بحوث في هذا المجال .

ونظرية « أوجبورن » عن التأخر الثقافي تناسب هذا الحوار المتعلق بقابلية الأفكار المستحدثة للانتقال من فرد إلى آخر ومن مكان إلى مكان . لقد ادعى « أوجبورن » أن الأشياء المستحدثة الملموسة تنتشر أسرع من الأفكار المعنوية المبتكرة . ولقد أشار « لينتون » عام ١٩٣٦ إلى أن أحد الأسباب لهذا التأخر الثقافي (تأخر الأفكار المستحدثة غير المادية عن

الأفكار المستحدثة المادية) هو ظهور الأفكار المادية للعين المجردة وقابليتها للانتقال من فرد إلى آخر وهى فى ذلك تفوق الأفكار غير المادية. كذلك قرر « لينتون » أنه : « من الجائز أن تكون الأساليب الفنية المحسوسة ومتعلقاتها هى العناصر الوحيدة التى يقبلها الناس دون عائق » . ونظرية «أوجبورن» عن التأخر الثقافى قد أصابها سوء السمعة فى أوساط المثقفين أخيراً . والواقع أن « بوسكوف » قال عن التفريق بين الأفكار المحسوسة والأفكار المعنوية فى مجال الانتشار أنه طريق مسدود يطرقه الباحثون عن النظريات ولذا فإنه يوصى بالابتعاد السريع عنه .

صفات مميزة أخرى للأفكار المستحدثة

والصفات الخمس المميزة للأفكار المستحدثة ، تلك الصفات التى فرغنا من مناقشتها ، ليست هى الصفات الوحيدة التى اعترف بها الباحثون فى مجال ذيوع الأفكار المستحدثة بل إن ثمة تسعاً وثلاثين صفة مختلفة سبق أن تحدث عنها الباحثون ويمكن أن تندرج تحت الصفات الخمس الرئيسية التى أوردناها فى هذا الكتاب .

وليس من شك فى أن الأمر يتطلب مزيداً من البحث قبل أن تصبح الصفات الخمس الأساسية للأفكار المستحدثة التى أوردناها فى هذا القسم من الكتاب هى الصفات الخمس ذات الأهمية القصوى فى تقرير درجة انتشار الفكرة المستحدثة . وحالياً لا بد من أن نعتبر الميزة النسبية ، والقابلية للانسجام مع القيم السائدة ، والتعقد والتشابك مع أفكار أخرى ، والقابلية للتقسيم ، والقابلية للانتقال من شخص إلى آخر أدوات مفيدة وفعالة فى مجال التحليل الذى يجدر أن نجريه للصفات المميزة للأفكار الجديدة .

الصفات المميزة للأفكار المستحدثة ومعدل انتشارها :

أى الصفات من الصفات المميزة للأفكار المستحدثة أكثر أهمية من حيث التأثير على معدل انتشارها ؟ ثمة دراسات عديدة نجد فيها رداً جزئياً على هذا التساؤل .

ومعدل الانتشار هو السرعة النسبية التى يعتنق أعضاء التنظيم الاجتماعى بمقتضاه الفكرة المستحدثة ، ومعدل الانتشار يقاس عادة بطول الوقت اللازم لنسبة مئوية من بين أعضاء التنظيم الاجتماعى الواحد لكى يتبنوا فكرة مستحدثة معينة .

ومن الجائز أن يكون « كيفلن » قد أنجز أهم دراسة حول العلاقة بين الصفات المميزة للأفكار المستحدثة ومعدل انتشارها . لقد قام بسؤال عشرين خبيراً من خبراء الزراعة لكى يرتب إحدى عشرة صفة مميزة لثلاث وأربعين فكرة مستحدثة فى مجال الزراعة . هؤلاء الخبراء كانوا من أصحاب الباع الطويل فى الزراعة ولهم أثر كبير فى النشاط الزراعى فى إحدى مقاطعات « بنسلفانيا » . أما المادة العلمية المتعلقة بمعدل انتشار هذه الأفكار الثلاث والأربعين فى مجال الزراعة فقد جاءت من ٢٩٩ مزارعاً فى نفس المقاطعة .

لقد وجد « كيفلن » أن ثمة معاملات ارتباط عالية الدرجة بين معدل انتشار الفكرة المستحدثة وبين :

١ — ميزتها النسبية .

٢ — تعقدها وتشابك عناصرها مع العناصر الأخرى .

٣ — قابليتها للانسجام مع غيرها من الأفكار المستحدثة .

على أنه لم يكتشف أية علاقة على جانب كبير من الأهمية بين معدل انتشار الفكرة المستحدثة وبين قابليتها للتقسيم . والتأثير المجمع للصفات

المميزة الأفكار المستحدثة فسر ٥١ فى المائة فقط من التغير الحاصل فى معدل الانتشار وما من صفة واحدة فسرت بمفردها أكثر من ١٦ فى المائة من التغير الحادث فى معدل تبنى الناس للفكرة المستحدثة . وفى نهاية البحث ، وجد « كيفلن » معاملات ارتباط متداخلة وهذه إما منخفضة الدرجة أو سلبية ، وهذه المعاملات وجدها بين أربع صفات مميزة للأفكار المستحدثة التى أجرى عليها الدراسة . هذه الصفات المميزة هى القابلية للتقسيم ، والقابلية للانسجام مع أفكار أخرى ، والتعقد والتشابك فى العناصر المكونة ، والميزة النسبية ، وهذا يوحى بأن هذه الصفات المميزة قد يكون منفصل بعضها عن بعض .

وفى عام ١٩٦١ اتبع « تكر » طريقة « كيفلن » فى دراسة خاصة تقوم على مادة علمية مستقاة من مقاطعة فى ولاية « أوهايو » ووجد أن القابلية للتقسيم ، والقابلية للانسجام مع الأفكار المستحدثه الأخرى ، والتعقد والتشابك ، والميزة النسبية لا تمت بصلة كبيرة لمدى الانتشار بالرغم من أن العلاقات كانت كلها فى الاتجاه المتوقع .

لقد فسر « ما نسفيلد » عام ١٩٦١ ما يقرب من ٥٠ فى المائة من التغير الذى لاحظه على مدى الانتشار المتعلق باثنتى عشرة فكرة مستحدثة فى صناعات استخراج الفحم والبيرة والسكك الحديدية . لقد أرجع مدى الانتشار إلى :

١ — وجود قدر من الكسب المادى من وراء تبنى الفكرة المستحدثة .

٢ — وجود قدر من القابلية للدخول فى علاقات عمل مع المؤسسات الصناعية الأخرى وذلك فيما يختص بالفكرة المستحدثة .

هل هى القابلية للكسب المادى أم القابلية للانسجام مع الأفكار المستحدثة الأخرى؟ :

ثمة جدل كبير يدور حول الأهمية النسبية للكسب المادى (وهو أحد الأبعاد الداخلة فى تكوين الميزة النسبية) مقابل القابلية للانسجام مع الأفكار المستحدثة الأخرى فى مجال تفسير مدى انتشار الأفكار المستحدثة . والقابلية للكسب المادى هى الفرق بين العائدات الاقتصادية الناتجة عن تبنى الفكرة المستحدثة وما يتكافه وضع هذه الفكرة موضع التنفيذ من مال . لقد فسر « جريليشيس » عام ١٩٥٧ ما يقرب من ٦٠ فى المائة من التغير فى مدى انتشار فكرة الذرة الهجين (مقاسة بالانحدار الذى لاحظه على الشكل « S » الذى يمثل توزيع المتبنين للأفكار المستحدثة) على أساس القابلية للكسب المادى . لقد استخدم « جريليشيس » فى دراسته التحليلية مادة علمية مستمدة من تقارير المناطق الزراعية فى الولايات المتحدة ، ولم يدع بأن من الممكن الحصول على نتائج شبيهة بتلك التى حصل عليها لو أجرى بحثه التحليلى على أفراد من الفلاحين باعتبار كل منهم وحدة من وحدات التحليل .

لقد قام « براندير » و « ستراوس » عام ١٩٥٩ بإجراء البحوث للكشف عن طبيعة العلاقة بين القابلية للانسجام والكسب المادى من جهة ، ومدى الانتشار من جهة أخرى فوجد أن الذرة الصيفى الهجين قد انتشرت فكرتها (اعتماداً على الإحصائيات التى أجريت على انتشارها فى عامها الأول) — فى مناطق كان فيها هذا النوع من الذرة شبيهاً لفكرة أخرى جديدة على الناس مثل الذرة الهجين — بطريقة أسرع من انتشارها فى مناطق يربح الناس كثيراً من وراء زراعتها . لقد انتهى « براندير » عام ١٩٦٠ إلى أن « قوة المعتقدات الموروثة عن الذرة الهجين لا تتأثر فى

المراحل الباكرة للانتشار بالدوافع الاقتصادية » .

وفى عام ١٩٦٠ رد « جريليشيس » بأن القابلية للكسب المادى والانسجام مع الأفكار المستحدثة الأخرى كلاهما متغيرات فعالة فى مجال تبنى فكرة الذرة الصيفى الهجين. لقد ذكر « جريليشيس » عام ١٩٦٠ أنه : « إذا أخذنا فى اعتبارنا عاملين ، هما الشك والحقيقة الواقعة وهى أن انتشار المعرفة لايتم فورياً ، فإننا نرى أن الفلاحين الأمريكان قد تصرفوا على وجه عام بطريقة تتفق وفكرة العمل على الوصول بالربح إلى منتهاه . وحيث تبدو الشواهد أن العكس هو الصحيح فإننى أقول بأن لحساً أدق للمتغيرات الاقتصادية لا بد أن يبين أن التغير لم يترتب عليه أى كسب مادى كما كانت مظاهر الحال توحى بذلك » .

وعن المتغيرات ذات الصلة بعلم الاجتماع ، كتب « جريليشيس » عام ١٩٥٧ يقول :

« فى اعتقادى أنه على المدى الطويل تميل هذه المتغيرات إلى أن تلاشى نفسها بنفسها تاركة خلفها المتغيرات الاقتصادية باعتبارها الفواصل الحاسمة الكبرى فى تكوين نمط التغير التكنولوجى . هذا لا يتضمن أن المتغيرات ذات الصلة بعلم الاجتماع عديمة الأهمية — وخاصة إذا أراد الإنسان أن يعرف أى الأشخاص يتبنى قبل غيره أسلوباً فنياً معيناً وأيهم يتبناه آخر . وكل ما هناك أن هذه المتغيرات لا يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً .

أما « ويكلننج » ، فقد عكس الرأى الاجتماعى الخاص بأهمية العوامل الاقتصادية فى تفسير معدل انتشار الأفكار المستحدثة .

وقبول الفلاحين للأساليب المحسنة فى عالم الزراعة تقرره إلى حد كبير الاعتبارات الاقتصادية . ومع ذلك ، إذا كانت الاعتبارات

الاقتصادية هى السبب الوحيد الذى من أجله يتبنى الناس الأفكار المستحدثة فإن هذه الأخيرة لا بد أن تلقى انتشاراً تتناسب سرعته والطريقة التى تظهر بها مزاياها الاقتصادية . على أنه ليس الأمر يتطلب فقط فترة زمنية طويلة تمضى من وقت أن يتعرف المرء الفكرة المستحدثة تعرفاً مبدئياً يؤدى به إلى اعتناقها ، بل إن أولئك الذين يفيدون من الفكرة المستحدثة أكبر فائدة هم فى العادة آخر من يتبناها .

الأثر التبادلى :

ثمة جدل عميق يدور حول الأهمية النسبية لكل من مجموعة المتغيرات المتعلقة بالعامل « الاقتصادى » والعامل « الاجتماعى » فى تفسير معدل تبنى الناس للأفكار المستحدثة . وعند استعراض هذا الجدل نقول إن أنصار العامل الاقتصادى يدّعون أن معدلات التبنى يمكن أن تفسرها المتغيرات الاقتصادية من أمثال الكسب المادى ، فى حين أن علماء الاجتماع يدّعون أن هذا المعدل يمكن أن تفسره المتغيرات الاجتماعية مثل القابلية للانسجام مع الأفكار المستحدثة الأخرى . ومن المعروف أن معظم الأفكار المستحدثة لا بد أن تكون مربحة من الناحية الاقتصادية بالنسبة لمعظم الأفراد وذلك حتى تحظى باهتمامهم وتقديرهم . على أن واحداً من أهم المتغيرات التى تؤثر على معدل انتشار الأفكار المستحدثة ومدى تبنى الناس لها ، إنما هو طبيعة الفكرة الجديدة وما تمتاز به من قدرة على الالتئام مع غيرها من الأفكار . هذا الأثر التبادلى للفكرة الجديدة هو العملية التى من خلالها يقوم الأفراد فى التنظيم الاجتماعى الذى اعتنق فكرة مستحدثة معينة بالتأثير على أولئك الذين لم يعتنقوا الفكرة من أفراد ذلك النظام .

ولما كان الجدل الذى أوردناه هنا يتعلق جزئياً بمدى انتشار فكرة الذرة الهجين ، فإننا نقوم الآن بإعادة تحليل المادة العلمية المستقاة من

الدراسة المبدئية التى أجريت على انتشار فكرة بذور الذرة الهجين والتى قام بها العالم « جروس » عام ١٩٤٢ . لقد أتى « جروس » بمادة علمية من شأنها أن تعمل على تحديد :

١ — معدل الانتشار مقدراً على أساس السنة ،

٢ — النسبة المئوية للفلاحين الذين اتبعوا الفكرة فى كل عام ابتداء من عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٣٩ ،

٣ — العائد المادى مقدراً على أساس ما يربحه الفرد سنوياً من وراء تبنى الفكرة المستحدثة .

والعائد المادى (أحد الأبعاد الداخلة فى تكوين الميزة النسبية للفكرة المستحدثة) هو الفرق بين العائدات الاقتصادية الناتجة عن تبنى فكرة جديدة معينة وبين ما يتكلفه وضع هذه الفكرة موضع التنفيذ . والعائد المادى السنوى حدده « جروس » عام ١٩٤٢ على أساس المعادلة التى أوجدها وهى « معادلة جروس » . ومعدل التبنى حددته المعادلة التالية حتى يكون هذا المعدل مستقلا عن النسبة المئوية للتبنى الإجمالى .

$$\text{معدل التبنى للفكرة} = \frac{\text{عدد المتبنين للفكرة فى سنة معينة}}{\text{عدد المتوقع أن يتبنوا الفكرة فى نفس السنة}}$$

فمثلا ، معدل التبنى فى عام ١٩٣٨ كان ٠,٨٦ بعد أن تبنى ٤٧ فلاحاً الفكرة وبقى ٥٥ آخرين فى طريقهم إليها .

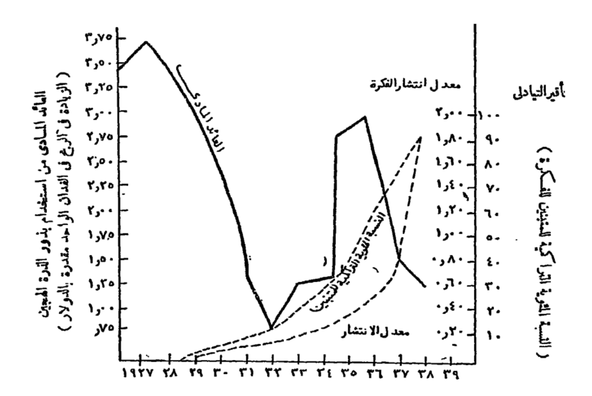
والأثر التبادلى يمكن أن يقاس عن طريق النسبة المئوية التراكمية للفلاحين الذين تبنوا فكرة استخدام بذور الذرة الهجين بمعدل سنوى وهذا يقيس التوزيع المتناسب لأفراد جيرة الفلاح الذين اعتنقوا الفكرة المستحدثة فى نطاق زمنى محدد .

وإنه لمن الواضح من دالة التوزيع فى خرائط تبنى الأفراد للأفكار

المستحدثة أنه كلما زاد عدد الناس الذين يتبنون فكرة جديدة ، أصبح المنحنى أشد انحداراً ، وكلما زاد عدد المتبنين أكثر فأكثر ، كلما زاد التأثير التبادلى على البقية الباقية من الأفراد الذين لم يتبنوا بعد الفكرة المستحدثة . لقد قام « جروس » عام ١٩٤٢ باستجواب ٢٥٩ فلاحاً من ولاية «أيووا» وكان من بين هؤلاء ٢٤٠ فرداً كانوا قد اعتنقوا فكرة الذرة الهجين حوالى عام ١٩٣٩ . على ذلك يمكن القول إن نسبة التبنى لعلم لعام ١٩٣٩ هى ٩٢ر٦ فى المائة . ومن المؤكد أن ثمة احتمالا فى أن الفرد فى التنظيم الاجتماعى ليود أن ينافش فكرة مستحدثة عند ما يكون ٩٣ فى المائة من أقرانه وجيرانه قد اعتنقوها فعلا وهذا الاحتمال أكبر مما لو اعتنق هذه الفكرة ١٠ فى المائة فقط من المحيطين بهذا الفرد . (وهذا نفس ما حدث عام ١٩٣٣ بالنسبة للمتبنين لفكرة الذرة الهجين) . من ثم يمكن القول إن مقياساً مبسطاً يقيس الأثر التبادلى يتمثل فى النسبة المئوية الإجمالية لتبنى الأفكار الجديدة فى تنظيم اجتماعى معين .

والأثر التبادلى فى مدى الانتشار والتبنى يمكن أن نلاحظه فى وضوح فى الشكل رقم (٥ — ١) . ومما يمكن ملاحظته بسهولة فى هذا الشكل أن مدى الانتشار لا يمت بصلة للكسب المادى ولكنه على صلة وثيقة بالأثر التبادلى مقاساً بواسطة النسبة المئوية التراكمية للتبنى . ومما لا شك فيه أن المقاييس الإحصائية للترابط واختبارات الدلالة تؤكد هذا القول .

والنتائج الحالية تشير إلى أن الكسب المادى لا يتصل اتصالا ذا دلالة بمدى التبنى على أساس زمنى وحدته السنة ، وعلى أساس تحليلى وحدته الفرد العامل فى الزراعة . وإن ادعاء « جريليشيس » بأن الكسب المادى يفسر مدى الانتشار لا يجد ما يبرره من ناحية الأساس الزمنى الذى وحدته السنة . والكسب المادى ، شأنه كشأن أية ناحية من نواحى المعلومات المتعلقة بفكرة مستحدثة ، لا بد أن يذاع أمره ويعرفه الجميع . وفكرة



شكل (٥ — ١)

العائد المادى ومعدل الانتشار والتأثير التبادلى

(النسبة المئوية للتبنى) لبذور الذرة الهجين

الكسب المادى قد تكون أصعب فى مجال الملاحظة من غيرها من الصفات المميزة للفكرة المستحدثة كالقابلية للتقسيم مثلا . والذى يحدد فى الواقع مدى تبنى الناس للفكرة المستحدثة هو فكرة هؤلاء الناس عن العائد المادى لهذه الفكرة بالذات وليس فكرتهم عن العائد المادى بوجه عام .

وثمة مجموعة كبيرة من البحوث التى تسير فى الاتجاه الاجتماعى السيكولوجى الدال على أهمية التأثير الجماعى المتبادل فى مجال تحديد المدرك الكلى الكامن ضمن مدركات العائد المادى . وهكذا نقول إنه من خلال التفاعل مع الآخرين يقوم الأفراد فى التنظيم الاجتماعى الواحد باستقطاب فكرة الميزة النسبية للفكرة المستحدثة وكذلك صفاتها المميزة الأخرى .

المبالغة فى التبنى :

كثير من الباحثين القدامى قد افترضوا ضمنياً أن تبنى الأفكار المستحدثة هو سلوك مرغوب فيه وأن مقاومة هذه الأفكار ليست من الأمور المستحبة ، وفى كافة الحالات قد لا يكون هذا صحيحاً .

ومعظم الباحثين القدامى فى مجال انتشار الأفكار المستحدثة اهتموا فى بحوثهم اهتماماً خاصاً بدراسة إما فئة المتبنين عن اقتناع ، أو فئة المقاومين للأفكار المستحدثة دون مبرر ، أو أنهم اهتموا بإجراء دراسات مقارنة على هذين النوعين من الأفراد . وليس لدينا الآن سوى دراسات قليلة على فئة المبالغين فى مجال تبنى الأفكار المستجدثة دون مبرر أو على فئة الرافضين لهذه الأفكار عن اقتناع .

وثمة مثل على المبالغة فى التبنى دون مبرر وهذا ما حدث فى طول ولايات الغرب الأوسط وعرضها عام ١٩٥٠ إذ حدث حينذاك أن مبيداً كيمائياً للأعشاب الضارة ظهر عام ١٩٤٦ وكانت النتائج التى ترتبت على استخدامه قد فاقت كل ما كان متوقعاً . لقد أصبح الفلاحون متحمسين إلى أبعد حد لهذا المبيد الكيمائى بدرجة أنه استخدم فى كثير من حقول الذرة سواء أكانت الزيادة التى حققها المحصول تبرر استخدامه أم لا . والمراقبون يقدرون أن عدة ملايين من الدولارات قد ضاعت نتيجة للمبالغة فى تبنى فكرة هذا المبيد الكيمائى وظلت هذه الخسارة قائمة إلى أن توصل الفلاحون إلى معرفة كيف يستخدمون هذا المبيد استخداماً أكثر حكمة . والمبالغة فى التبنى تنتج فى العادة عن المعرفة الناقصة حيث ينظر أفراد هذه الفئة ، فئة المتبنين المبالغين، إلى الفكرة المستحدثة باعتبارها دواء يشفى جميع الأمراض وهذا نفس ما حدث فى حملة ولاية « جورجيا »

التى تحدثنا عنها فى الفصل الرابع ، تلك الحملة التى تهدف إلى تشجيع سكان هذه الولاية على خزن المأكولات فى بيوتهم وإعدادها لهذا الغرض فى مواسم معينة .

وإنه لمن الأمور الصعبة أن نقرر ما إذا كان ينبغى للفرد أن يتبنى الفكرة المستحدثة ، أو ما إذا كان لا ينبغى أن يفعل ذلك إذ أن المعيار المنطقى لذلك ليس من السهل استنباطه . وهذا التفريق يمكن فى بعض الأحايين أن يوضع بمعرفة خبير له دراية خاصة بالفكرة المستحدثة موضوع الدراسة وهو يوضع فى العادة على أساس المعايير الاقتصادية . ومن ناحية من النواحى، يرى معظم الأفراد أن ما يصدر عنهم من أفعال يتفق والمنطق النظرى . وبسبب نقص المعرفة أو عدم وضوح الرؤية العقلية قد لا يتفق تقييم الفرد لفكرة مستحدثة معينة مع تقييم صاحب الخبرة . على أن الأهمية الرئيسية فى هذه الحالة تتركز حول المنطق النظرى فى شكله الموضوعى وليس المنطق النظرى فى شكله « الذاتى » كما يتخيله الفرد .

الدراسات التى أجريت على هذا الموضوع:

ومعظم الدراسات التى أجريت حول المبالغة غير المنطقية فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة تدور حول المبتكرات فى عالم الزراعة . وثمة عدد من « التقاليع » الزراعية اجتاحت دنيا الزراعة فى الولايات المتحدة ومن أمثال هذه « التقاليع » « جنون خراف المورينو » ودود الحرير ، وشجر التوت الصينى ، والأبقار البلجيكية المخصصة ، وبطاطس روهان ، والذرة الصينى . ومنذ فترة قريبة كان الفلاحون فى أمريكا يقبلون على شراء أشياء لا تحتاجها الزراعة كثيراً مثل الأملاح المعدنية الكاذبة وهى الأملاح التى يخلط بها علف الماشية، والشوفان الكندى الذى تخلط بذوره ببذور الشوفان

العادى ، والأسمدة السائلة التى تحقن بها الأرض على أساس جالون للفدان الواحد .

وحتى فى أوساط الفلاحين المثقفين ، نرى أن الأفكار المستحدثة التى تخلو من قيمة اقتصادية كثيراً ما تجد من يتبناها ويتحمس لها . لقد درس « توسنيد » و « ستون » عام ١٩٦٠ عينة مأخوذة من بين جماعات كبيرة تنتسب إلى فلاحى « كارولاينا الشمالية » سبق لهم أن اشتروا آلات ميكانيكية لحصد نبات الدخان ، وهذه الآلات كان قد أوصى باستعمالها عدد من رجال الاقتصاد مشترطين أن يكون استخدامها بأقصى طاقتها ولقد اتضح أنه ما من فلاح واحد استخدم الآلة بالطريقة الاقتصادية الواجبة مما جعل « توسنيد » و « ستون » يؤكدان بأن الأسباب غير الاقتصادية لاتحول دون تبنى المستحدث من الأفكار .

لقد وجد « بواندير » و « ستراوس » أن نباتات الذرة الصيفية المهجنة قد زرعت فى ما يقرب من ٢٨ فى المائة من الأرض المخصصة لزراعة هذا النبات فى الشمال الغربى من ولاية « كانزاس » ، وهذا فى العام الأول من إمكان الحصول على بذور هذه النباتات وكان ذلك بالرغم من أن هذا النبات لم يوص باستخدامه مركز التجارب الزراعية فى « كانزاس » ولا مراكز الخدمة العامة للمزارعين فى تلك الولاية .

ومن الجائز أن تكون أهم دراسة تناسب موضوع المبالغة فى التبنى هى تلك الدراسة الجديدة التى قام بها « جولدشتين » و « ايكهورن » عام ١٩٦١ عن تبنى ٣٩٨ مزارعاً فى « إنديانا » لفكرة استخدام الآلات ذات الصفوف الأربعة فى زراعة الذرة . لقد قرر رجال الاقتصاد الزراعى فى جامعة « بيرديو » أن الفلاحين من ذوى الملكيات التى تصل إلى ستين فداناً أو أقل لا يستطيعون أن يستخدموا هذه الآلات استخداماً اقتصادياً

مفيداً . كذلك وجدت النسب الآتية فى كل فئة من فئات المتبنين الأربع : المتبنون المنطقيون يشكلون ٣٧ فى المائة من المجموع ، والمتبنون غير المنطقيين المتأخرين فى تبنيهم للأفكار المستحدثة يشكلون ١٩ فى المائة من المجموع ، والمتبنون غير المنطقيين المبالغين فى تبنيهم للأفكار يشكلون ١١ فى المائة من المجموعة ، أما المعرضون عن الأفكار المستحدثة فكانوا يشكلون ٣٣ فى المائة من المجموعة .

ومن الواضح أنه فى حالة آلة البذار ذات الصفوف الأربعة كان عدد المتأخرين فى التبنى أكبر من عدد المبالغين وأفراد فئتى غير المنطقيين أكثر من أفراد فئتى غير المنطقيين فى قطاعى المبالغين فى التبنى والمتأخرين فى ذلك . وثمة دراسة أخرى للبحاثة « جولدشتين » عام ١٩٥٩ تدل على أن فئتى المنطقيين تختلفان عن فئتى غير المنطقيين فى عمق المعرفة وفى مدى النقص فى المعتقدات التقليدية . وهكذا تعتبر المعرفة عاملا يؤدى إلى بلورة الأحكام التى تتميز بالروح المنطقية وبالحسم الجاد فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة أو معارضتها .

ومن الملاحظ أنه من الأمور الصعبة أن نجد فكرة مستحدثة تكون غير منطقية بالنسبة لجميع الأفراد. فمثلا فى الدراسة التى قام بها «جولدشتين» و « ايكهورن » عام ١٩٦١ من الممكن جداً أن تبرر ظروف خاصة على أسس اقتصادية قيام أحد المتبنين غير المنطقيين بمعارضة الفكرة المستحدثة. وهذه المشكلة الشائكة المتعلقة بالحصول على فكرة مستحدثة غير منطقية باعتراف الجميع حلها « فرنسيس » عام ١٩٦٠ عندما قام بمسح عام تناول فيه ٨٨ متبنياً لفكرة حضانات الحشائش وهى فكرة مستحدثة عارضها بصفة عامة رجال العلوم الذين حضوا الفلاحين على عدم استخدامها لأسباب اقتصادية وغذائية .

وحضانة الحشائش تتكلف بضعة آلاف من الدولارات وتصنعها عدة شركات أمريكية وهذه الحضانة عبارة عن غرفة صغيرة مكيفة الهواء يبذر فيها الحب ويترك لينمو حتى يرتفع إلى علو ست بوصات من الحشيش الأخضر الذى يؤخذ بعد ذلك ويطعم للماشية . على أن هذه الحضانة لم تجد من يوصى بها لدى الفلاحين لا من قبل رجال الاقتصاد الزراعى ، ولا من قبل علماء تغذية الحيوان ، ولا من قبل رجال مراكز التجارب الزراعية فى الريف الأمريكى .

وجميع الأشخاص الذين اعتمد عليهم « فرنسيس » عام ١٩٦٠ كانوا من غلاة المتبنين غير المنطقيين . إن صفاتهم المميزة وسلوكهم فى الاتصال والتجاوب أوضح أنهم يختلفون كل الاختلاف عن الفلاح الأمريكى العادى . لقد كانوا أكثر غنى ، وأكثر تمسكاً بالتقاليد ، وأكثر اتجاهاً نحو التخصص من غيرهم من الفلاحين . والحائزون لحضانات الحشائش ثبت أنهم يميلون إلى أن تكون لهم علاقات أو اتصالات بالشخصيات الحكومية العاملة فى حقل الإرشاد الزراعى والتوجيه المعنوى فى الريف . بل إن القليل منهم ثبت أنهم من المبتكرين للأفكار الزراعية المقبولة والمتبنين لها . والنتائج التى حصل عليها « فرنسيس » توحى بأن خبراء الخدمة العامة فى الريف قد يكونون أكثر تأثيراً فى مجال الحيلولة دون تبنى الناس البدع غير المستساغة فى مجال تبنى الأفكار المرغوبة .

وطبعاً ، من الممكن ، بالنسبة للمتصدين للتغيير الاجتماعى ، أن يدفعوا المتصلين بهم دفعاً إلى تبنى الأفكار الجديدة والمبالغة فى ذلك فى بعض الحالات . مثال ذلك تاجر الأسمدة الذى يرغب فى زيادة مبيعاته بصرف النظر عما تحتاجه الأرض المملوكة لعملائه من الفلاحين . ولقد أشار أحد الناس إلى أن هذا الأمر قد يكون هو السبب الذى من أجله لا يثق الفلاحون ثقة كبيرة فى كل مايقوله وكلاء هذه الشركات .

ومما لاشك فيه أن الحاجة لدراسة موضوع المبالغة فى تبنى الأفكار المستحدثة مازالت حتى الآن كبيرة ، وكذلك الحاجة إلى زيادة معلوماتنا عن الدور الذى يقوم به المتصدون للتغيير الاجتماعى فى مجال التعجيل بالمبالغة فى التبنى أو الحيلولة دون حدوث هذه المبالغة .

الملخص

أحد العناصر الهامة فى عملية انتشار الأفكار المستحدثة وتبنى الناس لها هو هذه الأفكار نفسها . والصفات المميزة للفكرة المستحدثة ، كما يراها الناس فى تنظيم اجتماعى معين ، من شأنها أن تؤثر على معدل انتشار هذه الفكرة وتبنى الناس لها . وثمة صفات مميزة خمس جاء ذكرها فى هذا الكتاب وهى :

١ — الميزة النسبية للفكرة المستحدثة ،
٢ — إنسجامها مع غيرها من الأفكار ،
٣ — تشابكها مع غيرها ،
٤ — قابليتها للانقسام إلى أفكار جديدة ،
٥ — قابليتها للانتقال من فرد إلى آخر .

والميزة النسبية هى مدى أفضلية الفكرة المستحدثة على الأفكار الأخرى التى جاءت الفكرة المستحدثة لتحل محلها . والأزمات المفاجئة من الجائز أن تؤكد الميزة النسبية للفكرة المستحدثة وتؤثر فى معدل انتشارها . والأزمة المفاجئة قد تعوق معدل انتشار الفكرة المستحدثة وقد تزيد من هذا المعدل . والكسب المادى ، وهو الفرق بين العائدات المادية الناتجة عن تبنى الفكرة المستحدثة وبين تكاليفها الاقتصادية ، إنما هو بعد من أبعاد الميزة النسبية .

والقابلية للانسجام — انسجام الفكرة المستحدثة مع الأفكار

الأخرى — هى معدل التوافق بين الفكرة المستحدثة وبين القيم السائدة والتجارب السابقة للذين اعتنقوا تلك الفكرة . ودرجة التشابك هى المدى الذى تبلغه الفكرة المستحدثة من حيث استغلاقها على الفهم وصعوبتها فى مجال الاستعمال . والقابلية للتقسيم هى مدى قابلية الفكرة المستحدثة للتجريب فى مجال محدود وعلى نطاق ضيق . والمتبنون الأوائل قد ينظرون إلى القابلية للتقسيم نظرة أكثر جدية من تلك التى ينظر بها المتبنون الأواخر لهذا الموضوع . والقابلية للانتقال يقصد بها انتشار الفكرة المستحدثة بين عدد من الناس وانتقالها من فرد إلى آخر .

ومدى الانتشار هو السرعة النسبية التى يتم بمقتضاها تبنى الناس للفكرة المستحدثة . ومدى الانتشار للأفكار المستحدثة يتأثر فى العادة بالأثر التبادلى وهو عبارة عن العملية التى يؤثر بمقتضاها الأفراد فى التنظيم الاجتماعى الذين تم لهم اعتناق الفكرة المستحدثة ، فى غيرهم ممن لم يعتنقوا تلك الفكرة بعد . ومن خلال الأثر التبادلى يقوم الأفراد فى التنظيم الاجتماعى باستقطاب الميزة النسبية للفكرة المستحدثة وكذلك صفاتها المميزة الأخرى .

ولا يجوز الافتراض بأن تبنى كافة الأفكار المستحدثة إنما هو من الأمور المستحبة . والمبالغة فى تبنى الأفكار المستحدثة يقع فى العادة عند ما يعتنق الفرد فكرة جديدة فى ظروف تجعل الخبراء يعتبرون صدور مثل هذا العمل من الفرد شيئاً يتعارض مع المنطق. والاتجاه المنطقى إنما هو عبارة عن استخدام كل الأساليب الممكنة والفعالة للوصول إلى هدف معين .

الفصل السادس

فئات المتبنين للأفكار المستحدثة

« وفى الوقت الحالى ، لا يمكن توجيه النصائح للفلاحين بطريقة علمية خاصة بحيث نرضى كل فرد منهم . إننا فى حاجة إلى نظام من نظم الترتيب والتنظيم العقلى يضمن لنا ، عندما نصنف الفلاحين وفقاً لفئاتهم ، أن يتصرف كل منهم بنفس الطريقة التى يتصرف بها زملاؤه من نفس الفئة فى المواقف التى يتعرضون فيها لقبول أو رفض وسيلة جديدة من وسائل الإنتاج . فى مثل هذه الظروف نجد أن فئة من أولئك الفلاحين يتبنون الفكرة المستحدثة ، فى حين أن فئة أخرى تشرع فى المحاولة والتجريب وقد تفشل . أما الفئات الأخرى فلن تفعل شيئاً من هـذا » .

« د . ب . ويليامز عام ١٩٥٨ »

من الواضح أن جميع الناس لا يتبنون الفكرة المستحدثة فى نفس الوقت . بل إن الناس فى العادة يتبنون الفكرة على مدى زمنى طويل وهم على هذا الأساس ينقسمون إلى فئات . وحتى هذه اللحظة ، كان الاهتمام موجهاً نحو التبنى فى مجال المزارعين أو الأطباء أو غيرهم ممن كان موضوعاً للاستفتاء . وفى هذا الفصل ، يتجه اهتمامنا نحو الفروق الموجودة بين المتبنين الأوائل للأفكار الجديدة والمتبنين الأواخر لهذه الأفكار .

وفئات المتبنين إنما هى تقسيم الأفراد فى التنظيم الاجتماعى على أساس درجة تقبلهم للأفكار المستحدثة . والأسماء التى تطلق على فئات المتبنين للأفكار المستحدثة هى فى العادة كثيرة كثرة الباحثين أنفسهم وتنوع اتجاهاتهم وميولهم فى بحوثهم . وتعدد الأسماء التى تطلق على فئات المتبنين للأفكار المستحدثة من شأنها أن تؤكد الحاجة إلى تقنين طريقة التصنيف وكذلك تعيين الإسم الذى يطلق على كل صنف . وإن عدم تحديد فئات المتبنين للأفكار المستحدثة وتقنينها لمن شأنه أن يزيد من صعوبة المقارنة بين نتائج البحوث المتشابهة .

وهدف هذا الفصل هو إيجاد طريقة مقننة واحدة يمكن استعمالها لجميع فئات المتبنين للأفكار الجديدة وكذلك إظهار جدوى نظام تقسيم المتبنين إلى فئات مع الاعتماد على نتائج البحوث التى أجريت فى هذا الصدد. والمناقشة فى هذا الفصل سوف توجه فى المقام الأول نحو الكشف عن طبيعة التثبت الإحصائى لفئات المتبنين للأفكار الجديدة باعتبار أن هذا التثبت يتبع أشكالا عادية . ونحو اعتبار فئات المتبنين أنماطاً مثالية وكل ذلك مع العناية بتوضيح الصفات المميزة لفئات المتبنين .

الحاجة الى التقنين :

ولسوء الحظ ، برهن التنقيب فى الكتب التى كتبت عن هذا الموضوع على نقص واضح فى عدد الكتاب الذين اهتموا بوضع معايير مقننة يمكن بواسطتها تصنيف المتبنين للآراء المستحدثة إلى فئات متميزة . وللتسهيل على الباحثين نجد أن أسماء مختلفة قد أطلقت على فئات المتبنين. فمثلا نجد أن الجمعية الإقليمية الفرعية لعلماء الاجتماع فى « نورث سنترال » قد تحدثت عام ١٩٥٥ عن فئة « المبتدعين » للأفكار المستحدثة ، وعن « المروجين للأفكار المتحدثة فى البيئة » ، وعن « المتبنين الأواخر » و « المتبنين الأوائل » . لقد استخدم « جروس » عام ١٩٤٢ الحروف (ا ، ب ، جـ ، د) فى التفريق بين فئات المتبنين الأربع . هذه الحروف ، وأسماء أخرى لفئات المتبنين ، تجدها فى الجدول رقم (٦ — ١) . وترى الأسماء مدرجة فى قسمين ، أحدهما للأسماء التى تطلق على المتبنين الأوائل ، والآخر لتلك التى تطلق على فئة المتبنين الأواخر .

والبحوث التى توضع عن انتشار الأفكار المستحدثة تصبح قليلة الفائدة ما لم يتم الربط بينها وبين غيرها بطريقة منظمة ودقيقة . كيف يمكن للقارىء أن يستخلص نتائج محددة من مجموعة من البحوث تستخدم خليطاً

جدول رقم (١ — ٦)

الأسماء التى يطلقها الباحثون على فئات المتبنين للآراء المستحدثة (الأسماء التى تطلق على أوائل المتبنين)

١ — المبتدعون للأفكار المستحدثة	٢ — المتبنون الأوائل	٣ — الفئة الكبرى من المتبنين الأوائل
استخدم هذا الاصطلاح : شابارو ١٩٥٥ ، أينوس ١٩٥٨ ، ميويلر ١٩٥٨ وروجرز ١٩٥٨ ، كاتز ١٩٦١ ، لارسون ١٩٦٢ ، كوللان وآخرون. واستخدم كاتز ومنزل كلمة كشافو الطليعة واستخدم كوكنج عام ١٩٦١ فى هذا المقام كلمة المثائر .	استخدم هذا الاصطلاح : روجرز عام ١٩٥٨ ، أولسون عام ١٩٥٩ ، كاتز ١٩٦١ ، ليونبرجر عام ١٩٦٠ ، جونز عام ١٩٦٠ . واستخدم روس عام ١٩٥٨ كلمة شموع الاحتراق فى هذا المقام .	استخدم هذا الاصطلاح : روجرز عام ١٩٥٨ ، أولسون عام ١٩٥٩ ، واستخدم دانهوف فى هـذا المقام كلمة المقلدون واستخدم مورت عام ١٩٤١ كلمة التابعون الأوائل .

(الأسماء التى تطلق على أواخر المتبنين)

٤ — الفئة الكبرى من المتبنين الأواخر	٥ — المتلكئون فى تبنى الأفكار المستحدثة
استخدم هذا الاصطلاح : روجرز عام ١٩٥٨ ، أولسون عام ١٩٥٩ . واستخدم جروس عام ١٩٤٢ كلمة المتمون الأواخر .	استخدم هذا الاصطلاح : مورت وكورنيل عام ١٩٤١ ، مورت وبيرس عام ١٩٤٧

منوعاً من الأسماء والاصطلاحات كتلك التي يجيء ذكرها في الجدول (١ – ٦) ؟ . إن هذا ليدل على أن حاجتنا إلى تقنين أكبر، حاجة ملحة .

الشكل العام لمنحنى التوزيع الإحصائي

في مجال تبني الأفكار المستحدثة عادي

أوضحت البحوث السابقة على وجه العموم أن تبني الناس للأفكار المستحدثة يسير في منحنى له شكل الجرس إذا تكون هذا المنحنى على مدى زمني طويل . وهذا المنحنى يأخذ شكل حرف « S » في الأبجدية الإنجليزية إذا تكون على أساس تراكمي . وهذا الجزء من الكتاب سوف :

١ — يقدم الدليل على أن منحنيات التوزيع الإحصائي في مجال تبني الأفكار المستحدثة عادية .

٢ — يناقش الأسباب الظاهرة لهذا الوضع العادي .

٣ — يقترح تطبيقات مفيدة تبرز الدلالات ذات الصلة بتصنيف المتبنين للأفكار المستحدثة إلى فئات .

ما السبب في أن منحنيات التوزيع الإحصائي في مجال تبني الأفكار المستحدثة عادية ؟ :

من الجائز أن نسأل هنا لِمَ كانت منحنيات التوزيع الإحصائي في مجال تبني الأفكار المستحدثة تأخذ شكلا عادياً ؟

١ — علماء الاجتماع الأوائل :

لقد لاحظ عدد من علماء الاجتماع الأول أن تبني الأفكار الجديدة يأخذ نمطاً بيانياً له شكل الجرس ، وإن كان القليل من هؤلاء العلماء من ذوي الاهتمام بوضع النظريات لا يقيم وزناً كبيراً لمعرفة ما إذا كانت هذه

الملاحظة صحيحة أم لا . لقد وصف « تاردى » عام ١٩٠٣ العملية التى يقلد بها الأفراد أعمال غيرهم وأفكارهم وحدد معالمها تحديداً إذ لاحظ أن استخدام الفكرة المستحدثة « يسير فى المبدأ بخطوات بطيئة ، ثم تأتى مرحلة تقدم سريع شامل ، وبعدها تأتى مرحلة تقدم بطىء يعقبها تراخ واضح ينتهى بالتوقف الكامل » .

وقد يكون « شابين » عام ١٩٢٨ هو أول عالم استخدم فكرة المنحنى ذى الشكل القريب من الحرف «S» فى الأبجدية الإنجليزية وإن كان قد أطلق على هذا المنحنى كلمة « منحنى النمو » . لقد درس «شابين» عام ١٩٢٨ انتشار فكرة الحكومة المحلية والحكم الذاتى والإدارات المختلفة كما درس طريقة تبنى الناس لهذه الفكرة وانتهى من دراسته إلى أن ثمة ... « فترة تسمى فترة النمو يعقبها فترة امتداد أكبر للفكرة يعقبها فترة توقف » . هذا الشكل الذى رسمه « شابين » للتبنى وهو الشكل القريب من الحرف «S» وضحه بعدها « جيلفيليان » عام ١٩٣٥ موضع الاختبار مستخدماً مادة علمية تدور حول المخترعات البحرية وطرق الشحن على السفن . وكذلك حاول « بمبرتون » نفس الشىء عام ١٩٣٦ مستخدماً مادة علمية متعلقة بانتشار فكرة طوابع البريد وتبنى الولايات لها ، وفكرة إصدار القوانين الملزمة فى مجال التعليم . كما حاول ذلك « ديفز » مستعيناً بفكرة براءات الاختراع لآلات نسج القطن وغزله . أما « رايان » و « جروس » فقد استخدما عام ١٩٤٣ مادة علمية تتعلق بتبنى فكرة بذور الذرة الهجين . لقد تمخضت كل دراسة من هذه الدراسات عن الدليل على أن منحيات التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة عادية أو على الأقل تقترب كثيراً من أن تكون كذلك .

٢ — *منحنيات التعلم* :

والبحوث التى قام بها رجال علم النفس تدل على أن الأفراد يتعلمون المهارة الجديدة أو يستوعبون الحقيقة الضئيلة أو حتى مجموعة الحقائق من

خلال عملية تعليمية لو صورت بيانياً على فترة زمنية معينة لاتضح أنها تسير فى منحنى عادى . وعندما يواجه الفرد موقفاً جديداً فى مختبر علم النفس فإنه يأتى بعدد كبير من الأخطاء فى أول الأمر ولكنه بعد سلسلة من المحاولات تقل الأخطاء إلى أن يتم التوصل إلى التعلم الكامل . وعند رسم هذا الجهد بيانياً يتضح لنا وجود منحنى مطلعه التقدم المتزايد وبعدها يتحول إلى منحنى يتناقص بتناقص التقدم إلى أن يتحقق التعلم الكامل . والتقدم الحادث فى مجال التعلم بالمحاولة يتناسب أولا مع ناتج القدر الذى استوعب وثانياً مع القدر الذى لم يتم استيعابه قبل بلوغ الحد المقرر للتعلم. وعلماء النفس يشعرون أن ثمة عملية معينة لها صلة بالنمو الذاتى لشخص المتعلم قد تكمن خلف التعلم وتوجهه . ومن الواجب أن نشير هنا إلى أن منحنى التعلم ذى الشكل القريب من الحرف «S» فى الأبجدية الإنجليزية لم يقع عليه اختيار علماء النفس بسبب أية نظرية شكلية للتعلم ولكن بسبب كونه نتاج تجارب أجريت فعلا فى مجال التعلم .

ومن وجهة نظر هذا الكتاب ، فإن منحنى التعلم هو سبب آخر من الأسباب التى تجعلنا نتوقع من منحنيات التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة أن تكون عادية . ونحن لو وضعنا التنظيم الاجتماعى موضع الفرد بالنسبة إلى منحنى التعلم ، فإنه من الأمور التى تبدو معقولة القول بأن خبرة المرء بالفكرة المستحدثة تتكون وتكبر كلما تبناها فرد بعد فرد من أفراد التنظيم الاجتماعى . وكل مرة من مرات التبنى للفكرة المستحدثة فى التنظيم الاجتماعى هى ، فى معنى من معانيها ، أمر معادل للمحاولة التى يقوم بها الفرد فى مجال التعلم .

٣ — الأثر التفاعلى :

سبب آخر من الأسباب التى تدعو إلى توقع أن يكون الشكل العام

لمنحنى التوزيع الإحصائى عادياً هو الأثر التفاعلى . والأثر التفاعلى هو العملية التى يؤثر بمقتاضا أعضاء التنظيم الاجتماعى الذين تبنوا فكرة مستحدثة معينة فى أولئك الذين لم يتبنوها بعد . وتبنى الأفكار المستحدثة فى حـــد ذاته إنما هو نتاج التفاعل الإنسانى . وإذا فكرنا فى الجانب الافتراضى للفكرة المستحدثة وظروف ظهورها فى التنظيم الاجتماعى فإننا نجد أسساً نظرية لتوقع أن يكون الخط الناتج عن عدد مرات التبنى لهذه الفكرة المستحدثة على مدى فترة زمنية موزعاً توزيعاً إحصائياً عادياً . فإذا قام المتبنى الأول للفكرة المستحدثة بمناقشتها مع اثنين من أفراد التنظيم الاجتماعى الذى ينتمى إليه ، وإذا قام كل من هذين الإثنين بعد تبنيهما للفكرة بنقلها إلى إثنين من أقرانهما فإن خط التوزيع الإحصائى الناتج عن ذلك لا بد أن يسير فى امتداد ثنائى الحدود وهذه الدالة الرياضية تأخذ شكلا عادياً عندما ترسم رسماً بيانياً .

وطبعاً يمكن القول بأن عدة فروض من تلك التى تنطوى تحت لواء هذا المثل الافتراضى قلما توجد فى عالم الحقيقة . فمثلا نجد أن أفراد التنظيم الاجتماعى لا تؤهلهم ظروفهم فى العادة لـكى يتفاعل الفرد منهم مع غيره تفاعلا كاملا ، فهناك الحوائل التى تقيمها الأوضاع الاجتماعية وهناك بعد المسافات والتوزيعات الجغرافية وكل هذه تؤثر على تكوين أنماط التفاعلات التبادلية . والأثر التفاعلى يبدأ فى الهبوط بعد أن يكون نصف الأفراد فى التنظيم الاجتماعى قد فرغوا من تبنى الفكرة المستحدثة إذ أن كل متبن جديد يجد أن من الصعب عليه أن ينقل الفكرة الجديدة إلى زميل له لم يتبناها بعد .

لقد أدرك « شيبارد » عام ١٩٦٠ أن الأثر التفاعلى كان هو السبب المعقول للشكل العام الذى يتخذه خط التوزيع الإحصائى واتجاه هذا الخط إلى أن يكون شبيهاً بالحرف «S» من الأبجدية الإنجليزية ومصدر

هذا الإحساس هو الدراسة التى قام بها على ٤٤٦ من الفلاحين الإنجليز .
وتبنى الفكرة المستحدثة يمكن أن يُنظر إليه فى ناحية من نواحيه باعتبار أنه خضوع للضغوط الجماعية ، هذه الضغوط التى تزداد قوة وتأثيراً كلما ارتفعت النسبة المئوية للمتبنين من أفراد التنظيم الاجتماعى لفكرة مستحدثة معينة .

وباختصار ، يمكن القول بأن هناك عدة أسباب فى الشكل العام لخط التوزيع الإحصائى العادى ، ومنها ما يأتى :

١ — كتابات علماء الاجتماع الأول الذين لاحظوا أن تبنى الأفكار الجديدة يميل إلى أن يتخذ فى التوزيع الإحصائى شكلا شبيهاً بالحرف «S» من الأبجدية الإنجليزية .

٢ — منحنيات التعلم التى أتى بها علماء النفس لها فى العادة شكل عادى .
وإذا طبقنا منحنى التعلم لدى الفرد على الحالة بالنسبة للتنظيم الاجتماعى فإن الخبرة بالفكرة المستحدثة تزداد وتكبر كلما شرع شخص بعد شخص فى التنظيم الاجتماعى فى تبنى هذه الفكرة . بهذه الطريقة يمكن القول بأننا نتوقع من الشكل العام لمنحنى التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة أن يكون عادياً

٣ — الأثر التفاعلى هو العملية التى يقوم من خلالها متبنو الفكرة المستحدثة بالتأثير فى أقرانهم من أعضاء التنظيم الاجتماعى الواحد الذين لم يفعلوا نفس الشيء بعد . على ذلك تصبح الضغوط الجماعية التى تستهدف دفع الآخرين إلى تبنى الفكرة الجديدة أكثر قوة وذلك كلما ازداد عدد المتبنين للفكرة المستحدثة فى التنظيم الاجتماعى .

جدول رقم (٦ — ٢) : منحنى التوزيع الإحصائى وما يثبت شكله العادى

مسلسل	الفكرة المستحدثة	عدد المتبنين لها	النسبة المئوية للتبنى	حالة منحنى التوزيع الإحصائى	الدراسات التى أجريت
١	المحلول الكيمائى المبيد للحشائش الضارة (تشمل الدراسة جميع المتبنين للفكرة)	١٢٩	٨٧	عادى	دارسة قام بها بيل وروجرز عام ١٩٦٠
٢	المحلول الكيمائى المبيد للحشائش الضارة (لا تشمل الدراسة المبتدئين من الفلاحين)	١١٢	٨٧	عادى	دراسة قام بها بيل وروجرزعام ١٩٠٠
٣	المضادات الحيوية (تشمل الدراسة جميع المتبنين للفكرة)	١٠٥	٨٩	غير عادى	دراسة قام بها بيل وروجرزعام ١٩٦٠
٤	المضادات الحيوية (لا تشمل الدراسة المبتدئين من الفلاحين)	٩٥	٨٩	غير عادى	دراسة قام بها بيل وروجرزعام ١٩٦٠
٥	الذرة الهجين (فى ولاية أيووا)	٤٣٣	١٠٠	غير عادى	رايان عام ١٩٤٣
٦	الذرة الهجين (فى ولاية فرجنيا)	٦٤٢	١٠٠	غير عادى	ديميت عام ١٩٥٤
٧	المحلول الكيماوى المبيد للحشائش الضارة (فى ولاية أوهايو)	٨٠	٧٦	عادى	روجرز عام ١٩٥٧
٨	سم الفيران المسمى وارفارين (فى ولاية أوهايو)	٨٢	٧٨	عادى	روجرز عام ١٩٥٧
٩	تبنى الأساليب الجديدة فى إدارة المزارع (فى ولاية أيووا)	١٤٨	—	عادى	روجرز عام ١٩٥٨
١٠	تبنى الأساليب الجديدة فى إدارة المزارع (فى ولاية أوهايو)	١٠٤	—	عادى	روجرز عام ١٩٥٨

اختبار صفة العادية فى الشكل العام لمنحنى التوزيع الاحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة :

لقد دلت الدراسات السابقة على وجه العموم على أن الشكل العام لمنحنى التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يأخذ ما يقرب من شكل الجرس ويكاد يكون عادى التكوين . هذا التعميم قد أفاد كثيراً فى إيجاد وسيلة مقنعة يعتمد عليها فى تقسيم المتبنين للأفكار المستحدثة إلى فئات .

وقام « روجرز » عام ١٩٥٨ باختبار ثمانية منحنيات توزيع فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة ووجد أنها جميعاً لها شكل الجرس وكلها تكاد تكون عادية التكوين ، وإن كان تصف المنحنيات التى فحصت وجد أنها تنحرف بدرجة كبيرة عن الشكل العادى (جدول ٦ — ٢) . وثمة دراسات أربع إضافية نجدها بين الدراسات التى أجريت على موضوع عادية الشكل العام لمنحنى التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة . وإنه وإن كان مامن واحدة من هذه الدراسات قد استعانت بالطرق الإحصائية الدقيقة لتقرير صفة العادية فى منحنيات التوزيع الإحصائية ، إلا أنه يمكن القول بأن كل دراسة من هذه الدراسات قد أبرزت من الدلالات ما يثبت أن الشكل العام لمنحنيات التوزيع الإحصائى فى مجال التبنى يكاد يكون عادياً .

١ — لقد وجد « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ أن توزيع التواريخ وتشتتها الإحصائى فى مجال المبادرة إلى استخدام بذور الذرة الهجين يقرب من العادية .

٢ — درس « جريليشيس » عام ١٩٥٧ منحنيات التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة مستخدماً فكرة الذرة الهجين فى كل ولاية من ولايات أمريكا المعدودة من المراكز الأولى لزراعة الحبوب . ولقد اعتمد

فى دراسته على التقارير التى تصدرها إدارات الإحصاء الزراعى التابعة للهيئة العليا للعناية بالمحاصيل الزراعية ووجد أن الشكل العام لمنحنيات التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى فكرة الذرة الهجين يكاد يكون « منحنى نسبياً » أو « حسابياً » ، وهذا المنحنى أقرب ما يكون شبهاً بالمنحنى العادى .

٣ — إنتهى « عبد الرحيم » عام ١٩٦١ إلى أن الشكل العام لمنحنيات التوزيع فى مجال تبنى ثلاثة أفكار مستحدثة من قبل سكان قرية ريفية باكستانية عادى، وإن كان هذا الباحث لم يختبر هذه النقطة اختباراً إحصائياً.

٤ — درس « مانسفيلد » عام ١٩٦١ اثنتى عشرة فكرة مستحدثة فى مجال صناعات استخراج الفحم والحديد وصنع البيرة والسكك الحديدية ووجد أن الزيادة فى عدد المنتفعين بفكرة من الأفكار المستحدثة فى مجالات هذه الصناعات يمكن أن تلخص بيانياً بواسطة « منحنى نسبى » أو « حسابى » .

ومعظم الأشكال العامة لمنحنيات التوزيع تقترب اقتراباً كبيراً من العادية وكثير منها يعتبر عادياً فعلا . ونحن مازلنا فى حاجة إلى مزيد من البحوث لكى نقرر بوجه قاطع السبب فى أن بعض هذه المنحنيات عادى والبعض الآخر غير عادى .

طريقة من طرق تصنيف المتبنين للأفكار المستحدثة الى فئات :

ثمة مشكلتان تواجهان الباحث الذى يسعى إلى اصطناع طريقة نموذجية لتصنيف المتبنين للأفكار المستحدثة إلى فئات . هاتان المشكلتان هما :

١ — كيف ينظر إلى الكثير من فئات المتبنين ويدرك طبيعة موقفهم؟

٢ — كيف يحدد الأعداد التى يمكن أن يدخلها فى فئات التصنيف ؟

والقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة هى عبارة عن بعد مستمر الحركة فى نطاق الحقيقة القائلة بأن الأفراد يتبنون الفكرة المستحدثة فى أوقات

مختلفة . وإن تقسيم هذا البعد ذى الحركة المستمرة إلى فئات منفصلة ينبغى أن تنظر إليه باعتباره شيئاً افتراضياً لسهولة التصور . وهذه الحالة تشبه حالة البعد ذى الحركة المستمرة الذى يميز الوضع الاجتماعى وفئات الطبقات الاجتماعية . وهذه التصنيفات تفيد فى العادة من حيث أنها تجعل من السهل علينا أن ندرك كنه فكرة القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة . حقيقة يمكن أن نتناول بالوصف كل فرد يتبنى فكرة مستحدثة فى المجتمع ولكن أمراً كهذا لابد أن ينطوى على عناء كبير . ومن السهل علينا أن نتحدث عن أعضاء التنظيم الاجتماعى عندما يتجمعون فى فئات متباينة ، أى أن فئات المتبنين هى فى جوهرها وسيلة رمزية من وسائل الحديث عن الأشخاص فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة .

والمعيار المستخدم فى تقسيم المتبنين للأفكار إلى فئات هو القابلية للتبنى وهـــذه القابلية هى مدى السبق الذى يحرزه الفرد فى مجال تبنى الأفكار الجديدة وتفوقه فى هذا المضمار على أقرانه من أعضاء التنظيم الاجتماعى الذى ينتمى إليه . على هذا يكون من الواضح أن القابلية للتبنى أمر « نسبى » . أى أن الفرد إما أن يكون أكثر قابلية لتبنى الأفكار المستحدثة من غيره من الناس أو أقل منهم فى هذا المجال . ومن الأمور الجوهرية هنا أن نقوم بتحديد معالم التنظيم الاجتماعى الذى يُصنف أفراده على أساس قابليتهم لتبنى الأفكار المستحدثة .

وثمة طريقتان من طرق التصنيف على أساس القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة قد استخدمتا فى بحوث سابقة :

١ — الاعتماد على تقديرات الخبراء : قام « شابارو » عام ١٩٥٥ بسؤال عدد من الخبراء فى بلدة صغيرة من بلدان « كوستاريكا » لكى يصنفوا ٩٦ مزارعاً من أصحاب الأراضى إلى فئات أربع من ناحية تبنيهم للأفكار المستحدثة . هذه الطريقة ، بالرغم من أنها توفر وقتاً كبيراً ،

ينبغى أن تستخدم فى حذر مالم يتوفر العدد الكافى من الخبراء القادمين على إصدار الأحكام الدقيقة على زملائهم . على أن نفس هذه الطريقة قد أستخدمت فى الدراسات التى أجريت فى مجال التنظيم الاجتماعى وتحديد معالم الطبقات . وإحدى الصعوبات هنا هى أن تركيب الطبقة الاجتماعية جاء الحكم عليه فى معظمه من أناس ينتمون إلى الطبقة العليا . ويوجد مايثبت على أن مكانة الخبير بالنسبة إلى التركيب الاجتماعى لابد أن تؤثر فى حكمه على هذا التركيب .

٢ — الوقت الذى يتم فيه التبنى : ومعظم الباحثين فى أصول انتشار الأفكار المستحدثة يصنفون المتبنين لهذه الأفكار إلى فئات على أساس الوقت الذى يتم فيه تبنيهم للفكرة أو للأفكار المستحدثة . وفى الاستفتاءات التى تجرى على هذا الموضوع يطلب من الأشخاص موضوع الاستفتاء عادة أن يتذكروا التاريخ الذى بدأوا فيه تبنيهم للأفكار الجديدة .

وقبل التفكير فى الطرق الصحيحة لتقسيم المتبنين إلى فئات ، من المهم جداً أن نسجل الصفات المميزة التى لابد للفئات من أن تتسم بها . لقد ذكر « جاهودا » وآخرون عام ١٩٥١ أن أية مجموعة من هذه الفئات ينبغى أن تكون :

١ — جامعة مانعة حتى يمكن تصنيف جميع الأشخاص موضوع الاستفتاء .

٢ — على درجة من التخصص بحيث لا يمكن وضع أى فرد من الأفراد موضوع الاستفتاء فى أكثر من فئة واحدة .

٣ — تعتمد على مبدأ تصنيفى واحد .

وفى عدد من التجارب التى تحدثنا عنها قبلا ، كانت أشكال منحنيات التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة إما عادية أو تكاد

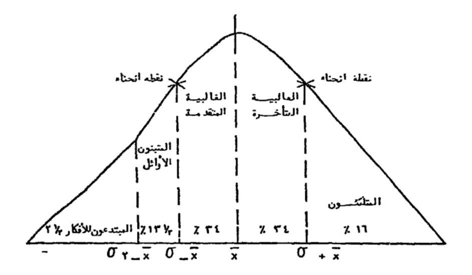
تقترب من ذلك . هذه الأشكال لها ضلعان قائمان هما خط الوسط يرمز إليه بالرمز ($\overline{X}$) وخط الإنحراف القياسي ويرمز إليه بالرمز (σ). وهذان الخطان قد يستخدمان لتقسيم منحنى التوزيع إلى خمسة أقسام. وهذه الأقسام أو المناطق الخمس المنطوية تحت المنحنى ذى الشكل العادى يطلق عليها المبتدعون للأفكار المستحدثة ، والمتبنون الأوائل والأغلبية المتقدمة ، والأغلبية المتأخرة ، والمتلكئون .

هذه الفئات والنسب المئوية التقريبية للمتبنين فى كل فئة من هذه الفئات قد سجلت على خط توزيع ذى شكل عادى مبين فى الشكل (٦ — ١) . وإذا رسم هذا التوزيع بيانياً بطريقة تراكية فإنه سوف يصبح قريب الشبه بالحرف « s » فى الأبجدية الإنجليزية .

والمنطقة الواقعة إلى يسار سنة الوسط فى مجال التبنى للأفكار المستحدثة مطروحاً منها انحرافان قياسيان ($\overline{X}$ — ٢ σ) هذه المنطقة تتضمن أول ٥ر٢ فى المائة من الأفراد فى مجال تبنى فكرة جديدة وهم فئة (المبتدعين) للأفكار المستحدثة (شكل ٦ — ١) . وبطريقة أخرى، نقول إن «المبتدعين» يتبنون الفكرة المستحدثة قبل ٥ر٩٧ فى المائة من مجموع الأفراد الذين يشملهم تنظيم اجتماعى معين . أما الـ ٥ر١٣ فى المائة من المتبنين فهم موجودون بين ($\overline{X}$ — σ) وبين ($\overline{X}$ — ٢ σ) ويطلق عليهم إسم « المتبنون الأوائل » . وعند سنة الوسط للتبنى مطروحاً منها انحراف قياسى واحد ($\overline{X}$ — σ) تقع نقطة واحدة من نقط الانحناء وعند هذه النقطة تتوقف موجة التبنى عن الاستمرار فى الزيادة بمعدل سرعة متزايد وتبدأ فى الزيادة بمعدل سرعة متناقص وتظل هكذا حتى تتلاشى . وبين نقطة الانحناء هذه وسنة الوسط للتبنى نجد أن ٣٤ فى المائة من المتبنين يتجمعون فى فئة « الأغلبية المتقدمة » .

وبين خط الوسط ونقطة الانحناء الأخرى (عند $\overline{X}$ + σ) حيث

يبدأ التبني في الانكماش بمعدل سرعة متناقص نجد تجمعاً لـ ٣٤ في المائة من المتبنين الذين نطلق عليه اسم « الأغلبية المتأخرة » . أما آخر ١٦ في المائة من الأشخاص الذين يتبنون فكرة جديدة فإننا نسميهم « المتلكئون » .
والضلعان القائمان للتوزيع الإحصائي ذي الشكل العادي يمكن أن يستخدما لتقسيم متغير مستمر إلى أي عدد من التصنيفات . والفئات الخمس المستخدمة هنا إنما هو أمر افتراضي وإن كان العدد قد يوحي بشيء من التقنين القياسي .



شكل (٦ — ١)
تقسيم المتبنين للأفكار المستحدثة إلى فئات
على أساس الزمن الذى تم فيه تبنى تلك الأفكار

إن بعد القابلية لتبني الأفكار المستحدثة مقاساً في اللحظة التي يتبنى فيها الفرد فكرة مستحدثة معينة ، أو عدة أفكار مستحدثة ، إنما هو بعد مستمر . ومع ذلك فإن هذا المتغير من الجائز أن يقسم إلى خمس فئات من فئات المتبنين عن طريق استبعاد أقسام قياسية من المعدل الزمني للتبني.

الارقام القياسية :

هذه الطريقة من طرق تقسيم المتبنين للأفكار المستحدثة إلى فئات تتم فى معظمها على أساس « الأرقام القياسية » والرقم القياسى يحسب بطرح سنة الوسط ($\overline{X}$) من مركز الملاحظة (X) وفى مقام الكسر نضع درجة الانحراف القياسى (σ) للتوزيع الإحصائى . وإذا رمزنا للرقم القياسى بالحرف (ى) يمكن أن تصبح المعادلة كما يلى :

$$ى = \frac{\overline{X} - X}{\sigma}$$

أى :

$$\text{الرقم القياسى} = \frac{\text{مركز الملاحظة — سنة الوسط}}{\text{الانحراف القياسى للتوزيع الإحصائى}}$$

مثال ذلك أن مدرسة « أ » أدخلت برنامج تعليم التلاميذ قيادة السيارات عام ١٩٤٨ . هنا نقول إن سنة الوسط لعملية تبنى هذه الفكرة هى عام ١٩٥٠ والانحراف القياسى لتواريخ التبنى التى تم فيها اعتناق فكرة إدخال هذا البرنامج ضمن الجدول الدراسى هو أربع سنوات . على ذلك نقول إن الرقم القياسى لإمكانية اعتناق الفكرة الجديدة بالنسبة للمدرسة « أ » هو ١٩٤٨ مطروحاً من ١٩٥٠ مع تقسيم الناتج على ٤ فتكون النتيجة

$$\frac{١٩٥٠ - ١٩٤٨}{٤} = ٠,٥$$

وهذا يضع المدرسة فى فئة الغالبية المتقدمة (شكل ٦ — ١) . أى أن هذه المدرسة لها فى مجال تبنى هذه الفكرة المستحدثة نصف انحراف قياسى فى مجال سبق غيرها من المدارس ، وبخاصة المدرسة التى تعتبر عادية .

والرقم القياسى هو الرقم « النسبى » الذى يعبر عن مكان الفرد بالنسبة إلى غيره من أفراد التوزيع الإحصائى . فمثلا سنة التبنى للشخص ، عند ما نعبر عنها بطريقة الرقم القياسى فإننا بذلك نوضح مكانه النسبى على خط التوزيع الإحصائى لتواريخ تبنى الفكرة الجديدة .

ومن ميزات هذه الأرقام القياسية أن وحدة القياس هنا تكون «نقية» أى خالصة من آثار وحدة القياس الأصلية . فمثلا وقت التبنى للفكرة المستحدثة فى مجال التربية والتعليم كإدخال برامج تعليم التلاميذ قيادة السيارات يمكن أن تقارن رياضياً بفكرة أخرى مختلفة عنها اختلافاً كبيراً مثل استخدام الوسائل السمعية البصرية فى التدريس مثلا . هذه الميزة لها أهمية كبيرة وبخاصة عند ما نود إيجاد رقم قياسى شامل لتبنى جميع الأفكار المستحدثة ويمكن تطبيقه على عدد كبير من تلك الأفكار . وإنه لمن الممكن أن نخضع كل عنصر من عناصر التبنى للعمليات الحسابية عندما يكون من المستطاع التعبير عن هذا العنصر بوحدات قياسية وذلك بالرغم من اختلاف الزمن الذى تم فيه تبنى كل فكرة من الأفكار المستحدثة .

إن ما توصل إليه الباحثون من أن بعض خطوط التوزيع الإحصائى فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة تنحرف عن الشكل العادى ، لا يقلل من قيمة طريقة الأرقام القياسية . وحتى فى خطوط التوزيع الإحصائى غير العادية ، أى ذات الميل الجانبى ، يجوز أن يكون استخدام الأرقام القياسية قائماً فقط على أساس البصيرة الذاتية إذ أن عملية تحويل المادة العلمية الخام إلى صورة من صور الأرقام القياسية ، من طبيعتها أن تتجه نحو تشكيل خط التوزيع الإحصائى تشكيلا عادياً . وبالإضافة إلى ذلك ، ظهر تعديل طفيف فى عدد الحالات التى تتكشف عنها وحدات الانحراف القياسى عن سنة الوسط حتى إذا كان هناك شىء من الخروج عن نطاق خط التوزيع الإحصائى العادى .

الصعوبات التي تكتنف تقسيم المتبنين الى فئات :

ومن الواجب هنا أن نسلم بوجود صعوبتين على الأقل تكتنفان طريقة تقسيم المتبنين إلى فئات :

١ — عدم التماثل :

لماذا يوجد ثلاث فئات من فئات المتبنين على إحدى جانبي سنة الوسط (شكل ٦—١) فى حين يوجد فئتان فقط على الجانب الآخر ؟ . أحد الأسباب التى دعت إلى عدم تقسيم فئة المتلكئين إلى فئتين هو انعدام الشواهد المستمدة من البحوث السابقة بحيث يجعلنا نفرق بين المتلكئين الأوائل و « المتلكئين الأواخر » . وفئة المتلكئين تبدو وكأنها فئة متجانسة تماماً ولا تحتاج إلى تقسيم آخر .

طريقة أخرى لتحقيق التماثل أن نربط مابين المبتكرين والمتبنين الأوائل فى فئة تصنيفية واحدة . على أن الصفات المميزة لكل من هاتين الفئتين لابد أن نميزهما باعتبارهما فئتين منفصلتين كما أننا كثيراً مانجد « توقفات » أو تغييرات فى اتجاه الخط الذى يربط الفئة الأولى بالفئة الثانية .

٢ — التبنى الناقص :

والفكرة المستحدثة قد لايتم تبنيها بشكل كامل وذلك لسببين :

(١) حدوث توقفات .

(٢) إستمرار انضمام أعضاء جدد إلى أفراد التنظيم الاجتماعى المعين وتبنيهم للأفكار الجديدة .

وإذا كان الأمر كذلك ، كيف يصنف الباحث جماعات غير المتبنين ؟ إن نظام التقسيم إلى فئات خمس لايمكن فى هذه الحال اعتباره جامعاً مانعاً

وإن عدداً من الأشخاص الذين نجعلهم موضوعاً للاستفتاءات لا يمكن أن ندخلهم فى فئة من تلك الفئات الخمس حتى يتم التبنى الكامل ، أى عند ما يمكن إجراء تقييم دقيق للضلعين القائمين لخط التوزيع الإحصائى .

ومشكلة عدم التبنى لا يمكن حلها بشكل كامل لو استخدمنا فى هذا المقام فكرة مستحدثة واحدة باعتبارها معياراً للتصنيف . ومع ذلك ، لو أمكن ربط سلسلة من الأفكار المستحدثة بعضها ببعض بواسطة مقياس يقيس القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة بغرض خلق مقياس متكامل لهذا الموضوع فإنه يصبح من الميسور تحديد أبعاد فئة غير المتبنين وبذلك تحل المشكلة .

مقاييس القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها :

لقد أوردنا من الشواهد ما يثبت أن تبنى فكرة واحدة جديدة على مدى زمنى له شكل بيانى إحصائى يقرب من العادية . يترتب على ذلك أن توزيع الأرقام على مقياس يقيس تبنى الأفكار المستحدثة — على أن تكون قائمة على أمثلة عديدة من أمثلة تبنى الأفكار المستحدثة — لا بد أيضاً من أن يقترب من العادية . والجدول رقم (٦ — ٢) يبين أن الأرقام ذات الصلة بتبنى الأفكار المستحدثة فى دراستين مختلفتين قد وزعت توزيعاً إحصائياً عادياً . هذه الحقيقة تسمح للإنسان بأن يصنف المتبنين للأفكار المستحدثة على أساس أرقام القدرة على ابتكار الأفكار الجديدة وتبنيها وبذلك يمكن تحاشى مشكلة غير المتبنين للأفكار الجديدة فى نطاق فكرة جديدة واحدة .

قام « روجرز » عام ١٩٦١ باستعراض دراسات مختلفة لعلماء فى علم الاجتماع الريفى وكان هدف هذه الدراسات محاولة قياس البعد العام للقدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها بواسطة مقياس يقيس هذا

الموضوع . وفيما يلي صفات أربع من الصفات المميزة لهذه المقاييس كما تخيلها « روجرز » ، وهي :

١ — الصدق : ويقصد به مدى الدقة الذي يقيس به المقياس البعد المطلوب قياسه . وعند ما استخدم « روجرز » عام ١٩٦١ عدة أساليب للكشف عما في هذا المقاس من صدق ، عثر بعد جهد كبير على ما يثبت أن مقاييس هذا النوع تتوافر فيها هذه الصفة .

٢ — الثبات : ويقصد به أن المقياس يعطي نفس النتائج في كل مرة يقيس فيها الشيء الواحد . لقد قام « روجرز » عام ١٩٦١ باختبار مدى ما في مقاييس القدرة على ابتكار الأفكار الجديدة وتبنيها ، وبخاصة في مجال التربية والتعليم والنشاط الزراعي ، من ثبات وخرج من دراسته بأن هذه المقاييس ثابتة .

٣ — الإنسجام الداخلي : ويقصد به مدى ما تتميز به العناصر الداخلة في تكوين المقياس من ترابط . هذا الترابط بين العناصر بعضها ببعض وبين كل عنصر من عناصر المقياس من شأنه أن يزود الباحث بأدوات يتعرف بها مدى ما في المقياس من انسجام داخلي . ومعظم العناصر التي تتكون منها مقاييس القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها ، تلك المقاييس التي يستخدمها الباحثون ، وجد أنها على درجة كبيرة من الترابط وإن كان هذا الترابط ليس بالقدر المطلوب .

٤ — التركيز على بعد واحد : ومعنى ذلك أن المقياس يقيس بعداً واحداً فقط زيادة في دقته وثباته . وإن الاختبارات التي أجراها « جوثمان » للتحقق من وجود هـذه الصفة لم تتمخض عن شواهد واضحة على أن مقاييس القدرة على تبني الأفكار المستحدثة تقيس بعداً واحداً فقط .

وعلى وجه العموم ثمة دليل إيجابي على الصدق والثبات والانسجام

الداخلى للمقاييس التى تقيس القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها وإن كان ما من دليل قاطع لدينا على أن هذه المقاييس لها صفة التركيز على بعد واحد فقط . ولقد اقترح « روجرز » عام ١٩٦١ تحسين مقياس القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها عن طريق إدخال عناصر أكثر على هذه المقاييس .

وفى مكان سابق من هذا الفصل ذكرنا مبادىء ثلاثة فى مجال تقسيم المتبنين للأفكار المستحدثة إلى فئات . والقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة باعتبارها معياراً يستعان به فى تقسيم المتبنين إلى فئات من شأنها تحقيق كل من هذه المبادىء . والفئات الخمس للمتبنين للأفكار المستحدثة تعتبر جامعة مانعة (باستثناء غير المتبنين) كما أنها مستمدة من مبدأ تصنيفى واحد . والطريقة المقترحة لتقسيم المتبنين إلى فئات من الجائز أن تكون سهلة ومفيدة ، ليس فقط بالنسبة إلى البحوث الدراسية المستقبلة ، ولكن كذلك فى إعادة تحليل الدراسات القديمة المعتمدة على طرق أخرى من طرق التصنيف .

فئات المتبنين كأنماط نموذجية :

القيم البارزة :

والفئات الخمس لمتبنى الأفكار المستحدثة ، وهى الفئات التى سبق ذكرها فى هذا الفصل ، إنما هى أنماط مثالية . والأنماط المثالية هى أفكار مجردة قائمة على ملاحظة الحقائق ومرسومة بحيث تفيد عند إجراء المقارنات . والمعايير التقليدية والحديثة التى سبق وصفها فى الفصل الثالث إنما هى أنماط مثالية . ووظيفة الأنماط المثالية هى توجيه الجهود فى مجال البحث كما أنها تخدم كإطار تنظم فى داخله نتائج البحث .

وفى واقع الأمر ، لا نجد ثغرات ظاهرة فى خط القابلية لابتكار

الأفكار المستحدثة وتبنيها وهو الخط الذى يمر به كل من الفئات الخمس. والوضع هنا شبيه بوضع الطبقات الاجتماعية على خط الوضع الاجتماعى وهو الذى يمر به جميع طبقاته. والأنماط النموذجية تقوم أيضاً بوظائف هامة فى عديد من المجالات الأخرى ذات الصلة بعلم الاجتماع.

والأنماط النموذجية ليست مجرد الوسط العام لكافة الملاحظات التى تدور حول كل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة. ولابد من شواذ لهذا الأمر. وإذا لم يكن ثمة شواذ فالأنماط النموذجية لا ضرورة لها. هذه الأنماط تقوم على الأفكار المجردة المستمدة من الحالات الاختبارية ونقصد بها أن تكون مرشداً يفيد فى مجال الصياغة النظرية والفحوص الاختبارية.

والقسم التالى من هذا الفصل يتضمن تلخيصاً سريعاً للقيم العامة لكل فئة ولسوف نتبعه بتعميات أكثر تفصيلا.

١ — المبتكرون للأفكار المستحدثة يتسمون بروح المغامرة:

لقد لاحظ الملاحظون أن المغامرة تكاد تكون من مستلزمات حياة المبتكرين للأفكار المستحدثة. إنهم أشد ما يكونون رغبة فى أن يجربوا أفكاراً جديدة. هذا الشعور يخرج بهم عن نطاق الجماعة التى ينتمون إليها ويتعاملون معها ويقودهم إلى علاقات اجتماعية خارجة عن هذا النطاق المحدود. وأنماط العلاقات والصدقات التى تنشأ بين جماعة من المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين لها تحمل كلها طابع مشترك وذلك بالرغم من أن المسافات الجغرافية بين هؤلاء قد تكون كبيرة. إنهم يطوفون بجوانب المجتمع على أجنحة من الأفكار التى تدفعها روح المغامرة. والمرء لكى يكون من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة لابد من أن تتوافر فيه شروط معينة. من هذه الشروط القدرة المالية التى تهيىء الفرصة لتحمل الخسارة

التى لابد أن تنتج عن الفكرة الجديدة التى لا تدر نفعاً مادياً . ومن هذه الشروط أيضاً القدرة على فهم الصعب من الأفكار ، وعلى تطبيق المعقد من الأساليب .

والقيمة الكبرى لهذا النوع من الناس تتركز فى روح المغامرة التى يتميزون بها وهم يقبلون على ما هو خطر فى اندفاع وجسارة مهللين للأخطار مرحبين بها . إنهم أيضاً لابد أن يكونوا مستعدين لقبول الهزيمة من وقت إلى آخر وذلك عندما يثبت فشل إحدى الأفكار الجديدة التى يتبنونها .

٢ — المتبنون الأوائل يحظون باحترام أقرانهم :

والمتبنون الأوائل هم جزء لا يتجزأ من التنظيم الاجتماعى المحلى وهم فى ذلك يفوقون المبتكرين للآراء المستحدثة . وبينما هؤلاء يعتبرون منفتحين على العالم الخارجى ، ننظر نحن إلى المتبنين الأوائل باعتبارهم من المحليين الملتزمين لحدود أماكنهم الضيقة . هذه الفئة ، فئة المتبنين الأوائل ، تتميز بأكبر درجة ممكنة من درجات الريادة الفكرية وهم فى هذا المجال يفوقون غيرهم من أفراد الفئات الأخرى الذين ينتمون للتنظيمات الاجتماعية المختلفة .

والأفراد الذين لديهم القابلية لتبنى جديد الأفكار يتطلعون إلى هؤلاء طالبين النصيحة والمعرفة بشأن الفكرة الجديدة . والمتبنى الأول يعتبره الكثيرون « الرجل المرجع » الذى يرجعون إليه قبل أن يقبلوا على اعتناق الفكرة الجديدة . هذه الفئة من المتبنين — فئة المتبنين الأوائل — ينظر إليهم دعاة التغيير الاجتماعى عادة باعتبارهم الوسيلة المحلية للإسراع بعملية نشر الفكرة الجديدة . ولما كان المتبنون الأوائل لا يبتعدون كثيراً ، على خط المقارنة ، عن الأفراد العاديين فى التنظيم الاجتماعى من ناحية

الاستعداد لتبنى الأفكار المستحدثة فإن فئة المتبنين الأوائل تفيد كثيراً باعتبارها أنموذجاً يحتذى من قبل الأفراد الآخرين فى التنظيم الاجتماعى. والمتبنى الأول ينظر إليه أقرانه نظرة احترام وتقدير باعتباره يمثل الأفكار الجديدة ويرمز إلى المزايا التى تعود على المتبنين لها. وفى الوقت نفسه، يعرف المتبنى الأول جيداً أنه يجب أن يستمر فى كسب هذا التقدير الصادر عن زملائه وبخاصة إذا أراد الاحتفاظ بمكانته فى التركيب الاجتماعى.

٣ — الغالبية المتقدمة : يبصرون بالعواقب :

هذه الفئة تتبنى الأفكار الجديدة قبل أن يفطن لوجودها أوساط الناس فى التنظيم الاجتماعى الواحد. وأفراد هذه الفئة يشتركون مع أقرانهم فى جميع الأعمال اشتراكاً فعالا وإن كانوا قلما يشغلون مراكز القيادة والتوجيه. والموقع الفريد الذى يشغله أفراد هذه الفئة بين السباقين لتبنى الأفكار الجديدة والمتأخرين نسبياً فى مجال هذا التبنى يجعل منهم صلة وصل هامة فى مجال إعطاء الأفكار المستحدثة صفة الشرعية.

وأفراد هذه الفئة قد يطيلون التفكير قليلا قبل أن يقر قرارهم على تبنى فكرة جديدة. والفترة التى يقضونها قبل التبنى تعتبر أطول نسبياً من الفترة التى يقضيها أفراد فئة المبتكرين وكذلك أفراد فئة المتبنين الأوائل. « لا تكن آخر من يلقى بالقديم جانباً ولا أول من يقوم بتجربة الجديد ». قد يكون هذا هو الشعار الذى يتمسك به أفراد فئة الغالبية المتقدمة. إنهم ينسجون على منوال غيرهم فى روية وتبصر فى العواقب ولكنهم قلما يقودون غيرهم.

٤ — الغالبية المتأخرة : متشككون :

هذه الفئة تتبنى الأفكار الجديدة ولكن بعد أن يكون أوساط الناس

من بينهم قد فرغوا فعلا من هذا الأمر . والتبنى قد يكون ضرورة اقتصادية كما قد يكون رداً على ضغوط اجتماعية متزايدة . وأفراد هذه الفئة يقربون الأفكار المستحدثة فى حذر وهم لا يتبنون الأفكار المستحدثة فعلا إلا بعد أن يتحققوا من أن غالبية كبيرة من أقرانهم قد فعلت هذا الشيء . على أن الرأى العام بكل أثقاله لا بد أن يقف فى صف الفكرة المستحدثة قبل أن يقتنع أفراد الغالبية المتأخرة بضرورة تبنى تلك الفكرة . إنه من الميسور إقناعهم بجدوى الأفكار الجديدة ولكن ضغط الأقران لا بد منه هنا للتعجيل بعملية التبنى .

٥ — *المتلكئون : يتشبثون بالتقاليد :*

والمتلكئون هم آخر من يتبنى الفكرة المستحدثة . إنهم لا يملكون أية قيادة فكرية من أية نوع وهم أكثر فئات المتبنين للأفكار المستحدثة التزاماً لحدود واقعهم الضيق والكثير منهم يعيشون فى عزلة تكاد أن تكون تامة . أما نقط الارتكاز فى تفكير هؤلاء فتستمد من الماضى ومن الماضى فقط وقراراتهم تصدر عادة فى صيغ مستمدة مما قام به الناس فى أجيال سابقة . والفرد يتفاعل مبدئياً مع غيره من الناس من ذوى القيم التقليدية المشتركة مع قيمه . وعندما يتبنى المتلكئون فى النهاية إحدى الأفكار المستحدثة ، هذه الفكرة قد تكون قد تركت مكانها عند المبتكرين لها وحلت محلها فكرة جديدة أخرى . والمتلكئون يميلون إلى أن يعلنوا شكهم فى الأفكار المستحدثة ، وفى المبتكرين والمتبنين لها ، وفى دعاة التغيير الاجتماعى من خبراء اجتماعيين وإخصائيين فنيين .

ولما كان عمر أفراد هذه الفئة يميل إلى الكبر واتجاهاتهم الفكرية تتميز بطابع خاص فإن عملية التبنى نتيجة لهـــذا قد تركد لديهم إلى حد التوقف . ونشاط تبنى الأفكار الجديدة عند أفراد هذه الفئة يسير عادة

بخطوة أقصر من تلك التى يسير بها إدراك الفكرة الجديدة وعلى ذلك فهو متأخر عنها . وفى نظرة أفراد هذه الفئة إلى الحياة ككل يبدو واضحاً مدى ما يحسون به من قلق تجاه عالم غريب عنهم يصير كل شىء فيه بسرعة مجنونة. وفى حين يكون معظم الأفراد المنتمين إلى المجتمعات المختلفة يتطلعون إلى طريق التغير الماثل أمامهم ، نرى أفراد فئة المتلكئين يركزون أبصارهم على المرآة التى تعكس أمامهم مناظر الحياة خلفهم وهى المناظر التى سبق لهم أن مروا بها .

الصفات المميزة لفئات المتبنين :

لدينا دراسات لا عد لها ولا حصر تدور كلها حول المفاهيم ذات الصلة بالقابلية لاستنباط الأفكار المستحدثة وتبنيها . وفى كافة هذه الدراسات لانجد أساليب واحدة أو متشابهة لتصنيف المتبنين إلى فئات مختلفة والنتيجة أن مقارنة نتائج البحوث بعضها ببعض فى هذه النقطة بالذات أصبح أمراً على كثير من التعقيد . ومن حسن الحظ أن معظم الباحثين فى هذا الموضوع استخدموا بعض المقاييس التى تقيس القابلية لابتداع الأفكار الجديدة وتبنيها مع متغيرات متشابهة على وجه العموم . ونتائج البحث فى موضوع الصفات المميزة لفئات المتبنين يمكن أن نلخصها تحت العناوين التالية :

١ — الصفات المميزة الشخصية .

٢ — السلوك التفاعلى .

٣ — العلاقات الاجتماعية .

الصفات المميزة الشخصية :

وفيما يلى نذكر عدداً من الصفات المميزة لفئات المتبنين للأفكار المستحدثة وإن كان يغلب عليها صفة العمومية لا التخصيص :

١ — السن : فالمتبنون الأوائل هم أصغر سناً من المتبنين الأواخر :

وإن كنا لا نملك أساساً متفقاً عليه من الجميع لهذا التعميم إلا أننا نجد أن «جروس» عام ١٩٦٢ ، و «جونز» عام ١٩٦٠ ، و «كولمان» و « ليونبرجر » و « كوهنور » عام ١٩٥٧ ، و « راهودكار » عام ١٩٦١ ، و « لورى » عام ١٩٥٨ ، و « روجرز » عام ١٩٦١ ، و « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ ، و « روجرز » ، و « بيرج » عام ١٩٦١ يقررون وجود علاقة بين السن الصغيرة وبين القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . وبالرغم من ذلك نجد أن ثمة دراسات تبلغ العشر تشير إلى أنه ما من علاقة على درجة من الأهمية بين السن والقابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها، فى حين توجد أبحاث ثلاثة تشير إلى أن السن الكبيرة لها علاقة وثيقة بالقدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها. ونحن قد نجد فى جدول (٦—٣) تعليلا للتعارض الموجود فى نتائج هذه الدراسات التى سبق أن أجريت فى هذا المجال . وإن إعادة التحليل للمادة العلمية التى استخدمها « جروس » عام ١٩٤٢ واستمدها من الدراسة التى أجريت فى ولاية « أيووا » على بذور الذرة الهجين لتبين وجود فوارق فى السن بين فئات المتبنين للأفكار المستحدثة عند استخدامه فى الفترة التى تم فيها التبنى للبذور الهجين وهذه الفوارق أكبر من تلك التى وجدها عند حسابه للسن فى فترة المقابلة .

والشواهد العامة يبدو أنها تشير كلها إلى أن أفراد فئة المبتكرين للأفكار الجديدة والمتبنين لها هم فى الواقع أصغر سناً من أفراد فئة المتلكئين. وثمة أسس نظرية مناسبة تجعلنا نتوقع من الأفراد الأصغر سناً فى التنظيم الاجتماعى أن يكونوا أكثر قابلية لتبنى الأفكار المستحدثة ، وأن تكون الشخصية وفقاً للأشكال الاجتماعية السائدة ليتم أساساً فى فترة باكرة من فترات حيات الإنسان. وفى غضون ثقافة سريعة التغير هذا معناه أن صغار السن من الناس يتعلمون فى العادة مجموعة من القيم الثقافية على درجة أكبر من الانسجام مع روح العصر وهم فى هذا المجال يفوقون غيرهم من كبار

جدول رقم (٦ — ٣)

متوسط عمر الأشخاص موضوع الاستفتاء فى فترة التبنى لفكرة الذرة الهجين
وكذلك فى الوقت الذى تمت فيه المقابلة مع أفراد الفئات المختلفة

فئات المتبنين تبعاً لرأى « جروس »	عدد الأشخاص موضوع الاستفتاء	متوسط السن عند المقابلة	متوسط السنة التى تم فيها تبنى الذرة الهجين	متوسط السن عند تبنى الذرة الهجين
(ا) المتبنون الأوائل	٢٣	٤٨,٢	١٩٣٠	٣٧,٢
(ب) المتبنون المبكرون فى التبنى نسبياً	٧٢	٤٩,٧	١٩٣٥	٤٣,٧
		— ١٠,٨		— ٢٠,٨
(ج) المتبنون المتأخرون فى التبنى نسبياً	١٤٥	٥٠,٣	١٩٣٨	٤٧,٣
(د) أواخر المتبنين	١٩	٥٩,٠	١٩٤٠	٥٨,٠
الإجمالى	٢٥٩			

السن الذين تكونت شخصياتهم فى فترة باكرة من حياتهم . ولما كان صغير السن أقل تأثراً بالقيم الثقافية العتيقة ، يمكن القول بأنهم أكثر استجابة للأفكار المستحدثة .

٢ — الوضع الاجتماعى : للمتبنين الأوائل وضع اجتماعى أرقى من وضع المتبنين الأواخر : ومن الأمور الهامة هنا أن نشير إلى أن الصلة المحكمة بين القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة وبين الوضع الاجتماعى ، وإن كانت إيجابية على وجه العموم ، قد تعتمد جزئياً على الصفات المميزة للفكرة المستحدثة موضوع التحليل والدراسة . ولبيان ذلك نقول إن « جراهام » وجد عام ١٩٥٤ وعام ١٩٥٦ أن الطبقة الراقية تبنت لعبة الورق المسماة «كاناستا» بدرجة أسرع ولكن الطبقة الفقيرة كان تبنيها للتليفزيون أسرع من تبنى الطبقة الراقية له . أى أن قيم الطبقة الاجتماعية ، تلك القيم ذات الصلة بالفكرة ، المستحدثة قد تؤثر على العلاقة بين القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة والوضع الاجتماعى .

وبعض الباحثين أوجدوا معاملات ارتباط عديدة بين درجة التعليم الذى هو بعد من أبعاد الوضع الاجتماعى وبين القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة . والواقع أن كل بحث من البحوث الثمانية عشر التى سبق أن أثبتت وجود علاقة بين الوضع الاجتماعى وبين القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة ، قد تكشف أيضاً عن وجود علاقة بين درجة التعلم والقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة .

لقد وجد « هوفر » و « ستانجلانج » عام ١٩٥٨ وكذلك «عبد الرحيم» عام ١٩٦١ و « ستراوس » عام ١٩٦٠ و « هوتر » غام ١٩٦٠ و« كوهنور » عام ١٩٦٠ و « روجرز » عام ١٩٦٠ و « شيبارد » عام ١٩٦٠ أن درجة التعلم ترتبط ارتباطاً إيجابياً مع القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة .

٣ — المركز المالى : المتبنون الأوائل يتمتعون بمركز مالى أفضل من مركز المتبنين الأواخر : وبحبوحة العيش قد تقاس بالدخل المرتفع أو بضخامة الأعمال أو بامتلاك الثروة .

لقد درس « أينوس » عام ١٩٥٨ الصفات المميزة لفئة المتلكئين وفئة المبتدعين فى ميدان الصناعات البترولية وانتهى من هذه الدراسة إلى أن « المصنع الناجح هو الذى يأخذ بالأفكار المستحدثة فى حين أن المصنع الفاشل هو الذى يتلكأ فى تبنى مثل هذه الأفكار » . لقد وجد « ملفورد » عام ١٩٥٩ فى ولاية « أيووا » أن المجتمعات التى كان أفرادها سباقين إلى تبنى فكرة تنظيمية معينة ، كانت فى الواقع أكبر بكثير من تلك التى كان أفرادها ممتنعين عن اعتناق الفكرة . أما الفكرة الجديدة التى كانت موضوعاً للدراسة فكانت إنشاء فروع محلية للنقابات الصناعية خدمة لتطوير الصناعة .

وفى عام ١٩٥٨ قام « روس » باستعراض عدد من الدراسات التى تدور حول نشر الأفكار التربوية فى أوساط العاملين بالمدارس العامة وانتهى من استعراضه هذا إلى أن أكثر المتغيرات اتصالا بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة هو متغير الثروة . لقد وجد « كولمان » أن الأطباء السباقين إلى استخدام عقار « الجامانين » كان لهم مرضى من ذوى الدخول الكبيرة وهؤلاء كانوا أقدر من غيرهم على دفع الأثمان الباهظة لدواء جديد مثل « الجامانين » .

والثروة والقابلية لتبنى المستحدث من الأفكار يبدو أنهما يسيران جنباً إلى جنب . هل المبتكرون للأفكار يبتكرونها ويتبنونها لأنهم أغنياء أم هل هم أغنياء لأنهم يبتكرون الأفكار ويتبنونها ؟ والجواب على مثل هذا السؤال المتعلق بالسبب والمسبب لا يمكن أن نجيب عليه بالقدر الضئيل من المادة العلمية التى نملكها حالياً . على أنه يمكن تعليل

السبب الذى من أجله نرى أن الثروة والقدرة على ابتكار الأفكار الجديدة وتبنيها يسيران جنباً إلى جنب . فكثيراً ما نرى أن معظم الفوائد المادية تذهب إلى جيوب الطلائع الأولى من المتبنين لفكرة جديدة أو لمبتكريها أى أن المبتكر والمتبنى الأول كل منهما يربح الكثير من وراء الفكرة الجديدة . وبعض الأفكار الجديدة نراها مكلفة بالنسبة لمن يتبناها وهى لذلك تحتاج فى أول أمرها إلى مبالغ طائلة بحيث لايستطيع أن يتبناها سوى الجماعات التى تتمتع بشىء من الثراء . والمبتكرون للأفكار المستحدثة ينالهم الثراء من جراء هذا وكذلك المتبنون لمثل هذه الأفكار فى حين أن المتلكئين فى التبنى يزدادون فقراً بنفس الطريقة . ولما كان المبتكر للفكرة المستحدثة هو أول من يتبنى الفكرة ، عليه إذن أن يتعرض لأخطار يمكن لمن يأتى بعده من المتبنين الأواخر أن يتحاشاها . لذلك نقول إن عدداً من الأفكار الجديدة الصادرة عن فئة المبتكرين معرضة للفشل وعلى ذلك فإن أفراد هذه الفئة لابد أن يكونوا على درجة من الثراء بحيث يستطيعون أن يتحملوا الخسائر الناجمة عن هذا الفشل . ومن الواجب أن نشير هنا إلى أنه بالرغم من أن الثروة والقدرة على ابتكار الأفكار وتبنيها مرتبط بعضها ببعض فإن العوامل الاقتصادية لاتعطينا تفسيراً كاملا للسلوك الابتكارى . مثال ذلك أنه بينما يكون المبتكرون فى ميدان الزراعة على الأغلب من بين الفئات الغنية ، فإننا نجد أن ثمة عديد من المزارعين الأغنياء ولكنهم لايعتبرون من المبتكرين للأفكار المستحدثة فى عالم الزراعة .

٤ — التخصص : المتبنون الأوائل لديهم من الأعمال التخصصية مايفوق تلك التى يقوم بها المتبنون الأواخر : والمبتكرون للأفكار ، على وجه خاص ، يغلب عليهم التخصص فى أعمالهم ولذا « يضعون كل مالديهم من بيض فى سلة واحدة » . مثال ذلك أن المبتكرين فى أوساط

الفلاحين من طبيعتهم أن يركزوا اهتمامهم على قطاع واحد من قطاعات الزراعة مثل قطاع تربية الخنازير أو تربية الأغنام أو صناعات الألبان وهذا التخصص من شأنه أن يجعل المبتكر مطلعاً على كل ما يستحدث فى نطاق تخصصه كما يسهل عليه مهمته فى مجال الابتكار وقد يقوده إلى التفتيش عن مصادر لمعلوماته فى أماكن أخرى بعيداً عن الأماكن التى درج فيها .

هذا التعميم ليس له من الإسناد الاختبارى سوى القليل ، وهو فى هذا المجال يختلف كثيراً عن غيره من التعميمات التى جاء ذكرها فى هذا الفصل . لقد وجد « جونز » عام ١٩٦٠ ، و « روجرز » عام ١٩٦١ ، و « روجرز » و « بيردج » عام ١٩٦٢ أن ثمة علاقة كبيرة بين التخصص والقدرة على ابتكار الأفكار الجديدة وتبنيها .

٥ — القدرة العقلية : المتبنون الأوائل لديهم نمط من القدرة العقلية يختلف عن ذلك الذى لدى المتبنين الأواخر : والمبتكرون للأفكار الجديدة لابد أن يكونوا قادرين على ابتكار الفكرة الجديدة وتبنيها من خلال وسائط جماعية يتخذون منها مصادر للمعلومات . إن أفراد هذه الفئة لا يستطيعون أن ينقلوا سلوك غيرهم من المنتمين لنفس التنظيم الاجتماعى لأن هؤلاء لم يتبنوا الفكرة المستحدثة بعد . ووفقاً لهذا النمط من التفكير ، يجوز للمرء أن يتوقع من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة أن يكون لهم نوع من القدرة العقلية يختلف عن تلك التى لفئة المتلكئين .

وثمة عديد من البحوث التى تزودنا بشواهد مهما يكن من ضآلتها فهى تدعم هذا التعميم . لقد وجد كل من « روجرز » عام ١٩٦١ ، و « فان دى بان » علاقات « منخفضة » ، وإن كانت « إيجابية » ، بين القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وبين التفكير الذكى . كذلك وجد « روجرز » و « بيل » عام ١٩٥٩ علاقة « مرتفعة » بين القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة والقدرة على التفكير المجرد . هذا التفكير الذى يعتبر نوعاً

من القدرة العقلية يقاس بالاستجابة لصور معينة تلعب دور المثير . وهناك أيضاً عدة دراسات تشير إلى أن المبتكرين للأفكار فى مجال الزراعة لديهم قدر من المعلومات الخاصة بالزراعة وأساليبها يفوق ما لدى فئة المتلكئين منها .

وثمة دراسات عديدة تشير إلى أن المتبنين الأوائل هم بطبيعتهم أقل تمسكاً بحرفية القوانين وأقل تزمتاً وأكثر خضوعاً لمقتضيات التفكير السليم من فئة المتبنين الأواخر . لقد وجد « روجرز » عام ١٩٥٧ من نتائج الاختبارات التى أجريت على فئات مختلفة من الناس أن الفلاحين الآخذين بالأفكار المستحدثة ينالون درجات قليلة فى اختبارات قياس التمسك بحرفية القوانين وكذلك قياس التزمت . وفى عام ١٩٥٦ وجد « كوب » فى دراسة على مربى الماشية فى « كانزاس » أن الآخذين بالأفكار المستحدثة لديهم من المرونة العقلية قدر يفوق ما لدى فئة المتلكئين منها . لقد وجد باحثون من أمثال « دين » و « إمرى » و « بلر » و « كوهنور » أن أعداداً متزايدة من الفلاحين الآخذين بالأفكار المستحدثة يستخدمون الآن أعداداً متزايدة من الأساليب المنطقية العلية للوصول إلى أهدافهم . كذلك نجد أن « بيردج » عام ١٩٦١ و « جولدشتين » عام ١٩٦١ و « كوب » عام ١٩٥٦ إنتهوا جميعاً من دراساتهم إلى أن فئة المتلكئين هم أكثر من غيرهم إيماناً بالعمل وتقديساً له باعتباره هدفاً فى حد ذاته وليس مجرد وسيلة لتحقيق أهداف معينة . ولقد وجد « سذرلند » عام ١٩٥٩ أن مصانع غزل القطن المتلكئة فى الأخذ بالأفكار المستحدثة فى مجالات هـــذه الصناعة لا ترغب فى الانشغال بمقتضيات المستقبل البعيد وتعتقد أن الطريقة المثلى هى التشبث بالأفكار الراهنة .

والقدرة العقلية إنما هى بعد من الأبعاد يصعب قياسه ومن اللازم أن

نشير هنا إلى أن المادة العلمية التي لدينا لتدعيم التعميم الذى أوردناه فى مطلع هذه الفقرة ما زالت ضعيفة للغاية .

السلوك المتبع فى الاتصال :

ومصادر المعلومات تختلف من نواحى ثلاث هى :

١ — المرحلة التى تم بلوغها فى عملية التبنى .

٢ — الصفات المميزة للفكرة المستحدثة .

٣ — الفئة التى ينتمى إليها المتبنى للفكرة .

والتعميمات التى أوردناها فى هذا الجزء من الكتاب تتناول أساساً الاختلافات الموجودة فى السلوك المتبع فى الاتصال على أساس الفئة التى ينتمى إليها المتبنى للفكرة المستحدثة . هذه التعميمات تتجاهل بصفة عامة الأثر الخاص بكل مرحلة من مراحل التبنى ، وكذلك الصفات المميزة للفكرة المستحدثة . ولسوف نورد فيما يلى عدداً من التعميمات يتناول كل منها الفروق بين فئات المتبنين من حيث التأثر بمصادر المعلومات :

١ — مصادر غير ذاتية . والمصادر غير الذاتية للمعلومات أهم من المصادر الذاتية بالنسبة للمتبنين الأوائل ، وهى بالنسبة لهؤلاء أهم مما هى بالنسبة للمتبنين الأواخر .

هذا الاتجاه يتضح كثيراً فى مرحلة التقييم ويقل ظهوره فى المراحل الأخرى وبخاصة فى مرحلة الإدراك (شكل ٦ — ٢) . هـــذا التعميم تدعمه النتائج التى توصل إليها «بوورز» عام ١٩٣٨ و «رايان» و «جروس» عام ١٩٤٣ و «ويكلننج» عام ١٩٥٢ و «روجرز» و «بيل» عام ١٩٥٨ و «بيل» و «روجرز» عام ١٩٦٠ و «عبد الرحيم» عام ١٩٦١ . والتأثير الذاتى لا يهم كثيراً فى مجال حث فئة المتبنين الأوائل على قبول الفكرة

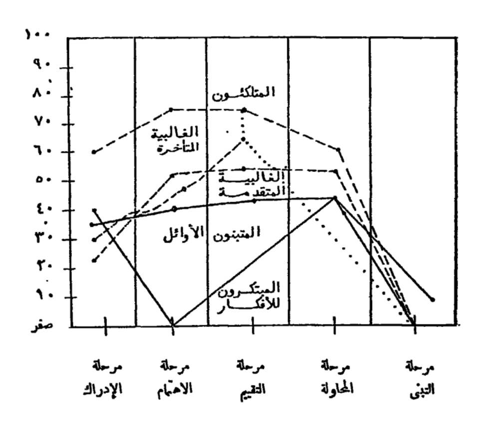
الجديدة كما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأواخر . وفى الوقت الذى يقرر فيه أفراد فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين الأوائل استخدام فكرة جديدة يكون عدد قليل من أعضاء التنظيم الاجتماعى الذى ينتمى إليه هؤلاء الأفراد على درجة من الخبرة بها . وكنتيجة لهذا ، يقوم المتبنون الأوائل بالحصول على الأفكار الجديدة من مصادر غير ذاتية . وعندما يستشهد المتبنون الأوائل بمصادر للمعلومات ذاتية فأغلب الظن أن تكون هذه المصادر فئة أخرى من المتبنين الأوائل أو عدداً من دعاة التغيير الاجتماعى .

٢ — مصادر منفتحة على العالم الخارجى • والمصادر المنفتحة على العالم الخارجى للمعلومات أهم من المصادر المحلية بالنسبة للمتبنين الأوائل للأفكار المستحدثة :

والمصادر المنفتحة على العالم الخارجى للمعلومات إنما هى تلك المصادر الخارجة عن التنظيم الاجتماعى ومعظم الأفكار الجديدة إنما تدخل إلى التنظيم الإجتماعى آتية من خارجه . وإذا كان الفرد من فئة المتبنين الأوائل فإنه من الجائز أن يحصل على معلوماته عن الأفكار المستحدثة من مصادر منفتحة على العالم الخارجى . والأدلة المدعمة لهذا التعميم يقول بها «كامبل» عام ١٩٥٩ و «روجرز» و «ليوتهولد» عام ١٩٦٢ و «روجرز» و «بيردج» عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٢ . وإن الأطباء الذين يفتشون عن الأفكار المستحدثة فى عالم الطب ليتجهون إلى المعاهد والمؤسسات الطبية خارج البلاد ويعتبرونها مصدراً هاماً من مصادر المعلومات وهم فى هذا يفوقون فئة المتلكئين فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة . كذلك وجد «كارتر» و «وليامز» عام ١٩٥٩ أن المؤسسات الصناعية التى تأخذ بالأفكار

المستحدثة أكثر رغبة فى طلب الأفكار الجديدة من رجال البحث العلمى فى الجامعات من فئة المصانع المتلكئة فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة . وعلى أى حال ، ثمة حاجة إلى اختبار هذا التعميم وبخاصة فى الظروف الملابسة لعملية التبنى من حيث الاختلاف فى فئات المتبنين .

النسبة المئوية لمصادر المعلومات من النوع الذاتى



شكل (٦ — ٢)

النسبة المئوية لمصادر المعلومات فى كل مرحلة فى عملية التبنى بالنسبة إلى فئة التبنى لفكرة استخدام المحلول الكيمائى (٢ ، ٤ د) لإبادة الأعشاب الضارة

٣ — مصادر وثيقة الصلة بالأفكار الجديدة . والمتبنون الأوائل يستخدمون مصادر المعلومات ذات الصلة الوثيقة بالأصل الذى خرجت منه الأفكار الجديدة وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأواخر :

ورجال العلم هم المصدر الذى تخرج منه معظم الأفكار المستحدثة . والمبتكرون للأفكار المستحدثة لديهم فى العادة اتصالات وثيقة مع رجال العلم كما ينظرون إليهم نظرة طيبة وهم من هذه الناحية يفوقون فئة المتلكئين فى تبنى الأفكار المستحدثة .

لقد تولى « روجرز » عام ١٩٦١ تحليل مادة علمية مستمدة من عينة مكونة من مائتى فلاح من فلاحى ولاية « أوهايو » لكى يدلل على أن المبتكرين للأفكار المستحدثة هم أشد ما يكونون اتصالا برجال العلوم الزراعية . لقد وجد « روجرز » أيضاً أن المبتكرين الأوائل على اتصال وثيق بإخصائيى الخدمات الزراعية وهم فى ذلك يفوقون أية فئة أخرى من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة ومنهم فئة المبتكرين لهذه الأفكار .

٤ — مصادر أكثر عدداً : المتبنون الأوائل يستخدمون عدداً أكبر من المصادر المختلفة للمعلومات أكثر مما يفعل المتبنون الأواخر :

ولقد أشرنا قبل الآن إلى أن المتبنين الأوائل يميلون إلى البحث فى نشاط عن الأفكار الجديدة فى حين أن المتبنين الأواخر يتسمون بموقف محايد أو حتى سلبى تجاه الأفكار الجديدة . والمبتكرون للأفكار الجديدة والمتبنون الأوائل لها يرغبون فى العادة رغبة أكيدة فى بذل جهود متزايدة فى سبيل الحصول على المعلومات ذات الصلة بالأفكار المستحدثة .

وإنه لمن المعقول أنْ نتوقع من المتبنين الأوائل أن يبحثوا ليس فقط عن مصادر للمعلومات تتميز بأنها غير ذاتية وأكثر انفتاحاً من غيرها على

العالم الخارجى وأسرع فى الوصول إلى الهدف بل إنهم أيضاً يبحثون عن عدد أكبر من مصادر للمعلومات تتميز بالتنوع . وأفراد فئة المتبنين الأوائل هؤلاء يفوقون فى هذا المجال فئة المتبنين الأواخر .

وهذا التعميم تدعمه نتائج البحوث التى قام بها « كوهنور » عام ١٩٦٠ ، و « فلنجل » و « أوزر » عام ١٩٥٨ . لقد وجد « كوب » عام ١٩٥٦ أن المتبنين الأوائل يستخدمون عدداً متزايداً من مصادر المعلومات وكذلك المصادر التى تحتاج إلى جهود أكبر فى الاستخدام .

ومصادر المعلومات يمكن أن تصنف على أسس مختلفة منها أساس الانفتاح على العالم الخارجى وأساس كونها ذاتية أو غير ذاتية . والشخصية التى كانت موضوعاً للدراسة والتحليل فى البحث المذكور فى هذا الجزء من الكتاب إنما هى عبارة عن فرد يفتش عن المعلومات الخاصة بفكرة جديدة فى مصدر من المصادر . ومن الميسور هنا ملاحظة أن أبعاد التحليل التى تتضمنها التعميمات الحالية تتداخل وتتشابك إلى حد كبير . فعلى سبيل المثال نرى أن المصادر المتفتحة على العالم الخارجى قد تكون أقل اتصافاً بصفة الذاتية وأكثر ميلاً إلى السير فى طريق مستقيم للوصول إلى أصول الأفكار الجديدة . أما الخطوة التالية فى البحث فهى القيام بتحليل متعدد النواحى لمصادر المعلومات بغرض تحديد مدى استخدام مصادر المعلومات فى مجال الكشف عن القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

العلاقات الاجتماعية :

ثمة فروق هامة فى العلاقات الاجتماعية التى تتم فى نطاق فئات المتبنين للأفكار المستحدثة :

١ — صفة الانفتاح على العالم الخارجى :

المتبنون الأوائل هم بطبيعتهم أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من

المتبنين الأواخر : والانفتاح على العالم الخارجى هو مدى خضوع الفرد لمؤثرات خارجة عن تنظيم اجتماعى معين . ونحن قد سبق لنا أن بينا كيف أن فئة المتبنين الأوائل يستخدمون مصادر للمعلومات تتميز بالانفتاح على العالم الخارجى وهم فى هذا المجال يفوقون فئة المتبنين الأواخر . وإن الجماعات التى يرجع إليها أفراد فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة يكونون فى معظم الأحايين خارج نطاق هـذه الفئة أى خارج التنظيم الاجتماعى الذى يعيشون فى إطاره . وأفراد هذه الفئة يسيحون كثيراً ولهم اهتمام خاص بالشئون التى تحدث خارج مجتمعهم . والجماعات والمنظمات التى ينتمى إليها أفراد فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة من الشائع أن تحتوى صفوف أعضائها على شخصيات أخرى من المنتمين إلى هذه الفئة .

لقد وجد « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ أن المزارعين الآخذين بفكرة الذرة الهجين ينتقلون كثيراً إلى المراكز الحضرية ، وذكر مدينة « ديزموان » على وجه التخصيص ، وهم من هذه الناحية يفوقون غيرهم من أوساط المزارعين . وفى دراسة تحليلية حديثة لنفس المادة العلمية ، وجد « جروس » و « تافيز » أن تردد أفراد هذه الفئة على مدينة « ديزموان » يرتبط ارتباطاً إيجابياً مع تسعة من الأشخاص العشرة الذين كانوا موضع الدراسة . كذلك دلت الدراسة على أن الأطباء البشريين من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين لها حضروا عدداً من الاجتماعات المهنية يفوق ماحضره غيرهم من هذه الاجتماعات . كذلك وجد « كارتر » و « وليمز » عام ١٩٥٩ أن أكثر المؤسسات الصناعية أخذاً بأصول الأفكار المستحدثة فى عالم الصناعة هى فى الوقت نفسه أكثر المؤسسات الصناعية انفتاحاً على العالم الخارجى :

« ثمة ميل واضح لدى كبار المنفذين للتجوال فى العالم والاهتمام

الشديد بمظاهر التقدم البشرى داخل البلاد وخارجها» . لقد أعلن «روس» عام ١٩٥٨ أن المعلمين فى المدارس ذات الاتجاه نحو الأخذ بالأفكار المستحدثة فى عالم التربية والتعليم يكونون فى العادة أكثر ميلا من غيرهم إلى الاستعانة بالآراء الصادرة عن أناس يقيمون خارج مجتمعهم . وفى عام ١٩٥٦ وجد «فوستر» أن القزويين الهنود الذين يمتلكون دراجات خاصة — وهذه فى حد ذاتها وسيلة من وسائل الانفتاح على البيئات الخارجية — هم أكثر من غيرهم أخذاً بالأفكار المستحدثة . كذلك وجد «جولسين» و «راليس» أن الفئة الآخذة بهذه الأفكار من بين فلاحى «تايلاند» يكونون عادة أكثر من غيرهم تردداً على مدينة «بانجوك» العاصمة . كذلك وجد «كوكنج» بعد دراسة على عدد كبير من المدارس أن الآخذ منها بالأفكار المستحدثة يتصف بصفة الانفتاح على العالم الخارجى .

و «ليونبرجر» و «كوهنور» فى «ميزورى» ، و «روجرز» و «بيرج» فى «أوهايو» ، و «امرى» و «أوزر» فى «استراليا» ، و «جونز» فى إنجلترا وجدوا جميعاً من دراساتهم أن فئة الفلاحين الآخذين بالمستحدث من الآراء فى عالم الزراعة يتميزون أكثر من غيرهم بالانفتاح على العالم الخارجى . كذلك وجد «روجرز» عام ١٩٦١ أن أفراد فئتى المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين الأوائل لهذه الأفكار يكونون فى العادة أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من أفراد فئتى المتبنين الأواخر والمتلكئين فى تبنى هذه الأفكار . وفى الواقع يمكن القول بأن أفراد فئة المتلكئين فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة ما هم إلا جماعة تعيش فى مجتمعها حياة أقرب إلى العزلة وقلما تقوم باتصال على المستوى المحلى أو الخارجى .

لقد كان «تاردى» من أوائل علماء الاجتماع الذين اعترفوا بوجود صفة الانفتاح على العالم الخارجى لدى أفراد فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين لها ، فقال :

« أن يبتكر المرء فكرة مستحدثة معناه أن يرتاد آفاق جديدة ، أن يستيقظ لحظة ... أى أن الفرد يهرب لفترة من ضواغط بيئته الاجتماعية . ومثل هذا التصرف غير العادى من شأنه أن يجعل منه شخصاً مرهف الحس اجتماعياً أكثر منه مجرد شخص اجتماعى » .

٢ — القيادة الفكرية : المتبنون الأوائل لديهم القدرة على القيادة الفكرية وهم فى ذلك يفوقون غيرهم من المنتمين إلى فئة المتبنين الأواخر : فالفرد الذى يكون أكثر قدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها من أقرانه يصبح فى موقف يمكنه من التأثير فى قراراتهم بشأن تبنيهم للأفكار المستحدثة بالنظر إلى خبرته السابقة بهذا الموضوع .

على أن القوة المؤثرة الصادرة عن مثل هؤلاء الأفراد لا تحس فى كثير من الحالات بسبب بعض المتغيرات المعترضة كالمعايير المتعلقة بالتنظيم الاجتماعى السائد . وبالرغم من ذلك ، ثمة ما يدل على صحة هذا التعميم ، وهذا الشاهد القوى مستمد من سبعة عشر بحثاً دراسياً .

والتعميم الحالى ، بالرغم من أهميته فى ذاته ، لا يزودنا بقدر كاف من المعلومات . ومن الضرورى أن نعرف فى أية ظروف يكون المتبنى الأول رائداً فكرياً وفى أية ظروف لا يكون كذلك . واسوف نتحدث عن هذه النقطة بالتفصيل فى الفصل الثامن .

الصورة النهائية :

ولكى نلخص هذا القسم من الفصل الحالى ، وهو القسم الذى يتحدث عن الصفات المميزة لكل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة ، قمنا بإعداد الجدول رقم (٦ — ٤) . هذا الجدول يبين القيم البارزة فى كل فئة من فئات التبنى والصفات المميزة الثلاث الرئيسية لهذه الفئات وهى : الصفات المميزة الشخصية ، والسلوك المتبع فى الاتصال ، والعلاقات الاجتماعية .

جدول رقم (٦ — ٤)
لإعطاء صورة متكاملة لفئات التبنى

فئة التبنى	القيم البارزة	الصفات المميزة الشخصية	السلوك المتبع فى الاتصال	العلاقات الاجتماعية
المبتكرون للآراء المستحدثة والمتبنون لها	« مغامرون » : مستعدون لخوض المصاعب	ما زالو شباباً — فى مركز اجتماعى مرموق — يقومون بأعمال هامة فى المجتمع وهم من ذوى التخصصات — أثرياء	على صلة كبيرة بالمصادر العلمية للمعلومات — على صلة كبيرة بغيرهم من أفراد هذه الفئة — يستخدمون المصادر غير الذاتية على أوسع نطاق	يتمتعون بقسط من القيادة الفكرية — منفتحون كثيراً على العالم الخارجى
المتبنون الأوائل	« محترمون » : ينظر إليهم أقرانهم باعتبارهم نماذج تحتذى	ذوو مراكز اجتماعية هامة — يقومون بأعمال كبيرة على درجة من التخصص	على اتصال كبير بدعاة التغيير الاجتماعى المحليين	على أكبر قسط من القيادة الفكرية — مقيدون كثيراً بحدود البيئة المحلية
الغالبية المتقدمة	« مثابرون » : على استعداد للنظر فى تبنى الأفكار المستحدثة بعد أن يكون جميع الزملاء قد انتهوا من تبنيها	ذوو مراكز اجتماعية هامة نسبياً ويقومون بأعمال أكبر من الأعمال العادية وبها شىء من التخصص	على اتصال كبير بدعاة التغيير الاجتماعى وبأفراد فئة المتبنين الأوائل	على درجة قليلة من القيادة الفكرية

فئة التبنى	القيم البارزة	الصفات المميزة الشخصية	السلوك المتبع فى الاتصال	العلاقات الاجتماعية
الغالبية المتأخرة	« متشككون » : لا بد من ضغط كبير يتعرضون له من قبل الزملاء قبل أن يتم التبنى	ذو ومراكز اجتماعية تقل فى مستواها عن المستوى المتوسط يقومون بأعمال بسيطة لا تحتاج إلى تخصص كبير — دخولهم بسيطة	يحصلون على الأفكار من الزملاء الذين هم على الأغلب من فئة الغالبية المتأخرة أو الغالبية المتقدمة — لا يستخدمون كثيراً وسائل الاتصال الجمعى	لا يقومون بدور كبير فى مجال القيادة الفكرية
المتلكئون	«متمسكون بالتقاليد»: يتجهون إلى الماضى فى جميع تصرفاتهم	تخصص قليل — مستوى اجتماعى منخفض — أعمال بسيطة — دخول بسيطة جداً — متقدمون كثيراً فى السن	مصدرهم الأساسى للمعلومات هو الجيران والأصدقاء والأقارب من الذين يؤمنون بنفس القيم	لا يقومون بأى دور فى مجال القيادة الفكرية — يعيشون فى شبه عزلة عن الآخرين

ومعظم الصفات المميزة لفئات المتبنين للأفكار المستحدثة تتناقص أو تتزايد بانتظام تبعاً لفئات التبنى الخمس . وبالرغم من ذلك نقول بوجود بعض المتغيرات التى قد يحرزها المتبنون الأوائل على أقوى صورة ممكنة مثل الاتصال بعدد من دعاة التغير الاجتماعى فى البيئة والتميز فى مجال القيادة الفكرية . وفى معظم الحالات ، نجد أن الفروق تكاد لا تحس بين فئتى الغالبية المتقدمة والغالبية المتأخرة . لقد قال «جروس» عام ١٩٤٢ : إن نشاط التشابه بين الفئتين المتوسطتين (فئة الغالبية المتقدمة وفئة الغالبية المتأخرة) تدل على أن هاتين الفئتين اللتين تحتويان على ٦٨ فى المائة من مجموع المتبنين للأفكار المستحدثة من الجائز أن ينظر إليهما باعتبارهما كلا متجانساً وليس مجرد مجموعتين متوسطتين فى سلسلة تضم حلقاتها فئات المتبنين .

ثبات القدرة على تبنى الأفكار المستحدثة لدى المتبنين لها :

وفى حين نجد أن الجدول رقم (٦ — ٤) يساعدنا على رسم صورة متكاملة لكل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة ، ينبغى أن نذكر أن جميع الأفراد المنتمين لكل فئة من هذه الفئات قد لا يملكون الصفات المميزة المشار إليها . فعلى سبيل المثال ، وجد «مانسفيلد» عام ١٩٦٠ أن السلوك الابتكارى القائم على الأخذ بالأفكار المستحدثة بين المؤسسات الصناعية التى اتخذها موضوعاً لدراسته كان ثابتاً إلى حد كبير وإن لم يكن كذلك تماماً :

« فى حالة تناولنا لفكرتين مستحدثتين ظهرتا أول مرة فى نفس الوقت تقريباً نجد أن هذا النوع من المؤسسات أسرع من غيره فى الأخذ بكلا الفكرتين . أما فى حالة تناولنا لأفكار مستحدثة ظهرت فى فترات متباعدة فإننا نجد هذا الاتجاه يضعف بشكل ملحوظ » .

لقد وجد « باريسن » عام ١٩٥٤ أن نمط التبنى فى مجال الأفكار الزراعية المستحدثة بين أفراد العينة التى أخذها من صفوف الفلاحين الاستراليين كان ثابتاً على وجه العموم ، فالفلاحون الذين تبنوا الأفكار الجديدة المتعلقة بالمحافظة على سلامة التربة قد تبنوا أيضاً الأفكار الجديدة الخاصة بتغذية الماشية ، وكذلك الأفكار الخاصة بجمع المحاصيل . لقد انتهى « باريسن » من دراساته إلى أن « الفلاحين لديهم الاتجاه إلى أنهم إما يتبنون الأفكار المستحدثة بطريقة ثابتة فى جميع الأحوال ، وإما أنهم يرفضون ذلك بنفس الطريقة أى فى جميع الأحوال » .

ونحن ليس لدينا الشواهد النهائية الدالة على أن التبنى للأفكار المستحدثة إما أن يكون ثابتاً فى كافة الأحوال وإما أنه ليس كذلك . على أن هيئة قياس الرأى العام فى أمريكا وجدت عام ١٩٦٠ أن العائلات التى اتبعت فكرة مستحدثة معينة فى حياتها اليومية مثل اقتناء أجهزة تكييف الهواء كان احتمال تبنيها لأفكار جديدة أخرى من هذا النوع أكبر . والشواهد قليلة مع ذلك على أن الفلاح الذى يبتكر الأفكار الجديدة فى الزراعة ويتبناها يمكن كذلك أن يبتكر ويتبنى أفكاراً جديدة فى مجالات التفكير السياسى ، كما يمكن أن يفيد من المخترعات الحديثة فى الحياة اليومية ، أو فى غير ذلك من قطاعات الحياة .

ومهما يكن من أمر فإن الأمور التى لا يمكن تقريرها الآن هو هل يمكن أن يكون الفرد من فئة المبتكرين بالنسبة لفكرة معينة فى حين يكون من فئة المتلكئين بالنسبة لفكرة أخرى ؟ .

المتبنون للأفكار المستحدثة وكيف يسلكون ذواتهم فى فئات التبنى

تحدثنا قبل الآن عن الطريقة الموضوعية لتصنيف أفراد التنظيم الاجتماعى إلى فئات على أساس التبنى للأفكار المستحدثة . وقد يكون من المفيد فى بعض الحالات أن نقوم بهذا التصنيف بطريقة ذاتية بمعنى أنه إذا قرر الفرد فيما بينه وبين نفسه الفئة التى ينتمى إليها فى هذه الحال يمكن أن يتصرف كواحد من هذه الفئة .

ولنضرب مثلا على ذلك فنقول إن الفلاحين فى دراسة أجريت فى ولاية « أوهايو » عام ١٩٦١ سئلوا السؤال التالى :

« بالنسبة لتبنى أفكار جديدة متعلقة بالزراعة وإدارة المزارع ، أين تضعون أنفسكم ؟ هل تضعون أنفسكم بين :

١ — السباقين إلى تبنى هذه الأفكار ، أو :

٢ — قبل المتوسط بقليل ، أو :

٣ — عند المتوسط ، أو :

٤ — بعد المتوسط بقليل ، أو :

٥ — بين الأواخر ؟ » .

لقد ثبت على وجه العموم أن التصنيف القائم على الأحكام الذاتية يتفق إلى حد كبير مع التصنيف القائم على المعايير الرياضية . وثمة اعتقاد بأن الفكرة الذاتية بالصورة المنوه عنها تمتاز بقدر من الدقة حيث ثبت أن ٢٤ فى المائة فقط من الفلاحين استطاعوا أن يسلكوا أنفسهم فى فئات التبنى بنفس الدقة الناتجة عن استخدام المقاييس الرياضية أو ما يقرب منها . ولقد ظهر أيضاً أن التصنيف بهذه الطريقة يكون أكثر دقة بالنسبة لفئتى المبتكرين والمتبنين الأوائل منه بالنسبة لفئة المتلكئين .

وثمة عدة مظاهر مفيدة وشائعة لهذا الأسلوب الذاتى فى التصنيف وذلك بالنسبة لفئة المتبنين الذين لم يتضح موقفهم بعد . والسؤال الآن هل الأفراد الذين يستخدمون الأسلوب الذاتى فى التصنيف بشيء من الدقة يختلفون عن أولئك الذين يستخدمون نفس الأسلوب ولكن بدون دقة ؟ أى هل « أشباه المبتكرين » الذين ليسوا بمبتكرين ولكنهم يتصورون ذلك فى أنفسهم يختلفون عن المبتكرين فى صفاتهم المميزة وفى الطريقة التى يتبعونها للاتصال بغيرهم ؟ وقد يكون من المفيد هنا أن نحدد الصفات المميزة لفئات المتبنين على الأساس الذاتى نظراً لأن الدراسات السابقة حاولت أن تعزل الصفات المميزة لفئات المتبنين على الأساس الموضوعى .

فئات المتبنين وما يلحقها

من تغيير بمرور الزمن

قد يفهم القارىء مما ذكرناه فى هذا الفصل أن المبتكر للأفكار المستحدثة فى تنظيم اجتماعى معين فى فترة ما يبقى كذلك فى الفترات اللاحقة. على أن الأمر ليس بهذه الصورة تماماً . والواقع أن البحوث والدراسات تدل على وجود حركة دائمة فى صفوف الأفراد المنتمين لتنظيم اجتماعى معين من ناحية انتقالهم من فئة إلى أخرى فى نطاق فئات التبنى وذلك بمرور الزمن . إن تصنيف المتبنين إلى فئات إنما هو شيء أشبه مايكون بأخذ صورة فوتغرافية سريعة للفرد فى فترة ما وليس من الضرورى أن يبقى هذا الفرد على نفس الوضع فى نطاق التركيب الاجتماعى ويظل كذلك فى فترة زمنية تالية .

لقد سجل « لاكى » عام ١٩٥٨ حركة ضخمة بين الفلاحين الذين ينتقلون من فئة إلى أخرى . ولقد استخدم طريقة للدراسة تقوم على المقابلات الشخصية مع الفلاحين ، وكان ذلك عام ١٩٤٧ وبعدها عام ١٩٥٧ ،

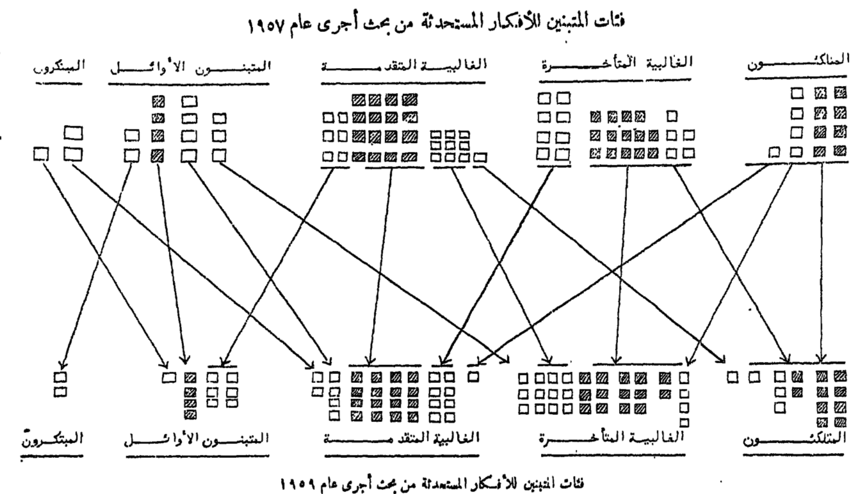
والجدير بالذكر هنا أن حوالى ٥٠ فى المائة من الفلاحين الذين استجوبهم عام ١٩٤٧ بقوا فى نفس فئاتهم عندما استجوبهم مرة أخرى عام ١٩٥٧ .

كذلك وجد « روجرز » عام ١٩٥٧ وعام ١٩٥٩ أن مايقرب من نصف عدد أفراد العينة المكونة من ١٠٤ فلاحين من فلاحى « أوهايو » ، وهى العينة التى اتخذ منها موضوعاً لدراسته ، إنتقلوا من فئة إلى أخرى وتم هذا الانتقال من عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٥٩ .

كذلك وجد أن الفلاحين المنتقلين إلى فئة تبنى متقدمة يتساوون عددياً مع غيرهم من المنتقلين إلى فئة تبنى متأخرة (شكل ٦ — ٣) . وبالنسبة لمعظم الأفراد ، كان الانتقال لايتعدى الفئة المجاورة ، وقلما وجد الفلاح الذى ينتقل أبعد من فئته بفئة أخرى سواء أكان هذا الانتقال إلى الأمام أم إلى الخلف .

لقد اتضح من البحث والدراسة أن جميع الأفراد لا يبقون على حالهم من ناحية انتمائهم إلى فئة من فئات التبنى . ولكن السؤال الآن هو من ذا الذى يترك مكانه من التنظيم الاجتماعى المنتسب إليه بمرور الزمن ؟ لقد وجد «روجرز» عام ١٩٥٧ وعام ١٩٥٩ فى دراستين جماعيتين مختلفتين أن الفلاحين الذين هجروا الزراعة مثلا كانوا على الأرجح من فئة المتلكئين ولم يكونوا أبداً من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة . لقد كانوا أكبر من غيرهم سناً وأقل تعليماً وكانت مزارعهم صغيرة الحجم جداً .

كذلك وجد «لاكى» من الدراسة الجماعية التى أجراها فى «نيويورك» عام ١٩٥٨ شواهد مشابهة . ولقـــد قارن بين الصفات المميزة للأفراد «البدلاء» الذين دخلوا مجال الزراعة وبين أولئك الذين تركوها إلى أعمال أخرى . ووجد « لاكى » أن هؤلاء « البدلاء » كانوا على درجة أعلى من التعليم ومستوى أرفع من الحياة كما كانوا يملكون مزارع أكبر . على أن



شكل رقم (٦ — ٣): التغيرات التي حدثت في فئات التبني بعد مرور فترة سنتين على البحث الأول

الصفات المميزة لهؤلاء كانت مشابهة إلى حد كبير للأفراد الذين ظلوا يعملون فى الزراعة فى فترة السنوات العشر السابقة على البحث .

وبالرغم من أن البدلاء فى التنظيم الاجتماعى قد يتطرقون إلى أية فئة من فئات تصنيف المتبنين للأفكار المستحدثة فإننا نجد فئة المتلكئين يميلون أكثر من غيرهم إلى الخروج كلية من نطاق التنظيم الاجتماعى . والواقع أن حركة الأفراد إزاء فئات المتبنين وانضمامهم إليها أو خروجهم منها على مدى فترة زمنية معينة يمكن أن تشبه بكومة من البطاطس على شكل الجرس . هذه الكومة ترتكز بانحراف حاد بالقرب من حافة المائدة . وكلما شرعت حبات البطاطس تعدل أوضاعها داخل الكيس بمرور الوقت يحدث أن تقفز حبة من حين إلى آخر خارج الكومة وتستقر على حافة المائدة . وفى أثناء ذلك تعيد حبات البطاطس أوضاعها داخل الكيس أى أنه فى حين تحافظ كومة البطاطس داخل الكيس على شكلها القريب من شكل الجرس بمرور الزمن نجد أن حبات البطاطس فى الكومة تعدل من أوضاعها باستمرار وتأخذ أماكن جديدة .

* * *

الملخص

فئات التبنى ماهى إلا تصنيف الأفراد المنتمين لتنظيم اجتماعى واحد على أساس القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . وفى الدراسات والبحوث السابقة أستخدمت فئات متعددة وطرق لتصنيف المتبنين كما أطلقت أسماء مختلفة على هذه الفئات .

وكتابات علماء الاجتماع الأول وعلماء النفس المهتمين بموضوع التعليم والباحثين فى التأثيرات المتبادلة بين الأفعال وردودها ، هذه الكتابات تزودنا بالأسباب النظرية التى تجعلنا نتوقع أن يجىء التوزيع الإحصائى لفئات المتبنين للأفكار المستحدثة عادى الشكل . والتأثير التفاعلى إنما هو

العملية التى يقوم من خلالها الأفراد فى تنظيم اجتماعى معين، وهم الذين قد تبنوا فكرة مستحدثة معينة، بالتأثير فى غيرهم ممن لم يتسن لهم اعتناق الفكرة الجديدة بعد. والتوزيع الإحصائى المتبنين للأفكار المستحدثة يأخذ عادة شكلا شبيهاً بمنحنى له شكل الجرس وهو شكل عادى يتكون بمرور الزمن.

وعملية التبنى هذه تنقسم عادة إلى أقسام يخصص كل منها لفئة من فئات التبنى وهذه الفئات هى:

فئة المبتكرين، وفئة المتبنين الأوائل، وفئة الغالبية المتقدمة، وفئة الغالبية المتأخرة، وفئة المتلكئين. وهذا التقسيم على أساس حدى التوزيع الإحصائى ذى الشكل العادى، وكذلك على أساس المتوسط الحسابى والانحراف القياسى. والفئات الخمس سابقة الذكر ماهى إلا تصنيف قائم على نظام جبرى ولكنها عندما يستخدمها الباحثون فإنها ينبغى أن تؤدى إلى شىء أكثر تقنيناً وأكثر ثباتاً، وبذلك يمكن مقارنة نتائج البحوث بطريقة مثمرة.

وفئات المتبنين الخمس للأفكار المستحدثة إنما هى أنماط مثالية — أفكار معنوية قائمة على أساس من ملاحظة الوقائع ومعدة بحيث تصلح فى مجال المقارنة مع غيرها. والقيم الغالبية لكل فئة من هذه الفئات الخمس هى الجرأة لدى المبتكرين، والاحترام لدى المتبنين الأوائل، والتأنى مع التبصر فى العواقب لدى الغالبية المتقدمة، والتشكك لدى الغالبية المتأخرة، والتمسك بالتقاليد لدى المتلكئين. وأفراد فئة المتبنين الأوائل فى أى تنظيم اجتماعى يميلون فى العادة إلى أن يكونوا صغار السن ولهم كيان اجتماعى محترم ومستوى اقتصادى عال ويقومون بأعمال تحتاج إلى التخصص والمهارة كما أن مستواهم العقلى أعلى من مستوى أفراد فئة المتبنين الأواخر. والمتبنون الأوائل يستخدمون عادة مصادر للمعلومات معنوية ومنفتحة على العالم الخارجى وهم من هذه الناحية يفوقون فئة المتبنين الأواخر.

والعلاقات الاجتماعية للمتبنين الأوائل أكثر انفتاحاً على العالم الخارجي من تلك المتعلقة بالمتبنين الأواخر، كما أن الفئة الأولى لديها من القيادة الفكرية قدراً يفوق مالدى الفئة الثانية .

ونتائج البحوث ، بالرغم من أنها قليلة ومتناثرة فى الوقت الحالى ، تشير إلى وجود حركة انتقالات كبيرة داخل التنظيم الاجتماعى الواحد من ناحية تغيير فئة التبنى بمرور الوقت ، كما تشير أيضاً إلى أن فئة المتلكئين معرضة للانعزال عن مجريات الحياة فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتسبون إليـــه .

الفصل السابع

المبتكرون للأفكار المستحدثة كفئة منحرفة عن تيار الفكر العام

> إذا كان ثمة فرد لا يسير بنفس السرعة التى يتحرك بها أقرانه ، فسبب ذلك أنه يصغى لنداءات تأتيه من مصدر مخالف .
>
> « هنرى ديفيد ثورو »
> عام ١٩٠٦

من بين فئات المتبنين جميعاً ، قد تكون فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة أكثر الفئات إثارة لاهتمام علماء الاجتماع . ولو أردنا أن نعرف المبتكر فإننا نقول إنه الشخص الذى يسبق غيره من أفراد مجتمعه فى مجال ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . غير أن هذا النوع من الناس لا يكون دائماً أكثر أفراد المجتمع كسباً لاحترام أقرانه وهو يفضل أن يوصف بالجرأة والإقدام على أن ينال احترام الناس . ونحن نجد فى هذه الفئة مجالاً خصباً لدراسة النظريات المتعلقة بخروج الناس عن تيار الفكر العام .

والمبتكر للأفكار المستحدثة يلعب دوراً هاماً فى عملية التغيير الاجتماعى . ومن الجائز ألا يكون قائداً محترماً من قادة هذا التغيير ، ولكن ما من شك فى أنه عندما يتبنى فكرة جديدة فإنه يدفع أقرانه إلى أن يكونوا على بينة من هذه الفكرة المستحدثة . وإذا ثبت جدوى الفكرة فقد يتغير الشك المبدئى فى قلوب الزملاء والأصدقاء ويتحول فى النهاية إلى قبول للفكرة وتسليم بفائدتها .

على هذا يمكن القول بأن المبتكر للآراء المستحدثة قد لا يعتبر من المؤثرين الحقيقيين فى حياة أفراد مجتمعه ، ولكنه قد يسهم إسهاماً حقيقياً

فى إعداد الأذهان للتغيير المرتقب وذلك عن طريق تبنيه للأفكار الجديدة ووضعها تحت أنظار قادة الفكر المحليين .

والفكرة الجديدة تأتى عادة إلى المجتمعات عن طريق المبتكر الذى يستعين على ابتكارها بمصادر للمعلومات محلية وخارجية .

هذا الفصل يهدف إلى الحديث عن اتجاهات المبتكرين ، وهى الاتجاهات الخارجية عن السياق العام ، كما يراها الآخرون ممن ينتمون إلى نفس المجتمع ، وكما يراها المبتكرون أنفسهم .

الأفكار التى سبق أن اعتنقها المبتكرون :

وموضوع انحراف فئة المبتكرين عن السياق العام للتفكير السائد فى مجتمعهم ، كان دائماً موضعاً للحوار العميق بين علماء الاجتماع . لقد ذكر « لينتون » عام ١٩٥٢ أن « دوافع المبتكرين ومستوياتهم الخلقية والنفسية تبدو كأنها متنوعة الاتجاهات ، ولكن من الأسلم القول بأن مستوياتهم الخلقية والنفسية قلما تكون من النوع الشائع فى بيئاتهم . والواقع أن أمثال هؤلاء الأشخاص لا ينسجمون عادة بسهولة مع أقرانهم فى البيئات التى يعيشون فيها ، وفى الوقت ذاته يعانون من الأحكام السائدة فى هذه البيئات وتعوق تقدمهم الشخصية الغالبة فى مجتمعهم » . كذلك وجد « بارنيت » عام ١٩٤١ أن « المتذمرين ، أو العصاة ، أو الناقمين ، أو العاجزين هم المهيئون قبل غيرهم لقبول التغيرات الثقافية والأفكار المستحدثة » . لقد أطلق « بارنيت » على فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة والمعتنقين لها كلمة « الهامشيين » . ومن المحاولات التى بذلت لإيجاد المصالحة بين هذه الآراء المتضاربة ، تلك التى قام بها « آدمز » عام ١٩٥١ ، قد وجد أن رأى « بارنيت » عن فئة المبتكرين والمعتنقين للأفكار المستحدثة تبثت صحته فى الحالات التى كان فيها التغيير سريعاً وعنيفاً ، أما فى الحالات التى كان فيها

التغيير تدريجياً فإن أفراد هذه الفئة اكتسبوا احترام زملائهم وتقديرهم .
ووجد « بوتى » عام ١٩٦١ أن أفراد هـذه الفئة اكتسبوا احتراماً خاصاً فى قرية مكسيكية تعرضت لموجة قوية من التغيير الاجتماعى .

ووجد « بيلتو » عام ١٩٦٠ شواهد مشابهة فى مجال المقارنات التى قام بها على المركز الاجتماعى لأفراد هذه الفئة من الإسكيمو وهنود «البويبلو». ومجتمع الإسكيمو يتسم بالنزعة الفردية وفى هذا المجتمع يكافأ المبتكر على نزعته التجديدية ، أو على الأقل يجد من يشجعه ويعاونه . ومعظم الأفكار المستحدثة لا يكون لها تأثير كبير على الأشخاص الذين لا ينتسبون للدائرة الضيقة التى يعيش فيها المبتكر للأفـكار المستحدثة . وفى بيئات الإسكيمو يكون ذوو المراكز الاجتماعية العالية هم المبتكرون للأفـكار المستحدثة . أما فى مجتمع « باحث عن التجانس العام » كمجتمع « البويبلو » فإن معظم الأفـكار المستحدثة يكون لها نتائج تلحق أفراد المجتمع أجمعين . هنا لا يشترط فى مبتكر الفـكرة المستحدثة أن يتمتع بمكانة اجتماعية عالية . والواقع أن هذا المبتـكر ليس لديه ما يخسره بسبب مسلـكه .

وبالرغم من أننا بصفة مبدئية لانرى اتفاقاً عاماً على انحراف المبتكرين للأفكار المستحدثة عن السياق العام الشائع فى مجتمعهم ، فإننا سنفى هذه النقطة حقها من دراسة وبحث فى ضوء النظريات والبحوث التى سوف نذكرها فى جزء لاحق من هذا الفصل . ولسوء الحظ ، تعرضت البحوث التى أجريت سابقاً على هذه الفئة لعيبين أساسيين :

١ — عدم استخدام المتوسطات القياسية عند اختيار أفراد هذه الفئة.

٢ — وضعت التعميمات على أساس عدد صغير من البحوث والدراسات، ومن ثم فالحاجة ماسة لإجراء البحوث على أساس عينات أكبر من أفراد هذه الفئة .

المبتكرون للأفكار المستحدثة والمخترعون :

أثبتت نتائج البحوث السابقة أن جميع الناس لا يتبنون الفكرة الجديدة فى وقت واحد . وعملية التبنى فى ذاتها يمكن أن تقسم إلى أقسام يخصص كل قسم منها لمجموعة من المتبنين . وأول ٢٫٥ فى المائة من المتبنين فى مجتمع من المجتمعات نطلق عليهم كلمة « المبتكرون » ، وهذه النسبة المئوية إنما هى شيء جزافى تم تحديده على هذه الصورة لأن معظم التوزيعات الإحصائية للمتبنين للأفكار المستحدثة وجد أنها بمرور الزمن تأخذ شكلا يقرب من الشكل العادى ، و ٢٫٥ فى المائة من الأفراد يتجمعون إلى يسار انحرافين قياسيين بالنسبة للوقت الذى تم فيه التبنى . والأفراد قد يُرتبون من حيث قابليتهم لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها على أساس فكرة مستحدثة واحدة أو على أساس الوقت الذى وقع فيه التبنى لعدة أفكار مستحدثة وهذه القابلية مقاسة بمقياس خاص بها .

والمبتكرون للأفكار المستحدثة ليسوا بالضرورة نفس من نطلق عليهم كلمة « المخترعون » . و « المخترعون » هم الأشخاص الذين يخلقون أفكار جديدة . إنهم يوحدون ما بين عناصر ثقافية عديدة ويصنعون منها تركيبات فكرية جديدة ، والمبتكرون للأفكار الجديدة يتبنونها فى أنفسهم ولكنهم لا يخترعونها بالضرورة ، وهذا ليس معناه أن المبتكرين للأفكار المستحدثة لا يمكن أن يكونوا مخترعين أو العكس بالعكس . والتعبيران ليسا منعزلين عن بعضهما كما أنهما ليسا مختلطين اختلاطاً كاملا . لقد وجدنا أن عدداً كبيراً من المبتكرين للأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة فى ولاية « أوهايو » يمتلكون الأدوات والآلات الزراعية الحديثة كما أنهم يخترعون لأنفسهم ما يلزمهم من آلات . وفى مجالات معينة قد لا نجد ما يكفى من البحوث العلمية التى تدل على أن المتبنين للأفكار

المستحدثة قد يكونوا فى نفس الوقت مخترعين وإن كانت أمثلة ذلك عديدة .

والخلاصة أن المبتكرين للأفكار المستحدثة والمخترعين فئتان منفصلتان وإن كانتا تتشابكان وتختلطان ومن المؤكد أنهما ليسا إسمين لشيء واحد .

الانحراف :

والانحراف يُعرف بأنه الخروج على السياق العام للمعايير السائدة فى مجتمع معين . والمعيار هو النمط الذى كثيراً ما يتشكل وفقاً له السلوك الصريح الذى يصدر عن الأفراد المنتمين لمجتمع معين . والانحراف مسألة نسبية . ومن الضرورى ملاحظة أن السلوك الانحرافى فى مجتمع معين قد لا يعتبر كذلك فى مجتمع آخر . من الواجب إذن أن نحدد بشكل دقيق معالم المجتمع الذى ينحرف الفرد عن سياقه ويخرج على معاييره .

والمتلكئون منحرفون شأنهم فى ذلك شأن المبتكرين . إنهم يمتثلون أكثر مما يجب للأفكار التقليدية وهذا الامتثال يتحقق بإظهار الولاء لهذه الأفكار بعد أن يكون قد رفضها معظم أفراد المجتمع .

لقد ناقش «ميرتون» عام ١٩٥٩ و «روبين» فى نفس العام المبالغة فى الامتثال باعتبارها نوعاً من السلوك الانحرافى ، فقال «ميرتون» إن المبالغة فى الامتثال ما هى إلا الوجه الآخر المقابل للتمرد والانفكاك ، وهى صورة من صور السلوك الانحرافى فى المجتمع تتضمن «وفرة» من عنصر معين ، كما هو الحال بالنسبة للتمرد والانفكاك الذى يتضمن «قلة» من نفس هذا العنصر عند ما تقاس الصورة بالمقاييس الجمعية . وكما قرر «ميرتون» ، بالرغم من أن الباحثين سبق لهم اكتشاف عنصر «المبالغة فى الامتثال» فإن التمييز بين أنماط الامتثال وبين السلوك الانحرافى عن المعايير السائدة فى المجتمع لم يتم توضيحه حتى الآن .

والمتلكئون يبالغون فى امتثالهم للأفكار التقليدية إلى درجة أنهم يبدون لغيرهم كأنهم خارجين على السياق العام . أما فئتا الغالبية المتقدمة والغالبية المتأخرة فإن درجة انحراف أفرادهما منخفضة إذ أنهم يمثلون المستوى الأوسط أو السلوك النمطى الشكلى . وبالرغم من ذلك فإن هاتين الفئتين متميزتان لأن الثانية تبالغ فى الامتثال قليلا فى حين أن الأولى تقلل من الامتثال شيئاً ما وذلك فى الحالين بالنسبة للنمط الشكلى العادى . أما فئة المتبنين الأوائل فإنها تقلل من الامتثال إلى درجة كبيرة وهى فى ذلك تفوق فئة الغالبية المتقدمة وبذلك تصبح أكثر انحرافاً . وفئة المبتكرين تقلل من الامتثال للمعايير السائدة بحيث يبدو أفرادها كأنهم منحرفون عن السياق العام بدرجة كبيرة . بذلك نقول إن درجة عالية من الانحراف عن السياق العام تحدث فى ظروف المبالغة فى الامتثال للمعايير كما تحدث فى ظروف الاقلال من هذا الامتثال .

وثمة ميزان بسيط يمكن استخدامه هنا لتلخيص العلاقات بين الامتثال، والانحراف ، وفئات المتبنين للأفكار المستحدثة .

فئة المتبنين	نمط الانحراف	نمط الامتثال
فئة المبتكرين	انحراف عالى الدرجة	عدم الامتثال
« المتبنين الأوائل	شىء من الانحراف	شىء من عدم الامتثال
« الغالبية المتقدمة	انحراف منخفض الدرجة	إمتثال
« « المتأخرة	« « «	إمتثال
« المتلكئين	انحراف عالى الدرجة	مبالغة فى الامتثال

هل فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة منحرفة؟ الدراسات التى أجريت على هذه النقطة :

ولتوضيح فكرة السلوك الانحرافى عند فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين لها ، بذلت جهود كبيرة للحصول على المادة العلمية اللازمة لذلك وكان معظمها مستمداً من دراسة استقصائية للمبتكرين فى مجالات الزراعة . هذه المادة جاءت عن طريق تخصيص عينتين مختلفتين لهذا الغرض كما تمت مقابلات شخصية مع أفراد عينة مؤلفة من ١٠٤ فلاحين من فلاحى ولاية « أوهايو » أختيروا من كافة أنحاء الولاية عام ١٩٥٧ اختياراً عشوائياً . هذه العينة اشتملت على مبتكرين للأفكار المستحدثة كما احتوت على أفراد من فئات المتبنين الأخرى . ولما كانت هذه الدراسة لا تقوم إلا على عدد قليل جداً من فئة المبتكرين (ثلاثه فقط) فإن عينة المبتكرين هذه زاد عدد أفرادها عندما طلب من أربعة وأربعين خبيراً من خبراء الخدمات الاجتماعية فى الولاية أن يقوموا بتعيين عدد ممن يظنون أنهم ينتمون إلى هذه الفئة فى المناطق التى يشرفون عليها . ومن بين المائة والخمسين فلاحاً الذين وقع عليهم اختيار الخبراء سابق الذكر ، ثبت أن ستة وتسعين فلاحاً فقط ينطبق عليهم هذا الوصف أى أنهم يتبنون فعلا الأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة ، أما الأربعة والخمسين فلاحاً الباقين فاستبعدوا من الدراسة .

لقد تم التمييز بين المبتكرين للأفكار المستحدثة وغير المبتكرين من الفلاحين الذين تم اختيارهم من قبل الخبراء عن طريق الاستعانة بمقياس خاص يقيس مدى تبنى الفلاحين للأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة . والعبرة هنا بالحقيقة الدالة على أن المبتكر العادى للأفكار المستحدثة لابد أن يكون قد ابتكر وتبنى الجديد من الأفكار قبل غيره من الفلاحين

العاديين بفترة زمنية معينة . والدراسة الحالية تقوم أساساً على مادة علمية مستمدة من عينة مكونة من ٩٩ فلاحاً من فئة المبتكرين و ١٠١ فلاحاً لا يطلق عليهم هذا الوصف والجميع من العاملين بميدان الزراعة بولاية « أوهايو » .

تحديد صفة الانحراف فى العينة المختارة للدراسة :

لقد استخدمت طريقتان فى الدراسة الاستقصائية الحالية للتعمق فى فهم صفة الانحراف لدى فئة المبتكرين . الأولى الانحراف كما يبدو فى أعين الآخرين ، أى هل الأفراد الآخرون فى البيئة ينظرون إلى أفراد هذه الفئة باعتبارهم منحرفين ؟ والثانية الانحراف كما يبدو فى أعين أفراد هذه الفئة أنفسهم ، أى هـل المبتكرون ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم منحرفين عن المعايير الاجتماعية السائدة فى بيئتهم ؟

١ — الانحراف كما يبدو فى أعين الآخرين :

سُئل الفلاحون التسعة والتسعون من ولاية « أوهايو » ، وجميعهم من فئة المبتكرين :

« ما رأى جيرانكم من الفلاحين فى كثير من الأفكار الزراعية المستحدثة التى تلتزمون بها فى أعمالكم الزراعية ؟ » . لقد كان أكثر من نصف الإجابات تشير إلى وجود نوع من عدم الاحترام لدى جيران هذه الفئة ، كما أجاب عدد كبير إجابات كالآتى :

« إن الطريقة التى أدير بها مزرعتى لا يقصد بها اكتساب شعبية خاصة بين أقرانى من الفلاحين » .

« حوالى ٥٠ فى المائة من زملائى الفلاحين يعتقدون أن بى مساً من الجنون ، أما النصف الآخر فإنهم لعلى ثقة من ذلك » .

ومعظم الإجابات الأخرى تتجه الوجهة التالية : « جيرانى فى مبدأ

الأمر يحسون نحوى بكثير من الريبة ولكن الإقناع يملأ نفوسهم عندما يتأكد لديهم نجاح الأفكار الجديدة التى أتبناها » .

« بعض أفراد الجيرة يتحدثون عنى بطريقة تنم عن الاحتقار ولكنهم يراقبون ما أفعل باهتمام عميق والكثير منهم ينسجون بعد فترة على منوالى » .

هذه الشواهد ، مع النتائج التى توصل إليها « ويكلننج » عام ١٩٤٩ ، تشير إلى أن فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة ينظر إليهم أفراد المجتمع باعتبارهم منحرفين . ومن الضرورى أن نذكر هنا حقيقتين متصلتين بهذه القضية :

١ — الأولى أن درجة انحراف المبتكرين كما يراها أقرانهم فى البيئة تقررها المعايير الاجتماعية السائدة فى تلك البيئة فيما يختص بهذا الموضوع ، موضوع القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة .

لقد وجد « آدامز » عام ١٩٥١ ، و « تونى » عام ١٩٦١ ، و « بلتو » عام ١٩٦٠ ، و « روجرز » ، و « بيردج » عام ١٩٦٢ ، و « فان دى بان » ، و « مينتزل » عام ١٩٦٠ أن المبتكرين للأفكار المستحدثة يبدون فى أعين أقرانهم من أفراد التنظيم الاجتماعى الواحد وكأنهم أكثر ما يكونون انحرافاً عندما تكون المعايير السائدة فى هذه البيئة أكثر ما تكون تمسكاً بالتقاليد .

٢ — والثانية أن المعايير السائدة فى تنظيم اجتماعى معين تؤثر على الطريقة التى ينظر بها أفراد هذا التنظيم إلى فئة المبتكرين . وليس الأمر مقصوراً على ذلك ، بل إن الفئة التى ينتسب إليها الشخص موضوع الاستفتاء من حيث التبنى تقرر هى الأخرى مدى رضائه عن المبتكرين للأفكار المستحدثة أنفسهم .

والجدول رقم (٧ — ١) يحتوى على مادة علمية مستمدة من دراستين استقصائيتين عن العلاقة بين الفئة التى ينتسب إليها الفرد من ناحية التبنى للأفكار المستحدثة وبين ما يشعر به من رضا فى سلوكه تجاه أفراد هذه الفئة ، وإن مكان الفرد من التركيب الاجتماعى فى البيئة التى ينتمى إليها والفئة التى ينتسب إليها من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة ليبدو أنهما تحددان نظرة هذا الفرد إلى هذا التركيب الاجتماعى وهذه الفئة . والمتبنون السابقون نسبياً عن غيرهم فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يميلون إلى أن يحسنوا الظن بفئة المبتكرين فى حين أنهم ليسوا كذلك بالنسبة لفئة المتبنين المتأخرين . والسبب فى ذلك قد يكون وجود شىء من المعرفة السابقة لدى أفراد فئة المتبنين الأوائل بفئة المبتكرين إذ أن المتبنين الأوائل هم أكثر شبهاً بفئة المبتكرين فى مجال السمات الاجتماعية (الفصل السادس) كما أنهم يتحاونون معهم تعاوناً أعمق .

٢ — الانحراف كما يبدو لأعين المبتكرين أنفسهم . المبتكرون ينظرون إلى أنفسهم كمنحرفين عن المعايير الاجتماعية السائدة فى مجتمعهم :

سُئلت مجموعة من فلاحى « أوهايو » عما إذا كانوا يعتبرون أنفسهم « من بين الأوائل » فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة ، أو أنهم « سابقون قليلا » عن أوساط الفلاحين فى هذا الموضوع إلى آخره ، كما هو موضح فى الجدول رقم (٧ — ٢) . هذا السؤال يهدف فى الواقع إلى تحديد الدرجة التى ينظر بها الفرد فى كل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة إلى نفسه باعتباره منحرفاً عن المعايير الاجتماعية السائدة فى المجتمع الذى ينتسب إليه والمتعلقة بتبنى الأفكار المستحدثة .

جدول رقم (٧ — ١)

فئات المتبنين للأفكار المستحدثة

وترتيبهم على أساس نظرتهم الودية تجاه فئة المبتكرين

فئات المتبنين للأفكار المستحدثة	النسبة المئوية لما فى سلوكهم من اتجاه ودى نحو فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة	
	بالنسبة لفلاحى «أيووا» عام ١٩٥٧	بالنسبة لفلاحى «أوهايو» عام ١٩٦١
١ — فئة المبتكرين	١٠٠	١٠٠
٢ — « المتبنين الأوائل	١٠٠	١٠٠
٣ — « الغالبية المتقدمة	٧٥	٦٩
٤ — « « المتأخرة	٣٦	٥٤
٥ — « المتلكئين	٠	٢٧
جميع الأفراد دون تصنيف	٥٧	٦١

والجدول رقم (٧ — ٢) يوضح أن ٨٩ فى المائة من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة كانوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم منحرفين عن المعايير السائدة فى مجتمعهم . كذلك قال ٥٣ فى المائة من هؤلاء إنهم من بين السباقين فى مجتمعهم إلى تبنى الأفكار المستحدثة ، فى حين أن ٣٦ فى المائة قالوا إنهم من ناحية تبنى الأفكار المستحدثة يعتبرون أنفسهم فوق المتوسط . كذلك اعتبر ٤٧ فى المائة من المتلكئين فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة أنفسهم أنهم أقل من المتوسط . وكل من فئتى المبتكرين

والمتلكئين كانوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم أكثر انحرافاً عن المعايير الاجتماعية السائدة فى مجتمعهم بشأن تبنى الناس للأفكار المستحدثة من بقية الأشخاص الذين كانوا موضوعاً للاستفتاء .

جدول رقم (٧ — ٢)

الانحراف كما يبدو لأعين أفراد

فئتى المبتكرين والمتلكئين

الفكرة الشخصية عن الانحراف	الفئـــات		
	فئة المبتكرين	لا ينتمون لفئة معينة	فئة المتلكئين
من أوائل المتبنين	٥٣	١٦	١٢
سابق نوعاً ما على المتوسط	٣٦	١٥	٦
حول المتوسط	١٠	٤٩	٣٥
متأخر نوعاً ما عن المتوسط	١	١٤	٢٣
من بين المتأخرين	٠	٦	٢٤
النسبة المئوية الإجمالية	١٠٠	١٠٠	١٠٠
إجمالى العدد	٩٨	١٠٤	١٧

الجماعات التى يعتمد عليها المبتكرين

فى موقفهم تجاه غيرهم من أفراد البيئة

اقترح « كوهن » عام ١٩٥٩ ثلاثة أوضاع للمنحرف :

١ — إما أنه يستمر فى طريقه بالرغم من المقاومة .

٢ — وإما أنه يقطع الصلات بينه وبين الجماعات التى ينتسب إليها ويتقرب من جماعات جديدة يتقوى بها .

٣ — وإما أنه يظل فى طريقه وحيداً دون الاستعانة بأية جماعة من جماعات الإسناد .

والبحوث السابقة توحى بأن الوضع الثانى قد يكون أقرب الأوضاع الثلاثة من نفوس المنحرفين . إننا نحتاج عادة إلى من نتحالف معه لكى نقضى على خضوعنا للمعايير السائدة فى المجتمع الذى ننتسب إليه . والمنحرفون يتسمون عادة بالتحرر من قيود التبعية للجماعة القابضة على زمام المعايير السائدة فى البيئة كما يتميزون بعلاقاتهم بجماعات أخرى يتخذون منها سنداً لهم . وإحدى النتائج المتوقعة للانحراف هى الانتقال من جماعة إسناد إلى جماعة إسناد أخرى أى تغيير جماعة الإسناد .

ومن الدراسة الحالية نستطيع أيضاً أن نستشف بعض الأفكار الخاصة بعلاقات المبتكرين بغيرهم . وعلاقات المبتكر فى مجال الزراعة مع غيره من أفراد بيئته من الجائز أن تنتشر فى رقعة جغرافية أوسع بكثير من الرقعة التى تنتشر فيها علاقات الفئات الأخرى من غير المبتكرين . أى أن جماعات الإسناد التى يعتمد عليها المبتكرون ويرجعون إليها تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التى يرجع إليها الفلاحون العاديون . لقد وضع مقياس خاص بمدى الانفتاح على البيئات الخارجية وهو يقيس الاختلافات فى التوزيع الجغرافى لجماعات الإسناد . والشخص المنفتح على عالمه الخارجى هو الشخص الذى يبحث خارج بيئته عن المؤثرات التى توجهه ولا يتقيد بما فى داخل بيئته من مؤثرات . والمادة العلمية التى يحتويها هذا البحث تدل على أن فئة الفلاحين المبتكرين أكثر انفتاحاً على عالمهم الخارجى من غيرهم من الفلاحين . والفلاح المبتكر يختلف عن الفلاح العادى ومن ثم لا يتلاءم فى سهولة داخل إطار العلاقات الاجتماعية الخاصة بالبيئة المحلية.

لقد دلت إجابات تسعة وتسعين فلاحاً من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة على وجود فروق واسعة فى الأهداف التى يتوخاها الفلاحون

السواح من وراء أسفارهم بحثاً عن الأفكار الجديدة فى عالم الزراعة . لقد سئل بعض الأشخاص السؤال التالى : « فى خلال العام المنصرم ، هل سافرت خارج بلدتك لكى ترى بنفسك بعض الأساليب الزراعية الحديثة فى مجال التطبيق الفعلى ؟ » . أجاب ٧٧ فى المائة من فئة المبتكرين أنهم فعلوا ذلك فعلا . والواقع أن أكثر من نصف هؤلاء كانوا قد سافروا فعلا ليس فقط خارج بلدتهم بل خارج الولاية التى يعيشون فيها كذلك . والقليل من هؤلاء كانوا قد سافروا خارج الولايات المتحدة للاطلاع على الأفكار المستحدثة فى عالم الزراعة . وبعض الإجابات التى تعتبر من أكثرها انفتاحاً على العالم الخارجى كانت على المنوال التالى :

« سافرت لأرى المؤسسات التى تعمل فى تسويق اللحوم والألبان فى أمريكا الجنوبية وطرق تخزين القمح فى « كندا » ولأطلع على الأفكار الجديدة فى تجهيز اللحوم فى « كولورادو » و « نبراسكا » .

« زرت مراكز تربية الخنازير فى ولايتى « أيووا » و « منيسوتا » ومحطات أبحاث الحيوان فى هاتين الولايتين » .

« كنت مهتماً بدراسة تغذية الحيوان وصناعة الألبان فى ولاية « متشجان » وبزراعة البطاطس بالطرق الآلية فى ولاية « بنسلفانيا » .

وفى دراسة أجريت على المعتنقين لفكرة الرى الصناعى فى ولاية « أوهايو » وجد أنهم أعضاء فى روابط أو جماعات للصداقة مع غيرهم من المعتنقين لنفس الفكرة . هذه الروابط وجد أنها منتشرة فى عدة مقاطعات وبلدان ، كما وجد أن ١٦ فى المائة من هذه الفئة لهم علاقات عمل مع أقرانهم خارج الولاية . من هذا نقول إن أفراد هذه الفئة يعتمدون على دعائم خارج بيئاتهم يفيدون منها كلما أضطروا إلى اتخاذ قرارات خاصة بتبنى الأفكار المستحدثة ، وذلك بالرغم من أن الكثيرين من جيرانهم الأقربين قد يسخرون من تبنى فكرة الاعتماد على الرى الصناعى فى الزراعة .

والمبتكرون للأفكار المستحدثة ينظر إليهم جيرانهم فى العادة بكثير من عدم الاحترام . وتوحى نتائج البحوث بأن المبتكرين للأفكار المستحدثة هم فى العادة فى مأمن من الخضوع للتأثيرات الصادرة من الجيران والأقران وهى تأثيرات ضاغطة لها سلطة جبرية فى بعض الأحايين . على أن الشواهد الحالية أيضاً تشير إلى أن المبتكرين يستمدون المعاونة المدعمة لأفكارهم من مصدر آخر . فبينما يكون هؤلاء الجيران غير مهمين نسبياً لهم كجماعة إسناد ، تشير النتائج الحالية إلى أن المبتكرين ينتمون إلى جماعة منفتحة على الخارج ومعاييرها تحبذ ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . إن جماعات الإسناد هذه لمن شأنها أن تمنح المبتكر تشجيعاً جماعياً كما تهبه المعاونة السيكولوجية التى تمكنه من الوقوف أمام النقد الصادر من الأفراد المنتمين لمجتمعه .

* * *

مناقشة محدودة

المبتكرون فى مجالات غير مجالات الزراعة :

وبالرغم من أن هذا الفصل من الكتاب اهتم اهتماماً خاصاً بالبحوث التى قام بها المبتكرون فى مجال الزراعة ، فإن النظريات والتعميمات التى حصلنا عليها هنا فى حاجة إلى أن تفحص فحصاً دقيقاً بمعاونة عينات مناسبة مأخوذة من أنواع أخرى من المبتكرين للأفكار المستحدثة الذين قاموا بنشاطهم فى مجالات غير الزراعة .

لقد تجمع لدنيا حتى الآن بعض الشواهد ذات الصلة بانحراف المبتكرين فى مجالات غير الزراعة . فمثلا وجد « مينتزل » عام ١٩٦٠ أن المبتكرين فى عالم الطب والمتبنين للأفكار المستحدثة فى ميدان العلاج قد تحرروا من المعايير المحلية السائدة فى بيئتهم الطبية . كذلك وجد « أينوس » عام ١٩٦٠

أن معظم الاختراعات فى الصناعات البترولية فى الأربعين عاماً الماضية... » صدرت عن أناس وثيقى الصلة بصناعة البترول ولكنهم لم يكونوا من العاملين بالمؤسسات البترولية الكبيرة » . كذلك وجد « بن دافيد » عام ١٩٦٠ أن ... « الطلائع الأولى فى مجال البحوث البكتريولوجية ومجال التحليل النفسى تصور لنا الصفات المميزة للمبتكرين والمتبنين للأفكار المستحدثة فى المجالات العلمية ، أولئك الذين يبدأون تمحيص المشكلات التى تعتبر باعتراف العلميين أنها خارجة عن نطاق العلوم . والواقع أن فئة المبتكرين هؤلاء كانوا من صفوف الأطباء الممارسين الذين امتد نشاطهم إلى مجالات البحوث والدراسات الأكاديمية كعمل جانبى ... » . وبالمثل وجد « ميلر » عام ١٩٥٧ أن المتبنين الأوائل لفكرة التطعيم ضد الجدرى لم يكونوا من صميم مهنة الطب .

الأفكار المستحدثة غير المرغوب فيها :

معظم البحوث والدراسات التى أجريت حتى الآن فى مجال الأفكار المستحدثة تناولت المبتكرين والمتبنين لتلك الأفكار المتوقع لها النجاح ، وقد أوصى الخبراء ورجال العلم بضرورة إجراء هذه البحوث . والسؤال هنا هو هل نحصل على نفس النتائج فى حالة ما إذا كان الحكم على الفكرة المستحدثة أنها غير ناجحة وأن رجال العلم لا يوصون بدراستها وإجراء التجارب عليها ؟

والدراســـة التى قام بها « فرنسيس » عام ١٩٦٠ على انتشار فكرة حاضنات الحشائش تزودنا بجواب جزئى على هذا التساؤل .

هذه الفكرة المستحدثة قامت بتصنيعها وتوزيعها مؤسسات تجارية كبيرة ولم يوص بها لدى الفلاحين الخبراء الزراعيون بسبب ارتفاع سعرها وعدم التأكد من القيمة الغذائية للأعلاف التى تصنع بواسطة هذه الأجهزة .

لقد اعتمد « فرنسيس » فى دراسته على مادة علمية مستمدة من عينة هى عبارة عن ٨٨ فلاحاً اختارهم من كافة أنحاء البلاد الأمريكية وكانوا قد تبنوا فكرة حاضنات الحشائش .

لقـــد ثبت أن ٣٤ فى المائة من أصحاب الحاضنات كانوا أيضاً من المبتكرين والمتبنين لأفكار جديدة مطلوبة فى مجال الزراعة. هذا الكشف يعطينا بعض الشواهد على أن أفراداً معينين من المبتكرين للأفكار المرغوب فيها قد يبتكرون أيضاً أفكاراً غير مرغوب فيها وذلك فى موجة الاندفاع الحماسى للابتكار والتبنى .

والأشخاص الذين تبنوا فكرة حاضنات الحشائش وجدهم « فرنسيس » يميلون إلى تكوين مجموعات إسناد من خارج البيئة وهذه المجموعات تتكون من مالكين آخرين لهذا النوع من الأجهزة . لقد تكشف الأشخاص موضوع الاستفتاء فى هذا البحث الخاص بحاضنات الحشائش عن عناصر الانحراف وكانت هذه العناصر واضحة فى تقدير هؤلاء لأنفسهم وفى تقدير الآخرين لهم . بل إنه من الممكن أن يعتبر المبتكرون للأفكار المستحدثة غير المرغوب فيها منحرفين . والذين يعتبرونهم كذلك هم المبتكرون للأفكار المرغوب فيها .

* * *

الملخص :

نحن نعرّف الانحراف بالخروج عن المعيار السائد فى تنظيم اجتماعى معين . وأهم ما فى الانحراف درجته ومكانه النسبى فى تنظيم اجتماعى معين. والمبتكرون ، باعتبارهم أول من يتبنى الأفكار الجديدة فى التنظيم الاجتماعى وأول من يسعى إلى استخدامها ، هم بالضرورة منحرفين وذلك فى فترة تبنيهم لهذه الأفكار . والمتلكئون هم أيضاً منحرفون شأنهم فى ذلك شأن

المبتكرين ، ولكن المتلكئين يبالغون فى امتثالهم للأفكار التقليدية (وحتى بعد أن تكون الغالبية العظمى من أفراد التنظيم الاجتماعى قد فرغوا من تبنى الفكرة الجديدة) ، فى حين أن المبتكرين يعتبرون متحررين من هذا الامتثال .

والمبتكرون فى المجالات الزراعية ثبت أن زملاءهم من أفراد التنظيم الاجتماعى الذى ينتمون إليه ينظرون إليهم باعتبارهم منحرفين . أما مدى انحراف هذه الفئة ودرجته فتتوقف من ناحية على :

١ — المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى عن ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

٢ — الفئة التى ينتمى إليها الشخص موضوع الاستفتاء من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة . والمبتكرون للأفكار المستحدثة ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم منحرفين عن المعايير المطبقة فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتسبون إليه . والمبتكرون فى مجالات الزراعة يسعون عادة إلى ربط أنفسهم بجماعات إسناد أخرى تقيم خارج بيئتهم وهذه تدعم سلوكهم وتشجعهم على السير فى طريقهم الجديد .

من هذا نقول إن المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين لها يصغون لنداءات تصدر لهم من مصادر مخالفة .

الفصل الثامن

قادة الرأى ودورهم فى نشر الأفكار

« هاقد وصل صاحب النفوذ والسطوة . لقد جاءت معه الأفكار الجديدة الرائعة عن وسائل الإعلام فهل تشتريها ؟ هل فى طاقتك أن تشترى وسيلة الإعلان بالفم ؟»

« إن دفاتر الحسابات تتضخم والدخول بشتى مستوياتها تزداد » .

« هذه الفئة من أصحاب النفوذ والسطوة هى الصديق الصدوق لرجل الإعلان ، فما عليك إلا أن تبلغ مكانهم حيث يكونون ، حتى تراهم وقد أصبحوا أبواقاً مذيعة لرسالتك كمن يضرب على الطبلة فى مرقص كبير » .

* * *

من إعلان لمجلة « ساترداى ايفننج بوست » نشر فى « ميديا سكوب » عام ١٩٥٧ .

وكما أنه من الواضح أن جميع الأفراد لايتبنون فكرة مستحدثة فى وقت واحد ، كذلك من الواضح أن جميع الأشخاص لايمارسون قدراً مساوياً من التأثير فى مجال تبنى الآخرين للأفكار المستحدثة . أما أولئك الذين يشاركون إلى حد كبير فى مجال نشر الأفكار المستحدثة فنحن نسميهم « قادة الرأى » ، لأنهم يتزعمون فى مجال التأثير فى آراء الآخرين . وقادة الفكر هم أولئك الأشخاص الذين يسعى إليهم غيرهم فى طلب النصيحة والحصول على المعلومات .

وهدف هذا الفصل إنما هو شرح الخطوتين اللتين يسير فيهما انتقال الأفكار ، وإظهار الأهمية الخاصة للتأثير الشخصى ، وفحص أساليب قياس أبعاد القيادات الفكرية ، والحديث باختصار عما هو معروف عن السلوك الذى يصطنعه قادة الرأى .

قادة الرأى :

فى هذا الفصل سوف يأتى ذكر كلمة « قادة الرأى » فى مقام الإشارة إلى الأشخاص من ذوى النفوذ فى مجال استحسان الأفكار الجديدة أو استهجانها . والقائمة التالية تزودنا بدليل نستدل به على مجموعة الكلمات التى استخدمها كثير من الكتاب بدلا من كلمة قادة الفكر :

مفاتيح الاتصال	(استخدمها « ليونبرجر » عام ١٩٦٠)
الزعماء	(« « مارش وكولمان » عام ١٩٥٤)
الزعماء غير الرسميين	(« « ويكلننج » عام ١٩٥٢)
زعماء الاستعلامات	(« « شيبرد » عام ١٩٦٠)
زعماء تبنى الأفكار	(« «روجرزوسافيليوس»عام ١٩٦٠)
أصحاب النفوذ المحليون	(« « ليونبرجر » عام ١٩٥٣)
أصحاب النفوذ	(« « ميرتون » عام ١٩٥٧)
أصحاب التأثير	(« « أمرى » و « أوزر » عام ١٩٥٨)
صناع الذوق	(استخدمتها جماعة الرأى العام عام ١٩٥٩)
مهندسو الأسلوب	(استخدمها « كولمان »)
شموع الاحتراق	(« « روس » عام ١٩٥٨)
حراس الأبواب	(« « كوين » عام ١٩٥٢)

وجميع هذه الأسماء تشير إلى نفس الموضوع وهو قيادة الرأى . وقبل أن تظهر هذه التعبيرات إلى الوجود ، استخدم « لازار زفيلد » وآخرون عام ١٩٤٤ كلمة « رائد الفكر » . ومما لاشك فيه أنه يوجد من أنماط قادة الفكر بقدر مايوجد من أفكار . مثال ذلك ما أوردناه سابقاً عن قادة الفكر فى مجال طراز الأزياء ، وفى السياسة ، وفى تبنى المستحدث من الأفكار . وبالرغم من ذلك ، ثمة حاجة شديدة إلى تقنين مدلولات الكلمة وتحديد المقياس الذى يستخدم فى اختيار قادة الفكر .

الأدوار الإيجابية والسلبية للمتبنين للأفكار والنابذين لها :

بعض المتبنين للأفكار لهم دور إيجابى فى التأثير على غيرهم لكى يتبنوا نفس الأفكار ، فى حين أن البعض الآخر يلعبون دوراً سلبياً فى نشر الفكرة المستحدثة بعد تبنيها هم أنفسهم ، والنابذون للفكرة المستحدثة قد يكونون هم أيضاً إيجابيين أو سلبيين فى إيصال رأيهم عن فكرة مستحدثة إلى أقرانهم . ومثل التأثير الإيجابى ذلك الفلاح الذى تحدثنا عنه فى الفصل الرابع ، وهو الذى ألقى اللوم فى موت ماشيته على نوع جديد من الأسمدة الكيماوية كان قد استخدمه .

هكذا نقول إن تصنيفاً ذا شقين فيما يختص بموقف الأفراد من فكرة مستحدثة معينة ممكن. ودرجة التأثير ماهى إلا بعد واحد من أبعاد التحليل الذى نقوم به. وقبول الفكرة أو رفضها هو البعد الآخر . وفيما يلى أقسام هذا التصنيف الرباعى الحدود :

١ — قسم المتبنين الإيجابيين وهم الذين يتبنون الفكرة المستحدثة ويؤثرون على غيرهم حتى يفعلوا نفس الشىء .

٢ — قسم النابذين الإيجابيين وهم الذين ينبذون الفكرة المستحدثة ويؤثرون على غيرهم حتى يفعلوا نفس الشىء .

٣ — قسم المتبنين السلبيين وهم الذين يتبنون الفكرة المستحدثة ولكنهم لا يحاولون أن يؤثروا على غيرهم كى يفعلوا نفس الشىء .

٤ — قسم النابذين السلبيين وهم الذين ينبذون الفكرة المستحدثة ولكنهم لا يحاولون أن يؤثروا على غيرهم كى يفعلوا نفس الشىء . هذا التصنيف لاشك أنه محاولة لتبسيط مخل للعلاقة المتشابكة بين المتبنين لفكرة مستحدثة وبين أولئك الذين لم يتبنوها بعد . ودعاة التغيير الاجتماعى عندما يحاولون نشر فكرة مستحدثة معينة فإنهم قد يحاولون أن يضعوا

على الحياد فئة النابذين الإيجابيين هذه الفئة من شأنها أن تنظر إلى الفكرة نظرة عدائية ، ولا يقتصرون على هذا ، بل إنهم « يجعلون كل إنسان يعرف ذلك » . وفى نفس الوقت ، قد يحاول دعاة التغيير الاجتماعى اكتشاف قادة الفكر المتحررين من أفكار سابقة ثم يركزون عليهم جهودهم الانشائية وبعدها قد تنتشر الفكرة المستحدثة عن طريق الاتصالات الشفوية بين المتبنين الإيجابيين والباقين من جمهور دعاة التغيير الاجتماعى .

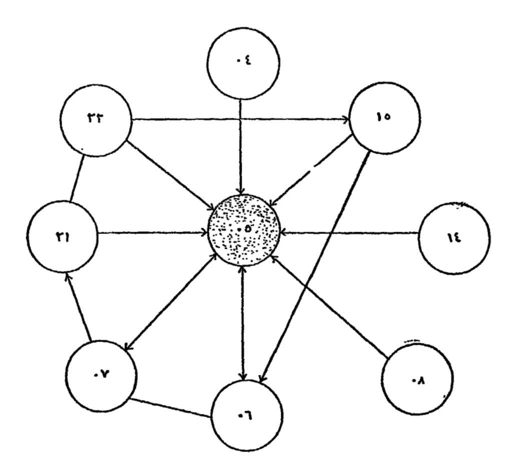
مثل من أمثلة قيادة الرأى فى أوساط الأطباء الممارسين لفنون الطب :

يوضح الشكل رقم (٨ — ١) طريقة من طرق اختيار قادة الفكر حيث سئل أتباعهم عن الأشخاص الذين حصلوا منهم على المعلومات الخاصة بفكرة من الأفكار الجديدة وعلى النصائح ذات الصلة بها . والمادة العلمية المبينة بالشكل رقم (٨ — ١) صدرت عن تسعة أطباء يعملون فى جهة واحدة . ومن الواضح أن يكون الطبيب رقم (٠ ٥) هو القائد الرئيسى فى الخريطة الاجتماعية كلها . وعليك أن تلاحظ هنا أن لمعظم الأطباء علاقات شفوية مع غيرهم من الأطباء الظاهرين على الخريطة ، وهذه العلاقات تأخذ شكل المناقشات العلمية،ويشير ذلك إلى وجود تشكيل خاص يضم هؤلاء الأطباء ويأخذ شكل الشبكة المتصلة الحلقات . لقد تبنى الطبيب رقم (٠٥) ، وهو القائد الفكرى لهذه الجماعة ، دواء جديداً وكان فى تبنيه لهذا الدواء أسرع أتباعه الثمانية . ومن الجائز أن يكون تبنى هؤلاء الأطباء للدواء الجديد قد وقع عقب استخدام الطبيب رقم (٠٥) له مباشرة . ومن ناحية أخرى ، لو أن هذا الطبيب كان قد اتخذ إزاء هذا الدواء موقفاً غير ودى فرفض استخدامه ، لكان تنفيذه على الآخرين ورأيه فى هذا الشأن قد عملا على إعاقة انتشار استخدام هذا الدواء بين هؤلاء الأطباء .

الطريق ذو المرحلتين الذى تسير فيه الفكرة الجديدة عند انتشارها :

إعتقد علماء الاجتماع ذات مرة أن أمريكا هى « المجتمع الكبير » الذى تتجه فيه وسائل الإعلام العامة من جانب واحد نحو الأفراد الذين لا يتصل بعضهم بالبعض الآخر إلا قليلا . لقد كانت وسائل الإعلام العامة ينظر إليها باعتبار أنها قوة عامرة ذات تأثير كبير على سلوك الأفراد . وفى دراسة هامة على انتخابات عام ١٩٤٠ للرياسة فى أمريكا ، أشار « لازارفيلد » ، وهو صاحب الدراسة ، إلى ضرورة إعادة النظر فى هذه الصورة المتعلقة بأمريكا الحديثة . لقد كانت نية هذا الباحث ومساعديه أن يدرسوا دور وسائل الإعلام العامة فى كسب أصوات الناخبين ولكنهم فى الواقع استطاعوا أن يتموا دراسة تحليلية دقيقة لقوة النفوذ الشخصى فى مجال كسب الأصوات . لقد وجدوا أن الأفكار . . « تنتقل من الإذاعة والصحافة إلى قادة الفكر ومن هؤلاء إلى الطبقة التى هى أقل فاعلية من غيرها فى نشر الأفكار بين الناس » . هذا العرض المتضمن الانتقال ذى الخطوتين للأفكار قد استخدم فى دراسات عديدة وهو مع شىء من التعديل قد يكون أقرب الأساليب المستخدمة فى دراسة انتشار الأفكار إلى قلوب الباحثين . وبعد إدخال القليل من التعديل على شكل هذا الفرض المنطق نقول إن الأفكار المستحدثة تنتقل من مصادر الأفكار الجديدة إلى قادة الفكر سالكة الطرق المناسبة ، ومن هؤلاء القادة إلى أتباعهم ، ويتم ذلك باتباع أساليب الاتصال الشخصى . ومن الجائز أن الخطوة الأولى ، وهى انتقال الفكرة من مصدرها إلى القائد ، هى أساساً انتقال للمعلومات ، فى حين أن الخطوة الثانية ، وهى الانتقال من القائد إلى الأتباع ، قد تتضمن أيضاً انتشار النفوذ .

هذه النظرية التى تقول بأن الأفكار تنتشر بين الناس على مرحلتين



شكل رقم (٨ — ١) : تبين الخريطة الاجتماعية الموضحة للعلاقات الفكرية التى تنشأ بين الأطباء البشريين

هـــذه الخريطة الاجتماعية توضح العلاقات الفكرية التى وجدت بين تسعة من الأطباء يقيمون فى بلدة واحدة . لقد طلب من كل منهم أن يذكر اسم الطبيب الذى يناقش معه عادة المشكلات الطبية . والطبيب رقم (٠٥) فى هذه الخريطة يمثل الزعيم الفكرى لهذه الجماعة من الأطباء إذ ثبت أنه طرف فى أى اتصال يقوم به كل من الأطباء الثمانية الباقين . أما الطبيب رقم (٠٦) فهو على درجة أقل من القيادة الفكرية إذ لم يذكره سوى ثلاثة من الأطباء الثمانية، وهذا يدل على أن القيادة الفكرية ينبغى أن ينظر إليها باعتبارها اختلافاً فى الدرجة وليست ازدواجاً من شقين هما القادة والتابعون .

لم تستكمل مقوماتها فى الدراسة التى أجريت على انتخابات عام ١٩٤٠ لرياسة الجمهورية لأن خطة الدراسة لم تكن لتتوقع أهمية التأثير الشخصى فى الانتخابات. على أن هـــذه النظرية، نظرية الاتصال الذى يتم على مرحلتين، ماهى إلا نموذج جيد للاتصال يفيد أولئك الذين يدرسون انتشار الأفكار المستحدثة. هنا عملية تقوية وتدعيم يستطيع الفرد عن طريقها أن يتزود بالأفكار الجديدة يستمدها من أى مصدر مناسب وينقلها إلى غيره، وهذه التقوية تتأكد من بداية عملية الانتشار حتى نهايتها. وعلى هذا، مهما كان الشخص الذى نتخذه مصدراً نستقى منه معلوماتنا خلال عملية الانتشار، فلا بد أن يكون هناك استقبال وإرسال للأفكار.

وثمة نقدان أساسيان لنظرية المرحلتين يجب أن نذكرهما هنا:

١ — حاجة هذه النظرية إلى التكامل مع فكرة المراحل فى عملية تبنى الأفكار إذ أنه لا المبتدعون لهذه النظرية ولا المتبنون لها بعد ظهورها يبدو أنهم أدخلوا فى اعتبارهم الأهمية النسبية لمصادر الأخبار فى المراحل المختلفة لعملية التبنى. ومن الجائز أن يكون من عادة معظم الأفراد أن يستخدموا وسائل الإعلام العامة فى مرحلة الإدراك. وفى مرحلة التقييم، تكون الاتصالات الشخصية على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لمعظم المتبنين للأفكار، وعلى ذلك قد تكون نظرية المرحلتين مجرد تكرار لنظرية أخرى جاء ذكرها فى الفصل الرابع. والواقع أن معظم الأشخاص يصبحون على علم بالأفكار المستحدثة عن طريق وسائل الإعلام العامة وبعدها يشرعون فى مناقشة هـــذه الأفكار مع أقرانهم وهكذا يكون تقييمهم للفكرة.

٢ — من الأمور الأساسية فى هذه النظرية هو التمييز بين قادة الفكر وبين أتباعهم. ومع ذلك فإن مقياس القيادة الفكرية يختلف اختلافاً بيناً فى مجال التحليلات المختلفة التى أجريت لهذه النظرية. وفى الدراسة الأصلية

التى أجريت على انتخابات الرياسة ، أعتبر أى صاحب نصيحة قائداً من قادة الفكر وذلك إذا توصل بنصائحه إلى التأثير على شخص واحد على الأقل . وفى دراسات أخرى لاحقة نجد أن قادة الفكر هم كافة الأفراد الذين قرر خمسة أو أكثر من أقرانهم أنهم يمدون غيرهم بالنصائح . وثمة حاجة إلى تقنين المعيار النوعى للقيادة الفكرية حتى يمكن التوصل إلى وزن أكثر دقة لنتائج الدراسات المختلفة .

والخلاصة ، يمكن القول إن انتقال المعلومات من شخص إلى آخر قد يحدث على مرحلتين ولكن العملية المترتبة على استخدام وسائل الإعلام العامة وذور قادة الفكر فى التأثير على الأفراد العاديين لهى بلا شك محاولة للتبسيط فاقت حدودها الطبيعية . ومن الأمور الهامة جداً أن نأخذ فى اعتبارنا ما يأتى :

١ — توحى الشواهد المستمدة من البحوث الحديثة بوجود حركة لها مسار متعدد المراحل وذلك عندما يؤثر قادة الفكر فى غيرهم من قادة الفكر وعندما يؤثر هؤلاء بدورهم فى أتباعهم . وقد نكون هنا فى حاجة إلى نماذج شبيهة بتلك المستخدمة فى الكيمياء العضوية وذلك للتصوير لسلسلة العلاقات التى تحدث فى مجال التأثير الشخصى والتى توجد فى عملية انتشار الأفكار .

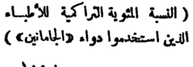
٢ — إن عملية استخدام وسائل الإعلام العامة إنما هى أكثر تعقيداً من نظرية المرحلتين ، وهى التى سبق ذكرها ، ولكن هناك خطوتان أخريان لا بد أن يمر بهما نقل المعلومات فى أية مرحلة من مراحل عملية الانتشار . على هذا الأساس إذا كان الإنسان يرغب فى اتباع هذا الطريق لا بد أن يصطنع علاقة مزدوجة ويتخذ منها مركزاً من مراكز التحليل فى عملية الانتشار .

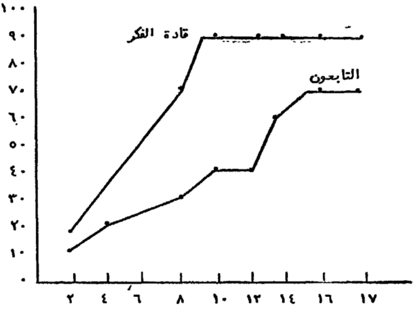
التأثير التفاعلى :

إن نسبة الأفراد الذين يتبنون الفكرة المستحدثة تأخذ فى الارتفاع التدريجى كلما انتشرت هذه الفكرة وعمت التنظيم الاجتماعى كله . وعندما تقبل الفكرة المستحدثة بنسبة ١٠ فى المائة من مجموع الناس فى مكان ما، فإن عدد المتبنين لهذه الفكرة يكون قليلا نسبياً ، ولكن العدد يزداد عندما يبلغ تشبع المجتمع بالفكرة مايقرب من ٩٠ فى المائة من مجموع الناس . والتأثير التفاعلى هو العملية التى من خلالها يؤثر أعضاء التنظيم الاجتماعى الذين تبنوا فكرة معينة فى غيرهم ممن لم يتبنوا هذه الفكرة بعد . هذا التأثير التفاعلى تحدث عنه «رايان» و «جروس» لأول مرة عام ١٩٤٣ إذ قالا :

« ليس من شك فى أن سلوك الفرد فى مجتمع إنسانى يؤثر فى سلوك غيره من أفراد هذا المجتمع . على ذلك فإن النجاح الذى يلقاه عدد قليل من الفلاحين فى مجال استخدام البذور الهجين فى الزراعة يهيء موقفاً مغايراً بالنسبة لأولئك الذين لم يسيروا فى هذا الطريق . إن قبول أحد الفلاحين أو عدد منهم لفكرة البذور الهجين لابد أن يشكل فى حد ذاته حافزاً جديداً يدفع الآخرين إلى القيام بنفس العمل » .

وثمة دراسة عن التفاعل الناتج عن اعتناق عدد من الناس لفكرة معينة قام بها «كولمان» وآخرون عام ١٩٥٧ فى بحث أجروه على انتشار عقار طبى جديد (شكل ٨ — ٢) . لقد كان خط التوزيع الإحصائى الموضح لأثر فئة قادة الفكر فى مجال التبنى عبارة عن سلسلة من ردود الأفعال نتجت عن الاتصالات المباشرة للأطباء الذين سبق لهم أن تبنوا فكرة هذا العقار . أما خط التوزيع الإحصائى لتبنى الأتباع «المنعزلين» (أو المتبنين السلبيين) الذين لم يحظوا باختيار غيرهم لهم لكى يحرزوا مراكز القيادة





(شكل رقم ٨ — ٢) : الأثر التفاعلى يدفع إلى انتشار أسرع
للعقار الجديد بين صفوف القادة أكثر منه بين التابعين

الفكرية على خريطة العلاقات الاجتماعية ، فقد اتجه نحو الارتفاع التدريجى المستمر . كما أن نسباً متزايدة ممن لم يتبنوا هذا العقار ثبت أنهم فعلوا ذلك كل شهر : فمثلا إذا اعتنق الفكرة ١٥ فى المائة من العدد الكلى فى الشهر الأول ففى هذه الحال لا بد أن يعتنق الفكرة فى الشهر التالى ١٥ فى المائة من العدد المتبقى وهكذا . لقد فسر الباحثون الشكل العام للتوزيعين على أساس أن الاتصالات الشخصية الداخلية تؤثر على معدل السرعة التى يتم بها تبنى الفكرة . وبمعنى آخر ، عندما يتحدث المتبنون الأوائل إلى المتبنين الأواخر عن فكرة جديدة فإن معدل سرعة التبنى يزداد بشكل أسرع مما لو لم تكن هناك هذه الاتصالات .

والأثر التفاعلى هو على وجه العموم شبيه بعملية انتشار الأمراض المعدية، مثل الحمى القرمزية والدفتيريا والحصبة، فى بيئة من البيئات. لقد اتجه « بيلى » عام ١٩٥٧ إلى تحليل عملية انتقال العدوى من المرضى إلى الأصحاء فذكر فئات مختلفة من المرضى منهم فئة « حاملى العدوى » وهم يقابلون فئة المتبنين للفكرة الجديدة الإيجابيين، ومنهم فئة « القابلين للعدوى »، وفئة « المعزولين » عن طريق الحجر الصحى أو الموت، وهؤلاء يشبهون المتبنين السلبيين

هذه المادة العلمية المستمدة من الدراسة التى أجريت على العقار الطبى تدل على أن القادة فى مجال الفكر أكثر قابلية للابتكار والتبنى للأفكار المستحدثة من فئة التابعين. وعند ما يتحدث المتبنون الأوائل إلى المتبنين الأواخر عن فكرة جديدة يأخذ معدل التبنى لهذه الفكرة فى الزيادة بشكل يفوق ما يحدث لو لم يكن هناك هذا الاتصال. لقد نال قادة الفكر هنا ثلاثة أو أكثر من أصوات زملائهم باعتبارهم مفضلين على غيرهم عند مناقشة الأفكار المستحدثة فى حين لم ينل فريق التابعين أية أصوات.

كما يذكر أيضاً « فترة الحضانة » وهذه تشبه فترة التبنى. إن من الاهتمامات التى يوليها علماء الأمراض عنايتهم الخاصة التنبؤ باللحظة التى يصبح عندها المرض وباءً وثمة شبه قريب من الناحية النظرية بين انتقال عدوى المرض وانتشار الفكرة الجديدة. ومن الجائز أن تكون بعض المعادلات الرياضية المعقدة التى وضعها « بيلى » لقياس انتشار أنماط مختلفة من الأمراض المعدية صالحة لتفسير طبيعة انتشار الأفكار المستحدثة.

أهمية التأثير الشخصى :

والتأثير الشخصى اتضح أنه عنصر أساسى فى كافة الأنواع ذات الصلة باتخاذ القرارات. والتأثير الشخصى عرّفه الباحثون على أساس أنه اتصال

يتضمن مواجهة مباشرة بين شخصين أحدهما موجه والآخر مستقبل والنتيجة النهائية لهذا الاتصال وهذه المواجهة هى التغيير فى سلوك المستقبل واتجاهاته .

وقادة الرأى هم فى الواقع «أشخاص يمارسون تأثيراً شخصياً على غيرهم من الناس فى مواقف معينة » . والتعريف الذى وضع للتأثير الشخصى يتضمن وجود علاقة بين الناس . والتأثير ليس صفة معنوية من صفات الأشخاص ولكنه عملية تتم على أساس وجود شخصين أو أكثر .

ومنذ أن اكتشف عامل التأثير الشخصى ، وكان ذلك لأول مرة فى الدراسة التى أجريت عام ١٩٤١ على انتخابات الرياسة ، زودتنا بحوث استقصائية عديدة بشواهد تدل على الأهمية الكبيرة لهذا النوع من التأثير عند تكوين الأفكار ، فمثلا نجد أن « كاتز » و « لازرزفيلد » وجدا فى دراستهما عن المستهلك فى أسواق الدواء أن التأثير الشخصى هو أكثر العوامل ظهوراً وأقواها فاعلية فى مجال تكوين الأفكار . ومدى القيادة الفكرية ، كما تقيسها المراكز الموضحة على خريطة العلاقات الاجتماعية ، ثبت أنها تخضع للزمن الذى استغرقه الأطباء لتبنى عقار جديد أكثر من خضوعها لأى عامل آخر من العوامل التى تناولتها الدراسة . كذلك وجد « راهودكار » عام ١٩٥٨ أن الاتصال المباشر بين الجيران كان له أكبر الأثر فى انتشار الأفكار الزراعية المستحدثة وهذا النوع من الاتصال فاق فى أهميته كل الأنواع الأخرى التى درسها فى بحثه عن القرويين الهنود . ولما كان الكثيرون من الفلاحين الذين اتخذهم موضوعاً لاستفتائه من الأميين أو الفقراء فى الثقافة فإن قدرتهم على استخدام وسائل الإعلام العامة كانت معدومة . أما « بيل » و « روجرز » فقد وجدا عام ١٩٥٧ أن الاتصالات الشفوية تفوق فى الأهمية أى مصدر آخر من مصادر المعلومات

وذلك فى مجال إقناع سكان «أيووا» بشراء الأنواع الجديدة من الأنسجة المصنوعة من الأورلون والداكرون والنيلون .

هذه النتائج التى توصل إليها مَنْ ذكرنا من باحثين وغيرها عملت على إقناع الدارسين لموضوع انتشار الأفكار بأنه من غير الممكن تجاهل أهمية العلاقات الاجتماعية فى دراسة الأفكار المستحدثة . والواقع أنه بعد أن يكون عشرة أو عشرون فى المائة من مجموعة من الناس قد تبنت فكرة مستحدثة معينة فإنه قد يكون من المستحيل وقف انتشارها بعد ذلك .

متى يكون التأثير الشخصى الصادر من الزملاء أكثر أهمية من غيره ؟

وبالرغم من أن التأثير الشخصى هو على جانب كبير من الأهمية فى عملية انتشار الأفكار ، فإنه يكون أكثر أهمية فى مواقف معينة ، وبالنسبة لأفراد معينين . وهـــذا الجزء من الكتاب يهدف إلى حصر النظريات والتعميمات التى تدور حول الأهمية النسبية للتأثير الشخصى الذى ينبع من الزملاء والجيران . هؤلاء قد يكونون الزملاء للطبيب، أو الجيران للمزارع ، أو أصدقاء رئيس العمل . ومن الأمور المتوقعة أن القيادة الفكرية تمارس إلى حد كبير من خلال التأثير الشخصى على الزملاء والجيران :

١ — مرحلة التقييم — التأثير الشخصى الصادر عن الزملاء والجيران يبلغ ذروة الأهمية فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى ويصل إلى أدنى درجات الأهمية فى المراحل الأخرى : لقــد أوضحنا فى فصل سابق أن المصادر الشخصية للاتصال (من كافة الأنواع) تبلغ ذروة الأهمية فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى . ومن ثم فإننا نتوقع من الزملاء والجيران أن يحشدوا أقصى ما يستطيعون من التأثير فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى . هنا تمارس التأثيرات الشخصية من كافة الأنواع (الصادر منها من

دعاة التغيير الاجتماعى ومن الزملاء والجيران) أقصى ماتصل إليه من قوة خلال عملية التبنى .

وفى الشكل رقم (٨ — ٣) فصلنا مابين التأثيرات الصادرة عن الزملاء والجيران وبين غيرها من التأثيرات الشخصية الأخرى . ومن الواضح أن التأثيرات الصادرة من الزملاء والجيران تبدو أقوى ماتكون فى مرحلة التقييم الخاصة بكلا الفكرتين المستحدثتين . وهذا الشكل يدلنا أيضاً على أن التأثيرات الصادرة عن الزملاء والجيران تكون أكثر أهمية فى حالة أفكار مستحدثة معينة منها فى حالة أفكار أخرى . مثال ذلك أن التأثيرات الصادرة عن الزملاء والجيران كانت أهم من التأثيرات الصادرة عن دعاة التغيير الاجتماعى وذلك فى كل مرحلة من مراحل عملية التبنى لفكرة الأنسجة «المعجزة» وهى أنسجة الداكرون والأورلون والنيلون . وبصرف النظر عن ذلك ، فإن التأثير الشخصى الصادر عن العاملين فى مجال الدعاية التجارية كان له قصب السبق على التأثيرات الصادرة من الزملاء والجيران فى حالة المضادات الحيوية .

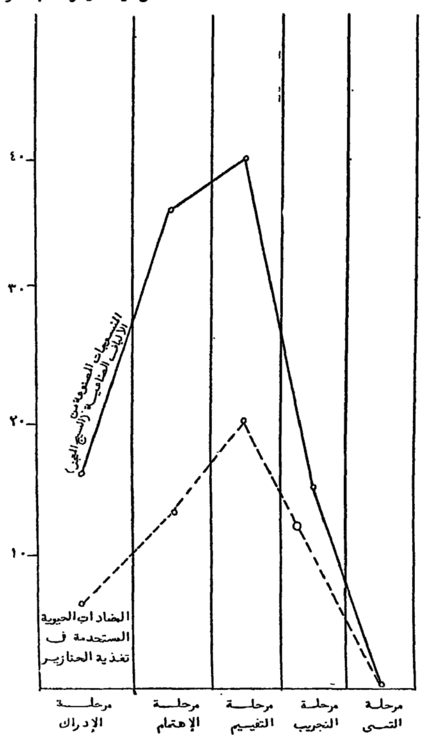
٢ — المتبنون الأواخر : إن التأثير الشخصى الصادر عن الزملاء والجيران هو أهم بالنسبة للمتبنين الأواخر منه بالنسبة للمتبنين الأوائل . هذا البعد من أبعاد التحليل لا يمكن أن يظهر فى الشكل رقم (٨ — ٣) ومن الجائز أن يكون مساوياً فى المعنى للفروق الموجودة فى أهمية التأثيرات الصادرة عن الزملاء على أساس مرحلة التبنى . هذه التأثيرات أهم بكثير بالنسبة لفئة المتلكئين فى تبنى الأفكار المستحدثة منها بالنسبة للمبتكرين والمتبنين الأوائل فى كل مرحلة من مراحل التبنى . وفى الفصل الرابع أشرنا إلى أن المتبنين الأوائل أقل استعداداً للاعتماد على التأثير الشخصى بشتى أنواعه من فئة المتبنين الأواخر . والمتبنون الأوائل ، حتى عندما يتأثرون بالمصادر الشخصية ، يكونون عادة ميالين إلى الادعاء بأن مايتعرضون له

من تأثير شخصى إنما يصدر عن دعاة التغيير الاجتماعى أكثر مما يصدر عن الزملاء والجيران . هذه الحقيقة كان من الممكن توقعها وخاصة لأنه فى الوقت الذى يقرر فيه المبتكرون والمتبنون الأوائل استخدام فكرة جديدة يكون الأقلون من زملائهم على علم بالفكرة المستحدثة وعلى تجربة بها . ولكن ، فى الوقت الذى يشرع فيه أفراد الأغلبية المتأخرة وأفراد فئة المتشككين فى تبنى الفكرة الجديدة ، فإنهم يجدون أنفسهم محاطين بأعداد كبيرة من الزملاء الذين يكونون قد تبنوا هذه الفكرة بالفعل .

ونحن هنا نعرض بحثاً استقصائياً من البحوث التى تصور النظرية التى نحن بصـــدد مناقشتها ، وهو البحث الذى قام به « بوورز » عام ١٩٣٨ مستهدفاً تحليل عينة مكونة ٢١٢ هاوياً من هواة تشغيل أجهزة الإرسال الهوائية .

لقد اتضح من هذه الدراسة أن الأفراد الذين تبنوا هواية تشغيل أجهزة الإرسال الهوائية قبل عام ١٩١٦ قرروا أن ٢٣ فى المائة من التأثيرات المؤدية إلى تبنيهم لهذه الهواية صدرت عن أقران لهم . أما أولئك الذين تبنوا الفكرة بعد عام ١٩٢٥ فإنهم قرروا أن ٥١ فى المائة من التأثيرات التى أدت إلى تبنيهم للفكرة جاءت عن الأقران .

٣ — المواقف غير المستقرة — التأثير الشخصى الصادر عن الزملاء أهم فى المواقف غير المستقرة منه فى المواقف المحددة : عند ما يشعر الفرد أن لديه معلومات كافية عما يمكن عمله فى المواقف المختلفة ، فإنه فى هذه الحالة يكون أقل ميلا إلى الاعتماد على آراء زملائه . وبالرغم من ذلك ، عند ما يكون الوضع غير مستقر فإنه يشعر بأنه فى حاجة إلى من يشجعه على اتباع ما يراه صواباً وهذا لا يكون إلا بالتعاون مع الزملاء والتفاعل معهم .



شكل رقم (٨ — ٣)

يبين الأهمية التى يحققها التأثير الشخصى الصادر عن الزملاء وأفراد المهنة الواحدة فى جميع

هذا الشكل يوضح أن التأثير الشخصى الصادر عن الزملاء وأفراد المهنة الواحدة يبلغ ذروة الأهمية فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى. فى هذه المرحلة يمارس قادة الفكر أقصى مالديهم من تأثير خلال عملية التبنى كلها. والتأثيرات الصادرة عن الزملاء وأفراد المهنة الواحدة أهم بالنسبة لفئة المتلكئين منها بالنسبة لفئة المبتكرين وفئة المتبنين الأوائل وذلك بالرغم من أن الشكل لا يوضح ذلك. والمادة العلمية التى يعتمد عليها هذا الشكل قد تم الحصول عليها من ١٤٨ عاملا زراعياً وزوجاتهم فى قرية من قرى ولاية «أيووا».

أما الأفكار المستحدثة التى كانت موضوعاً للبحث فهى المنسوجات المصنوعة من الألياف الصناعية والمضادات الحيوية المستخدمة فى تغذية الخنازير.

* * *

والذى يؤكد صحة هذه النظرية ما جاءت به الكثير من الدراسات والبحوث من نتائج، وذلك بالرغم من عدم وجود الشاهد المباشر على صحة هذه النظرية.

لقد قرر «مينتزل» و«كاتز» عام ١٩٥٥ أن الأطباء الممارسين كانوا يعتمدون على زملائهم عند ما يستخدمون العقارات الجديدة فى المواقف الغامضة أكثر مما هو الحال فى المواقف الواضحة المحددة. وفى دراسة استقصائية على الأدوية الجديدة قام بها «كولمان» وزملاؤه عام ١٩٥٧ اتضح أن «الطبيب يتأثر بما يقول زملاؤه أو يفعلون فى المواقف غير المؤكدة أينما وحينما تقع وذلك فى المقام الأول وبعدها تأتى المواقف الواضحة». كذلك وجد «ويكلننج» وآخرون عام ١٩٦٠ أن

الفلاحين الأستراليين يعتمدون أكثر على التأثير الشخصى الصادر عن الزملاء وذلك فى مجال تطبيق الأفكار المستحدثة المتضمنة قدراً أكبر من المغامرة الاقتصادية . كما وجد « فان دى بان » عام ١٩٦١ أن ٦٢ فى المائة من الأصدقاء الذين استعرضهم اثنين اثنين فى هولندا يمتلكون أجهزة حلب آلية من نفس النوع والعلامة التجارية . أما نسبة احتمال حيازة كلا الصديقين لنفس النموذج فكانت ١٥ فى المائة وذلك لأن اختيار النموذج بالنسبة للفلاح إنما هو قرار على جانب كبير من الغموض إذ من الصعب عليه أن يقرر إذا ما كان أحد النماذج أفضل من الآخر .

والخلاصة ، نقول إن التأثيرات الشخصية الصادرة عن الزملاء تكون فى العادة أكثر أهمية :

١ — فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى وفى هذه المرحلة أكبر مما هو الحال فى المراحل الأخرى .

٢ — ولفئة المتبنين الأواخر أكثر مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأوائل .

٣ — وفى المواقف الغامضة أكثر مما هو الحال فى المواقف المحددة الواضحة .

اختصاصات التأثير الشخصى :

قررنا أن الأفراد فى مواقف اتخاذ القرارات يعتمدون فى العادة اعتماداً كبيراً على التأثير الشخصى الصادر عن الآخرين . هذا القول يصدق بصفة خاصة عند ما يكون هؤلاء فى مجال القبول أو الرفض لفكرة مستحدثة . والآن ما هى الاختصاصات التى ينفذها التأثير الشخصى فى كل مرحلة من مراحل عملية التبنى ؟

١ — الوعى بالفكرة المستحدثة قد ينشأ عن طريق التأثير الشخصى

الصادر عن الآخرين . ومع ذلك ، فبالنسبة لمعظم الأفراد ، يأتى الوعى عن طريق الاتصالات غير الشخصية مثل وسائل الاتصال الجمعى . والتأثير الشخصى يكون هاماً عندما يجعل المتبنين الأواخر يدركون الفكرة المستحدثة وهو فى هذا المجال أكثر أهمية مما هو الحال عندما يُخلق الإدراك بالفكرة المستحدثة لدى فئتى المبتكرين والمتبنين الأوائل .

٢ — وبمجرد أن تتكون الآراء عن فكرة مستحدثة فإن هذه الآراء تتدعم بالتفاعل مع غيرها . وفى حالات الغموض وعدم الاستقرار الزائد، يميل معظم الأفراد إلى الربط ما بين آرائهم وآراء غيرهم من الناس .

هكذا نقول إن التأثير الشخصى لايساعد فقط على تكوين آراء أصيلة عن فكرة مستحدثة فى مرحلة الإدراك ، ولكنه أيضاً يصادق شرعاً على هذا الرأى بمجرد أن يوجد .

٣ — المعايير الخاصة بقابلية الناس لتبنى الأفكار المستحدثة تنتقل على وجه العموم إلى الأفراد عن طريق التأثيرات الشخصية الكامنة فى المجتمع. هذه المعايير قد تكون فى ذروة أهميتها فى مرحلة التقييم حيث الفرد على وشك أن يقرر ما إذا كان يقوم بتجربة الفكرة الجديدة أم لا .

٤ — تقارن الفكرة المستحدثة مع الأفكار الموجودة فعلاً فى ضوء التفاعلات التى تتم بين الفرد وأقرانه . هذا الاختصاص الجديد الذى يزاوله التأثير الشخصى يصبح أهم ما يكون فى مرحلة التجريب خلال عملية التبنى. والواقع أنه بالنسبة للأفكار المستحدثة التى لاتقبل التقسيم بقصد فحصها وتجربتها قد يحل التأثير الشخصى الصادر عن الزملاء بطريقة من الطرق محل التجربة التى تتم على نطاق ضيق .

هكذا نقول إن التأثير الشخصى يلعب دوراً مختلفاً قليلاً فى كل مرحلة من مراحل عملية التبنى .

الانتقائية :

ثمة طريقة أخرى لعلاج الوظائف والاختصاصات المتعلقة بالتأثير الشخصى وهذه الطريقة تتم على أساس عمليات ثلاث أساسية لها الصبغة النفسية الاجتماعية . هذه العمليات هى :

١ — التعرض الانتقائى ،
٢ — الإدراك الانتقائى ،
٣ — الحفظ الانتقائى .

١ — والتعرض الانتقائى هو ميل الأفراد إلى تعريض أنفسهم لعلاقات تتفق وآراءهم الراهنة . ولتفسير ذلك نقول إنه وجد أن الديمقراطيين فى أمريكا قلما يتفرجون على العروض التليفزيونية التى ينظمها الجمهوريون . وبالمثل نجد أن الفئة من الناس الذين تنظم لهم حملات التوعية ضد الإصابة بالأمراض السرية لكثرة تعرضهم لها هم أقل الناس إقبالاً على الإفادة من هذه الحملات .

٢ — والإدراك الانتقائى هو ميل الأفراد إلى تفسير الفكرة الجديدة فى ضوء تجاربهم السابقة وآرائهم الراهنة . فمثلاً قد ينظر فلاح متطور إلى نوع جديد من السماد على اعتبار أنه وسيلة لتحقيق محصول أكبر ، ولكن نفس هذا السماد قد ينظر إليه فلاح آخر له اتجاهات وقيم ومعلومات مختلفة على اعتبار أنه مجرد مركب كيمائى خطر . والنقطة الهامة هنا أن الفرد يصدر قراراته على أساس فهمه سواء أكان دقيقاً أم غير دقيق .

٣ — والحفظ الانتقائى هو ميل الأفراد إلى تذكر الأفكار التى تتفق وآراءهم الراهنة . فمثلاً نجد أن طبيباً قد يقرأ مئات المقالات التى تعالج موضوعات طبية وتحبذ استخدام عقاقير معينة ولكن معظم هذه المقالات لا تترك سوى أثر ضئيل فى ذاكرة الطبيب . وبالرغم من ذلك نجد أن

الأخبار المتعلقة بظهور دواء ينتظر منه أن يعالج حالة ولو مفردة من الحالات التى تشغل بال الطبيب كثيراً ما تعيها الذاكرة ومن الجائز أن يتم التبنى للدواء الجديد على هذا الأساس .

هذه العمليات قد يتسبب عنها إحداث كبت للفاعلية المتوقعة من وراء الحملات الدعائية التى تقوم بها وسائل الإعلام العامة للترويج لفكرة مستحدثة معينة . ما هو السبب فى أن التأثير الشخصى من شأنه التغلب على هذه الحوائل الثلاثة أكثر مما تستطيعه وسائل الإعلام بما تقدمه من برامج وعروض ؟

١ — إن التعرض للتأثير الشخصى يخلو عادة من عنصر الانتقاء بعكس التعرض لوسائل الإعلام العامة ، فعندما يقابل المرء صديقاً له فإنه لا يعرف مقدماً أية أفكار جديدة سوف يتناولها الحديث .

٢ — عندما يسيء المرء تفسير ما تقول ، فإنك عن طريق ملاحظة ما هو مشترك بين أفكارك وأفكاره ، سوف تدرك ما فى تفكيره من سوء فهم وتحاول تصحيحه . أما الذين يقومون بوسائل الإعلام الجمعى فقلما يتمكنون من تصحيح مثل هذه الأخطاء .

٣ — الحوار الشخصى يمكّن المرء من تذكير الآخرين بوجود الأفكار الجديدة ويتكرر ذلك منه حتى لو لم يكن مقتنعاً بهذه الأفكار . لهـــذا قلنا إن خاصية الانتقاء مما هو محفوظ فى الذاكرة يخضع للتأثير الشخصى أكثر مما يخضع لوسائل الإعلام الجمعى .

التوزيع الاحصائى للتأثير الشخصى :

والقيادة الفكرية إنما هى سمة مميزة لها صفة الانتشار بالرغم من أنها تكون على وجه الخصوص مركزة فى عدد قليل من الأفراد . وأمر التأثير الشخصى وحقيقته إنما هو أمر درجة وينبغى أن نعتبره متغيراً لا يثبت

على حال وليس كياناً مزدوجاً شقه الأول «القادة» والشق الثانى «التابعون». وبعض الأفراد يتطلع إليهم العديدون من زملائهم وأقرانهم طالبين النصح فى حين نرى عدداً آخر من الناس لا يسألهم أحد رأيهم فى أية فكرة مستحدثة .

هذا التوزيع الإحصائى للتأثير الشخصى كان عام ١٩٥٥ موضوعاً لدراسة « روجرز » الذى أجرى بحثه على ١٤٨ فلاحاً من ولاية « أيووا » وكانوا من قرية واحدة . سألهم « روجرز » عمن يتوجهون إليهم عادة لطلب الرأى والنصيحة بشأن ما يصل إلى أسماعهم من أفكار مستحدثة فى عالم الزراعة . وجميع أفراد هذه المجموعة ، باستثناء ٤٣ فرداً ، كانوا يتمتعون بمراكز ممتازة على خريطة العلاقات الاجتماعية ، أى أن كلاً منهم وجد واحداً على الأقل من أفراد جيرته ينظر إليه باعتباره رائداً فكرياً . أما الوضع بالنسبة لأفراد المجموعة فكان كالآتى :

٥١ فلاحاً نال كل منهم مركزاً قيادياً واحداً ، و٢٨ فلاحاً نال كل منهم مركزين ، و١٣ فلاحاً نال كل منهم ثلاثة مراكز ، و٧ فلاحين نال كل منهم أربعة مراكز ، و٤ فلاحين نال كل منهم خمسة مراكز ، وفلاح واحد نال ستة مراكز ، وفلاح واحد آخر نال سبعة مراكز . من هذا نقول إن صفة القيادة الفكرية إنما هى سمة مميزة لها صفة الانتشار ، حتى وإن كانت محصورة فى عدد قليل من الأفراد . والتوزيع الإحصائى للتأثير الشخصى فى هذه الدراسة . دراسة « أيووا » يشبه على وجه العموم ذلك التوزيع الذى وجد فى عدد من الدراسات الاستقصائية الأخرى التى أجريت على الفلاحين . هذه الدراسات تزودنا هى الأخرى بالشواهد التى تثبت أن أمر القيادة الفكرية إنما هو أمر درجة .

والمادة العلمية التى تقوم عليها دراسة « أيووا » تشير إلى إحدى الصعوبات المتصلة بالطريقة « السيسيومترية » لقياس القيادة الفكرية

إذ أنه بالإضافة إلى المائة والخمسة من الفلاحين الذين وجد « روجرز » عام ١٩٥٥ أن لهم بعض التأثيرات « السيسيومترية » ، حدث أن سبعة وتسعين فلاحاً كانوا يقيمون خارج حدود القرية واتفق الجميع على اعتبارهم قادة . وفى الوقت نفسه ، كان من الواضح أن ثمة عدداً من الفلاحين الذين كانوا يعيشون خارج حدود منطقة الدراسة اختاروا من المجموعة التى كانت تعيش فى القرية عدداً من الفلاحين واعتبروهم من قادة الفكر . ومهما يكن من أمر ، هذا الانتقاء « السيسيومترى » من خارج البيئة الاجتماعية لم يكن موضع اهتمام فى هذه الدراسة المسماة بدراسة « أيووا » ، لأن المجموعة كلها وعددها ١٤٨ فلاحاً ، وهى المجموعة التى كانت تسكن قرية واحدة ، هى التى كانت موضوعاً للاستفتاء ولا أحد غيرها . وباختصار ، إن النقص الذى يؤخذ على هذه الدراسة ، دراسة « أيووا » عن القيادة الفكرية بين الفلاحين (وعلى العدد الأكبر من الدراسات الأخرى التى من هذا النوع) ، هو أن هذه الدراسات لا تأخذ فى حسابها التأثيرات الناشئة عن علاقات خارجية . ومن الأمور المتوقعة والشائعة أن الفرد الذى يعتبره أقرانه على درجة كبيرة من التأثير لا يعتبره كذلك من يعيشون خارج التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فيه . وبالمثل نقول إن الفرد الذى يمتد تأثيره خارج تنظيمه الاجتماعى لا يوجد من يختاره على خريطة قياس العلاقات الاجتماعية ، وبالتالى لا يعتبر من قادة الفكر بين أقرانه .

قياس القيادة الفكرية :

ثمة طرق أساسية ثلاث لقياس القيادة الفكرية :

١ — الطريقة « السيسيومترية » وهى تقوم على سؤال أفراد المجموعة عن الشخص الذى يقصدونه لطلب النصيحة واستقصاء المعلومات المتعلقة بفكرة جديدة . ولا بد هنا من سؤال عدد كبير من الناس حتى يمكن تحديد

عدد قليل من قادة الفكر . هذه الطريقة قد تناسب البحوث التى لا بد فيها من سؤال جميع أفراد التنظيم الاجتماعى أكثر مما تناسب تلك التى تقوم على عينة صغيرة داخل كيان أكبر . هذه الطريقة كثر استعمالها فى البحوث السابقة وفاقت غيرها من الطرق . ومن أمثلة البحوث التى استخدمت هذه الطريقة ما يأتى :

بحث « ليونبرجر » عام ١٩٥٣ .
« « ويكلننج » عام ١٩٥٨ .
« « مارش وكولمان » عام ١٩٥٤ .
« « روجرز » عام ١٩٥٥ .
« « منتزل وكاتز » عام ١٩٥٥ .
« « شبرد » عام ١٩٦٠ .
« « روجرز وبيردج » عام ١٩٦١ .
« « راحيم » عام ١٩٦١ .
« « كولمان وزملائه » عام ١٩٥٧ .
« « ويكلننج » عام ١٩٦٠ .
« « شابارو » عام ١٩٥٦ .
« « فان دى بان » (فى المجلات السيارة) .
« « روجرز وبيردج » عام ١٩٦٢ .

٢ — طريقة الاستعانة بعدد من ذوى الرأى فى التنظيم الاجتماعى لتحديد من يمكن اعتبارهم قادة للفكر . هؤلاء الأفراد ينتقون بطريقة ذاتية على أساس أنهم قد يساعدون فى الاستدلال على من يعتبرون قادة فكر ، وهذه الطريقة استخدمت أيضاً فى دراسات التصنيف الاجتماعى بغرض تحديد درجات النفوذ والهيبة لكل فرد من الأفراد المحليين ، وتمتاز

هذه الطريقة بأنها قليلة التكاليف ولا تتطلب وقتاً طويلاً وبخاصة عندما تقارن بالطريقة «السيسيومترية» . ومهما يكن من شيء ، فإن الطريقتين تشتركان بقدر متساوى فى عدم صلاحية أى منهما للتطبيق عندما تكون العينة موضوع الاستفتاء مكونة من أفراد قلائل . لقد استخدم «شابارو» عام ١٩٥٥ هذه الطريقة فى دراسته التى أجراها فى «كوستاريكا» ، كما استخدمها «فان دى بان» فى ثلاث قرى من قرى هولندا .

٣ — الطريقة الذاتية وتقوم على أساس سؤال الشخص موضوع الاستفتاء سلسلة من الأسئلة لتحديد مدى اعتبار نفسه قائداً فكرياً . وهـــذه الطريقة تعتمد على دقة تحديد الأشخاص موضوع الاستفتاء لقدراتهم الذاتية وإمكانياتهم التأثيرية . ومن ميزات هذه الطريقة أنها تقيس إدراك الشخص لقدراته فى مجال القيادة الفكرية ومدى تأثير هذا على سلوكه . وكما يقول «و . اى . توماس» فى نظريته المشهورة «إذا نظر الناس إلى المواقف باعتبار أنها حقيقية فإن كل ما يترتب على ذلك لا بد أن يكون حقيقياً» .

وفيما يلى نذكر دراسة من الدراسات التى تستخدم هذه الطريقة الذاتية ولسوف نتحدث عنها فى شيء من الإفاضة .

أحد الاختبارات التى تستخدمها الطريقة الذاتية لتحديد درجة القيادة الفكرية عند المفحوص :

ثمة ضعف خطير لوحظ على الاستعمالات السابقة للطريقة الذاتية فى تحديد درجة القيادة الفكرية عند الشخص ألا وهو قلة عدد العناصر التى يتركب منها المقياس الخاص بهـذه الطريقة . فمثلاً نجد فى القسم الخاص بقياس القيادة الفكرية فى مجال السياسة أن ثمة سؤالين فقط هما :

١ — هل سألك أحد أخيراً النصيحة فيما يتعلق بمشكلة سياسية ؟

٢ — هل حاولت أخيراً إقناع أحد بأفكارك السياسية ؟

أما توزيع الدرجات على عناصر هـذا الاختبار البسيط فـكان قائماً على أساس وجود شقين منفصلين هما « قادة » و « تابعون » .

لقد أدخل تعديل على عناصر هذا الاختبار كما أضيفت إليه أربعة أسئلة جديدة واستعمل الشكل الجديد للاختبار فى دراسة أجراها « روجرز » عام ١٩٥٧ على انتشار الأفـكار الجديدة فى الزراعة بين فلاحى ولاية « أوهايو » . وفى هـذه الدراسة حدثت مقابلات شخصية مع أفراد عينة مكونة من ١٠٤ عمال زراعيين اختيروا بطريقة عشوائية . أما الاختبار الذى استخدم هنا لتحديد درجة القيادة الفـكرية بطريقة ذاتية فـكان يتكون من الأسئلة الستة التالية :

١ — فى خلال الشهور الستة الماضية هل تحدثت مع أى إنسان عن طريقة جديدة من الطرق المستخدمة فى الزراعة ؟

٢ — إذا قارنت نفسك بالأشخاص الذين يكونون مجموعة الأصدقاء التى تنتسب إليها هل احتمال إقبال أفراد المجموعة عليك لسؤالك عن الحقيقة المتعلقة بطريقة جديدة من الطرق المستخدمة فى الزراعة كبير أو هل هذا الاحتمال ضئيل ؟

٣ — إذا عدت بذاكرتك إلى آخر نقاش دار حول طريقة جديدة من طرق الزراعة :

(ا) هل كان المتناقشون يسألونك رأيك عن الطريقة الجديدة ؟ أو ،

(ب) هل كنت تسأل شخصاً آخر ؟

٤ — عندما تقوم مع أصدقائك بمناقشة أفـكار جديدة فى مجال الزراعة أى دور تلعبه فى هذا النقاش ؟ :

(ا) هل تصغى للنقاش طول الوقت ؟ أو ،

(ب) هل تحاول اقناعهم بأفـكارك ؟ .

٥ — أى أمر من الأمور الآتية يحدث أكثر من غيره :

(ا) أن تحدث جيرانك عن الطرق الجديدة فى الزراعة ؟

(ب) أن يحدثك جيرانك عن الطرق الجديدة فى الزراعة ؟

٦ — هل لديك شعور خاص بأن جميع أصدقائك وجيرانك يتطلعون إليك باعتبارك مصدراً جيداً للمعلومات والخبرة فيما يختص بالأساليب الجديدة فى الزراعة ؟

هذه الأسئلة الستة ثبت أنها جاءت بقدر من الثبات يفوق القدر الذى جاء به الاختبار المكون من سؤالين فقط والذى استعمل فى الدراسات السابقة . والزيادة فى حجم الثبات ، هذه الزيادة التى جاء بها الاختبار المكون من ستة أسئلة ، تتمشى والمبدأ العام القائل بأن فى مقدورنا الحصول على قدر أكبر من الثبات إذا عملنا على إطالة الاختبار . وثمة شواهد تثبت أن الاختبار يقيس بعداً واحداً فقط ولا يتداخل مع إدراكات نفسية أخرى .

والطريقة « السيسيومترية » لاختبار قادة الفكر ، استخدمت فى الماضى لكى تكون محكاً لما فى الطريقة الذاتية من صدق فكان يسأل كل جار من جيران الشخص موضوع الاستفتاء عمن يتوجه إليه فى طلب النصيحة والحصول على المعلومات المتعلقة بفكرة مستحدثة فى مجال الزراعة . والأشخاص موضوع الاستفتاء الذين يحصلون على مركز أو أكثر من مراكز الصدارة على خريطة العلاقات الاجتماعية ينالون درجات أكبر بمقتضى هذا الاختبار القائم على الطريقة الذاتية لتحديد درجة القيادة الفكرية عند الشخص .

والشواهد المتاحة لنا الآن تشير إلى أن الاختبار ذا الأسئلة الستة القائم على الطريقة الذاتية لتحديد درجة القيادة الفكرية لدى الشخص إنما هو اختبار يمتاز بالثبات والصدق ، كما يمتاز بوحدانية البعد ، كما أنه سهل

التطبيق ولا يستغرق إجراؤه أكثر من خمس دقائق . وإن طبيعة الأسئلة لتوحى بأنها يمكن أن تستخدم فى كافة البحوث التى تتناول قياس القيادة الفكرية فى جميع المجالات تقريباً .

معلوماتنا عن قادة الرأى :

وهدف هذا القسم من الكتاب هو تحليل الشواهد المستمدة من عدة دراسات استقصائية أجريت على قادة الفكر . فى هذا القسم وفى الجانب الأكبر من الجزء الباقى من هذا الفصل سوف نتحدث عن « قادة الفكر » وعن فئة « التابعين » كما لو كانت صفة القيادة الفكرية تتصف بالثنائية . هذا الإغراق فى التبسيط نقدم عليه لضمان الوضوح الذى نسعى إلى تحقيقه بشتى الطرق . والقيادة الفكرية أمرها فى الواقع أمر درجة وليس أمر نوع . ولسوف نحاول أن نناقش كلاً من التعميمات التالية التى نوردها عن قادة الفكر مناقشة تفصيلية .

إن القادة فى مجال الفكر يلتزمون بالمعايير الاجتماعية السائدة فى التنظيم الاجتماعى أكثر مما يفعل الفرد العادى فى هذا التنظيم . ومن الواضح أن ثمة تداخل قليل بين الأنماط المختلفة لقادة الفكر . فمثلاً نجد أن الفرد الذى يعتبر قائداً فكرياً فى مجال نشر الأفكار المستحدثة فى الزراعة قد لا يكون كذلك فى مجال الأمور السياسية . وقادة الفكر يختلفون عن تابعيهم من ناحية المصادر التى يحصلون منها على معلوماتهم ، والانفتاح على العالم الخارج عن عالمهم ، والاندماج فى الحياة الاجتماعية ، والكيان الاجتماعى ، والقابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

الالتزام بالمعايير السائدة :

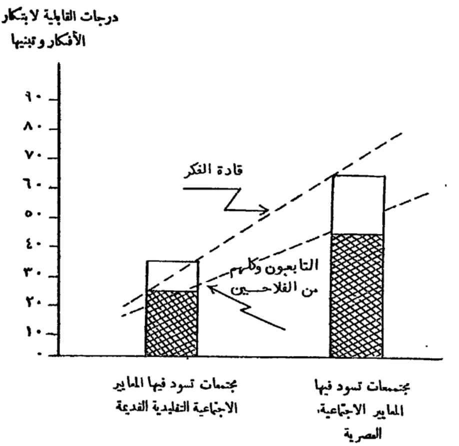
لقد اتضح أن قادة الفكر كثيراً ما يكونون على شاكلة تابعيهم وإن كانوا فى بعض الأحايين يفوقونهم فى نواحى عديدة . والواقع أن القادة

فى مجالات الفكر يلتزمون المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى أكثر عما هو الحال مع الأفراد العاديين فى هذا التنظيم . لقد ذكر « هومانز » عام ١٩٥٠ أن « القائد يجب أن يخضع لمعايير الجماعة — جميع المعايير . ولا بد أن يكون من هذه الناحية أفضل من أى تابع » .

أحد الشواهد المتعلقة بهذه النظرية نجدها فى البحث الذى أجراه « مارش » و « كولمان » عام ١٩٥٠ على ١٣ قرية من قرى ولاية « كنتكى » ودلت النتائج على أن القادة لا ينحرفون كثيراً عن مجموعة المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتسبون إليه شكل (٨ — ٤) . ولقد ثبت أنه فى القرى حديثة الإنشاء كان قادة الفكر أكثر ميلاً إلى ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها من فئة التابعين لهم . أما القادة فى القرى التقليدية القديمة فكانوا نسبياً أقل ميلاً إلى ابتكار الأفكار الجديدة وتبنيها فى حالة مقارنتهم بفئة التابعين لهم .

وثمة اختبار آخر لهذه النظرية نجده فى دراسة استقصائية قام بها « روجرز » و « بيردج » عام ١٩٦٢ على ٨٣ من الزراع يعيشون فى سبع قرى مختلفة . هذه القرى تختلف اختلافاً كبيراً من ناحية طبيعة المعايير الاجتماعية السائدة فيها ، ولقد وضعت إحصائية رياضية تبين مدى انحراف كل قائد فكر وكل تابع على أساس نسبة الفرق الكلى بين درجة القابلية .

هذه المادة العلمية توحى بأن قادة الفكر لا ينحرفون كثيراً عن المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى . وكانت درجات القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها لدى قادة الفكر فى المجتمعات التى تسود فيها المعايير القديمة أعلى بدرجة قليلة (خمس درجات فقط) من درجات فئة التابعين فى حين أن القادة فى المجتمعات التى تسود فيها المعايير العصرية كانوا متقدمين على تابعيهم بثمانى عشرة درجة . وحيثما تكون المعايير



شكل رقم (٨ — ٤)

درجات القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها عند فئتى قادة الفكر والتابعين
فى المجتمعات التى تسود فيها المعايير الاجتماعية القديمة والعصرية

مشجعة على تبنى الأفكار المستحدثة ، يولى القادة اهتماماً كبيراً للقابلية لابتكار الأخبار وتبنيها . ولكن ، حيثما لا تشجع المعايير القابلية للتبنى والابتكار يميل القادة إلى عدم الاعتماد على هذه القابلية بدرجة كبيرة .

والمادة العلمية المستخدمة هنا مستمدة من ٣٩٣ فلاحاً فى ثلاثة عشر مجتمعاً فى ناحية « واشنطن » بولاية « كنتكى » بعد استفتائهم فى شأن تبنيهم لإحدى وعشرين فكرة مستحدثة فى مجال الزراعة ، والمجتمعات هنا هى إما مجتمعات عصرية وإما مجتمعات متمسكة بالتقاليد . والقادة فى كل من هذه المجتمعات تم اختيارهم بالطرق (السيمسيومترية) أى

الانتخاب بطريق الخريطة الاجتماعية وسؤال الفرد عن الأشخاص الذين يقصدهم عادة فى طلب المعلومات .

* * *

الشخص موضوع الاستفتاء لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها مضافاً إليها المعيار الاجتماعى السائد فى البيئة ، إلى المدى الكلى الذى تصل إليه درجات القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها فى البيئة . وفى صيغة أخرى ، هذا المقياس الذى يقيس الانحراف يوضح مدى انحراف سلوك الفرد عن معايير التنظيم الاجتماعى الذى ينتمى إليه . ونقول هنا إن درجات الانحراف التى سجلها قادة الفكر بلغت فى المتوسط ١٠١ر. أما درجات الانحراف التى سجلها التابعون لهؤلاء القادة فكانت فى المتوسط ٦١٧ر. ودلالة ذلك أن قادة الفكر يلتزمون أكثر من تابعيهم بالمعايير الاجتماعية السائدة فى بيئتهم .

وثمة شاهد آخر على صحة النظرية القائلة بأن قادة الفكر يلتزمون بالمعايير الاجتماعية السائدة فى بيئتهم أكثر مما هو الحال بالنسبة للأفراد العاديين فى البيئة وهذا الشاهد نجده فى الدراسة التى قام بها « فان دى بان » على ثلاث قرى فى هولندا . لقد كانت المعايير الاجتماعية فى قريتين من القرى الثلاث توصف بأنها حديثة كما كان معامل الارتباط فى هذه القرى بين قادة الفكر والقدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها تقدر برقم هو ٤٨ر. . على أنه فى القرية الثالثة التى كانت معاييرها الاجتماعية توصف بأنها تقليدية ، كان معامل الارتباط بين قادة الفكر والقدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها تقدر برقم هو ٣٤ر. ، أى أنه عندما تكون المعايير الاجتماعية حديثة الاتجاه ، عصرية الروح ، تشجع الابتكار وتبنى المستحدث من الأفكار نجد أن قادة الفكر أكثر ابتكاراً للأفكار

المستحدثة وأكثر قابلية لتبنيها عما لو كانت المعايير الاجتماعية السائدة فى البيئة تلتزم بالقديم وتحافظ على التقاليد .

الأنماط المختلفة لقادة الفكر لا يتشابك بعضها ببعض بل يلزم كل منها حدود نطاقه :

أشار « مرتون » عام ١٩٥٧ إلى أن قادة الفكر قد يختلفون من ناحية اتساع مجالات التأثير الخاصة بكل منهم . لقد أطلق « مرتون » على بعض قادة الفكر كلمة « ذوى الصورة الواحدة » ويقصد بهم أولئك الذين يمارسون تأثيرهم فى مجال واحد محدد الأبعاد مثل السياسة أو الموضة ، كما أطلق على فريق آخر من قادة الفكر كلمة « ذوى الصورة المتعددة » ويقصد بهم أولئك الذين يمارسون تأثيرهم فى مجالات متعددة .

ومعظم نتائج البحوث تدل على وجود اتصال قليل بين الأنماط المختلفة لقادة الفكر . فمثلا نجد « كاتز » و « لازرزفيلد » يقرران عام ١٩٥٥ :

« كون المرأة تقود فى مجال ما لا يعنى أنها يجب أن تقود فى مجال آخر . وعلى وجه العموم ، إن فكرة القائد ذى التأثير الشخصى الممتد على جبهة عريضة متضمنة ميادين مختلفة ليس لها ما يدعمها فى هذه الدراسة وليس ثمة تشابك بين أى زوجين من أنواع الأنشطة . ومن الجائز أن كل ميدان من ميادين النشاط يختص بمجموعة من القادة خاصة به » .

وثمة بحثان يدوران مباشرة حول قادة الفكر فى مجال الأفكار المستحدثة ويدعمان النظرية القائلة بأن معظم قادة الفكر من « ذوى الصورة الواحدة » .

لقد انتهى « إمرى » و « أوزز » عام ١٩٥٨ إلى أن : « القادة فى مجال ابتكار الأفكار الزراعية المستحدثة وتبنيها ليسوا بقادة فى مجال السياسة المحلية أو الشئون الأخرى فى البيئة » . كذلك وجد « رايان » عام ١٩٤٢

أن المزارعين من ذوى التأثير فى مجال الأفكار الزراعية المستحدثة يختلفون عن أمثالهم فى مجال الشئون الدينية وعن أمثالهم فى مجال الأمور التربوية .

ومن الجائز فى البلاد الضعيفة النمو وفى التنظيمات الاجتماعية الأخرى التى تكون فيها المعايير الاجتماعية مطبوعة بطابع القدم والتمسك بالتقاليد ، أن يكون قادة الرأى فيها على الأغلب من « ذوى الصور المتعددة » أكثر مما يكونون من « ذوى الصور الواحدة » . ولكن ، من الجائز أن يكون ثمة انفصال فى ميادين اهتمامات قادة الفكر فى المجتمعات الأكثر تطوراً منها فى المجتمعات المتمسكة بقديم التقاليد . من هنا نقول إنه من المتوقع أن نجد قدراً أكبر من التشابك والاتصال بين الأنماط المختلفة من قادة الفكر فى التنظيمات الاجتماعية ذات المعايير الاجتماعية الآخذة بأحكام التقاليد . فى الدراسة الاستقصائية التى قام بها « عبد الرحيم » عام ١٩٦١ على قرية باكستانية ثبت أن الكثيرين من قادة الفكر فى مجال الزراعة هم أيضاً القادة التقليديون للقرية وذلك بالرغم من عدم وجود تشابك كامل فى ميادين الاهتمام بهؤلاء القادة . على أن «راهودكار» وجد عام ١٩٦١ من دراسة قام بها على ٣٣٩ فلاحاً فى الهند الوسطى أن زعيم القرية قلما يكون من ذوى التأثير فى مجال تبنى الفلاحين لأفكار مستحدثة فى ميدان الزراعة . ومما لا شك فيه أننا نحتاج إلى المزيد من البحوث لكى نحدد بشكل أكثر دقة العلاقة بين المعايير الاجتماعية السائدة فى التنظيم الاجتماعى وبين درجة الاتصال والتشابك الموجودة بين الأنماط المختلفة من قادة الفكر .

وبالرغم من أن قادة الفكر فى مجال الأفكار المستحدثة لا يلتقون مع غيرهم من ذوى التأثير ولا تتشابك دوائر اختصاصهم ، فإن الشواهد قليلة ، تلك التى تدل على ما إذا كان قادة الفكر فى مجال فكرة مستحدثة

معينة هم أيضاً قادة فى مجال أفكار مستحدثة أخرى . لقد وجد «ويكلننج» وزملاؤه فى البحث الذى قاموا به عام ١٩٦٢ أن المزارعين الأستراليين يتوجهون فى طلب النصيحة فى أنماط مختلفة من الأفكار المستحدثة إلى قادة فكريين مختلفين . فالقادة فى مجال الأفكار المستحدثة المتعلقة بصناعة الألبان ليسوا هم أنفسهم فى حالات تربية الخنازير وزراعة الحشائش واستئصال الضار منها ومشكلات الرى . على أنه فى حالات كثيرة وجد أن الفلاحين يقصدون نفس القائد لطلب النصيحة فى المجالات المترابطة مثل الرى والحشائش .

قادة الفكر يختلفون عن التابعين :

يختلف قادة الفكر عن تابعيهم من ناحية مصادر المعلومات ، والانفتاح على العالم الخارجى ، والمشاركة الاجتماعية ، والمركز الاجتماعى ، والقابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

مصادر المعلومات :

يستخدم قادة الفكر مصادر للمعلومات تتسم بالموضوعية والدقة والانفتاح على العالم الخارجى أكثر مما هو الحال بالنسبة لفئة التابعين . ووسائل الإعلام العامة هى على وجه العموم مصادر للمعلومات عن الأفكار المستحدثة تتصف بأنها أكثر دقة من الاتصال الشخصى . واحتمالات التشويه والتحريف عند نقل الأفكار عن طريق وسائل الإعلام العامة أقل منها عند نقلها بالطريق الشخصى .

لقد وجد « ليونبرجر » عام ١٩٥٣ أن الفلاحين ذوى التأثير الأكبر فى بيئاتهم يشتركون أكثر من غيرهم فى الصحف والمجلات الزراعية ، كما أشار «مينتزل» و « كاتز » عام ١٩٥٥ أن الأطباء الممارسين من ذوى التأثير فى تلك المهنة يميلون أكثر من غيرهم إلى الحصول على المعلومات عن الأدوية

المستحدثة من المجلات المتخصصة . كذلك وجد « روجرز » عام ١٩٥٥ أن قادة الفكر فى مجال الزراعة يشتركون فى أكثر من مجلة وأكثر من جريدة زراعية كما أنهم يقبلون أكثر من تابعيهم على رؤية العروض التليفزيونية المتعلقة بالزراعة .

لقد وجد « عبد الرحيم » عام ١٩٦١ أن قادة الفكر الزراعيين فى إحدى القرى الباكستانية يولون اهتماماً أكبر لوسائل الإعلام المطبوعة مثل المجلات والصحف والنشرات التوجيهية التى تصدرها إدارات الخدمات الزراعية .

وقادة الفكر لا يولون الجانب الأكبر من اهتمامهم لوسائل الإعلام العامة فحسب، بل إنهم أيضاً يميلون إلى البحث عن مصادر أخرى للمعلومات أكثر دقة من الناحية الفنية . فمثلاً نجد أن قادة الفكر فى مجال الزراعة يتصلون أكثر من غيرهم بمكاتب الخدمات الزراعية وبالمشرفين عليها أكثر من الفلاحين الآخرين من ذوى التأثير الأقل . والدراسة التى قام بها « إمرى » و « أوزر » عام ١٩٥٨ عن الفلاحين الأستراليين تبين أن ثمة اتصالاً أكبر نسبياً بين قادة الفكر وبين الأخصائيين الزراعيين ورجال مكاتب الخدمات الزراعية . ومعظم الفلاحين الذين ليست لهم علاقات مباشرة مع رجال الخدمات الزراعية يتصلون عادة بأحد القادة ممن لهم اتصالات بهذه الفئة بالرغم من أن هذا ليس بالأمر الضرورى فيما درس من مجتمعات أخرى .

ومن الجائز أن الطريقة المثلى بالنسبة للفلاحين للحصول على المعلومات الفنية هى الاتصال بأساتذة العلوم الزراعية وخبرائها بالكليات الجامعية . لقد وجد « روجرز » عام ١٩٥٥ ثم « روجرز » و « بيردج » عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٢ أن قادة الفكر أكثر إقبالاً على الاتصال المباشر

بأساتذة العلوم الزراعية من فئة التابعين لهؤلاء القادة (أنظر شكل رقم ٨-٥).
وإن الحقيقة القائلة إن قادة الفكر فى عالم الزراعة لديهم قدر أكبر من الاتصال برجال الخدمات الزراعية وخبرائها لتوحى بأن هذه الفئة تستخدم مصادر للمعلومات على جانب من الانفتاح على العالم الخارجى أكثر مما تفعل فئة التابعين لهؤلاء القادة. إن الإشعارات الصادرة من خارج التنظيم الاجتماعى إنما هى على الأغلب، وليست بالضرورة، أكثر دقة من الناحية الفنية من المصادر المقيدة بحدود المكان والبيئة.

الانفتاح على العالم الخارجى :

وقادة الفكر ليسوا فقط أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى فى طريقة اتصالهم بغيرهم، ولكنهم أيضاً كذلك فى الأنماط الأخرى من العلاقات الاجتماعية. وقادة الفكر هم أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من تابعيهم.

أشار «كاتز» عام ١٩٥٧ إلى أنه من بين أفراد عينته من الأطباء البشريين، ثبت له أن قادة الفكر منهم أكثر استعداداً للمشاركة فى الاجتماعات الطبية التى تعقد خارج المدن التى يعملون فيها من غيرهم من الأطباء. وكذلك وجد «ليونبرجر» عام ١٩٥٣ أن قادة الفكر فى مجال الزراعة كانوا يميلون إلى الاشتراك فى منظمات رسمية تقع خارج موطنهم فى ولاية «ميزورى» حيث يسكنون. كذلك وجد «روجرز» عام ١٩٥٥ أن أكثر فلاحى «أيووا» تأثيراً فى أقرانهم من بين أفراد العينة التى كانت أساساً لدراسته كانوا أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى فى مجال صداقاتهم وقراءاتهم والتنظيمات الرسمية التى ينتمون إليها.

وجد «ڤان دى بان» أن قادة الفكر فى مجال الزراعة فى هولندا قاموا باتصالات عديدة بمراكز الخدمات الزراعية فى المدن خلال العام السابق على الدراسة وهذه الاتصالات فاقت فى العدد ما قامت به فئة التابعين من

اتصالات من هذا النوع . هـذه العلاقة بين درجة القيادة الفكرية وبين الاستعداد للانفتاح على العالم الخارجي وجدها هذا الباحث فى كل قرية من القرى الثلاث التى اتخذها موضوعاً لدراسته ، ولكن القيادة الفكرية كانت أكثر اتصالاً بالقابلية للانفتاح على العـــالم الخارجي فى القرى الآخذة بروح العصر منها فى القرى الخاضعة لسيطرة المعايير الاجتماعية التقليدية . هـذه النتائج تبين مرة أخرى كيف أن الصفات المميزة لقادة الفكر تختلف نوعاً ما على أساس المعايير الاجتماعية السائدة فى التنظيم الاجتماعى . لقد انتهى « راهودكار » عام ١٩٦٠ إلى أن قادة الفكر فى القرى الهندية التى قام بدراستها كانت لديهم اتصالات رسمية وغير رسمية خارج حدود تلك القرى أكثر مما كان لدى فئة التابعين لهؤلاء القادة من تلك الاتصالات .

وهكذا نقول إن فئة قادة الفكر تشكل صلة وصل مع المصادر الكائنة خارج التنظيم الاجتماعى وبذلك توجد منفذاً تتسرب منه الأفكار الجديدة .

المشاركة الاجتماعية :

وقادة الفكر لكى يتمكنوا من تحقيق دورهم المقـرر لهم فى نشر المستحدث من الأفكار ، لا بد لهم من القيام بالاتصال المباشر بالتابعين لهم . معنى ذلك أن قادة الفكر يجب أن يكونوا سهلى المنال . وسهولة المنال هى الدرجة التى يصبح الفرد عندها مستعداً من الناحية الاجتماعية والمادية للتفاعل الاجتماعى . واللقاءات القائمـة على الاتصال المباشر قد تقع فى الاجتماعات التى تتم فى المنظمات الرسمية كما تقع فى الأحاديث غير الرسمية .

وجد « ليونبرجر » عام ١٩٥٣ وكذلك « فان دى بان » أن قادة الفكر فى مجال الزراعة يشتركون فى التنظيمات الرسمية أكثر من غيرهم ممن يقلون عنهم فى مجال التأثير الذاتى . وانتهى « روجرز » فى بحثه عام ١٩٥٥ إلى

أن قادة الفكر لديهم قدر كبير من المشاركة الاجتماعية فى المجالات الرسمية وغير الرسمية . كذلك قرر « عبد الرحيم » أن قادة الفكر فى إحدى قرى الباكستان كانوا أعضاء فى عدد من المنظمات الرسمية يفوق العدد الذى اشترك فيه تابعوهم . كذلك وجد « فان دى بان » أن قادة الفكر يقومون بنشاط اجتماعى رسمى أكثر من تابعيهم فى كل قرية من القرى الهولندية التى درسها . والخلاصة أن قادة الفكر يقومون بالمشاركة الاجتماعية أكثر من تابعيهم . وبالرغم من ذلك فإن قادة الفكر ليسوا هم بالضرورة مركز ثقل أو قادة رسميون فى مجتمعاتهم .

المركز الاجتماعى :

عندما يطلب من الأفراد أن يحددوا الأشخاص الذين يقصدونهم فى طلب النصيحة والحصول على المعلومات ، فمن المتوقع أن يذكروا قادة الفكر ممن يتمتعون بمركز اجتماعى يعلو قليلاً على مركزهم . ومن ناحية أخرى ، قد يكون من غير المحتمل أن يبحث الأفراد عن الرأى لدى من يفوقونهم كثيراً فى المركز الاجتماعى إذ أن هؤلاء لا يصلحون لكى يكونوا نموذجاً يحتذى . وعلى أى حال ، يمكن أن نقول بصفة عامة — ولنا فى نتائج البحوث ما يؤيد هـــذا القول — أن قادة الفكر يتمتعون بمركز اجتماعى أرفع من مركز فئة التابعين .

وجد « ليونبرجر » عام ١٩٥٩ أن قادة الفكر فى مجال الزراعة ينتشرون بوجه عام على طول جبهة التنظيم الاجتماعى بما تحويه من قطاعات مختلفة ولكنهم يتمركزون فى القسم الأعلى من هذا التنظيم . وعلى وجه العموم ، يميل كل فلاح إلى طلب النصيحة من قادة الفكر الذين يعلونه قليلاً فى المركز الاجتماعى ، ولا يطلب ممن يعلونه كثيراً . وفى دراسة أخرى قرر « ليونبرجر » عام ١٩٥٣ أن قادة الفكر يمتلكون مزارعهم فى أغلبيه

الأحوال ، وهذه المزارع فى العادة أكبر نسبياً من غيرها ، كما أن دخول هؤلاء أكبر ، وهم يتمتعون بهيبة خاصة بين أفراد بيئتهم . ووجد « شابيرو » عام ١٩٥٦ أن قادة الفكر يتمتعون بمركز اجتماعى أعلى من مركز تابعيهم وكان ذلك فى قرى أربع من قرى « كوستاريكا » . كذلك وجد « فليجل » عام ١٩٥٧ أن قادة الفكر يربحون دخلاً سنوياً من الزراعة أعلى بنسبة ٤٠ فى المائة من متوسط دخل الفلاحين الآخرين . وأخيراً قرر « إمرى » و « أوزر » عام ١٩٥٨ و « عبد الرحيم » عام ١٩٦١ و « فان دى بان » و « روجرز » و « بيردج » عام ١٩٦٢ أن قادة الفكر فى أوساط الفلاحين يعملون فى العادة فى مزارع أكبر من غيرها . وانتهى « روجرز » عام ١٩٥٥ من بحثه إلى أن قادة الرأى يمتلكون مزارع أكبر ، ويربحون دخلاً سنوياً أكبر ، ويشغلون مركزاً اجتماعياً أرفع من كافة التابعين .

القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها :

لو أنه من الطبيعى أن يكون قادة الفكر من الخبراء فى الأفكار المستحدثة ، يصبح من المتوقع منهم أن يتبنوا الأفكار المستحدثة (أو يرفضوها) قبل أن يفعل ذلك التابعون لهم . والشواهد المستمدة من البحوث الموجودة لدينا الآن تشير إلى أن قادة الفكر هم فى العادة أكثر قابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها من تابعيهم .

وجد « كاتز » عام ١٩٥٧ أن الأطباء الذين يتمتعون بنفوذ كبير فى مجال إقناع زملائهم لكى يتبنوا عقاراً طبياً جديداً ، هم أنفسهم يعتبرون من المتبنين الأوائل لهذا العقار المستحدث .

توصل « ليونبرجر » عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٥ إلى أن الفلاحين من أصحاب القيادة الفكرية ينالون درجة فوق المتوسط فى مجال ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . كذلك فعل غيره من الباحثين من أمثال

« مارش » و « كولمـان » ، و « يونج » ، و « ويكلنبج » ، و « روجرز » و « فان دى بان » .

فى عام ١٩٦٢ أنجز « روجرز » و « بيردج » دراسة استقصائية عن الاختلافات بين القادة فى مجال القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها وكانت هذه الدراسة قد أجريت فى سبع قرى بولاية « أوهايو » . لقد توصل الباحثان إلى أن متوسط درجة القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها عند القادة الحائزين على مراكز الاختيار على خريطة العلاقات الاجتماعية كانت ٢٨ فى المائة أعلى من درجة المزارعين العاديين فى العينة . ولقد ثبت أن جميع القادة الأربعة عشر ، باستثناء واحد فقط ، كانوا أكثر قابلية لابتكار الأفـكار المستحدثة وتبنيها من المزارعين العاديين فى قريتهم .

على أن نتائج البحث لاتدل على أن قادة الرأى هم بالضرورة من المبتـكرين للآراء المستحدثة والمتبنين لها . ويظهر أن ثمة عدداً من قادة الرأى فى كل فئة من فئات المتبنين للأفـكار المستحدثة . وبالرغم من ذلك من الواضح أن يكون قادة الفـكر على وجه العموم أكثر قابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها من تابعيهم .

وقادة الفـكر ذوو المقدرة على الاتصال بالتابعين لهم ، والذين هم على وفاق مع هؤلاء التابعين ، من الضرورى ألا يختلفوا كثيراً عنهم . وبالنسبة للفرد العادى ، من الجائز أن يكون دور المتبنى الأول من الأدوار النموذجية المثالية ، إذ أنه قد اعتنق الفـكرة مبكراً بعض الشىء ولـكن اعتناقه هذا لم يحدث مبكراً جداً . فمثلا ثمة من الشواهد مايثبت أن فئة المتلـكئين قلما يتأثرون بفئة المبتـكرين للأفكار المستحدثة ، وهى الفئة السابقة على فئة المتبنين الأوائل ، ومن المعلوم أن ثمة فاصل اجتماعى كبير بين فئة المبتـكرين وفئة المتلـكئين وهـذا هو مايحول دون نشوء علاقة

فعالة كثيرة الحدوث بين أفراد الفئتين . والتحليل « السوسيومترى » ، وهو الذى يحدد مكانة الفرد الاجتماعية بالنسبة لأقرانه عن طريق حيازة مراكز الاختيار على خريطة اجتماعية ، يبين على وجه العموم أن كل فئة من فئات التبنى تتأثر أساساً بالأفراد الذين ينتمون إلى نفس الفئة أو إلى فئة أخرى أعلى فى سلم التبنى . هذه النظرية العامة تدعمها نتائج البحوث التى قام بها « ليونبرجر » عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٥ ، و « فان دى بان » عام ١٩٦١ ، و « روجرز » و « بيردج » عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٢ ، و« روجرز » و « ليوتهولد » عام ١٩٦٢ . والشكل رقم (٨ — ٥) يوضح هذه النظرية على أساس مادة علمية « سوسيومترية » مستمدة من لقاءات تمت مع ٢٨ مزارعاً من مزارعى الخضراوات فى ولاية « أوهايو » (روجرز - بيردج ، عام ١٩٦١) . وظاهر من الرسم التوضيحى المذكور أن أربعة أشخاص فقط من خمسة وعشرين شخصاً يتميزون بأن لهم اتجاهات للبحث عن المعلومات ، وهؤلاء الأربعة يسعون إلى طلب المعلومات لدى أشخاص من فئة أقل من الفئة التى ينتسبون لها فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة .

لقد أوضحنا قبل الآن أن قادة الفكر يفوقون تابعيهم فى مجال ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها ، كما أوضحنا أن كل فئة من فئات المتبنين تتأثر أساساً بأفراد من نفس الفئة أو من فئة أعلى من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة . هذه التعميمات يعترض سبيلها فى الواقع أثر المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى على إمكانيات الناس لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

وللوهلة الأولى ، يبدو أن ثمة شواهد مناقضة لما سبق أن ذكرناه ، وهو أن قادة الفكر هم فى العادة من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة . مثال ذلك أن « منتزل » و « كاتز » ذكرا عام ١٩٥٥ أنه فى دراسة على

انتشار بعض العقاقير الطبية الجديدة ثبت أن قادة الفكر يميلون ميلاً خفيفاً إلى أن يكونوا من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة ، فى حين أنه فى دراسة أخرى وجدا أن ثمة تداخل بسيط بين المبتكرين للأفكار المستحدثة من جهة وبين قادة الفكر من جهة أخرى . كذلك وجد « ويكلننج » عام ١٩٥٢ من دراسة أجراها فى ولاية « كارولاينا الشمالية » أن ثلاثة أشخاص فقط من خمسة عشر شخصاً ينتمون إلى فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة كانوا من قادة الفكر . أما « ليونبرجر » فقد وجد من دراسة أجراها عام ١٩٥٣ فى ولاية « ميزورى » أن ثمة تشابك كبير بين قادة الفكر وبين المبتكرين للأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة ، وهذا نفس ماحدث للباحثين « روجرز » و « بيردج » عام ١٩٦٢ من دراسة أجرياها فى ولاية « أوهايو » .

وثمة علاج جزئى لهذه النتائج المتناقضة نجده فى النتائج التى توصل إليها الباحثان « مارش » و « كولمان » فى دراسة أجرياها عام ١٩٥٤ فى ولاية « كنتكى » كما هو واضح من الشكل (٨ — ٤) . لقد اتضح أن قادة الفكر فى الأوساط الآخذة بالاتجاهات الحديثة فى الحياة هم على الأغلب من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة وكذلك من فئة المتبنين الأوائل ، فى حين أن القادة فى الأوساط المتمسكة بالقديم ينتمون على الأغلب إلى فئة الغالبية المتقدمة . وهكذا نقول إن المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى والخاصة بالقابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها يبدو أنها ، على الأقل جزئياً ، تحدد مدى مالدى فئة قادة الفكر من قدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

وفى دراسة قام بها « يونج » عام ١٩٥٥ على مجتمعات ولاية « كنتكى » ، وكانت هذه قد خضعت لتحليل دقيق من قبل « مارش » و « كولمان » عام ١٩٥٠ ، توصل إلى تدعيم آخر للنتائج الأصلية إذ اكتشف فرقاً

أكبر ، فى ناحية القدرة على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها ، بين قادة الفكر وفئة التابعين لهم وذلك فى المجتمعات العصرية بعكس الحال فى المجتمعات التقليدية القديمة حيث يقل هذا الفرق .

وفى دراسة أجريت فى ولاية « أوهايو » على سبع قرى تعمل فى زراعة الخضراوت ، توصل « روجرز » و « بيردج » عام ١٩٦٢ إلى أنه فى القرى الحديثة كانت درجات قدرة قادة الفكر على ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها تزيد ١٩ فى المائة على درجات الفلاحين العاديين ، فى حين أنه فى القرى المتمسكة بالتقاليد القديمة كانت درجات قادة الفكر فى هذا الموضوع تزيد على درجات الفلاحين العاديين بما يقدر بـ ١٦ فى المائة من مجموع الدرجات . وفى المجتمعات الحديثة يميل القادة الذين أحرزوا مراكز على خريطة العلاقات الاجتماعية إلى أن يكونوا من فئة المبتكرين وفئة المتبنين الأوائل . وفى المجتمعات ذات المعايير الاجتماعية ذات الاتجاه التقليدى القديم ، اتضح أن القادة ينتمون إلى فئة الغالبية المتقدمة وذلك على الأغلب الأعم .

ودراسة « فان دى بان » على ثلاثة مجتمعات زراعية فى هولندا تؤكد أيضاً هذه النظرية . لقد وجد أنه عند ماتكون معايير المجتمع فى جانب ابتكار الأفكار وتبنيها ، يكون القادة أكثر قابلية لهذا مما لو كانت المعايير السائدة فى المجتمع متمسكة بالقديم .

ومنذ وقت قصير قام « شبرد » بتوجيه النقد لنتائج البحوث التى توصل إليها « مارش » و « كولمان » ، ويقول إن الاختلافات الكبيرة فى القابلية لابتكار الأفكار وتبنيها بين فئتى القادة والتابعين فى المجتمعات العصرية وزيادة هذه الاختلافات فى تلك المجتمعات عنها فى المجتمعات التقليدية القديمة قد لا تعزى إلى الاختلافات فى المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى والخاصة بالقابلية لابتكار الأفكار الجديدة وتبنيها . ويدعى « شبرد » أن

الاختلاف يعزى إلى الفروق الكبيرة فى درجات القابلية لابتكار الأفكار وتبنيها داخل التنظيمات الاجتماعية العصرية . ويقول « شبرد » ، على أساس ما قام به من بحث ، إن القادة قد يحرزون درجات فى مجال ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها تزيد بمقدار ٢٠ فى المائة عن درجات تابعيهم سواء أكانت المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى حديثة أم قديمة .

ويمكن القول إن نتيجة واحدة على الأقل يمكن التوصل إليها من هذه الدرسات المتنوعة التى أجريت على قابلية فئة القادة لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها ألا وهى أن المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى ينبغى أن توضع موضع الاعتبار عند ما يكون المرء بصدد تقرير ما إذا كانت فئة القادة من المبتكرين للأفكار المستحدثة أم لا . والحاجة ما زالت تدعو إلى القيام بمزيد من البحث لوضع نظريات عامة تحكم الفروق الموجودة لدى فئة القادة فيما يختص بقابليتهم لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها فى ظل معايير اجتماعية تسود التنظيمات الاجتماعية المختلفة .

الحوائل التى تعوق تدفق الأفكار فى تنظيم اجتماعى ما :

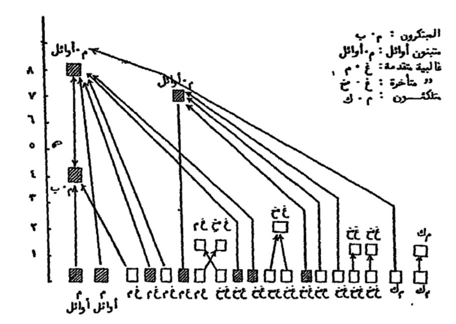
ثمة افتراض ضمنى جاء فى الجزء الأكبر من سياق هذا الفصل ، ألا وهو أن القادة يؤثرون فى فئة « اللاقادة » فى أى تنظيم اجتماعى . والآن هل « اللاقادة » هم فى واقع الأمر « تابعون » للقادة ؟ هل يوجد فى الواقع ما يسمى بتدفق للأفكار فى تنظيم اجتماعى وعن طريق هذا التدفق يستطيع القادة أن يؤثروا فى غيرهم من أعضاء التنظيم الاجتماعى ويدفعوهم إلى تبنى ما يريدون من أفكار ؟ .

المركز الاجتماعى كحائل من الحوائل التى تعوق التدفق :

ونحن حتى الآن لم نحصل على الشواهد الضرورية للاتفاق على إجابة كاملة على هذه الأسئلة . وبالرغم من ذلك ثمة دراسات عديدة تستطيع أن

الفلاحون الذين يقصدون رجال العلم طلبا للمعلومات
" " لا " " " " " "

القيادة الفكرية مقدرة على أساس عدد المراكز المحررة على الخريطة الاجتماعية (الطريقة السوسيومترية)



فئات المتبنين للأفكار المستحدثة

شكل رقم (٨ ــ ٥) قادة الفكر هم على وجه العموم أكثر قابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها من فئة التابعين لهم

كل فلاح من زراع الخضراوات الـ ٢٨ المبينين فى هذه الخريطة الموضحة للعلاقات الاجتماعية (السوسيوجرام) سئل عن الشخص الذى يستمد منه النصيحة والمعلومات فيما يختص بزراعة الخضراوات والأفكار المستحدثة المتصلة بهذا الموضوع . ومن الممكن هنا ملاحظة أن ثمة ميلاً لدى الفرد من كل فئة من فئات التبنى للتأثر بأفراد من نفس الفئة أو من فئة أعلى . وثمة أربعة أشخاص فقط من بين الأشخاص الخمسة والعشرين الموضحين فى هذا الرسم يشذون عن هذه القاعدة .

وهذه الخريطة الموضحة للعلاقات الاجتماعية توحى أيضاً بوجود تدفق للأفكار المستحدثة يسير على مرحلتين . فالأفكار المستحدثة يبدو أنها تتدفق من علماء الزراعة إلى قادة الفكر ومن هؤلاء إلى تابعيهم . على أن هذا الميل لا يمكن تعميمه فى كافة الأحوال وعلى جميع الفلاحين . وهؤلاء الأفراد الذين أجرى عليهم هذا الاستفتاء كانوا على درجة كبيرة من التخصص كما عاشوا فى مجتمعين قريبين من بعضهما كما أن علماء الزراعة لا يبعدون كثيراً من الناحية الجغرافية عن هؤلاء الفلاحين .

تعمق بصيرتنا فيما يتعلق بتدفق الأفكار . ومن الأمور المحتملة الحدوث أن المركز الاجتماعي والقابلية لابتكار الأفكار المستحدثة يمكن أن يكونا بمثابة حائلين يمنعان تدفق الأفكار وانتشارها السهل فى تنظيم اجتماعي ما . لقد وجد « ليونبرجر » عام ١٩٥٩ و « شابارو » عام ١٩٥٦ أنه قلما يؤثر الأفراد الحائزون على مراكز اجتماعية عالية فى التنظيم الاجتماعي ، على الأقل تأثيراً مباشراً ، فى غيرهم من ذوى المراكز الاجتماعية المنخفضة .

فى الواقع قد لا يكون القائد ذو المركز الاجتماعي العالى دائماً مثلا مناسباً يحتذيه شخص آخر من ذوى المراكز الاجتماعية المنخفضة فى التنظيم الاجتماعي الواحد . وثمة مثل على هذا نجده فى دراسة استقصائية قام بها « فان دى بان » على مجتمع زراعي فى هولندا . لقد وجد أن ٣ فى المائة فقط من فئة القادة يمتلكون مزارع يقل حجمها عن خمسين فداناً ولكن ٣٨ فى المائة من جميع المزارع الموجودة فى البيئة كان حجمها يقل عن خمسين فداناً . أما الخطة الحكيمة التى كانت تصلح لإدارة المزارع الكبيرة فى تلك المنطقة فكانت تقوم على أساس شراء أجهزة ميكانيكية للعمل فى هذا النوع من المزارع كبديل عن العمال الأجراء ، ولكن الطريقة المثلى من الناحية الاقتصادية لإدارة المزارع التى يقل حجمها عن خمسين فداناً فكانت التجاهل التام لهذه الأجهزة الميكانيكية والتركيز الكامل على زراعة الزهور . لقد وجد « فان دى بان » ، كما كان متوقعاً ، أن المزارعين الصغار حذوا حذو قادة الفكر من أصحاب المزارع الكبيرة بالرغم من أن مثل هذا العمل لم يكن مناسباً لموقفهم العام .

والفروق الكبيرة فى المركز الاجتماعي بين شخصين أحدهما مؤثر والآخر مستقبل قد تعوق الاتصال وتقلل من سرعة انتشار الأفكار الجديدة .

القابلية لابتكار الأفكار الجديدة وتبنيها باعتبارها من الحوائل التى تعوق ترقى الأفكار وانتشارها :

وثمة حائل آخر يعوق تدفق الأفكار ألا وهو الاختلاف بين قادة الفكر وبين « اللاقادة » من ناحية القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . ونتائج البحوث السابقة تم استعراضها حتى الآن للتدليل على أن كل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة يؤثر فيها فى المقام الأول أفراد من نفس الفئة أو من فئة أعلى قليلاً ، وعلى أن المعايير السائدة فى تنظيم اجتماعى فى مجال القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها يبدو أنها تقرر ، على الأقل جزئياً ، قابلية فئة القادة لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . وإذا كان أكثر الناس فى التنظيم الاجتماعى قابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها قلما يتصلون مباشرة بفئة المتلكئين ، فإن الأخصائيين الاجتماعيين ودعاة التغيير الاجتماعى لا يستطيعون الاعتماد على تدفق الأفكار حتى تصل آخر المتبنين للفكرة المستحدثة فى التنظيم الاجتماعى .

والدرجة التى عندها تلعب الفروق فى القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها دور الحائل الذى يعوق انتشار الأفكار الجديدة ، هذه الدرجة تختلف على أساس المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى . هذه النقطة تعرض لها « فان دى بان » الذى وضع مقياساً يقيس العلاقة بين القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها عند الفرد العادى وعند القائد الفكرى فى ظروف تسود فيها المعايير الاجتماعية التقليدية القديمة ثم المعايير الاجتماعية الحديثة . فى هذا المقياس يستعين هذا الباحث بمادة علمية مستقاة من تسع قرى فى هولندا ، وولايتى « ميزورى » و « وسكونسن » . ومعامل الارتباط بين القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها لكل من النوعين من الناس يختلف من + ٠٫٣ر فى أكثر المجتمعات تمسكاً

بالمعايير التقليدية القديمة إلى + ١٥ر فى أكثر المجتمعات تحرراً من قيود القديم وانطلاقاً فى طريق التقدم . أما الاتجاه فى المجتمعات التسعة موضوع الدراسة فكان مطرداً فى سياقه من أقصى التمسك بالقديم إلى أقصى الأخذ بالجديد . وبمعنى آخر ، نقول إن التابعين الذين اختلطوا وتفاعلوا مع فئة قادة الفكر فى المجتمعات الحديثة قد يكونون من نفس فئة التبنى التى ينتمى اليها هؤلاء القادة . على أنه فى المجتمعات المتمسكة بالتقاليد وجد هـــذا الباحث أن فئة التابعين كانت دائماً تفتش عن قادة الفكر وتتأثر بهم فى نطاق جميع فئات المتبنين دون الالتزام بحدود الفئة التى ينتمون إليها . وفى تنظيم سياسى أكثر ميلاً لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها يتفاعل الفرد مع غيره من أفراد التنظيم دون حائل . إن النتائج التى توصل إليها « فان دى بان » ، بالرغم من أنها ينبغى أن ينظر إليها باعتبار أنها عمل اجتهادى حتى تظهر إلى الوجود دراسات أخرى لها نفس النتائج ، قد توحى بالنظرية التالية : إن الاختلافات بين الأفراد فى القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها إنما هى حائل يحول دون تدفق الأفكار فى التنظيم الاجتماعى الذى تكون فيه المعايير الاجتماعية متحررة من قيود التقاليد ، وهو هنا أهم مما هو الحال عندما تكون المعايير متمسكة بالقديم . وفى الامكان القيام بدراسات أخرى شبيهة بتلك التى قام بها « فان دى بان » وبنفس الطريقة لتحديد أهمية الاختلافات فى المركز الاجتماعى أيضاً ، وفى البيئة الجغرافية ، وغير ذلك من العوامل المتغيرة باعتبارها حوائل تعوق تدفق الأفكار فى ظروف اجتماعية تسود فيها معايير مختلفة .

التابعون و « اللاتابعون » :

ثمة مقياس يقيس أهمية الحوائل التى تعوق انتشار الأفكار فى التنظيم الاجتماعى ، ألا وهو النسبة المئوية للأعضاء الذين نعتبرهم من فئة التابعين ،

أى الذين يتصلون مباشرة بقادة الفكر . والواقع أن دراسات تحليلية قليلة أجريت حتى الآن على فئة « اللاتابعين » وهم أولئك الأفراد الذين لا نجد لهم اتصالات واضحة بفئة القادة على خريطة العلاقات الاجتماعية . أما الدراسة الوحيدة التى لدينا حتى الآن والتى تقارن بين فئة التابعين وفئة « اللاتابعين » فكانت الدراسة الاستقصائية التى قام بها « شبرد » عام ١٩٦٠ على فلاحى إقليم الحشائش فى إنجلترا . لقد وجد أن التابعين الذين يتصلون مباشرة بالقادة لا يختلفون عن فئة « اللاتابعين » فى معظم الصفات الاجتماعية المميزة .

الحاجة الى بحوث أكثر فى هذا الموضوع :

وبالرغم مما لدينا من بحوث فى الوقت الحالى تدور حول فئة القادة ، مازال هناك عدة نواحى فى القيادة الفكرية تتطلب مزيداً من البحث والدراسة . وبالرغم أيضاً مما لدينا من معلومات عديدة عن الصفات الاجتماعية المميزة لفئة القادة ، ليس لدينا من البحوث ما يحدد السبب فى أن أفراداً معينين بالذات دون غيرهم يختارون لكى يكونوا قادة . وقد يكون من الأمور الهامة أيضاً أن نعرف هل قادة الفكر يحتفظون بمركزهم هذا فى التنظيم الاجتماعى لفترة زمنية ما ، أو أن مركزهم هذا مؤقت ويتغير بشكل دائم ؟

إن متعلقات القيادة الفكرية مثل المركز الاجتماعى ، والانفتاح على العالم الخارجى ، والقابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها ، والمشاركة الاجتماعية من الجائز أن تكون كلها مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً كبيراً . ومن الواجب أن تكون الدراسات الاستقصائية موجهة بحيث تحدد مدى التغير وكميته فى القيادة الفكرية على أساس كل متغير من هذه المتغيرات عندما يكون تأثير المتغيرات الأخرى معلوماً لدينا إحصائياً .

مثل هذه الدراسات التحليلية ينبغى أن تكون مثمرة من ناحية المضمون النظرى والتطبيق العملى .

والنظريات الحالية الخاصة بقادة الفكر من شأنها أن توحى إلينا بسؤال لم تظهر له إجابة شافية حتى الآن : من الذى يؤثر فى فئة القادة ؟ أى من الذى يؤثر فى المؤثرين ؟ وفى أية استراتيجية للتغيير نجد عاملاً هاماً متعلقاً بضرورة أن يركز الأخصائيون الاجتماعيون ودعاة التغيير الاجتماعى جهودهم الدعائية على فئة القادة ؟ وثمة شواهد تدل على أن أخصائيي الخدمات الزراعية قد يركزون جهودهم الدعائية على القادة فى مجال الزراعة وإدارة المزارع . وبالرغم من ذلك ، نجد الأطباء من ذوى النفوذ أقل استعداداً للاعتماد على فئة المروجين للأدوية باعتبار هؤلاء من مصادر المعلومات عن الأدوية الجديدة من زملائهم الأقل نفوذاً . ومن الأمور المؤكدة الآن أننا مازلنا فى حاجة إلى معرفة ما الذى يؤثر على قادة الفكر .

الملخص

قادة الفكر هم أولئك الأفراد الذين يقصدهم غيرهم لطلب النصيحة والمعلومات . إنهم يلعبون دوراً هاماً فى مجال نشر الأفكار المستحدثة ومن الصعب إنكار هذا الدور عند دراسة طبيعة انتشار الأفكار وتبنى الناس لها. ونظرية الانتشار ذى المرحلتين كانت تقول فى مطلع ظهورها إن الأفكار تنتقل من هذه الفئة إلى فئة أخرى هى فئة التابعين . والآن أصبح لدينا الشواهد على أن عملية الانتشار إنما هى أكثر تعقيداً من نظرية المرحلتين، تلك التى ظهرت أولاً . ولكن ثمة خطوتان تتضمنهما عملية نقل المعلومات فى أى جزء من أجزاء عملية الانتشار .

التأثير الشخصى :

والتأثير الشخصى هو الاتصال القائم على المواجهة المباشرة بين شخصين أحدهما المؤثر والثانى المستقبل . هذا الاتصال ينتج عنه تغيير فى السلوك أو الاتجاهات بالنسبة لشخص المستقبل . والتأثير الشخصى الصادر عن الزملاء والأقران هو عادة أكثر ما يكون أهمية فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى وأقل ما يكون أهمية فى المراحل الأخرى . إنه أكثر أهمية أيضاً بالنسبة لفئة المتبنين الأواخر منه بالنسبة لفئة المتبنين الأوائل . كذلك يكون التأثير الشخصى أكثر أهمية فى المواقف غير المؤكدة منه فى المواقف المحددة . والأنماط الثلاثة للانتقاء تفسر إلى حد ما السبب فى أن التأثير الشخصى يعمل بفاعلية أكبر من وسائل الاتصال العامة فى مجال التغلب على مقاومة التغيير .

التعرض الانتقائى :

هو ميل الأفراد إلى أن يعرضوا أنفسهم للاتصالات التى تتفق وما لديهم من آراء . والإدراك الانتقائى هو ميل الأفراد إلى تفسير الفكرة الجديدة فى ضوء تجاربهم السابقة وفى إطار أفكارهم الراهنة .

الحفظ الانتقائى :

هو ميل الأفراد إلى أن يتذكروا الأفكار التى تتفق وأفكارهم الراهنة .

والقيادة الفكرية صفة لها قابلية محدودة للانتشار ، حتى لو كانت مركزة بوجه خاص فى عدد قليل من الأفراد ، وهذا يصدق على معظم التنظيمات الاجتماعية . وتستخدم حالياً طرق ثلاثة لقياس القيادة الفكرية :

١ — خريطة العلاقات الاجتماعية .

٢ – أصحاب الرأى البارزين فى التنظيم الاجتماعى .

٣ – وأخيراً المقاييس الذاتية القائمة على فكرة الناس عن أنفسهم .

وقادة الفكر يلتزمون أكثر من غيرهم بالمعايير الاجتماعية السائدة فى تنظيمهم الاجتماعى وهم من هذه الناحية يفوقون الأفراد العاديين . وثمة تشابك قليل بين الأنماط المختلفة لقادة الفكر . فمثلا الفرد الذى يعتبر قائداً فكرياً فى مجال الأفكار المستحدثة ذات الصلة بالحياة اليومية ليس من المحتمل أن يكون كذلك على درجة من النفوذ فى مجال الشئون السياسية . وقادة الفكر من شأنهم أن يستخدموا مصادر للمعلومات أكثر موضوعية وأكثر دقة من الناحية الفنية وأكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من تلك التى يستخدمها التابعون لهم . وقادة الفكر هم فى العادة أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى ، ولديهم قدر أكبر من المشاركة الاجتماعية ، ويتمتعون بمركز اجتماعى أعلى ، وأكثر قابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها من فئة التابعين لهم .

وكل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة تتأثر أساساً بأفراد من نفس فئة المتبنين ، أو أعلى قليلا . والمعايير الاجتماعية السائدة فى التنظيم الاجتماعى حول القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها يبدو أنها تحدد ، ولو جزئياً على أقل تقدير ، القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها لدى فئة قادة الفكر . والاختلافات فى القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها بين الأفراد إنما هى حائل يعوق تدفق التأثير فى التنظيم الاجتماعى الذى تسود فيه معايير اجتماعية حديثة أكثر مما هو الحال لو كانت هذه المعايير قديمة وخاضعة للتقاليد البالية .

الفصل التاسع

دور دعاة التغيير ونتائج انتشار الفكرة المستحدثة

« فى كافة أنحاء العالم ، تحاول « الدول النامية » فى فترة زمنية قصيرة نسبياً أن تضيق الفجوة بينها وبين تلك الدول التى تتمتع بقدر أكبر من الخبرة الصناعية الفنية وبمستوى معيشى أعلى . ولتحقيق ذلك تخطط وتنفذ برامج على مستوى الشعب كله تستهدف التغيير وتعتمد على استخدام الآلاف من الأخصائيين تدعوهم من الخارج لتدعيم تنفيذ هـذه البرامج . لقد قيل فى بعض الأحايين إن فهم حقيقة الدور الذى يقوم به الداعية فى أى برنامج يستهدف التغيير الاجتماعى ، معناه القدرة على تطبيق الأساليب الفنية المؤدية إلى التغيير والقدرة على التعبير الواضح عن استراتيجية التغيير .

إن هذا ، بشكل مأكيد ، جزء من الدور وإن كان جزءاً صغيراً . وحتى الآن لم يشرع أحد فى دراسة الأساليب الفنية والاستراتيجية من ناحية آثارها على البرامج الأخرى وعلى المظاهر الأخرى للحياة خلاف تلك البرامج والمظاهر التى كانت موضوعاً للدراسة » .

من أقوال المجلس الأعلى للتعليم من أجل التطوير الاجتماعى .

والأهداف الأساسية لهذا الفصل هى توضيح الدور الذى يقوم به داعية التغيير الاجتماعى ، والاستراتيجية التى يضعها لتحقيق هذا التغيير ، ومسئوليته عن النتائج الاجتماعية المترتبة على الأفكار، والمقترحات الجديدة التى يعلن عنها .

والداعية هو شخص محترف يحاول التأثير فى الناس لكى يتبنوا أفكاراً معينة يشعر أنها ضرورية وهامة . وفى معظم الأحايين ، يحاول الداعية أن يجعل الناس يتبنون أفكاراً جديدة ، ولكنه قد يحاول أيضاً أن يقلل من سرعة انتشار أفكار مستحدثة معينة بل ويمنع تبنى الناس لها . والفكرة الجديدة قد تنافس أو تحل محل فكرة قديمة يروج لها الداعية

نفسه . والداعية قد يسعى إلى الحيلولة دون تبنى الناس لفكرة مستحدثة غير مرغوب فيها ، كما فعل أخصائيو الخدمات الزراعية فى حالة حاضنات المشب . وتحليل « فرانسيس » لهذه الفكرة المستحدثة يوحى بأن خبراء الخدمة العامة فى المقاطعات الصغيرة التابعة للولايات فى أمريكا قد يكونون أكثر تأثيراً فى منع الناس من تبنى الأفكار غير المرغوب فيها منهم فى نشر الأفكار المرغوب فيها فى مجال المستحدثات الزراعية . والدور المزدوج الذى يقوم به داعية التغيير هذا باعتباره معارضاً ومعضداً فى نفس الوقت يتضح أكثر فأكثر فى الدراسة الحالية التى نقدمها للقارىء عن اختصاصات دعاة التغيير الاجتماعى وخبراء الخدمة العامة .

وكل قطاع من قطاعات الخدمة العامة والعمل القومى نجد أن به على الأقل نمط واحد من أنماط هذه الفئة التى نحن بصددها . ومن أمثلة هذه الأنماط أخصائيو المعونة الفنية فى الأقطار النامية ، وخبراء الخدمة العامة فى المقاطعات الصغيرة ، ومروجو العقاقير الطبية الذين يغرون الأطباء باستعمال أدويتهم ، ووكلاء المصانع الذين يبيعون منتجاتها الجديدة ، وموظفو الصحة العامة ، والممرضات ، والأطباء ، ونظار المدارس ومدرسوها .

وكلمة « دعاة التغيير » استخدمت أول مرة فى الدراسات المعملية التى أجريت على جماعات الخدمة العامة عام ١٩٤٧ . ومنذ ذلك الحين أصبح هذا التعبير من الألفاظ الشائعة لدى عدد من الباحثين الاجتماعيين ، وبخاصة فى دراساتهم التحليلية للأفكار المستحدثة وطرق ذيوعها بين الناس .

دور « داعية التغيير » :

ومعظم أفراد هذه الفئة هم من العاملين بالمكاتب العامة ، سواء أكانت حكومية أو خاصة ، وغرضهم التأثير على العامة كى يعتنقوا فكرة جديدة وبذلك تدخل الفكرة فى صلب التكوين العام للتنظيم

الاجتماعى . هذا الداعية يعمل عادة كهمزة وصل بين تنظيمين اجتماعيين . فمثلا ، بائع العقاقير الطبية فى المحال العامة من شأنه أن يقوم بإيجاد الصلة بين تنظيمه المهنى ، وهو شركات الأدوية ، وتنظيم المشترين الذين يتصلون به وهذا مكون من الأطباء والمشترين . وبطريقة مشابهة نجد أن أخصائى المعاونة الفنية من شأنه أن يوجد صلة الوصل بين المؤسسة الكبيرة وبين الجهات الطالبة لهذه المعونة وهى عادة أقل نمواً وأقل تطوراً.

لقد أشار « أمرى » و « أوزر » عام ١٩٥٨ إلى أنه فى حين يقطن الأخصائى الزراعى المحلى فى استراليا فى نفس المنطقة التى يعمل بها ويعيش مع الأهالى عيشة مشتركة إلا أنه ما زال معتبراً من « الغرباء » عليهم . وحتى يمكن أن يكون مثل هذا الشخص ناجحاً فى نشر الأفكار الجديدة ، لابد أن يتوصل بطريقة أو بأخرى إلى إيجاد صلة أوثق بالتنظيم الاجتماعى الذى يعمل فيه .

« . . والأخصائى الزراعى المحلى ليس مسئولا فى أعماله الفنية أمام أى فرد فى البيئة بل إنه مسئول فقط أمام تنظيم خاص لا يراه الناس أمامهم ألا وهو الوزارة أو الإدارة العامة التى يتبعها هذا الموظف . وحتى فى حالة ما إذا نفقت جميع الأغنام الموجودة فى المنطقة فإن مرتبه سوف يستمر . على هذا يمكن القول إن التعريف الحقيقى لكلمة « غريب » لابد أن يقوم على أساس العلاقة المكانية والزمانية للمسئولية . وبصرف النظر عن مدى الاحترام والتقدير الذى قد يحظى بها هذا الأخصائى الاجتماعى ، فإنه من الناحية الفنية الاجتماعية يعتبر غريباً على البيئة » .

العوامل المؤدية إلى نجاح داعية التغيير الاجتماعى فى عمله :

ولما كان الوضع الاجتماعى للداعية يقع فى مكان وسط بين الهيئة الإدارية التى هو مسئول أمامها والتنظيم الخارجى الذى يعمل فيه ، فإنه

يجد نفسه فريسة لصراعات متنوعة . هذا الشخص يطلب منه دائماً أن يشارك فى أعمال من صميم مسئولياته المهنية الفنية ، وفى نفس الوقت ، ينتظر منه الأفراد الخارجيين العاملين بالميدان أن يقوم بأعمال مختلفة كل الاختلاف عن النوع الأول . لقد درس « برايس » عام ١٩٥٤ هذا النوع من الصراعات التى تقع فريستها فئة دعاة التغيير الاجتماعى من أخصائيين فنيين وممثلين لمكاتب الخدمات الاجتماعية والزراعية ، وكانت ولاية « متشجان » مجالا لهذه الدراسة . إن طريقة هذا الباحث لتوحى بأن أكثر أفراد هـذه الفئة إحرازاً للنجاح هم أولئك الذين يضحون واجباتهم المكتبية فى سبيل إرضاء مسئولياتهم تجاه من يخدمونهم فى الميدان .

والدراسات التى قام بها « ويكلننج » عام ١٩٥٨ على خبراء الخدمة العامة فى ولاية « وسكونسن » و « بايبل » و « نولان » عام ١٩٦٠ على نفس الفئه فى ولاية « بنسلفانيا » تدل على وجود اختلاف كبير بين مايطلبه الناس من الأخصائى أو الداعية المحلى وما يتوقعون منه وبين فكرة هذا الأخصائى أو الداعية عن نفسه وعن الدور الذى يقوم به فى المجتمع . فمثلا هذه الفئة من العاملين فى المجتمع تعتبر عملها نشاطاً تربوياً فى حقيقته فى حين أن المنتفعين من هذه الفئة يتوقعون أن يحظوا منها بفوائد مادية وخدمات مثل تزويد منظماتهم بالمتكلمين فى الاجتماعات العامة .

حلل « ناى » عام ١٩٥٢ العوامل التى تسهم فى نجاح أخصائيى الخدمات الزراعية فى ولاية «ميزورى» . كان مقياس النجاح عنده عبارة عن تقديرات شاملة يمنحها الرؤساء والزملاء والمنتفعون بخدمات هذه الفئة . هـذه التقديرات تتضمن ، من بين ما تتضمنه ، النتائج المترتبة على إدخال الأفكار المستحدثة إلى مجال التبنى العام لها . لقد تمكن « ناى » من تفسير ٦٣ فى المائة

من التغير الحادث فى تقديرات النجاح لأفراد هذه الفئة تفسيراً إحصائياً ، أما مقدار التغير الذى أوضحه كل متغير من المتغيرات الخمسة فكان على الوجه التالى : الشخصية ٢٨ فى المائة ، الاتجاهات ٩ فى المائة ، القدرة على التعلم صفر فى المائة .

وفكرة الجمهور الذى يتعامل معه الداعية عن الداعية نفسه قد تؤثر على نجاحه فى إحداث التغيير الذى ينشده . هذه الفكرة تختلف باختلاف الصفات الاجتماعية المميزة لكل من جمهور الداعية كما أنها تقرر إلى حد كبير مدى الاتصال الذى سوف ينشأ بين الداعية وجمهوره . وتبين نتائج البحث أن هؤلاء الدعاة يؤثرون على الفريق الممتاز اجتماعياً من جمهورهم أكثر مما يؤثرون على الفريق الآخر الأقل تقدماً .

والمثال الذى أوردناه فى الوصف الأول عن الحملة التى نظمت فى قرية نائية من قرى جمهورية «بيرو» لغلى الماء قبل شربه توضح لنا هذا المفهوم التفاضلى لعمل الداعية على أساس الطبقة الاجتماعية . فإن ربات البيوت من الطبقة الدنيا كن يطلقن على الأخصائى الاجتماعى والزائر الصحى كلمة « المفتش القذر » . أما ربات البيوت من الطبقة العليا فكان لديهم فكرة أفضل عن هـــذا الداعية وعلى ذلك فقد كن يرحبن بالزائرة الصحية والأخصائى الاجتماعى ويرحبن بالاتصال بأى منهما .

جهود الدعاة فى مجال تغيير الأفكار ومعدلات التبنى لها :

وثمة عديد من البحوث والدراسات التى توحى بأن الجهود التى تبذلها تلك الفئة فى مجالات التغيير الاجتماعى ـ ترتبط ارتباطاً مباشراً مع معدل التبنى لفكرة مستحدثة لدى الجماعة التى تعمل من أجلها هذه الفئة . والميزة النسبية للفكرة المستحدثة على الفكرة القديمة التى تترك مكانها للجديدة قد تؤكدها الجهود الإنشائية المبذولة من جانب الداعيـة أو الأخصائى

الاجتماعى أو خبير المعونة الفنية. والواقع أن ثمة عدداً قليلا من الدراسات والبحوث المناسبة التى تعالج أثر الجهود التى يبذلها أفراد هذه الفئة بقصد زيادة معدلات التبنى للأفكار الجديدة . ونحن ما زلنا فى حاجة شديدة لمعرفة الكثير عن المتغيرات التى تتوسط أو تتخلل العلاقة بين حجم الجهود التى يبذلها الداعية والنتائج التى يحصل عليها وذلك على أساس معدلات تبنى الناس للفكرة الجديدة .

ويزودنا « هوفر » ببحث يعتبر من أوائل البحوث التى توضح دور الداعية وجهوده وعلاقة كل ذلك بمعدل تبنى الناس للأفكار المستحدثة . فى هذا البحث نجد أن « هوفر » يوجد معاملات ارتباط بين عدد معين من أنواع النشاط الإنشائى التى يقوم بها الداعية المحلى (مثل عدد الزيارات التى يقوم بها للمزارع ، والمقالات التى ينشرها فى الصحف السيارة ، والنشرات الدورية) وبين تبنى الفلاحين للأفكار الجديدة . لقد كان اهتمام « هوفر » الأساسى موجهاً إلى معرفة السبب فى أن بعض طرق نشر الأفكار المستحدثة تؤدى أكثر من غيرها إلى تبنى الناس لهذه الأفكار .

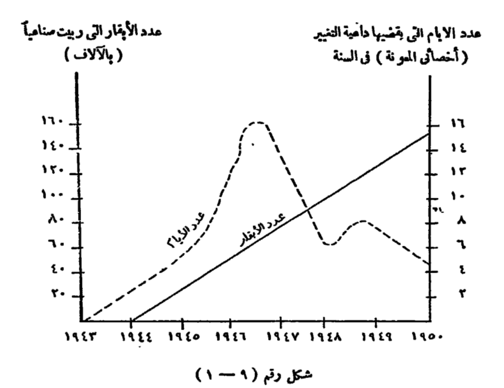
كذلك وجد « روس » عام ١٩٥٢ أن معدل تبنى الناس لفكرة إدخال مادة تعليم قيادة السيارات فى برامج المدارس الثانوية كان أسرع من تبنيهم للأفكار التعليمية الأخرى . ولقد عزى « روس » هذه الظاهرة إلى الجهود الإنشائية التى يبذلها بائعو السيارات ، وشركات التأمين ، والنادى الأمريكى للسيارات .

وفى دراسة ذكية قام بها « أرمسترونج » عام ١٩٥٩ استطاع أن يوجد العلاقة بين أنماط مختلفة من أنواع النشاط الإنشائى التى يقوم بها أفراد هذه الفئة وبين التغيرات الناتجة فى مجال تبنى الجمهور للأفكار المستحدثة . لقد وجد «أرمسترونج» أنه بالنسبة إلى المجتمعات الصغيرة التى قام بدراستها فى ولاية «كنتكى» ، كلما كانت الجهود الإنشائية التى يبذلها أخصائيو الخدمة

الريفية كبيرة ، كانت احتمالات تبنى الفلاحين فى هذه المجتمعات للأفكار المستحدثة أكبر .

كذلك درس « ستون » عام ١٩٥٢ حجم الجهد الذى بذله ثمانية وعشرون أخصائياً من أخصائيى الخدمات الزراعية فى ولاية « متشجان » فى فترة امتدت من عام ١٩٤٣ إلى عام ١٩٥٠،وكان موضوع دراسته الجهود التى بذلها هؤلاء لنشر الأفكار الجديدة فى مجال إدارة المزارع وكذلك فى مجال التغذية الصناعية لحيوانات المزرعة . والشكل رقم (٩ — ١) يوضح عدد البقرات التى تمت تغذيتها صناعياً فى ولاية « متشجان » . ومن عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٤٦ ثبت أن تبنى الفلاحين للفكرة المستحدثة سار على وجه العموم جنباً إلى جنب مع حجم الجهد الذى بذله أخصائيو الخدمة العامة هؤلاء على أساس عدد الأيام التى قضاها كل عام أفراد هذه الفئة فى مجال نشر الفكرة . وبعد عام ١٩٤٧ نجد أن الجهود التى بذلها هؤلاء الأخصائيون أخذت فى التناقص ، ولكن الفلاحين ظلوا يتبنون الفكرة الجديدة بمعدل متزايد ، ويعزى الجزء الأكبر من هذه الزيادة فى معدل التبنى بعد عام ١٩٤٧ إلى الوسائل الشفوية لإذاعة الفكرة وانتقالها من فلاح إلى آخر . ومن الجائز أن الكثيرين من المتبنين الأوائل للفكرة كانوا من فئة قادة الفكر الذين مارسوا قدراً من التأثير على جيرانهم لكى يتبنوا الفكرة الجديدة بعد أن طبقوها هم أنفسهم .

ونتائج هذه الدراسة توحى إلينا بأنه ليس من الضرورى أن تكون هناك علاقة مباشرة بين حجم الجهد الذى يبـــذله أخصائيو الخدمات الزراعية ومعدلات تبنى الفلاحين لفكرة التغذية الصناعية لحيوانات المزرعة ، وهى المعدلات الناتجة عما يبذل من جهود فى مجال نشر الفكرة المستحدثة . والواقع أنه ، بعد أن تكون نسبة مئوية معينة من جمهور الداعية قد تبنت الفكرة المستحدثة ، قد يقوم هذا الأخير باستخدام وقته



شكل رقم (٩ — ١)

يوضح هذا الشكل مدى الجهود التى يبذلها دعاة التغيير (أخصائيو المعونة والخدمات الزراعية) ومعدل التبنى عند الفلاحين لفكرة تغذية أبقار المزرعة بالطريقة الصناعية

* * *

المادة العلمية هنا تبين أن فلاحى ولاية « متشجان » ظلوا يتبنون فكرة التغذية الصناعية لأبقار المزرعة بنفس المعدل تقريباً حتى بعد أن تضاءلت جهود خبراء الخدمة العامة فى مجال الزراعة بعد عام ١٩٤٧ . ومعظم الزيادة فى انتشار الفكرة بعد عام ١٩٤٧ تعزى إلى الطريقة الشفوية وهى طريقة تداول الفكرة بين الفلاحين عن طريق الحديث عنها .

* * *

بطريقة أكثر فاعلية وذلك بتشجيع الدعاية الشفوية للفكرة المستحدثة . على أن القارىء لا بد أن يحذر الاتجاه نحو تعميم النتائج المستخلصة من من دراسة فكرة طبقت فى موقف معين على جميع المواقف . وبالرغم من ذلك ، يدعى « ستون » أن ثمة علاقة مشابهة بعض الشىء بين معدل التبنى للفكرة المستحدثة وبين الجهود التى يبذلها دعاة التغيير الاجتماعى ، وهذه العلاقة ثبت وجودها عند دراسة عدد من الأفكار المستحدثة الأخرى فى مجال الزراعة .

نقطة أخرى يجب أن نشير إليها هنا لكى تنتبه لها وهى أنه من الأمور الممكنة الحدوث أن حجم الجهود الإنشائية التى تبذلها فئة الدعاة ينتج عن الزيادة المضطردة فى معدل تبنى جمهور الداعية للفكرة المستحدثة . فمثلاً لنفرض أن فكرة جديدة قد تم تبنيها على وجه السرعة من قبل ١٠ فى المائة من مجموع الفلاحين فى قطاع من قطاعات الخدمات الزراعية . ومن الأمور المحتملة هنا أن يفسر الداعية ارتفاع معدل تبنى باعتباره دليلاً على حاجة الجمهور إلى الفكرة الجديدة ، وعلى ذلك يقرر ضرورة تركيز جهوده الإنشائية بحيث يحقق قدراً أكبر من التبنى للفكرة الجديدة . وهكذا نقول إن التبنى السريع قد يترتب عليه قدر أكبر من الجهود الإنشائية من ناحية الدعاة وليس العكس . وفى أية مناسبة من المناسبات التى درس فيها ذيوع عدد من الأفكار المستحدثة ، وجد أن المتغيرين — معدل التبنى والجهود التى يبذلها دعاة التغيير — يلتقيان .

كيف يتبنى دعاة التغيير الأفكار الجديدة ؟ :

ثمة محاولة واحدة حدثت حتى الآن بقصد معرفة كيف يدرك دعاة التغيير لأول مرة الفكرة المستحدثة ، وكيف يقتنعون بفائدتها حتى يتسنى لهم بعد ذلك أن يوصوا بها لجماهيرهم . هذه الحالة تشبه إلى حد كبير عملية

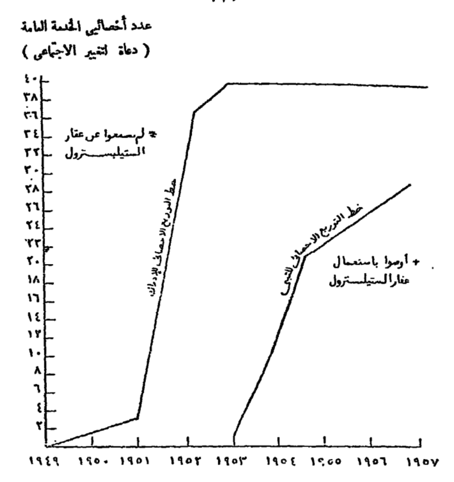
التبنى التى سبق وصفها فى الفصل الرابع باستثناء أن « التبنى » لدى الداعية قد يبلغ مبلغ التوصية بالفكرة الجديدة عند الناس .

لقد حصل « روجرز » و « يوست » عام ١٩٦٠ على مادة علمية مستمدة من عينة مكونة من ٤٤ أخصائياً من أخصائيى الخدمات الريفية فى ولاية « أوهايو » بشأن تبنى أفراد هذه العينة لمادة « الستيليسترول » وهى مادة كيماوية من شأنها أن تكثر من هرمونات الجنس إذا أطعمت الحيوانات اللحم . لم يكن جميع أفراد تلك العينة من المتبنين لهذه الفكرة المستحدثة فى الوقت الذى أجرى فيه هذا البحث الاستقصائى . والواقع أن اختلاف مصادر المعلومات كان من شأنه إيجاد الإدراك للفكرة الجديدة بين أفراد العينة،ولم ينتج عن هذا الاختلاف إقناعهم بضرورة أن يوصوا بالفكرة عند جمهورهم من الفلاحين . لقد احتاج الداعية العادى فى هذه الدراسة إلى ما يقرب من عامين لكى يمر فى عملية التبنى للفكرة المستحدثة ، ويميل التوزيع الإحصائى للإدراك عند هؤلاء الدعاة ولفئة التبنى التى ينتمى إليها كل منها إلى أن يأخذ شكلاً منحنياً قريباً من شكل (S) كما هو واضح فى الشكل (٩ — ٢) . ويبدو أن القاعدة العامة التى جاءت فى الفصل الرابع بشأن عملية التبنى تنطبق على الطريقة التى يتبنى بها دعاة التغيير ، كما هو الحال مع غيرهم ، الأفكار الجديدة .

الدعاة فى مجال الأعمال والتجارة :

وثمة أنواع عديدة من الدعاة وذلك وفقاً لما سبق أن بيناه . والهدف من هذا الجزء من الكتاب هو الوصول إلى قواعد عامة بشأن الدور الذى يقوم به الدعاة فى مجال الأعمال والتجارة .

إن تبنى الفكرة الجديدة لابد على الأعم الأغلب من أن يترتب عليه رواج سلعة جديدة . ومعظم الشركات قد نظمت أقسام التسويق لديها



الزمن محسوبا بالسنوات

* ثلاثة من أخصائيي الخدمة العامة لم يتمكنوا من تذكر تاريخ سماعهم عن الفكرة الجديدة

+ ستة من أخصائيي الخدمة العامة لم يتمكنوا من ذكر الوقت الذي أوصوا فيه الفلاحين باستعمال الستيليسترول ، وعشرة من أولئك الإخصائيين لم يكونوا قد أوصوا باستعمال هذا العقار .

شكل رقم (٩ — ٢)

يوضح هذا الشكل التاريخ الذي سمع فيه أخصائيو الخدمة العامة عن عقار الستيليسترول وأوصوا الفلاحين باستعماله .

* * *

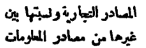
المادة العلمية هنا توضح كيف أن ٤٤ أخصائياً من ولاية « أوهايو » سمعوا عن عقار الستيليسترول ، وهو عقار يكثر من هرمونات حيوان اللحم . إن خط التوزيع الإحصائي لكل من الإدراك والتبني لفكرة هذا العقار لدى هؤلاء الدعاة يميل بوجه عام إلى أن يكون منحنياً له شكل (S) .

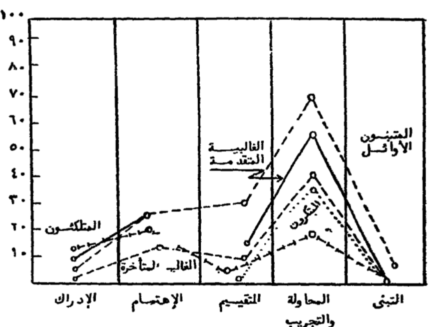
* * *

بحيث تستطيع القيام بأبحاث عن كيفية رواج السلع والسبب الذى من أجله يقبل الناس على شرائها . وفيما يختص ببعض الأفكار المستحدثة ، وتحت ظروف معينة ، يمكن القول إن الدعاة فى مجالات الأعمال والتجارة يعود إليهم الفضل — أكبر الفضل — فى ذيوع الأفكار المستحدثة . فمثلاً وجد « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ أن الباعة الجائلين الذين يتعاملون فى البذور الهجين قال عنهم مايقرب من نصف العينة المكونة من فلاحين من ولاية «أيووا» أن هؤلاء الباعة يشكلون المصدر الوحيد للمعلومات بالنسبة لهم . لقد ثبت أن فئة الباعة الجائلين ، وما هم إلا دعاة فى مجال الأعمال والتجارة ، إنما هم أقل أهمية ، باعتبارهم مصدراً من مصادر المعلومات فى مرحلة التقييم ، منهم فى مجال إيجاد الإدراك لدى الفلاحين لفكرة البذور الهجين .

ويمكن لنا أن نلاحظ فى الشكل (٩ — ٣) على الأقل قاعدتين عامتين بشأن الأهمية النسبية للدعاة التجاريين فى نشر الأفكار المستحدثة .

تقول القاعدة العامة الأولى إن الدعاة التجاريين أهم فى مرحلة المحاولة والتجريب منهم فى أية مرحلة أخرى طوال عملية التبنى . هذه القاعدة العامة تصدق فى الواقع بالنسبة لكل فئة من فئات التبنى الخمس المبينة فى الشكل (٩ — ٣) . هذه القاعدة يدعمها ماوصل إليه «رايان» و «جروس» عام ١٩٤٣ من نتائج فى بحثهما على الذرة الهجين ، وما وصل إليه « بيل » و « روجرز » عام ١٩٥٧ فى بحثهما عن الأنسجة الصناعية الجديدة ، وما وصل إليه « كوب » وزملاؤه عام ١٩٥٨ فى بحثهم الذى أجروه على أفكار مستحدثة ثلاث فى مجال الزراعة . لقد ثبت أن الفرد يشترى عادة قدراً صغيراً من السلعة الجديدة فى مرحلة المحاولة والتجريب . وفى هذه المرحلة بالذات يعتمد الفرد اعتماداً كلياً على الدعاة التجاريين للحصول على المعلومات فيما يختص بالطريقة التى يستخدم بها الفكرة الجديدة .





مراحل خلال عملية التبنى

شكل رقم (٩ — ٣): يبين أهمية المصادر التجارية للمعلومات فى مراحل عملية التبنى ووفقاً لفئات التبنى للمحلول الكيمائى (٤٢٢ د) المبيد للحشائش الضارة.

* * *

هذه المادة العلمية تبين أن المصادر الاقتصادية للمعلومات أكثر أهمية فى مرحلة التجريب عنها فى أية مرحلة أخرى خلال عملية التبنى. ودعاة التغيير فى المجال الاقتصادى (الوكلاء الاقتصاديون والباعة الجائلون وغيرهم) هم على وجه العموم أكثر أهمية بالنسبة لفئة المتبنين الأوائل منهم بالنسبة للمتبنين الأواخر فى مرحلة التجريب. ومن الواجب أن يتنبه القارىء إلى أنه فى حين أن هذه العلاقات يمكن أن تصدق بالنسبة لهذه الفكرة المستحدثة بالذات، فإنه ليس لدينا من الشواهد ما يدعم هذه القواعد العامة غير تلك الشواهد المستمدة من الأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة.

* * *

أما القاعدة العامة الثانية فتقول إن الدعاة التجاريين أهم بالنسبة للمتبنين الأوائل منهم بالنسبة للمتبنين الأواخر في مرحلة المحاولة والتجريب . وهذه القاعدة العامة يمكن للقارىء أن يلاحظها فى الشكل رقم (٩ — ٣) كما تدعمها بحوث « بيـــل » و « روجرز » عام ١٩٥٧ وبحوث « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ .

وثمة شواهد مستمدة من عدد من الدراسات تدل على أن معظم الناس لا يثقون بفئة الدعاة التجاريين ثقتهم بالأنماط الأخرى من الدعاة وأخصائى الخدمات . لقد وجد « روجرز » عام ١٩٥٧ أن الفلاحين يثقون بما يقوله جيرانهم أكثر مما يثقون بما يقوله الدعاة التجاريين . لقد قرر ٩٧ فى المائة من الأفراد الذين كانوا موضعاً للاستفتاء الذى قام به « روجرز » أنهم أكثر ميلاً للاقتناع بفكرة جديدة فى مجال الزراعة عند ما يناقشونها مع جيرانهم منهم مع الوكلاء التجاريين . وبعض الإجابات التى أدلى بها هؤلاء الأشخاص موضوع الاستفتاء تبين أسباب عدم تصديق الناس لما يقوله أفراد هذه الفئة وعدم الثقة فيهم بوجه عام . ومن الأقوال ما يأتى :

— « وظيفة الوكيل التجارى هى أن يبيع السلعة — إنه متحيز — كل أفراد هذه الفئة يحاولون جهدهم أن يتخلصوا من سلعهم بالبيع » .

— « يحاول الوكيل التجارى أن يبيعك أى شىء ولكن جارك ليس كذلك إذ أنه يعرف إذا ما كانت الفكرة الجديدة قد نجحت فى مزرعته أم لا » .

والدوافع الكامنة فى نفس الدعاة التجاريين ، كما يراها جمهورهم ، قد تكون سبباً من أسباب ضعف ثقة الناس فيهم وعدم تصديق ما يقولون وما يوصون به . إن الناس يحسون أن الوكيل التجارى قد يعمل على المبالغة بعض الشىء فى تقديره لصلاحية السلعة التى يروج لها لكى تنتشر بين أكبر عدد من الناس وبذلك تزداد أرباحه . وبالرغم من ذلك ، فإنه فى بعض المجتمعات الريفية التى درسها المؤلف ، اتضح أن أصحاب المتاجر المحلية

كانوا يتمتعون باحترام عام من قبل الفلاحين الذين عملوا دائماً بتوصياتهم. أما السبب الذى من أجله أحرز أفراد هذه الفئة مثل هذه الدرجة العالية من الثقة فكان القدر الكبير من العلاقات الودية التى عمل هؤلاء على توطيد دعائمها بينهم وبين أفراد جماهيرهم إذ أن الفلاحين كانوا ينظرون إلى أفراد هذه الفئة باعتبارهم من الأصدقاء وليس مجرد تجار كل همهم تحقيق قدر من الربح .

وثمة أسباب مشابهة لتلك يمكن أن توضع موضع الاعتبار عند تعليل الثقة الكبيرة التى يخص الفلاحون بها فئة « معاونى الزراع » وهم عبارة عن أفراد من صميم الريف تختارهم الشركات التجارية لكى يبيعوا لها منتجاتها مثل الأسمدة والبذور والمكائن للفلاحين نظير عمولة معينة . والفلاحون يفضلون هذه الفئة الأخيرة على فئة الوكلاء التجاريين أو فئة الباعة الجائلين ويمنحونها ثقتهم . والفرد من فئة معاونى الزراع يعتبره الناس عادة فى الريف نداً لهم وزميلاً وليس مجرد تاجر وعلى ذلك فتأثيره الشخصى عليهم قد يؤدى بهم إلى اقتنائهم للسلعة الجديدة وتبنى فكرتها .

لقـــد ألقت الدراسات التى أجريت على العقاقير الطبية الحديثة وانتشارها بين الأطباء بعض الضوء على الدور الذى يقوم به نوع معين من الدعاة التجاريين ألا وهو تاجر القطاعى الذى يعمل فى ميدان ترويج الأدوية الجديدة لحساب شركات الأدوية . لم يجد « منتزل » عام ١٩٥٩ أى فارق من حيث الأهمية يفرق بين تاجر القطاعى بصفته مصدراً للمعلومات وبين غيره من المصادر وذلك بالنسبة لكل فئة من فئات تبنى الأفكار المستحدثة . وبمعنى آخر ، يمكن القول إن فئة المتلكئين ، هم أيضاً كفئة المبتكرين ، ينظرون إلى الدعاة التجاريين باعتبارهم مصدراً للمعلومات عن العقاقير الجديدة .

والقادة بين الأطباء كانوا فى البحوث التى قام بها « منتزل » و « كاتز » أقل ميلاً من تابعيهم إلى اعتبار بائعى الأدوية الجائلين مصدراً للمعلومات. ومن الناحية العملية التطبيقية ، لم يكن تجار القطاعى ممن يستخدمون طريقة الاتصال ذى المرحلتين إذ أنهم عندما يصلون إلى القادة فى صفوف الأطباء فإنهم بذلك يصلون إلى التابعين بطريقة غير مباشرة ، ولكن الواقع لم يكن كذلك تماماً إذ أن تجار القطاعى كانوا يصلون إلى فئة القادة أقل مما يصلون إلى تابعيهم .

وبعد أن استعرض « هاوكنز » عدداً من بحوث التسويق عام ١٩٥٩ ، وهى البحوث التى وضعتها وأشرفت عليها شركات الأدوية ، انتهى إلى أن الدعاة التجاريين هم فى الواقع على درجة كبيرة من الأهمية باعتبارهم مصدراً من مصادر المعلومات يستمد منه الأطباء آراءهم عن الأدوية الجديدة . لقد أشار « هاوكنز » إلى أن معظم الأشخاص موضوع الاستفتاء فى البحث الذى قام به عام ١٩٥٩ كانوا يميلون إلى التقليل من أهمية الدعاة التجاريين وغيرهم من العاملين فى الأسواق كمصدر للمعلومات . لقد طلب « فربر » وزميله « ويلز » عام ١٩٥٨ من ٢١٠ أطباء أن يحتفظوا بيوميات يسجلون فيها المصادر التى يستقون منها معلوماتهم عن الأفكار الجديدة ، وظهر من هذه اليوميات أن تجار القطاعى يعتبرهم الأطباء مصادر للمعلومات تتميز بأهمية أكبر من تلك التى أعطوها إياها فى أثناء المقابلات الشخصية التى جرت بينهم وبين الباحثين .

ومن الصواب أن نقول إن الكثير من الأشخاص موضوع الاستفتاء يقللون من أهمية المصادر التجارية كمصادر للمعلومات عن الأفكار الجديدة ، ولكن ليس مما يقبله العقل تماماً القول إن الإنسان يتأثر بالدعاة التجاريين ، وثمة شاهد على هذه النقطة نجده عند « فان دى بان » عام ١٩٦١ . وعند ما سئلت عينة مكونة من مائتين من مزارعى ولاية « وسكونسن »

عام ١٩٥٢ عما يعتبرونه أهم مصدر من مصادر المعلومات الزراعية بالنسبة لهم ، فإن ٣ فى المائة فقط ذكروا الدعاة التجاريين . نفس هؤلاء الأشخاص سئلوا عام ١٩٥٧ فى استفتاء آخر عن مصادر المعلومات التى اعتمدوا عليها فيما يختص بالأفكار الزراعية النوعية التى تبنوها عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٧ فثبت أن أكثر من ٣٠ فى المائة من هؤلاء ذكروا الدعاة التجاريين . وعند ما وجه إليهم سؤال أكثر تحديداً فى هذا الموضوع ثبت أن عدداً أكبر من الأشخاص موضوع الاستفتاء ذكروا الدعاة التجاريين كمصدر لمعلوماتهم .

انتقال الأفكار المستحدثة من ثقافة إلى أخرى :

والمعاون الفنى ، أو الخبير الفنى الذى ينتقل من دولة إلى أخرى ، إنما هو نوع خاص من الدعاة يعمل على نقل الأفكار الجديدة من ثقافة إلى أخرى . إن المشكلات الخاصة بتلاقى الناس بعضهم ببعض وتفاعلهم فى نشاط واحد ، وهى المشكلات التى يبتلى بها أى داعية من دعاة التغيير سواء فى المجالات الاجتماعية أو التجارية أو الصناعية ، إنما تتضخم وتزداد شدة فى حالة خبير المعاونة الفنية لأنه قلما يشترك مع من يعمل معهم فى ثقافة واحدة . هذه النقطة أكدها « بيتر » و « شلوتجر » عام ١٩٥٩ اللذان قالا : « إن حامل الأفكار والأساليب الفنية الجديدة وناقلها من ثقافة إلى أخرى ، فى حاجة إلى أن يتعلم مهارات خاصة فى أصول التفريخ ، والتغذية وأسرار الإستنبات » .

ان أهمية الدعاة فى مجال المعونة الفنية يدل عليها الازدياد المضطرد فى عدد الوكالات المتخصصة فى إعطاء هذه المعونة كما يدل عليها عدد العاملين فى هذا المجال . ويقدر الخبراء عدد الأجانب الذين يسافرون إلى الولايات المتحدة كل عام لأغراض الدراسة والتدريب أو لأغراض التدريس بعدد

يربو على أربعين ألفاً . فى نفس الوقت نجد أن عشرين ألفاً على الأقل من الأمريكيين يسافرون خارج البلاد كل عام لنفس هذه الأغراض . لقد قامت الوكالات الأمريكية المتخصصة ، مثل النقطة الرابعة والمعونة الأمريكية ، بتدريب مايزيد على ٥٢ ألفاً من ستين دولة أو يزيد . وإن العدد الذى يتدرب كل عام ليتزايد بمعدل ٦,٥٠٠ دارس كل عام ، كما أن فرق السلام التى تألفت حديثاً فى الولايات المتحدة سوف تضيف بضعة آلاف أخرى كل عام إلى عدد الدعاة الذين يعملون فى نطاق ثقافات تختلف عن ثقافاتهم .

إن مشكلة من مشكلات الاتصال بالنسبة لجميع الدعاة ، وبصفة خاصة بالنسبة لأولئك الذين يعملون فى المناطق التى لم تستكمل نموها بعد ، تتمثل فى ضرورة الحصول على « صلة » أو نقطة اتصال مع الجمهور الذى يعملون معه . فمثلاً معظم القرى الهندية النائية تنظر إلى الغرباء نظرة شك وريبة . وثمة سبب من الأسباب التى يعزى إليها نجاح برنامج خدمة البيئة فى الهند وبرنامج آخر شبيه له فى باكستان هو الطريقة التى اتبعت فى التدريب حيث كان عدد من أهالى القرية يختارون لهذا الغرض ويعطون قدراً بسيطاً من التعليم ثم يعادون إلى قريتهم بعد ذلك . فمن الناحية الاجتماعية لا يمكن اعتبار هؤلاء الأشخاص من الغرباء على القرية بل من المتوقع أن يدركوا دون عائق القيم المحلية الخاصة بأهالى قريتهم .

وفى عام ١٩٥٩ قام « راهودكار » بدراسة العوامل المؤدية إلى نجاح هؤلاء الدعاة فى عملهم على مستوى القرية الهندية ، ومما يدعو إلى العجب أن هذا الباحث اكتشف أن الدعاة الذين لم يزد تعليمهم على مستوى المدرسة الثانوية كانوا أكثر نجاحاً فى مجال إدخال الأفكار المستحدثة إلى حياة أهل القرية مما هو الحال لو كان الأمر يتعلق بدعاة من ذوى الثقافات الجامعية . وفسر « راهودكار » هذه الظاهرة على أساس أن النوع الأول من الدعاة

استطاع أن يخلق فى نفوس أهل القرية صلة وصل أقوى وأكثر فاعلية من تلك التى خلقها النوع الثانى.

ومشكلة خلق الصلة مع الجماهير أمر شائك بالنسبة للداعية الذى يعمل فى مناطق أقل نمواً من غيرها، وهو الذى يحاول العودة بكليته إلى تنظيمه الاجتماعى الذى ينتمى إليه أصلاً بعد تركه له سعياً وراء التدريب والتعليم. ومن أمثلة ذلك الطالب الإفريقى الذى يرحل إلى الولايات المتحدة للحصول على درجة جامعية، أو الموظف الهندى الذى يعود إلى بلده بعد تمضية عام للتدريب فى الخارج. إن مشكلة العودة واستئناف الحياة فى البيئة هى من الأهمية بحيث تقوم «وكالة التنمية الدولية» بتزويد العديد من المتدربين الأجانب قبل عودتهم إلى بلادهم بدراسة خاصة تستمر أسبوعاً يستوعبون فيه الطرق الفنية لنشر الأفكار. ويوجد الآن كل عام ما يزيد على ألفين من المتدربين المشمولين برعاية «وكالة التنمية الدولية»، وهم يحضرون هذا البرنامج التوجيهى قبل عودتهم إلى أوطانهم. لقد أقنعت النتائج المترتبة على تطبيق هذا البرنامج المسئولين فى الولايات المتحدة بأن التدريب الفنى لهذه الفئات القادمة من وراء البحار لا يكفى إذ لا بد أن يعرفوا كذلك كيف يتبنون الأفكار الجديدة وكيف ينشرونها على مواطنيهم عندما يعودون إليهم.

وثمة عدد من الدراسات أنجزت حديثاً وتستهدف معالجة موضوع ذيوع الأفكار المستحدثة فى البلدان التى لم تستكمل نموها الكامل بعد. لقد قام «ستراوس» عام ١٩٥٣ باستقصاء طبيعة الدور الذى يقوم به دعاة التغيير فى مجال إدخال الأفكار المستحدثة إلى المناطق التى لم تستكمل نموها بعد، ووجد أن سيلان لديها جهاز للخدمة العامة فى المناطق الزراعية على مستوى معقول من الكفاية والقدرة وإن كان الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه وهو زيادة المحصول لم يتحقق إلا فى النادر القليل. هذا الجهاز نشأ فى الأصل

من القمة ثم تدرج إلى القاعدة وليس العكس . ويقوم المشرفون على هذا الجهاز « بحملات » الغرض منها إدخال زراعة محاصيل جديدة مثل بذور زيت الخروع أو القطن أو الفلفل الأحمر سواء أكانت هذه المحاصيل المستحدثة مناسبة للبيئة المحلية أم لا . لقد كان من الصعب على أهل سيلان أن ينظموا علاقاتهم مع من هم أقل منهم فى المستوى الاجتماعى على أى أساس غير أساس الاستعلاء . وحتى عندما أصدر المسئولون أوامرهم إلى العاملين بهذا الجهاز لكى يعاملوا الفلاحين باعتبارهم أنداداً لهم عجز هؤلاء العاملون عن تحقيق ذلك .

المستوى الاجتماعى وعلاقته بإيجاد الصلات مع الدعاة :

تدل كل دراسة تحليلية لأى جمهور من الجماهير التى يعمل دعاة التغيير فى كنفها على أن هؤلاء الدعاة يعقدون أواصر علاقاتهم مع الأفراد ذوى المستوى الاجتماعى الراقى أكثر مما يفعلون ذلك مع غيرهم من ذوى المستوى الاجتماعى المنخفض . أما الشواهد التى تدعم هذه القاعدة العامة فتأتى إلينا من الدعاة المحليين ، ومن جماعات صيانة التربة فى الولايات المتحدة ، ومن أخصائيى المعونة الفنية ، ومن الدعاة الذين يعملون على المستوى المحلى فى البلدان التى لم تستكمل نموها بعد .

ومن أمثلة ذلك ما نجده فى الدراسة التحليلية التى وضعها « فوستر » عام ١٩٥٦ لألوان النشاط الذى يقوم به الأخصائى الاجتماعى على مستوى القرية فى إحدى القرى الهندية . لقد استطاع « فوستر » أن يجمع مادة علمية فى موضوع من هم الأفراد الذين يصل إليهم الأخصائى الاجتماعى من بين جمهور القرية . لقد ركز الأخصائى الاجتماعى اهتمامه على العائلات المنتمية إلى الطبقة العليا من أهالى القرية وأهمل غيرها من المنتمين إلى الطبقة الدنيا . والواقع أنه كلما كان المستوى الاجتماعى منخفضاً زادت درجة إهمال

الأخصائى الاجتماعى لأفراد هذه الطبقة ، كما أنه كان حريصاً على الالتقاء بجميع الأفراد المنتمين إلى الطبقة العليا فى القرية فى اجتماعات خاصة وعامة . كذلك لقد وجد أن ٢٥ فى المائة فقط من أفراد الطبقة الدنيا سنحت لهم فرصة الالتقاء بهذا الأخصائى الذى كان يدعو إلى التغيير الاجتماعى .

هذا الأخصائى على مستوى القرية استطاع أن يسجل أهم انتصاراته فى ميدان نشر الأفكار المستحدثة بين أفراد الطبقة العليا فى القرية فى حين أن نجاحه فى هذا الميدان بين أفراد الطبقة الدنيا كان محدوداً للغاية . والثابت أن هذا الداعية لم يهمل كلية الطبقات الدنيا حيث الحاجة إلى المعرفة على أشدها ، كما أنه شمل بعنايته الطبقات العليا حيث كان من السهل دفع الفلاحين إلى تبنى الأفكار المستحدثة .

سبب آخر من الأسباب التى تجعل دعاة التغيير يقيمون صلات وثيقة مع أفراد الطبقات العليا فى المجتمع هو الاختلاف فى الكيان الاجتماعى وهو الاختلاف الذى يوجد عادة بين أخصائى الخدمة العامة وبين جمهوره. والمعروف أن الاختلافات الكبيرة فى المركز الاجتماعى بين شخصين لا بد أن يترتب عليها إعاقة الاتصال المثمر بينهما. وكنتيجة لهذه الاختلافات، يميل دعاة التغيير وأخصائيى المعونة وخبراء الخدمات إلى أن تكون أقوى اتصالاتهم مع الأفراد من نفس المركز الاجتماعى. لقد كان أخصائى الخدمة العامة على مستوى القرية ، وهو موضوع الدراسة التى قام بها « فوستر » ، من بين الفئة التى تكون الطبقة الوسطى أو العليا من مجتمع القرية الهندية وعلى ذلك فقد كانت معظم اتصالاته تتم مع أفراد طبقته .

والطريقة التى يتبعها داعية التغيير أو الأخصائى الفنى فى ممارسة علاقاته مع جمهوره قد يعود إليها الفضل فى نجاحه النسبى فى ميدان نشر الأفكار الجديدة . لقد أشار « أرازمس » عام ١٩٦١ إلى أن الدعاة المحليين فى البلدان التى لم تستكمل نموها بعد من عادتهم أن يتحاشوا ما وسعهم الجهد العمل

بأيديهم فى مجال توضيح الأفكار الجديدة إذ أن العمل اليدوى إنما هو رمز للكيان الاجتماعى المنخفض . وكنتيجة لذلك نجد أن أفراد هذه الفئة كثيراً ما يتحدثون إلى الفلاحين فى شأن ما يفعلونه بدلاً من أن يقوموا أنفسهم بعمله أمامهم .

قال « أرازمس » : « فى جمهورية كولومبيا ، رأيت أخصائى الخدمات الزراعية فى إقليم المرتفعات الخصيبة يذهبون إلى الحقول فى أفخر الملابس وأغلاها . لقد كان همهم الأول الإعلان عن الفارق الاجتماعى الكبير بينهم وبين طبقة الفلاحين الفقراء وليس تعليم هؤلاء الفلاحين الأساليب الحديثة فى الزراعة » .

العواقب الاجتماعية المترتبة على إدخال الأفكار المستحدثة :

يلعب الداعية دوراً هاماً فى مجال نشر الأفكار المستحدثة . وإذا كان الأمر كذلك فما هى إذن مسئوليته عن العواقب الاجتماعية المترتبة على أخذ الناس بهذه الأفكار وتبنيهم لها ؟

والبحوث العلمية تشير على وجه العموم إلى أن العديد من النتائج المترتبة على ذيوع الأفكار المستحدثة لا يمكن التنبؤ بها على وجه الدقة قبل تبنى الناس لها . على أن النتائج النهائية لا تتضح معالمها إلا بعد مرور فترة زمنية ، كما أنها تأتى دون توقع ، بطريقة شبيهة للآثار الجانبية للدواء الجديد .

هذه النقطة أكدها المجلس الأعلى لتوجيه النشاط الاجتماعى فى تقريره المنشور عام ١٩٥٩ (ص ١٠) إذ يقول :

« إن أخصائى التغيير الاجتماعى لم يعد الآن قادراً على أن يهز كتفيه ويدعى أنه ليس إلا فرداً عادياً يقوم بعمله فى قطاع معين ، بل الواقع أنه أصبح الآن مضطراً إلى حمل نصيبه من المسئولية عن التغيرات المختلفة التى

تسوقها البرامج الاجتماعية المتعلقة بعمله . بعض هذه التغيرات يمكن التنبؤ بها كما يمكن التخطيط لها ، وإن كان البعض الآخر منها ، بل غالبيتها ، لا يمكن التكهن به » .

وعلى عاتق الداعية وخبير الخدمة العامة والأخصائي الاجتماعي وغيرهم من دعاة التغيير تقع مسئولية كبرى هي مسئوليته عن النتائج المترتبة على الأفكار المستحدثة التي يأتي بها . ويكاد كل برنامج من برامج التغيير المخطط يتمخض عن عدد لا حصر له من النتائج الاجتماعية التي يتأثر بها المعنيون بهذه البرامج . ولقد أشار « أوبلز » عام ١٩٥٤ إلى أنه « ما من معاونة فنية في الواقع إلا وتؤدي في النهاية إلى آثار اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية » . ويمكن القول إن كل برنامج يهدف إلى الإسراع بإحداث تطورات اقتصادية مثلاً ، لا بد وأن يؤدي إلى عديد من ردود الفعل التي تصيب البناء الاجتماعي للجماهير صاحبة المصلحة في تنفيذ هذا البرنامج .

والاتجاه الأنثروبولوجي في نشر الأفكار المستحدثة يركز اهتمامه ، أكثر من أي اتجاه آخر ، على النتائج الاجتماعية المترتبة على نشر هذه الأفكار .

وفي الحقيقة ، كان النموذج المفضل من نماذج البحث لدى علماء الأنثروبولوجيا في السنوات الماضية هو تحليل التغيرات التي تطرأ على المجتمع البدائي عقب اختلاط الحياة فيه بالحياة في المجتمعات الحديثة . أما الاتجاهات الأخرى في البحث غير الاتجاه الأنثروبولوجي ، وهي الاتجاهات التي سبق أن تحدثنا عنها في الفصل الثاني ، فقد اهتمت إلى حد ما بالنتائج المترتبة على التغيرات التكنولوجية التي يحدثها الدعاة أو أخصائيو الخدمة العامة أو خبراء المعونة في المجتمعات التي يعملون فيها . وعلى سبيل المثال نجد أن عدداً من المهندسين الصناعيين وعلماء الاجتماع الصناعي

أخذوا على عاتقهم استقصاء الحقائق فيما يتعلق بانتشار الأجهزة الحديثة وأثر ذلك على حياة الناس .

فى الماضى كان علماء الاجتماع الريفى يعتقدون أن عواقب انتشار الأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة إنما هى من الأمور المستحبة والمرغوب فيها ، وعلى هذا قلما أخضعت للتحليل العلمى . ومع ذلك ، فإن التأكيد المستمر على خضوع الزراعة للتغير التكنولوجى جعل مما لا مناص منه حشد جهود أكبر فى مجال البحث فى علم الاجتماع الريفى لدراسة النتائج المترتبة على ذيوع الأفكار الجديدة وليس لدراسة ملحقات هذه الأفكار .

والمثال الذى نذكره فيما يلى يوضح العواقب الاجتماعية التى ترتبت على إدخال العربة إلى قرية من قرى الهنود فى القسم الجنوبى من ولاية «اريزونا» لأول مرة .

العجلات وما يجره دخولها فى حياة مجتمع ما من نتائج :

لم يكن هنود « الباباجو » الذين يعيشون فى القسم الجنوبى من ولاية « أريزونا » يعرفون شيئاً عن العجلات إلى أن أدخلها الرجل الأبيض إلى مجتمعهم الصغير . ونظراً إلى أنهم يعيشون فى منطقة صحراوية نائية عن العالم فإنهم لم يستعملوا العربات التى تسير على عجلات إلا فيما بعد عام ١٩٠٠ . لقد كان تبنى هنود « الباباجو » لفكرة العربات التى تسير على عجل نتيجة لبرنامج خاص تولى تطبيقه المكتب الأمريكى لرعاية شئون الهنود . لقد كانت الآثار البعيدة للعربة التى تسير على عجلات على الحياة اليومية ذات النمط البسيط الشائع فى القرى الصحراوية لا تدخل فى حساب من أدخلوها لأول مرة لأنهم لم يتوقعوا هذه الآثار .

وعناصر هذا المثال تدور حول العربة الأولى التى دخلت إلى القرية الهندية النائية فى الصحراء . لقد سبق لثلاثة أخوة لزعيم القرية أن رأوا

العربات التى تسير على عجلات عند ما كانوا يعملون بعيداً عن قريتهم فى إنشاء الخطوط الحديدية . وعند ما عاد هؤلاء إلى قريتهم ، أخذوا يحثون الزعيم على إحضار واحدة من هذه العربات إلى القرية .

وعند ما جاءت العربة بعد مضى ما يقرب من عام بدأت تحدث بعض التغيرات فى حياة هنود « البا باجو » وثقافتهم. ومنذ اللحظة الأولى لوصول العربة ، بدأ الهنود يستخدمونها استخداماً متواصلاً ، وسرعان ما حلت محل الجياد فى نقل الأثقال . كذلك استخدمت العربة فى نقل المياه من الينابيع إلى مساكن القرية . وقبل مجىء العربة كان الهنود يستخدمون الأوانى الفخارية لنقل المياه ، ولكن عند ما وضعت هذه الأوانى على العربة سرعان ما كسرت وسال الماء على الأرض ، وعلى ذلك تحول الهنود إلى البراميل المعدنية لأنهم وجدوا أنها لا تتعرض للكسر ، وترتب على ذلك أن اضمحلت صناعة الفخار بسرعة ثم اختفت بعد أن كانت الصناعة الرئيسية التى يعمل فيها نساء القرية .

وجاءت التغيرات فى حياة القرية بعد مجىء العربة تترى حيث أنشأ السكان طريقاً تسير عليه . كذلك انقطعت الأسفار الطويلة على ظهور الجياد إلى القرى المكسيكية وحل محل هذه الأسفار الطويلة رحلات قصيرة على العربات إلى المدن المجاورة . كذلك استخدمت العربة فى نقل المحاصيل والحطب إلى الأسواق القريبة وسرعان ما وجد الرجال مهنة جديدة فى جمع الحطب وأخشاب الحريق بعد أن كان النساء والأطفال يقومون بهذا العمل على نطاق ضيق ولأغراض الاستعمال المنزلى . إن التحول من أعمال الإعاشة الذاتية إلى أعمال التسويق الاقتصادى وما ينتج عن ذلك من صناعات مصاحبة مثل عمل السرج والبراميل المعدنية قد نتج عنه الربط الوثيق ما بين هؤلاء الهنود البدائيين وبين المجتمع الشائع فى أمريكا عن طريق إدخال أساليب جديدة .

فى هـذا المثال لم يكن الشخص أو الأشخاص المسئولون عن التغير الاجتماعى ، مدركين إدراكاً كاملاً كل ما لحق الحياة فى القرية من تغيرات. ويتساءل المرء فى عجب هل كان من الممكن أن يقبل الناس فى هذه القرية الهندية الفكرة المستحدثة لو لم تكن صادرة عن الزعيم ذاته ؟ ربما كان من الميسور التنبؤ ببعض النتائج التى وقعت فى القرية مثل الحاجة إلى طريق جديدة والإقلاع عن استخدام الخيول فى النقل لو أن هذه الأمور حدثت نتيجة لتخطيط سابق . على أنه ثمة نتائج أخرى تختلف عن هذه من حيث صعوبة التنبؤ بها حتى من جانب المخططين مثل التحولات التى طرأت فى توزيع الأعمال على الناس ، وكذلك الاعتماد المتزايد على الاقتصاد الأمريكى مما كان له أعمق الأثر على علاقات أهل القرية بأهالى القرى المجاورة .

النتائج المباشرة وغير المباشرة :

لقد أصبح لدينا الآن عدة دراسات على نتائج التغير التكنولوجى . ومن هذه الدراسات الأربع التالية :

١ — الدراسة التى قام بها « أوجبرن » و « جلفيليان » عام ١٩٣٣ حيث سجلا مائة وخمسين أثراً من آثار الراديو فى ثقافة أمريكا . هـذه الآثار انتشرت على مستويات ثلاثة : أول وثان وثالث .

لقد وجد هذان الباحثان أن الآثار المباشرة توجد النتائج الحاسمة .

٢ — الدراسة التى قام بها «برتراند» وآخرون عام ١٩٥٦ حيث أثبتوا أن النتائج التى ترتبت على ميكنة الزراعة فى الجنوب شملت ظهور المزارع الكبيرة وانتشار ملكية الأرض والزيادة فى التبادل التجارى والإقبال على توظيف العمال الزراعيين الفنيين .

٣ — الدراسة التى قام بها «كاربات» عام ١٩٦٠ لتتبع الآثار الاجتماعية

الناتجة عن تطبيق برنامج لميكنة الزراعة فى تركيا وكان هذا التتبع بعد انقضاء عشر سنوات على تطبيق البرنامج . لقد وجد « كاربات » أن ثمة نتائج لهذا البرنامج منها ما هو مباشر وما هو غير مباشر . من هذه النتائج ظهور المجتمع المدنى على أنقاض المجتمع الريفى لقلة الحاجة إلى العمال الزراعيين ، والتحول فى عادات الطعام والتغذية ، وظهور أعمال ووظائف جديدة مثل ميكانيكى القرية ، والدخول المتفاوتة بين الفلاحين الأغنياء الذين يمتلكون الآلات الزراعية وفقراء الفلاحين الذين لا يملكون مثل هذه الآلات .

٤ — البحث الذى قام به « بولوك » عام ١٩٥٧ وناقش فيه النتائج التى ترتبت على إدخال الآلات إلى الحياة العامة فى الولايات المتحدة ومنها زيادة نسبة المتعطلين بين الفنيين ، والحاجة المتزايدة إلى عمال على درجة أكبر من المهارة ، وازدياد أوقات الفراغ لدى العاملين ، وفتح الطريق أمام الأعمال الكبيرة المعتمدة على رؤوس أموال ضخمة .

هذه الدراسات الأربع تدل على أن كثيراً من المؤلفين يقسمون النتائج المترتبة على انتشار الأفكار المستحدثة إلى قسمين رئيسيين : قسم يقوم على أساس أن النتائج المباشرة أو الظاهرة هى من توابع التنظيم الاجتماعى أدخلت عليه باعتراف الأفراد وإرادتهم ، وقسم يقوم على أساس أن النتائج غير المباشرة أو الخفية أدخلت على التنظيم الاجتماعى دون علم الأفراد وبطريقة غير إرادية .

ومما يوضح لنا المقصود بالنتائج المباشرة وغير المباشرة للفكرة الجديدة الدراسة الأنثروبولوجية التى أجريت على تبنى إحدى القبائل لفكرة زراعة الأرز بطريقة الأرض المغمورة بالمياه (« لينتون » و « كاردنر » عام ١٩٥٢ ص ٢٢٢ — ٢٣١) . كانت هذه القبائل من النوع المتنقل الذى يزرع الأرز بالطرق المستخدمة فى زراعته بالأرض الجافة . وبعد كل

حصاد كانت القبيلة ترحل إلى مكان جديد . ومما هو جدير بالنظر أن تغيرات اجتماعية عديدة لحقت ثقافة هذه القبيلة بعد تبنيها للفكرة الجديدة الخاصة بزراعة الأرز بالطريقة المستخدمة فى الأراضى المغمورة بالمياه . كذلك نشأ نمط جديد من أنماط تلك الأرض وانتشرت تبعاً لذلك اختلافات عديدة فى المركز الاجتماعى لبعض أفراد القبيلة وظهرت بوادر الأسرة الثابتة ، كما تغيرت الحكومة القبلية . كانت نتائج التغير فى أسلوب العمل الفنى بعيدة الأثر كما كانت غير متوقعة . ويمكن القول هنا إن صفاً ثانياً من النتائج المترتبة على زراعة الأرز بالطريقة المستخدمة فى الأراضى المغمورة بالمياه قد خرج من صميم النتائج المباشرة .

الخير المفاجىء الذى يصيب بعض الفئات من وراء تبنى الفكرة المستحدثة :

وبالإضافة إلى النتائج التى تترتب على انتشار الفكرة الجديدة بالنسبة للتنظيم الاجتماعى بأكمله ، نجد أن منافع خاصة قد تصيب بعض الأفراد فى التنظيم الاجتماعى دون البعض الآخر . ونحن نجد أن فئة المتلكئين هم آخر من يتبنى الأفكار المستحدثة . وعند ما يحين الوقت الذى يبدأون فيه تبنى الفكرة الجديدة ، فإنهم فى العادة يكونون مرغمين على فعل ذلك بتأثير الضغوط الاقتصادية عليهم . ومن ناحية أخرى ، نرى أن فئة المبتكرين بحكم أسبقيتهم فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يظفرون عادة بنوع خاص من الكسب الاقتصادى يسمى الخير المفاجىء .

والخير المفاجىء هو المكاسب الاقتصادية التى تزيد على التكاليف والتى تدخل فى نصيب المتبنين الأوائل للفكرة الجديدة فى التنظيم الاجتماعى لأن سعر التكلفة على أساس الوحدة ينخفض فى العادة كما يصبح إسهامهم فى سبيل الإنتاج الكلى قليل الأثر فى ثمن ما ينتج . وبالرغم من ذلك ،

عند ما يتبنى جميع أفراد التنظيم الاجتماعى فكرة جديدة ، يزداد الإنتاج الكلى أو الكفاءة ، وبذلك ينخفض سعر السلعة أو تكاليف الخدمة .

والمبتكر للفكرة المستحدثة والمتبنى لها لا بد أن يخاطر لكى يصيبه هذا الربح غير المتوقع أو الخير المفاجىء . وليست جميع الأفكار الجديدة يصادفها النجاح عند ما توضع موضع التنفيذ وفى كثير من الأحايين يتعرض المبتكرون للأفكار المستحدثة لأضرار جسيمة . ومن الممكن بالطبع أن يتمخض تبنى الأفكار المستحدثة غير الاقتصادية أو غير المرغوب فيها عن « شر مفاجىء » أو خسارة غير متوقعة بالنسبة لأوائل المتبنين لها .

والخير المفاجىء هو نوع من الربح الاقتصادى يحصل عليه فريق من الناس فى التنظيم الاجتماعى ولا يحصل عليه فريق آخر . من ثم نقول إن الخير المفاجىء يمكن أن يكون مكافأة لفريق المبتكرين نظير استعدادهم للابتكار والتبنى ، كما يمكن أن يكون عقاباً لفريق المتلكئين مقابل تقاعسهم فى هذا المضمار . وبمعنى آخر ، نقول إن الأفكار الجديدة قد تزيد من ثراء الغنى وفقر الفقير .

ويدرك الكثير من الناس أهمية الخير المفاجىء أو المكاسب غير المتوقعة . وبعضهم قد تدفعهم الرغبة فى كسب هذا الخير إلى تبنى الأفكار الجديدة . وكما قال أحد الفلاحين لمؤلف هذا الكتاب فى إحدى المقابلات التى تطلبها البحث : « أظن أن كل فلاح تقريباً يدرك أن كافة الأشياء الجديدة التى تظهر إلى الوجود لا بد للمرء أن يستفيد منها بأسرع ما يمكن وأن يحصل على أكبر قسط من الفائدة من ورائها . الواقع أنك لن تستطيع أن تحصل على هذا القدر من الفائدة إذا انقضى على ظهورها إلى السوق عدة سنوات » .

ولكى نوضح طبيعة الخير المفاجىء أو المكاسب غير المتوقعة فإننا نعيد تحليل ودراسة المادة العلمية المأخوذة من بحث قام به « جروس » عام ١٩٤٢ فى ولاية « أيووا » عن الذرة الهجين . لقد ثبت أن المؤمنين بهذه الفكرة الذين طبقوها حوالى عام ١٩٢٠ جنوا أرباحاً تقدر بألفين وخمسمائة دولار أكثر من الأرباح التى جنتها جماعة المتلكئين الذين لم يطبقوا الفكرة إلا فى عام ١٩٤٠/١٩٤١. لقد ربح الفريق الأول هذه الأرباح غير المتوقعة ، وهى ما نسميه بالخير المفاجىء ، أولا لأن سعر الذرة كان حينئذ مرتفعاً وكان إنتاج هذه الفئة من الذرة كبيراً بسبب اتباعهم للفكرة الجديدة ، وثانياً لأن هذه الفئة أقبلت على تطبيق الفكرة المستحدثة بقوة فزرعت رقعة أكبر من الأرض مستخدمة بذور الذرة الهجين ، وثالثاً لأنهم ظلوا لبضعة سنوات يزرعون أرضهم بهذه الطريقة ويربحون من ورائها .

على أننا نود أن نشير هنا إلى أن الذرة الهجين قد لا تكون الفكرة المستحدثة النموذجية فى مجال الزراعة من ناحية أرباحها غير المتوقعة أو خيرها المفاجىء . لقد تميزت هذه الفكرة المستحدثة بميزة خاصة ألا وهى قابليتها للإتيان بأرباح كبيرة ، كما أنها من الأفكار التى لا يتبناها الناس بسرعة ، أى أن معدلات تبنيهم لها ضعيفة . لقد نتج عن هذين العاملين مجتمعين خير مفاجىء كبير . على أن هذا الخير المفاجىء كان يمكن أيضاً أن يتأثر بعض الشىء بالأزمة الاقتصادية التى وقعت فى مطلع عام ١٩٣٠ .

ومهما يكن من شىء فإن التوزيع الإحصائى العام للأرباح المفاجئة التى يجنيها المبتكرون فى مجال الذرة الهجين قد يصلح لأفكار جديدة أخرى . ومما لا شك فيه أننا فى حاجة ماسة إلى دراسة أخرى تحليلية اقتصادية شبيهة بهذه الدراسة وكذلك إلى أفكار مستحدثة أخرى فى مجال الزراعة وفى غيرها من المجالات .

استراتيجية التغيير :

إنه لمن أصعب الأمور أن نقرر عدداً من التوصيات العامة تصلح لجميع دعاة التغيير و تناسب كافة المواقف . مثل هذه التوصيات تكون فى العادة عديمة الفائدة خارج نطاق موقف بذاته لأنها لا تتسم بطابع العمومية عند التطبيق . وهذا القسم من الكتاب ماهو إلا محاولة بسيطة لإقرار إستراتيجية للتغير تتسم بعمومية أكبر ، إستراتيجية ولو أنها ممثلة بأمثلة نوعية ، فإنها ينبغى أن تصلح للتطبيق على أكبر عدد ممكن من الوحدات الجماهيرية التى يعمل فيها دعاة التغيير .

١ — أى برنامج يستهدف التغيير ينبغى أنه يفصل بحيث يلائم القيم الثقافية والخبرات السابقة :

وأحد الأمثلة الموضحة لهذه القاعدة العامة تأتى إلينا من إحدى الجمهوريات الواقعة فى أمريكا اللاتينية . يقول المثال إن لبن الأمم المتحدة المجفف وزع لأول مرة فى إحدى القرى النائية ، وفى نفس الأسبوع الذى وزع فيه اللبن انتشر وباء الجدرى فعزى الناس الوباء إلى اللبن المجفف . ولسنا فى حاجة إلى القول هنا إن كافة الجهود التى بذلها المشرفون الاجتماعيون وأخصائيو الخدمة العامة وغيرهم من دعاة التغيير لحث الناس على قبول هذا اللبن قد باءت كلها بالفشل .

مثل آخر نجده فى قصة مهندس الرى الذى ينتمى إلى إحدى دول الشرق الأقصى والذى حضر إلى الولايات المتحدة للتدريب على أحد برامج المعونة ثم عاد إلى بلده مقتنعاً بقيمة حفر الآبار لرى الأرز . وبعد أن نجح فى حفر ما يقرب من مائة بئر فى قرى منعزلة اكتشف أن أهالى هذه القرى لا يستخدمون الآبار إذ أن السكان المحليين كانوا يعتبرون الماء المستمد من

هذه الآبار « صناعياً » واعتقدوا أن ذلك الماء ليس طبيعياً كالماء الذى يأتى به المطر . ولما كان هؤلاء الفلاحون يخشون أن يؤذى هذا الماء زراعتهم فإنهم رفضوا بشدة أن يتبنوا الفكرة الجديدة وأن يستمدوا ماءهم من الآبار ونتج عن ذلك أن تعطل عمل الآبار المائة ثم تلاشت .

ونحن قد ذكرنا فى هذا الكتاب أمثلة أخرى تشير إلى أهمية تخطيط برامج التغيير وبنائها على أسس من القيم الثقافية السائدة . لقد تحدثنا عن عقدة البرودة والسخونة فى إحدى قرى جمهورية بيرو ، وفشل زراعة الذرة الصيفى فى ولاية « كانزاس » ، ورفض الناس فى الولايات المتحدة لشراء نوع من مسكنات الصداع لأنه يؤخذ بدون الماء ، كل هذه الوقائع توضح أهمية القيم الثقافية والخبرات السابقة فى ذيوع الأفكار المستحدثة .

ومعظم دعاة التغيير من أخصائيين اجتماعيين وخبراء فى الخدمة العامة يملكون قيماً ثقافية تختلف بعض الشىء عن تلك التى لدى الجماهير التى يعملون وسطها . هذا الكلام يصدق بصفة خاصة على دعاة التغيير الذين يعملون فى بيئات غير بيئاتهم حيث تتعارض الثقافات وتختلف . وما لم يكن الداعية على إدراك كامل بالقيم السائدة بين الجماهير التى يخدمها ، فإنه قد يفسد ما بينه وبين هذه الجماهير من علاقات وذلك فى كل مرة يحاول أن ينشر بينهم فكرة مستحدثة .

لقد ذكرنا مراراً فى مواضع مختلفة من هذا الكتاب مؤكدين بأن المعايير السائدة فى تنظيم اجتماعى معين ، وبخاصة تلك المتعلقة بقابلية الناس لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها ، لها تأثير كبير على ذيوع الأفكار الجديدة . وهذه النقطة قد توحى بأن داعية التغيير ينبغى له أن يسعى إلى تغيير المعايير السائدة بين جمهوره بشأن قابليتهم لابتكار الأفكار وتبنيها لا أن يعمل على نشر الأفكار المستحدثة . مثل هذه الاستراتيجية تعتبر صحيحة من ناحية أصول علم الاجتماع وأسسه ، ولكنها عند التطبيق قد تكون صعبة التنفيذ .

٢ — جمهور الداعية يجب أن يحس بالحاجة إلى تبنى الفكرة المستحدثة قبل أن ينجح الداعية فى نشرها :

والحاجة إلى الفكرة يجب أن توجد لدى الناس أولاً وإن كان الداعية فى مقدوره أن يعمل على تقوية هذه الحاجة .

لقد لخص « دوبنز » عام ١٩٥١ تحليله لعجز هنود « الباباجو » عن تبنى فكرة جديدة فى رى المحاصيل فى الفقرة التالية :

« إن أى تغيير تكنولوجى لا بد أن ينجح بدرجة تتناسب تناسباً طردياً مع مدى شعور الناس بحاجتهم إلى هذا التغيير ، ومدى سعيهم إلى إدخال هذا التغيير فى حسابهم عند التخطيط والتنفيذ » .

على أن الأمر لا يتوقف على هذا فقط ، بل إن الداعية لا بد أن يكون اختياره للأفكار المستحدثة التى ينوى إدخالها على حياة جمهوره قائماً على أساس حاجتهم الفعلية لهذه الأفكار . لقد ذكر « ميد » عام ١٩٥٥ أن « التجربة علمتنا أن التغيير قد يحدث على أحسن صورة ممكنة ليس بطريق مركزية التخطيط ولكن بعد دراسة عميقة للحاجات المحلية » .

٣ — ينبغى أن يكون الدعاة أكثر اهتماماً بتطوير قدرات جمهورهم فى مجال تقييم الأفكار الجديدة منهم بنشر هذه الأفكار كما هى :

لقد اقترح « يونج » عام ١٩٥٩ أن برنامجاً طويل المدى لتغيير القيم قد يكون إستراتيجية للهجوم أكثر ملاءمة لبعض الدعاة من مجرد طريقة عادية من طرق إدخال الأفكار المستحدثة إلى المجتمعات البشرية .

يعتقد كثيرون من الكتاب أن الفلسفة المثلى الصالحة للدعاة جميعاً هى « كلما عمل الداعية كانت النتائج أفضل » . والواضح أنه لا ينبغى التوصية

بكافة الأفكار المستحدثة لدى جميع أفراد التنظيم الاجتماعى . ويؤكد « يونج » هذه النقطة بالكلام التالى :

« إذا قارنا الأوضاع فى مجال نشر الأفكار المستحدثة بتلك السائدة فى المصانع نقول إن من ينتج آلات الغزل والنسيج يجب ألا يدعى بأن قطعة معينة من آلاته سوف تعطى أرباح أكبر فى حالة استخدامها فى كافة أنواع المصانع على اختلاف أحجامها وقدراتها . نفس الشىء يصدق على أية طريقة جديدة من طرق الزراعة . والزراعة القائمة على أسس علمية تعتمد اعتماداً كلياً على استخدام أساليب فنية معينة وهى تؤكد أهمية هذه الأساليب دون النظر إلى المشروع الزراعى الذى تطبق فى داخله هذه الأساليب . ومن الجائز الآن أن نرى أحد الاقتصاديين الزراعيين أو أحد الإداريين فى مجال الأعمال يقيم طريقة معينة ، سواء فى ميدان الزراعة أو التجارة ، على أساس ما إذا كان مشروع من المشروعات يمكن أن يستخدم هذه الطريقة ومتى يستخدمه » .

ودعاة التغيير قد يكون من واجبهم السعى إلى تزويد جماهيرهم باتجاهات سليمة إزاء الأفكار الجديدة ، كما أنه من واجبهم ألا يتشددوا فى حث هذه الجماهير على تبنى أفكار مستحدثة بمفردها رغبة فى تبنيها هى بالذات . الواقع أن لدينا من الشواهد ما يثبت أن التشدد فى حث الجماهير على تبنى أفكار مستحدثة معينة عن طريق إقامة الحملات المنظمة قلما ينجح فى تغيير السلوك ، على الأقل فى المدى القصير .

٤ — ينبغى أن يركز الدعاة جهودهم على قادة الفكر فى المراحل الباكرة من ذيوع الفكرة المستحدثة :

ووجود قادة الفكر فى التنظيم الاجتماعى من شأنه أن يهيىء للدعاة أداة أشبه بذراع المضخة يضخون بها الأفكار الجديدة التى تتدفق وسط

الجماهير فى كل مرة يحدث الضخ . وثمة دراسة قام بها فى سيلان « ويليكالا » عام ١٩٥٩ وتدل على أن معدلات التبنى للأفكار الجديدة فى القرية تتفق تماماً مع معدلات التبنى لدى فئة قادة الرأى فى هذه القرية . لقد وجد « روشكا » عام ١٩٦١ أن دعاة التغيير الاجتماعى فى المناطق الريفية الألمانية يفضلون اختيار عدد من الفلاحين الذين يصلحون لكى يكونوا قدوة لغيرهم على أن تكون هذه النخبة على قدر عال من القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها وفى نفس الوقت على درجة قليلة من القيادة الفكرية وذلك للوصول إلى أكبر قدر من الفاعلية فى مجال نشر الأفكار الجديدة .

٥ — النتائج الاجتماعية للأفكار المستحدثة ينبغى أن نتوقعها كما ينبغى أن نحول دون ظهورها إذا كانت غير مرغوب فيها :

والدراسات التى تدور حول نتائج الأفكار المستحدثة وهى الدراسات التى جاء ذكرها فى مطلع هذا الفصل من شأنها أن توضح هذه الإستراتيجية. على أنه من سوء الحظ ، كما قلنا ، أن العديد من النتائج المترتبة على انتشار الفكرة المستحدثة لا يمكن للمرء أن يتوقعها .

وكجزء من برنامج المعاونة الفنية الأمريكى فى إحدى دول الشرق الأدنى تم إدخال أنواع جديدة من المحاصيل والأسمدة والأجهزة والأدوات المستخدمة فى الزراعة . لقد ازداد انتاج الطعام بدرجة كبيرة كنتيجة لهذا البرنامج الذى يهدف إلى إحداث التغيير فى حياة الناس والبلاد المنفذ فيها ولكن النتائج الاجتماعية المترتبة على تنفيذ هذا البرنامج لم تعرف مقدماً . فقبل تنفيذ البرنامج كانت فى هذه البلدان أغلبية من الفلاحين ذوى الدخول الضعيفة وأقلية من ذوى الدخول العالية . كانت الأفكار المستحدثة فى الزراعة ، وبخاصة استخدام الآلات الحديثة ، ذات أهمية خاصة بالنسبة للفريق الثانى من الفلاحين إذ كانوا يمتلكون أجزاء كبيرة

من الأرض . ففي حين ارتفعت دخول أفراد الفريق الأول بقدر بسيط ، تضاعفت دخول الفريق الثانى عدة مرات . و بمرور الوقت زادت الهوة اتساعاً بين دخول الفلاحين العاديين ودخول الفئات الممتازة منهم وترتب على ذلك أن تعرض البرنامج كله لكثير من النقد العنيف فى منطقة الشرق الأوسط كلها .

* * *

الملخص :

إن داعية التغيير الاجتماعى ، سواء أكان أخصائياً اجتماعياً أو خبيراً فى الخدمة العامة ، إنما هو شخص ينتمى إلى فئة المهنيين وهو يعمل على نشر الأفكار الجديدة وتبنى الناس لها بطريقة يشعر أنها سليمة . وداعية التغيير الاجتماعى يعمل فى محيطه كصلة وصل بين تنظيم فنى وتنظيم آخر اجتماعى هو محيط جمهوره . ومدى الجهود الإنشائية التى يقوم بها دعاة التغيير الاجتماعى إنما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى تبنى الناس للفكرة المستحدثة ، و بالرغم من ذلك نقول إن الصلة بين المدى الذى تذهب إليه جهود دعاة التغيير والمعدل الذى يتم التبنى بمقتضاه قد لا يسيران فى خط واحد . و بمجرد أن تتبنى نسبة مئوية معينة من بين أفراد الوحدة الجماهيرية الفكرة المستحدثة فإن هذه قد تنتشر عن طريق الاتصال الشفوى بعد جهد آخر بسيط من جانب الداعية .

ودعاة التغيير فى ميدان التجارة مثل البائعين الجائلين والوكلاء التجاريين هم أكثر أهمية فى مرحلة التجريب منهم فى مرحلة أخرى خلال عملية التبنى ، كما أنهم كذلك بالنسبة لفئة المتبنين الأوائل منهم بالنسبة للمتبنين الأواخر فى مرحلة التجريب . و يشير العديد من الدراسات إلى أن دعاة التغيير فى ميدان التجارة قلما يحظون بتصديق جماهيرهم لكل

ما يقولون اذ أن هؤلاء قد يشعرون بأن أفراد تلك الفئة يميلون إلى المبالغة فى الترويج للأفكار الجديدة .

ودعاة التغيير لديهم من الاتصالات مع ذوى المركز الاجتماعى مايفوق اتصالاتهم مع الفئات الفقيرة . والنتائج الاجتماعية المترتبة على ذيوع الأفكار المستحدثة على نوعين :

١ — النتائج المباشرة أو الظاهرة . وهى النتائج المقصودة والمعترف بوجودها .

٢ — النتائج غير المباشرة والخفية . وهى النتائج غير المقصودة وغير المعترف بوجودها من قبل الممارسين لها فى وقت تبنيهم لها .

والخير المفاجىء ، أو الفوائد غير المتوقعة ، هو العائد الاقتصادى الزائد على التكاليف وهذا العائد يدخل ضمن الأرباح التى يجنيها المتبنون الأوائل لأية فكرة جديدة فى التنظيم الاجتماعى لأن وحدة التكاليف لديهم ينالها الانخفاض عادة وإضافاتهم على الإنتاج الكلى لا تؤثر على ثمن المنتج إلا قليلاً .

لقد تم التفكير فى وضع إستراتيجية للتغيير تتضمن أولاً برنامجاً للتغيير يقاس خصيصاً لموافقة القيم الثقافية والتجارب السابقة ، وثانياً جمهوراً يستطيع أن يدرك الحاجة إلى الفكرة المستحدثة قبل أن يكون من المستطاع تبنيها بنجاح ، وثالثاً اهتماماً خاصاً من جانب دعاة التغيير لتنمية قدرات جمهورهم فى مجال تقييم الأفكار الجديدة وللتقليل ما أمكن من ميل أفراد هذا الجمهور إلى تطبيق هذه الأفكار كما هى دون وعى ، ورابعاً ضرورة أن يركز دعاة التغيير اهتمامهم على فئة قادة الرأى فى صفوف جمهورهم وخاصة فى المراحل الأولى من تبنى الفكرة المستحدثة ، وخامساً ضرورة الأخذ فى الاعتبار النتائج الاجتماعية للفكرة المستحدثة وتوقع هذه النتائج والعمل على الحيلولة دون ظهورها إذا كانت غير مرضية .

الفصل العاشر

التنبؤ بقابلية الناس لتبني الأفكار المستحدثة

« طلبت مؤسسة كبيرة من مؤسسات الأدوية من أقطاب علم الاجتماع أن يضعوا لها تقريراً يتنبأون فيه بمدى نجاح عقار يضاف إلى علف حيوانات اللحم فيزيد من وزنها ، والفرص المحتملة لرواج هذا العقار . أما إدارات الإعلان التابعة للمؤسسة فلم تول اهتمامها لفئة المتحفزين المتنبهين الذين يبحثون عن المنتجات الحديثة عند رجال العلم ، بل حشدت قواها الإعلانية بين طبقات المتوسطين من الفلاحين ومربى المواشى . وبعد مرور عام كامل ، قامت هذه الإدارات بحملة إعلانية محلية فى صميم التوقعات المنتظرة من وراء استخدام هذا العقار . وبعد مرور خمس سنوات على ظهور هذا العقار بلغت نسبة المبيعات للعقار الجديد بين مربى الأغنام ٢ فى المائة من المبيعات التى كانت متوقعة » .

مجلة « أسبوع الأعمال »

(عدد مارس عام ١٩٥٩)

أحد الأهداف الخاصة بنظريات علم الاجتماع هو إيجاد الأساس للتنبؤ بالسلوك الإنسانى . وهذا التنبؤ لايكون مفهوماً مالم يكن مؤسساً على نظريات خاصة ، ومتكاملاً من الناحية المنطقية . والفصل الحالى هو محاولة لعرض وسيلتين من وسائل التنبؤ بقابلية الناس لتبنى الأفكار المستحدثة . وعند ما يصل البحث فى هذا الموضوع إلى نقطة نستطيع عندها أن نقرر « متى » يتم التبنى لفكرة جديدة و « من » الذى يتبناها فإن نتائج هامة من الناحية النظرية والعملية ينبغى أن تظهر لنا .

وطبيعة هذا الموضوع تعنى بالضرورة أن هذا الفصل سوف يكون أكثر ميلاً إلى الناحية النظرية الفلسفية مما سبق من فصول .

الدراسات السابقة فى موضوع التنبؤ بإمكانية التبنى للأفكار المستحدثة :

لقد أكمل علماء الاجتماع عدداً من الدراسات عن التنبؤ فى المجالات التالية :

١ — نجاح الطلاب فى استيعاب المعلومات فى المدرسة الثانوية والكلية العالية .

٢ — الانحراف السلوكى لدى المراهقين .

٣ — نجاح التدريب فى إحدى كليات الطيران .

٤ — التوفيق فى الزواج .

٥ — نجاح نظام إطلاق سراح المجرمين بكلمة الشرف .

فى هذه الدراسات التحليلية ، كان الاتجاه الأساسى هو الوصول إلى قواعد عامة تحكم إمكانية التنبؤ بأن أشخاصاً لهم صفات معينة سوف يتصرفون وفقاً لأسلوب خاص .

والنماذج الخاصة بالسلوك الإنسانى المحتمل إزاء هذه الصفات هو النمط الغالب على جميع الدراسات التى أجريت فى الماضى على التنبؤ . أما الطرق التى استخدمت فى هذه الدراسات فمن المأمول أن تثبت فائدتها فى مجال محاولة التنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة . والعديد من الدراسات التحليلية التى أجريت على موضوع التنبؤ تستخدم معامل ارتباط متعدد الحدود كأداة إحصائية من أدوات التحليل .

التنبؤ على أساس معامل ارتباط متعدد الحدود :

ومعامل الارتباط متعدد الحدود هو طريقة إحصائية تكون فيها سلسلة المتغيرات « المستقلة » جزءاً من متغير واحد « تابع » ، وهو فى الحالة

التى نحن بصددها القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة . والقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة هى درجة السبق التى يحرزها الشخص فى مجال الإسراع إلى تبنى الأفكار الجديدة قبل غيره من الأعضاء الآخرين فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتسب إليه . أما هدف الطريقة القائمة على معامل الارتباط متعدد الحدود فهو تفسير أكبر عدد ممكن من التغيرات التى يعبر عنها المتغير التابع ومن الممكن تحديد الجزء النسبى فى كل متغير مستقل عنـــد تفسير المتغير التابع .

وبدرجات متفاوتة من النجاح استخدم عدة علماء فى علم الاجتماع معامل ارتباط متعدد الحدود للتنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة . وفى هذه الدراسات أمكن التنبؤ بما مقداره من ١٧ إلى ٥٦ فى المـائة من التغيرات فى مجال إمكانية التبنى . أما نتائج هذه الدراسات فيلخصها الجدول رقم (١٠ — ١) . وفى الدراسات السابقة التى أجريت على التنبؤ نجد خمسة أنماط من المتغيرات هى الغالبة . هذه الأنماط هى اتجاهات الفرد ، وطبيعة العملية ، والتنظيم الاجتماعى ، والعلاقات الموجودة بين الشخص موضوع الاستفتاء وبين غيره من أفراد الجماعة ، والسلوك الذى يتبعه الشخص فى اتصالاته مع غيره وطبيعة هذه الاتصالات . ومما يجدر التنويه عنه هنا أن عدة تعاريف وعدة معايير قد استخدمت فى هذه الدراسات وعلى ذلك فمن الصعب إحداث مقارنة دقيقة بين هذه الدراسات بعضها ببعض . ومع ذلك ، فكل هذه الدراسات سارت فى نفس الاتجاه الأساسى . ومن المهم جداً ملاحظة أن جميع هذه الدراسات باستثناء واحدة تمت على أساس استفتاء الفلاحين . وليس لدينا من الشواهد حتى الآن ما يثبت أن هذه العلاقات هى نفسها التى نجدها فى تنظيمات أخرى من التنظيمات الاجتماعية .

جدول رقم (١٠ – ١)

ملخص المحاولات السابقة للتنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة عن طريق استخدام معامل الارتباط المتعدد الحدود .

اسم الباحث	أهم المتغيرات المستقلة التى استخدمت فى البحث	النسبة المئوية للتغير فى القابلية للتبنى وهو التغير موضوع التفسير
١ — كوب (١٩٥٦)	صافى الدخل من العمل فى الزراعة، والتفرغ للعمل واتقانه ، والمرونة العقلية .	٥٠,٠٠
٢ — فليجل (١٩٥٦)	الجو العائلى ، والاتصالات للحصول على المعلومات، ومستوى المعيشة ، والاتجاه إزاء الأفكار المستحدثة .	٣٢,٠٠
٣ — كوب (١٩٥٨)	صافى الدخل من العمل فى الزراعة ، وعضوية المنظمات الزراعية ، والقدرة على التمييز ، ومستوى المعيشة .	٥٢,٠٠
٤ — روجرز (١٩٥٨)	موقف الفرد إزاء التغيير ، والمركز الاجتماعى ، والقدرة على الاتصال .	١٧,٠٠
٥ — أرمسترونج (١٩٥٩)	المركز الاقتصادى للفلاحين ، ودرجة التحول من حياة القرية الى حياة المدينة ، والتخصص فى إدارة المزارع ، والموقف إزاء الدعاة فى مجال الاقتصاد.	٤٢,٠٠

اسم الباحث	أهم المتغيرات المستقلة التي استخدمت في البحث	النسبة المئوية للتغير في القابلية للتبني وهو التغير موضوع التفسير
٦ — هوبز (١٩٦٠)	الانفتاح على العالم الخارجى ، والإدراك لأهمية التغيير ، ومعلومات الأفراد عن الفكرة المستحدثة ، والإدراك أم التوجيه التقليدى فى العمل ، وصافى الدخل من العمل فى الزراعة ، وحجم المزرعة .	٢٩,٧٠
— سايزر وبورتر (١٩٦٠)	معلومات الأفراد عن الفكرة المستحدثة ، والمركز الاجتماعى ، والتعليم ، والنشاط الاجتماعى .	٢٥,٨٨
٨ — ستراوس (١٩٦٠)	القيمة النهائية ، والتعليم ، ومعاونة الزوجة .	٣٣,٦٤
٩ — روجرز وهافن (١٩٦١)	صافى الدخل من الزراعة ، والاعتقاد فى الخرافات والسحر ، وفى مجال الزراعة ، وروح المغامرة ، والمركز الاجتماعى .	٥٦,٢٧
١٠ — كوهن (١٩٦٢)	الانفتاح على العالم الخارجى ، والقيم الذاتية للأفراد ، ودخل العائلة .	٥٤,٧٦

مثال التنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة بين زراع الخضر :

نتحدث هنا بالتفصيل عن دراسة تمت فى مجال التنبؤ لعل القارىء يستطيع أن يفهم الخطوات الفنية التى تتضمنها هذه الدراسة . أما المادة العلمية فى هذه الدراسة فتأتى من المقابلات الشخصية مع أفراد عينة عشوائية مكونة من ٧٦ مزارعاً من مزارعى الخضر فى قرية من قرى ولاية «أوهايو» . ومن الواجب ملاحظة أن مقياس القابلية للتبنى هنا كان أكثر حساسية من المقاييس الأخرى التى استخدمت قبلاً طالما أنه قد أخذ فى اعتباره ليس فقط موضوع التبنى أو عدم التبنى بل أيضاً الزمن النسبى الذى عاشته كل فكرة من الأفكار السبع عشرة المستحدثة فى مجال زراعة الخضراوات عند كل فلاح من فلاحى العينة .

وثمة مقاييس أربعة ينبغى أن تستخدم عند اختيار المتغيرات التى لا بد أن ترتبط مع المتغير التابع فى تحليل لمعامل ارتباط قائم على أساس تعدد الحدود . هذه المقاييس هى :

١ — كل متغير مستقل ينبغى أن يكون مرتبطاً بدرجة عالية مع المتغير التابع .

٢ — كل متغير مستقل ينبغى أن يكون له علاقة داخلية ضعيفة مع كل متغير مستقل آخر .

٣ — العدد الإجمالى للمتغيرات ينبغى أن يقل بسبب ماتتطلبه من جهد حسابى ولزيادة الاتجاه العملى .

٤ — ينبغى أن يكون هناك قدر من التطابق النظرى والعملى فى نطاق علاقة كل متغير مستقل مع المتغير التابع .

وعند استعمال هذه المقاييس الأربعة لا بد من اختيار خمسة متغيرات مستقلة فى تحليل قائم على معامل ارتباط متعدد الحدود للتنبؤ بالقابلية للتبنى . هذه المتغيرات المستقلة هى المعايير السائدة فى البيئة عن القابلية للتبنى

وحجم العمليات الميدانية ، والقيادة الفكرية كما يراها الشخص فى نفسه ، والسلوك الاتصالى برجال العلم ، والمركز الاجتماعى .

والتطابق النظرى والعملى لهـذه المتغيرات الخمسة الأساسية فى التنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة يمكن أن نتحدث عنه بالطريقة التالية :

١ ـ المركز الاجتماعى هو الدلالة الخاصة بموضع الفرد من التنظيم الاجتماعى . هـذا المركز إما أن يحبط جهود الفرد للتوصل إلى مصادر المعلومات وإما أن يدفعها إلى الأمام ، وكذلك رغبته فى الانحراف عن معايير الجماعة .

٢ ـ المعايير هى أنماط السلوك الشائع بين أعضاء التنظيم الاجتماعى المعين . أما معيار البيئة الشائع فى مجال القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة فهو عبارة عما تتوقعه البيئة من الفرد الذى يحس بضرورة الخضوع لهذا الالتزام .

٣ ـ السلوك الاتصالى هو المعبر عن الدرجة التى يبلغها الفرد فى مجال الرغبة فى البحث عن المعلومات وعن النصيحة ، كما يعبر عن مدى ما ننتظره من الفرد فى مجال الاستعداد لتبنى الأفكار المستحدثة .

٤ ـ حجم العملية الميدانية ويقصد بهـذا التعبير طاقة وأبعاد المصادر المتاحة للعمل بكل أنواعه فى مجال الأفكار المستحدثة .

٥ ـ القيادة الفكرية تقاس بأسلوب ذاتى يعكس رأى الشخص فى نفسه . والأفراد الذين يمتلكون درجة أكبر من القيادة الفكرية نتوقع منهم عادة أن يكونوا أكثر قابلية لتبنى الأفكار المستحدثة .

وهذه المتغيرات المستقلة الخمسة أسندت إلى القابلية للتبنى بطريقة قائمة على أساس معامل الارتباط متعـدد الحدود . لقد دلت النتائج على أن ٦٤,١ فى المائة من التغير فى القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة ، أى المتغير التابع ، يفسرها الأثر الموحد للمتغيرات الخمسة المستقلة وهذا هو أعلى قدر

من التغير عرفناه حتى الآن فى مجال القدرة على تبنى الأفكار المستحدثة . وكمية التغير فى القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة كما يفسرها كل متغير من المتغيرات الخمسة المستقلة هى : المعايير السائدة فى البيئة عن تبنى الأفكار المستحدثة ويفرد لها ٢٠ فى المائة ، وحجم العملية ويفرد له ١٤,٤ فى المائة، والقيادة الفكرية ويفرد لها ١٤,٤ فى المائة ، والسلوك الاتصالى ويفرد له ٨,٩ فى المائة ، والمركز الاجتماعى ويفرد له ٤,٦ فى المائة .

وعند المقارنة بالدراسات السابقة المبينة بالجدول رقم (١٠ - ١) نجد أن أكبر قدر من التغير (ومجموعه ٦٤,١ فى المائة) الذى يفسره أسلوب التنبؤ القائم على معامل الارتباط الحالى المتعددة الجدود ، سببه إدخال متغير سبق استخدامه وهو الخاص بالمعايير السائدة فى البيئة بشأن القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة .

هذا الاكتشاف يوحى بأهمية إسناد القابلية للتبنى لدى الفرد إلى المعايير الاجتماعية السائدة ، وإلى الصفات الاجتماعية المميزة وذلك فى البحوث المستقبلة .

ومن هذا يمكن الحصول على معادلة للتنبؤ يدخل فى تكوينها قيم المتغيرات المستقلة ، وبذلك تعطينا قيمة مساوية للتنبؤ بقابلية الفرد فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة . والمتغيرات الخمسة ثبت أنها تفسر جزءاً كبيراً من الاختلاف والتباين فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة. وإن الدراسات المستقبلة التى سوف تستهدف تحليل أى سلوك مشابه من الجائز أن تستخدم هذه المتغيرات على أساس معامل ارتباط متعدد الحدود للتنبؤ عن القابلية لتبنى فكرة أو أفكار مستحدثة . وقد يكون من الممكن استخدام المتغيرات الخمسة التى جاء ذكرها فى هذه الدراسة لوضع تنبؤات لمجموعة من الأفراد مجهولة لدينا ـ وهى المجموعة التى يطلق عليها عينة الإثبات . وفى معظم

الحالات نجد رغبة ، من السهل فهم دوافعها ، للتنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة بين أفراد العينات التى تكونها مستقبلاً .

التنبؤ على الأساس التشكيلى :

وثمة مسلك ثان من المسالك المتبعة فى التنبؤ هو المسلك التشكيلى . هذه الطريقة تتكون من تقسيم العينة الشاملة للأشخاص موضوع الاستفتاء إلى عينات أصغر تمتاز بالتجانس . وكل عينة من هذه تعامل على أساس أنها وحدة منفصلة فى مجال التحليل طالما أن لها تشكيل خاص بها مكون من متغيرات مستقلة . وبعد سلسلة من الانهيارات المتتالية على أساس المتغيرات المستقلة التى تقسم فى العادة إلى شقين متماثلين أو إلى ثلاثة شقوق متماثلة ، يمكن حساب احتمالات تحقيق الهدف المطلوب .

والمسلك التشكيلى يمكن توضيحه بالمادة العلمية المستمدة من نفس البحث الاستقصائى الذى أجرى فى ولاية « أوهايو » كما فى الحالة السابقة من حالات التنبؤ على أساس معامل الارتباط المتعدد الحدود . وفى الشكل رقم (١٠ - ١) استخدمت متغيرات أربعة مستقلة للتنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة هى المعايير السائدة فى البيئة بشأن القابلية للتبنى، وحجم العملية الميدانية، والقيادة الفكرية ، والسلوك الاتصالى مع الأفراد العلميين. هذه المتغيرات اختيرت لإبراز المسلك التشكيلى وكانت هى المتغيرات الأربعة التى فسرت أكبر قدر من التغير والتباين فى القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة فى نطاق معامل الارتباط المتعدد الحدود . والمسلك التشكيلى يخطط للتنبؤ على أساس مادة علمية معينة وذلك عند ما تكون المقاييس على قدر قليل من الدقة .

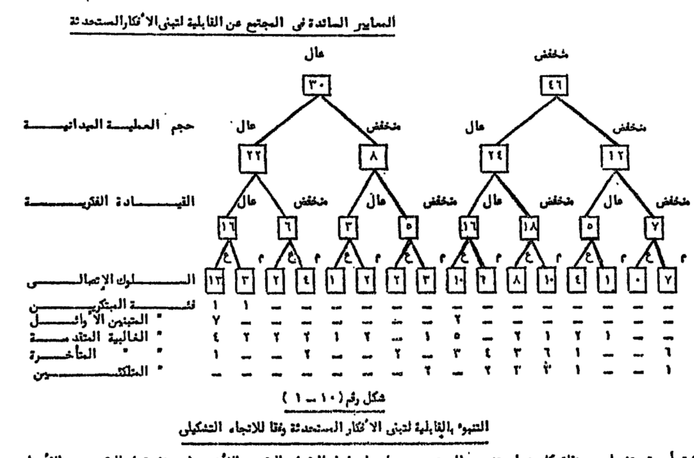
وبنظرة فاحصة إلى الشكل رقم (١٠ - ١) يمكن أن نتبين أن المسلك التشكيلى قد يكون على درجة كبيرة من الكفاية فى مجال التنبؤ بالقابلية

لتبنى الأفكار المستحدثة . والدرجة النسبية للنجاح فى مجال التنبؤ يوضحها الجدول رقم (١٠-٢) .

وحتى بمساعدة المادة العلمية العشوائية المبينة فى الشكل رقم (١٠-١)، من الممكن التعرف على تشكيلات معينة خارجة عن السياق العادى مثل الفلاحين الثلاثة الذين حققوا درجات ثلاث عالية ودرجة واحدة منخفضة (عال - عال - عال - منخفض) . أحد الفلاحين من هذا التشكيل يعيش فى بيئة لها معيار أجتماعى يشجع تبنى الأفكار المستحدثة وهو (عال) فى حجم العملية الميدانية ، ويملك درجة عالية فى القيادة الفكرية (عال) ، وله درجة منخفضة فى السلوك الاتصالى (منخفض) ، ولكنه ينتمى إلى فئة المبتكرين. ومن الجائز أنه يسمع عن الأفكار المستحدثة من أقرانه ذوى القابلية إلى تبنى هذه الأفكار والذين يعيشون معه فى مجتمع واحد . وهذا التصوير يوضح ميزة واحدة من ميزات المسلك التشكيلى يمتاز بها على طريقة معامل الارتباط المتعدد الحدود . والطريقة التشكيلية تبرز الشواذ أو المنحرفين عن مسارات العلاقات العامة بين المتغيرات . والمسلك التشكيلى يرغم الباحث على أن يصبح أكثر دراية بمادته التى يجرى عليها الدراسة . وفى مقدور الباحث أن يتتبع فرداً معيناً من خلال المتغيرات المختلفة المستقلة ويحدد بالضبط أى العوامل مسئولة أكثر عن مكانه على خط القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة .

الاتجاهات المستقبلة فى مجال التنبؤ :

حاولنا فى هذا الفصل أن نتعرض لطريقتين للتنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة وهما معامل الارتباط المتعدد الحدود والمسلك التشكيلى. والآن، من الممكن التفكير فى عدة أمور للتوصل إلى بحوث أفضل فى مجال التنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة .



شكل رقم (١٠ ــ ١)

التنبوء بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة وفقا للاتجاه التشكيلى

ثمة أربعة متغيرات مستقلة كل منها متشعب الى شعبتين احداهما (عالية) التقدير والأخرى (منخفضة) التقدير . والأعداد الموجودة فى كل مربع تمثل عدد زراع الخضراوات مع كل تشكيل خاص من تشكيلات المتغيرات المستقلة

جدول رقم (١٠ — ٢)

الأثر النسبي للمسلك التشكيلي في مجال التنبؤ بالقابلية لتبني الأفكار المستحدثة

التشكيل	فئات المتبنين للأفكار المستحدثة					
	فئة المبتكرين	فئة المتبنين الأوائل	فئة الغالبية المتقدمة	فئة الغالبية المتأخرة	فئة المتلكئين	المجموع
أربعة تشكيلات عالية	١	٧	٤	١	—	١٣
ثلاثة عالية وواحدة منخفضة	١	٢	١٠	٣	٢	١٨
تشكيلان عاليان وتشكيلان منخفضان	—	—	٨	١٢	٦	٢٦
تشكيل عال وثلاثة منخفضة	—	—	٣	٦	٣	١٢
أربعة منخفضة	—	—	—	٦	١	٧
المجموع	٢	٩	٢٥	٢٨	١٢	٧٦

وفى المستقبل لابد أن تتجه الجهود نحو اختيار المتغيرات المستقلة فى مجال التنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة مع قدر أكبر من العناية بالاعتبارات النظرية . ومعظم البحوث السابقة فى مجال التنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة قد درست فعلاً الصفات المميزة للأفراد وهى الصفات ذات العلاقة بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة . والعفوية التى اتسم بها عهد البحوث السابقة كانت شيئاً مقبولاً فى الماضى أما الآن فقد حان الوقت لوضع نموذج نفسر به نظرياً كيف يحدث التبنى للفكرة المستحدثة فى التنظيم الاجتماعى . بعدئذ قد يكون من الواجب تحديد قدرة هذا النموذج على التنبؤ بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة إما عن طريق معامل الارتباط المتعددة الحدود وإما بواسطة المسلك التشكيلى . وكخطوة كبيرة إلى الأمام ، لابد من القيام باختيار وضعت أصوله مقدماً للمتغيرات التى تستخدم فى محاولة للتنبؤ . وفى الفصل الحالى ، تم اختيار المتغيرات المستخدمة على أساس لاحق ونتيجة ذلك أنه ما من كلام قيل عن الخروج بنظرية تعبر عن القابلية للتبنى على أساس النتائج الحالية . بل إن الغرض كان مجرد استعراض للوسائل المتاحة للتنبؤ .

والمحاولات التى تستهدف تفسير قدر آخر من التغير فى القابلية للتبنى غير هذا القدر قد يكون مجالها الاتجاه نحو تحسين مقاييس القابلية للتبنى ودراسة عدد آخر من المتغيرات التابعة كالانفتاح على العالم الخارجى ، والقيادة الفكرية ، والسلوك الاتصالى . وفى الدراسات المستقبلة قد يدخل عدد آخر من المتغيرات التابعة ، وثمة مثال على جدوى هذه الفكرة ما نجده فى هذا الفصل حيث أدى إدخال المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى بشأن القابلية للتبنى إلى زيادة ٢٠ فى المائة على كمية التغير فى القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة وهى الكمية التى كانت موضعاً للتفسير .

ونحن إذا استخدمنا طريقة للتنبؤ شبيهة بتلك التى استخدمها «كيفيلين» عام ١٩٦٠ ، قد يكون من الممكن التنبؤ بمعدل التبنى للفكرة المستحدثة فى ضوء صفاتها المميزة مثل فائدتها النسبية ، وقابليتها للانقسام ، وقابليتها للانسجام مع غيرها من الأفكار ، وقابليتها للانتقال ، ومدى تعقدها . هذه الطريقة قد تكون مفيدة بوجه خاص عندما يتم الربط بينها وبين الطريقة التشكيلية طالما أنه من المحتمل أن ينظر أفراد العينة الإضافية المكونة بالطريقة التشكيلية إلى الصفات المميزة للفكرة المستحدثة نظرة مختلفة . وبمعنى آخر ، من الجائز أن تهتم البحوث المستقبلة بالمتغيرات المستقلة التى تقيس كيفية نظر الأفراد إلى الصفات المميزة للفكرة المستحدثة ، كما قد تهتم بالمتغيرات التى تقيس الصفات الاجتماعية المميزة للأفراد ، وتزيد الاتجاهات والعلاقات الجماعية . ومن الجائز أن الأفراد الذين لديهم إمكانيات كبيرة ، وقيادة فكرية عالية ، وسلوك اتصالى عال ، ولكن ينظرون إلى الفكرة المستحدثة باعتبارها عديمة الفائدة ، قد يتمهلون فى تبنى الفكرة المستحدثة .

استخدام طرق الحساب الآلى والنظريات المطبقة فى الألعاب فى مجال التنبؤ :

والطرق الرياضية والإحصائية المعقدة قد تزودنا بأساليب مفيدة يمكن أن تدير الضوء الكاشف فوق الأغوار المظلمة لموضوع التنبؤ بقابلية الناس لتبنى الأفكار المستحدثة . ومنذ عدد قليل من السنوات ، استخدمت طريقة الآلات الحاسبة للتنبؤ بقابلية الناس لتبنى الأفكار المستحدثة أو رفضها ، إذ قامت الهيئة العامة للحسابات الآلية عام ١٩٦١ ، وهى منظمة عامة من بين أعضائها عدد من رجال علم الاجتماع ، بمحاولة للتنبؤ بمدى قبول

المجتمعات لفكرة خلط المياه الجارية بمادة الكلوريد لتنقيتها ، وكانت هذه المحاولة بناء على رغبة وزارة الصحة العامة الأمريكية .

والحساب الآلى طريقة لحل المشكلات المعقدة على أساس استخدام الآلات الحاسبة الإلكترونية التى تجمع وتهضم عدداً هائلا من الأرقام والمعلومات تبعاً لبرنامج معين يوضع للآلة . وثمة شرطان هامان لكى تستطيع هذه الآلة أن تؤدى عملها بنجاح فى مجال التنبؤ بالقابلية للتبنى هما :

١ — مجموعة من المعلومات عن السلوك المراد إجراء التنبؤ على أساسه .

٢ — تهيئة المادة العلمية المتعلقة بالوحدات التى يتكون منها التنظيم الاجتماعى . والحساب الآلى سبق استخدامه لسنوات عديدة فى مجال العلوم البحتة ، ولكنه لم يستخدم فى العلوم الاجتماعية إلا أخيراً .

ومن الجائز أن يكون أحد المواقف الهامة التى استخدم فيها الحساب الآلى فى مجال العلوم الاجتماعية محاولة التنبؤ بسلوك الناخبين فى التصويت لانتخابات الرئاسة وهى المحاولة التى قام بها « بول » و « ابلسون » عام ١٩٦١ . كذلك قام « هاجرستراند » أعوام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ و ١٩٦٠ بدرجة معينه من النجاح باستخدام الحساب الآلى فى تقدير ذيوع الأفكار المستحدثة فى مجال إدارة المزارع وفى أفكار أخرى جديدة . و « هاجرستراند » هو عالم جغرافى سويدى وطريقته فى استخدام الحساب الآلى فى تقدير مدى الانتشار أساسها إلى حد كبير تجميع المعلومات حول الآثار البيئية أو العوامل المكانية .

لقد استخدم «هاجر ستراند» عام ١٩٦٠ و « وكر » وزملاؤه عام ١٩٦٠ ، و « ديللون » و « هيدى » عام ١٩٦١ أساليب للتنبؤ بالقابلية للتبنى على

أساس النظريات المستخدمة فى « مونت كارلو » للتنبؤ بنتائج ألعاب الحظ للتوصل إلى إعداد مادة علمية تصلح فى مجال ذيوع الأفكار المستحدثة فى الزراعة وتبنيها . ونظريات اللعب هذه تحدد فى العادة عدداً معيناً من القواعد فى مجال اتخاذ القرارات وهى القواعد التى يتبعها الناس عندما يوضعون فى مواقف يتحتم عليهم فيها أن يختاروا من بين عدد من العوامل البديلة . هذه النظريات المطبقة فى مجال ألعاب الحظ يمكن أن تستخدم لدراسة القرارات التى يصدرها الأفراد عند تبنيهم لأفكار معينة بالطريقة عينها التى استخدمت بها كنماذج لتحليل الآراء والأفكار فى مجال استهلاك السلع أو التصويت أو الخطط العامة للحرب . وأحد البحوث الاستقصائية التى أجراها «كلايتسن» أخيراً استخدمت نظريات ألعاب الحظ للتنبؤ بمدى قبول الفلاحين أو رفضهم لفكرة نقل اللبن فى فناطيس كبيرة ، وكان هذا على أساس أنماط أربعة من القرارات (وهى المعبرة عن اتجاهات التقليديين والمنطقيين ، والمقدرين ، والمؤثرين) . وهذه القرارات تقوم استراتيجية الاختيار فيها على أساس ماوضعه كل من « فون نيومان » و « مورجنسترن » عام ١٩٥٣ من نظريات تطبق فى مجال ألعاب الحظ .

وطريقة الحساب الآلى يمكن أن تفيد فى مجال التنبؤ بالنتائج التى تترتب على تبنى الأفكار المستحدثة ، وحتى قبل أن تخرج الفكرة المستحدثة إلى التداول فى التنظيم الاجتماعى . ومن أمثلة ذلك مافعله «جيلسبي» عام ١٩٦١ عندما استخدم طريقة الحساب الآلى فى التنبؤ بإمكانيات الاقتصاد القومى لإحدى الدول النامية . لقد بين حسابه للآثار المترتبة على تخفيض سعر العملة على الاقتصاد القومى لهذه الدولة أن النتائج غير المرغوب فيها أضاعت مفعول الآثار المرغوب فيها .

وثمة استخدام آخر للحساب الآلى هو التنبؤ بقبول الناس للأفكار

الحديثة ذات الطبيعة غير الفنية وغير الحسابية كما حدث عندما اقترحت الهيئة العامة للحساب الآلى القيام بدراسة استقصائية لمعرفة مدى قبول أصحاب المزارع فى أمريكا لتبنى أفكار وبرامج جديدة فى إدارة المزارع .

جدوى القيام بهذه التنبؤات :

من الواضح أن الفكرة الأساسية فى الحوار الحالى أن التنبؤ بالقابلية للتبنى إنما هو جهد مثمر يتصدى رجال العلوم الاجتماعية لتحمل أعبائه . ولهذا التنبؤ فوائد كبيرة للمنظمات التى تقوم بالبحوث الاجتماعية والمؤسسات التجارية التى تود أن تعرف مَن من الناس يمكن أن يكون سباقاً إلى تبنى فكرة أو سلعة على وشك الظهور إلى السوق . كذلك ثمة فائدة عملية كبيرة فى هذا الأمر تعود على فئة دعاة التغيير من أخصائيين اجتماعيين وخبراء وباعة جائلين ممن يرغبون فى الاستزادة من فهم العوامل المستقله ذات الصلة بالقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة ، والعلاقات المتبادلة بين هذه المتغيرات المستقلة .

الفصل الحادى عشر

الاتجاه نحو استنباط نظرية لانتشار الأفكار المستحدثة بين الناس

« إن علماً بدون نظرية كضرير لا يبصر ، وذلك لافتقاد ذلك العنصر الذى يستطيع وحده أن ينظم الحقائق ويوجه البحوث . وحتى من الناحية العملية فان مجرد جمع الحقائق لن تكون له إلا قيمة محدودة للغاية . وهذا التجميع أيضاً لا يستطيع أن يرد على السؤال الذى هو فى الواقع أكثر الأمور أهمية بالنسبة للأهداف العملية ، تلك الأهداف التى تقرر ما الذى يجب على الإنسان أن يفعله كى يحصل على الأثر الطيب فى حالات معينة . ولكى نجيب على هذا السؤال لابد أن تكون لدينا نظرية ، نظرية مبنية على الاختبار العملى لا التأمل العقلى . هـذا معناه أن النظرية والحقائق لابد أن يرتبط بعضها ببعض بأوثق رباط » .

« كورت ليفين » عام ١٩٣٦

والبحث فى كل ما كتب عن ذيوع الأفكار المستحدثة يكشف لنا عن نقص عام فى اتفاق وجهات النظر فيما يتعلق بالمفاهيم الاجتماعية التى يتضمنها التبنى واتجاهاتها عند الفرد ، كما يكشف أيضاً عن انعدام قابلية هذه المفاهيم للاندماج فى نظرية واحدة عامة يمكن اختيارها بالطرق الاختبارية العملية . والبحوث العديدة التى أنجزت حتى الآن تزودنا بقاعدة ممتازة تصلح لإقامة نظرية عامة لذيوع الأفكار المستحدثة بين الناس وتبنيهم لها .

وفى الظروف العادية ، يتوقع الفرد أن تظهر الاعتبارات النظرية فى الفصول الأولى من الكتاب ، إذ بذلك تستطيع هذه الاعتبارات أن تكون إطاراً للكتاب كله . ومع ذلك ، فإنه فى الظروف الراهنة ، نعتقد أن أية تعميمات نظرية لابد أن تأتى على درجة كبيرة من عدم الدقة العلمية بحيث يصبح من الضرورى العمل على وضعها فى نهاية هذا الكتاب لا فى أوله . والهدف من هذا الفصل إنما هو تقرير اتجاه محدد تسير فيه الدراسة التحليلية

تحقيقاً لنظرية عامة تخدم موضوع ذيوع الأفكار الجديدة بين الناس وتبنيهم لها .

الاتجاه النظرى :

ومن الجائز أن تكون أحد الوسائل الفعالة لتكوين فكرتنا عن ذيوع الأفكار بين الناس وتبنيهم لها والسلوك الذى يتبعونه لتحقيق ذلك النظر إلى هذا السلوك بصورته الأولية ثم العمل على بناء بعض المتغيرات المركبة ذات الصلة بهذا السلوك . وعند مستوى معين من مستويات التفكير فى هذا الأمر ، نجد أن تبنى الفرد للفكرة الجديدة ، إنما هو نوع من الحدث الذى يصدر عن هذا الفرد . ووفقاً لما ذكره « بارسونز » و « سيلز » عام ١٩٥٢ ، يحتوى هذا الحدث على عناصر ثلاثة أساسية هى :

١ - القائم بالحدث .
٢ - الوجهة التى يتجه إليها الحدث .
٣ - الموقف الذى يتم فيه .

وهذا الفهم للسلوك البشرى يتضمن المعلومات التالية :

١ - يتجه السلوك وجهة معينة أساسها تحقيق الغايات والأهداف .
٢ - يعمل السلوك فى مواقف .
٣ - تنظمه المعايير السائدة فى المجتمع .
٤ - يحتاج إلى طاقة خارجية يطلق عليها « الحافز » .

والهدف الأكبر أو الغاية المثلى التى يعمل الأفراد على تحقيقها هى الأمن الشخصى أو إحساس الفرد بقدرته على الحياة مع غيره فى سلام . والأمن الشخصى هو الحالة الذاتية التى يقل فيها شعور الفرد بالتوتر . وكلمة الغايات أو « الأهداف » هنا ليس معناها التجسيد اللفظى أو العقلى [illegible] فمثلا اذا قال مزارع أنه تبنى فكرة مستحدثة معينة لأنه

أحس أنها لابد أن تساعد على تنمية دخله من الزراعة فإن كلمة « تنمية الدخل » هنا ليست غاية فى حد ذاتها بل تجسيد لفظى للغاية . وعند مستوى من التجريد العقلى الذى يتسم بعمومية أكبر من هذا ، نقول إن هدف المزارع هنا هو الشعور بالأمن .

والسلوك البشرى يحدث فى مواقف . والأفراد لا يوجدون ككتلة من الوحدات التى لا رابط بينها بل إنهم أعضاء فى تنظيم اجتماعى وهذه العضوية لها آثار هامة فى سلوكهم . والمواقف التى يحدث فيها السلوك ليس من الضرورى أن تتبع أوضاع البيئة أو تنظيماتها العامة . فمن الجائز أن يرتبط المرء من الناحية النفسية بجماعة معينة ومن ثم يتمثل أفكار الجماعة دون أن يكون من أعضائها . ومما لاشك فيه أن القرب المادى ، بالإضافة إلى المركز الاجتماعى وعوامل نفسية أخرى ، تعتبر كلها محركات تدفع مقومات التفاعل وتنميتها . والسلوك البشرى من طبيعته الخضوع للمعايير السائدة فى البيئة والتأثر بتنظيماتها . والتفاعل مع الآخرين فى موقف محدد يزود الفرد بشعور المطابقة وتقمص الذات . و « الآخرون » فى موقف معين لهم أهمية خاصة بالنسبة للفرد وهم يؤثرون فى سلوكه . هؤلاء « الآخرون المهمون » ، أو جماعات الإسناد الذين يزودون الفرد بتكئة يعتمد عليها فى تصرفاته ، من شأنهم أن يعاونوه على تنمية شعوره بالمطابقة وتقمص ذاته .

والطريقة التى يمارس بها الفرد شعوره هذا تؤثر على سلوكه ولنا مثل على ذلك فى الطبيب الذى يقول : « بصفتى طبيباً ناهضاً متمسكاً بأصول العلم ودوافع التقدم فإنى أسارع إلى تبنى الأفكار الطبية الجديدة » .

وبعض الأفراد يتطابقون مع دعاة التغيير ورجال العلم أكثر مما يفعل غيرهم . وثمة أفراد آخرون يتفاعلون مع فئة المتبنين الأوائل ويتطابقون معهم ويتقمصون نفس الروح ويصبحون فى النهاية مثلهم سواء بسواء :

والسلوك يحتاج إلى طاقة خارجية يطلق عليها الحافز . وفى حالة التبنى لابد للشخص من أن يبذل الطاقة بحثاً عن المعلومات المتعلقة بالفكرة الجديدة ، كما يبذلها فى مجال فحص تلك الفكرة وتجريبها وتبنيها . وحتى يتم التبنى ، لابد للفرد من ملاحظة أن العائدات المتوقعة من وراء تبنى الفكرة تفوق الجهود التى لابد أن تبذل فى سبيل تبنيها .

الإدراك :

والإدراك هو بعد أساسى من الأبعاد التى يتكون منها فهمنا لظاهرة انتشار الأفكار . وبالرغم من أن فكرة جديدة قد يعتبرها الخبراء فى ميدان من الميادين مفيدة ، فإن شخصاً آخر قد لاينظر إليها على أنها كذلك . والإدراك هو الطريقة التى يستجيب بها الفرد لأى إحساس أو انطباع يكتشفه فى نفسه وهو دالة لاصقة والموقف الميدانى الذى يتحرك فيه ويعمل. ومعرفتنا لهذه المواقف الميدانية ، والطريقة التى يتقمص بها الفرد ذاته ويتطابق بها مع الأشخاص بالمواقف ، وشعوره بالأمن ، وخروجه عن المعايير المقررة ، قد تعمل كلها على وضع الأسس النظرية لبعض مستلزمات السلوك الذى يتبعه الفرد عند تبنى فكرة مستحدثة .

وكما قرر « كوتيريل » عام ١٩٢٤ « مستلزمات السلوك مثل الاتجاهات والسمات الطبيعية وغيرها ، عند ما تدرس بعيداً عن السياق الوارد فى تعريف الفرد للموقف ، فإنها تعطى نتائج لامعنى لها » . لذلك ، كان من الأمور الجوهرية أن يعكس النمط الحالى للسلوك الذى يتبعه الفرد عند تبنى الأفكار المستحدثة وجهة نظره المتضمنة إدراكه للموقف .

انتشار الفكرة المستحدثة :

وانتشار الفكرة المستحدثة يتم عادة فى نطاق التنظيم الاجتماعى. والتنظيم

الاجتماعى قد يضم بين أرجائه مواقف ميدانية متعددة . أما أجزاء التنظيم الاجتماعى المستخدمة كإطارات تتم داخلها الأحداث فمن طبيعتها أن تدفع الأفراد إلى إظهار درجات متباينة من القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . والمواقف الميدانية ذاتها عند ماتستخدم كإطارات للأحداث ، تكشف عن قدر أكبر من التجانس فى الصفات المميزة للأفراد ومدى أقل فى قابلية هؤلاء لتبنى الأفكار المستحدثة . والفئات الخمس للمتبنين للأفكار المستحدثة وهم المبتكرون ، والمتبنون الأوائل ، والغالبية المتقدمة ، والغالبية المتأخرة ، والمتلكئون من الجائز أن ننظر إلى كل فئة منها باعتبارها موقفاً ميدانياً . ومن الأمور الممكنة النظر إلى الأفراد فى فئة معينة من فئات التبنى على اعتبار أنهم يستخدمون قيماً غالبة معينة تحدد الوسائل التى يلجأون إليها لانجاز الهدف الأكبر الأمن . وهذه القيم الغالبة تبدو فى أنسب حالاتها عند ما يعتبرها الناس أنماطاً مثالية يمكن العثور عليها فى المواقف الحقيقة ولكن قد لا يمتلكها كل فرد من الأفراد الذين تتكون منهم فئة التبنى .

والقيمة الغالبة عند المبتكرين هى المغامرة . والمبتكرون يحصلون على الشعور بالأمن المستمد من علاقاتهم بغيرهم عن طريق السير قدماً فى طريق المغامرة والتفوق على غيرهم من أفراد التنظيم الاجتماعى فى هذا المجال . وعلى ذلك ، فنحن ننظر إلى المبتكرين فى العادة باعتبارهم من المنحرفين عن المعايير الاجتماعية السائدة فى التنظيم الاجتماعى . وفى الواقع ، يعمل المبتكرون فى العادة فى مواقف ميدانية خارجة عن نطاق التنظيم الاجتماعى . وفى إطار الموقف الاجتماعى الذى يعمل فيه المبتكرون ، من الجائز أنهم ينظرون إلى قراراتهم باعتبارها متسمة بروح المغامرة . والمبتكرون فى العادة يتسللون خلف دعاة التغيير ويستخدمون عدة مصادر للأفكار

الجديدة أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى . والمبتكر قد يعلم بالفكرة المستحدثة قبل داعية التغيير .

والقيمة الغالبة لدى أولئك الأفراد المنتمين لفئة المتبنين الأوائل هى الاحترام الذى يحصلون عليه من أقرانهم إذ أنهم يعتقدون بأن الاحترام من شأنه أن يزيد من شعورهم بالأمن . أما أفراد الغالبية المتقدمة فإنهم لا يتبعون فكرة جديدة إلا بعد أن يكون عدد من الأفراد المحترمين المنتمين إلى تنظيمهم الاجتماعى قد قبلوا الفكرة المستحدثة وبعد أن يكون قد ثبت نجاحها .

وإذا كان كل فرد يتقمص غيره بهذه الطريقة ويعلق إرادته وحريته فى اتخاذ القرارات فى المواقف الميدانية على غيره فإن انتشار الأفكار لن يكون عملية سريعة . وبعض الأفراد ، بالرغم من ذلك ، يتأرجحون بين موقفين ميدانيين أو أكثر وهؤلاء يضيقون الشقة بين الفئات الخمس للمتبنين .

وفئة الغالبية المتأخرة لها قيمة غالبة من الريبة وعدم الاطمئنان إلى كل جديد وأفرادها يشكون فى جدوى الأفكار المستحدثة إلى أن يقتنعوا بما يظهره أقرانهم من تحمس لهذه الأفكار . وأفراد فئة الغالبية المتأخرة يشعرون بطمأنينة عندما يتبعون التقاليد أكثر منهم عندما يقبلون الأفكار الجديدة (إلى أن تصبح هـــذه تقليدية بعض الشىء بالنسبة للتنظيم الاجتماعى) .

والقيمة الغالبة لدى فئة المتلكئين هى التقاليد . وعندما يقاس أفراد هذه الفئة بمقياس التنظيم الاجتماعى ككل فإنهم يبدون منحرفين . على أن انحرافهم هذا لا يستمد وجوده من التبنى السريع للأفكار المستحدثة بل من عدم إقبالهم على هذه الأفكار حتى عندما تصبح شائعة فى التنظيم السياسى . والمتلكئون يستمدون عناصر الأمن والطمأنينة التى يحتاجون إليها من مقاومتهم للأفكار المستحدثة .

تبني الفكرة المستحدثة :

والنمط العام أو النموذج التوضيحي الذي يطبقه الفرد عادة (شكل ١١-١) عند تبنيه الفكرة المستحدثة يتضمن أقساماً ثلاثة رئيسية هي :

(١) المتعلقات (٢) العملية (٣) النتائج

والمتعلقات هي تلك العوامل التي توجد في الموقف قبل ظهور الفكرة المستحدثة . والمتعلقات على نوعين رئيسيين :

(١) ذاتية الفرد وقابليته للتطابق مع الأشخاص والمواقف .

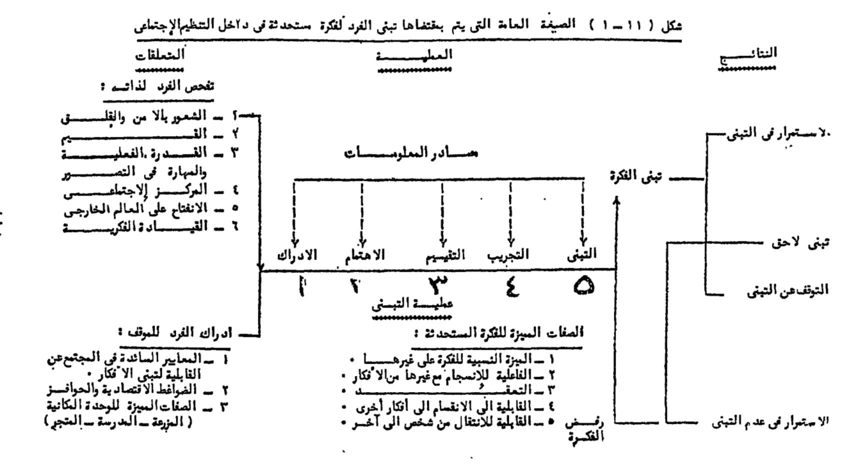
(٢) إدراكه للموقف .

وذاتية الفرد ، تلك التي تؤثر على تبنيه الأفكار المستحدثة ، يدخل في تكوينها إحساسه بالأمن ، وقيمة الغالبة ، وقدرته العقلية ، ومهارته في التصور والتفكير ، ومركزه الاجتماعي ، وانفتاحه على العالم الخارجي.

وإدراك الفرد للموقف يؤثر على تبنيه للفكرة المستحدثة وطريقته في هذا التبني ، كما أن المعايير السائدة في التنظيم الاجتماعي والخاصة بتبني الأفكار المستحدثة تستخدم كحوافز للسلوك أو ضواغط تعوقه . والأفراد في تنظيم اجتماعي تسود فيه المعايير الحديثة سوف يتصرفون بطريقة تختلف عن تلك التي يتصرفون بها عندما تكون المعايير تقليدية . والضواغط الاقتصادية والحوافز ، وكذلك الصفات المميزة للمكان الذي يتم فيه الحدث(هل المكان مزرعة أو متجراً أو مدرسة ؟) ، تؤثر هي الأخرى على التبني .

ومصادر المعلومات مثيرات هامة للفرد في عملية التبني وهو يصبح على علم بالفكرة المستحدثة أساساً عن طريق المصادر غير الذاتية وذات الانفتاح على العالم الخارجي مثل وسائل الإعلام العامة . وفي مرحلة التقييم يكون الفرد فكرته عن الصفات المميزة للفكرة المستحدثة . ومصادر

شكل (١١ ـ ١) الصيغة العامة التي يتم بمقتضاها تبني الفرد لفكرة مستحدثة في داخل التنظيم الإجتماعي



المعلومات الذاتية والضيقة المحددة بقيود المكان تعتبر أهم من غيرها في مرحلة التقييم .

وختام عملية التبنى إما التبنى للفكرة وإما رفضها . والفكرة المستحدثة قد يتم تبنيها فى ختام عملية التبنى ومن الجائز أن تستخدم باستمرار ، أو ترفض بعد فترة من الوقت وهذا ما نطلق عليه كلمة التوقف. والفكرة المستحدثة قد ترفض فى نهاية عملية التبنى ولكن قد يتم تبنيها فى تاريخ لاحق . ومن الممكن أيضاً أن تظل الفكرة المستحدثة مرفوضة باستمرار .

ومن رأى المؤلف أن الموقف النظرى الذى تم توضيحه فى هذا الجزء من الكتاب قابل لمزيد من الدراسة ومن الجائز أن يلقى الضوء على قابلية الناس لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . هذا الموقف لا يقصد به أن يكون هو نفسه نظرية خاصة بتبنى الأفكار المستحدثة كما لا يقصد به أن يكون النظرية الوحيدة التى يمكن وضعها وتطويرها . وبدلاً من ذلك ، يمكن القول إنه ملخص للبحوث التى جرت فى هذا المجال وفى مجالات علم النفس الاجتماعى وعلم الأجناس ، وعلم الاجتماع ، والمسالك التى سارت فيها البحوث الخاصة بانتشار الأفكار . ومن المأمول أن يحفز هذا النقاش الآخرين لكى يولوا اهتماماً أكبر للأصول الأساسية التى يمكن أن تقام عليها بحوث المستقبل فى مجال ذيوع الأفكار .

نظريات عامة وفروض :

حاولنا فى هذا الفصل التوصل إلى تقرير نظرية لذيوع الأفكار المستحدثة وتبنى الناس لها . ونظرية الفعل التى أتى بها « بارسونز » و « شيلز » زودتنا بإطار للإسناد استخدمناه فى محاولات لفهم الطريقة التى تنتشر بمقتضاها الأفكار . هذا الإطار يضم بين أضلاعه نظريات عامة

تم فحصها فى بحوث سابقة وقمنا نحن فى هذا الكتاب بتلخيصها وكذلك فروضاً قابلة للفحص بوسائل اختيارية عملية . أماالنظريات العامة فلسوف نذكرها عقب مناقشة قصيرة للمتغير الإدراكى التحليلى .

المتغير الإدراكى التحليلى :

تتركب النظرية عادة ، أية نظرية ، من العلاقات العامة الموجودة بين المفاهيم . والاختبار العملى لهذه العلاقات هو الموضوع الأساسى فى البحوث التى تجرى فى مجال من المجالات . والمتغير الإدراكى التحليلى طريقة من طرق ربط النظرية بالبحث وكذلك البحث بالنظرية .

والخطوات الأساسية فى المتغيرات الإدراكية التحليلية يمكن أن نحددها فى الآتى :

١ ــ الخطوة الأولى أن نعبر عن كافة المدركات باعتبارها متغيرات . والمدرك العام ماهو إلا بعد معين تم وضعه فى صيغته الأساسية أو البدائية . والمتغير الإدراكى ، أى متغير المدرك العام ، ماهو إلا مدرك تم وضعه فى صيغة متغير . وثمة مثل على التغير الإدراكى ، أى متغير المدرك العام ، جاء ذكره على صفحات هذا الكتاب هو القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة بالصورة التى عرف بها وهى درجة مسارعة الشخص إلى تبنى الأفكار الجديدة وسبقه فى هذا المضمار لغيره من أفراد التنظيم الاجتماعى الذى ينتسب إليه . والمدرك العام فى هيئته المثالية ينبغى أن يكون عاماً أو معنوياً بقدر الإمكان حتى يمكن استخدامه فى وصف السلوك والاتجاهات فى أنماط كبيرة مختلفة من أنماط التنظيمات الاجتماعية . فمثلا ، المدرك العام للقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة سبق أن درس فى مجالات الصناعة ، والتعليم ، والفلاحة ، والقبائل البدائية .

٢ — العـــلاقة الفرضية بين متغيرين إدراكيين يطلق عليها لفظ « الفرض العام » .

ومثل الفرض العام الذى تم فحصه فى بضعة بحوث ودراسات جاء ذكرها فى الفصل السادس هو : القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة تتغير مباشرة وفقاً لدرجة الانفتاح على العالم الخارجى . فى هذا المثال ، القابلية للتبنى والانفتاح على العالم الخارجى ما هما إلا متغيران إدراكيان، والفرض العام يقرر وجود علاقة إيجابية بينهما . والتعليل القائم على أصول علم الاجتماع لهذه النقطة يقرر أن الأفراد الذين لهم صلات بالمصادر الخارجة على تنظيمهم الاجتماعى يكونون فى العادة أكثر قابلية لتبنى الأفكار المستحدثة . وإذا كان لدى الشخص جماعات إسناد خارج التنظيم الاجتماعى، فمن المحتمل حدوث انحراف فى مجال ما يتوقعه ذلك التنظيم من صور السلوك الصادر عن الفرد وعلى هذا النمط يحدث تبنى الفرد للأفكار الجديدة .

٣ — يختبر الفرض العام بواسطة الفرض التجريبى (أو الفروض التجريبية) وهى التى يطلق عليها العلاقة الفرضية بين مقياسين ميدانيين للمتغيرات الإدراكية . والحدث هو المرجع الاختبارى العملى للمدرك وقد تكون له صفة القياس . والدرجة التى يكون عليها الحدث من ناحية استعداده لأن يكون مقياساً صادقاً للمدرك تسمى العلاقة المعرفية . ولسوء الحظ ، هذه الصلة بين المدرك والحدث لا يمكن اختبارها إلا بوسائل عفوية تخمينية . والمتغير الإدراكى التحليلى للعلاقـة بين القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة والانفتاح على العالم الخارجى يوضحه هنا مثال مأخوذ من دراسة قام بها « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ فى ولاية « أيووا » على الذرة المهجين .

٤ — الفرض الاختبارى يقبل عادة أو يرفض على أساس الاختبارات

الإحصائية الهامة . ولكن ثمة معايير أخرى قد تستخدم . وفى الدراسة الخاصة بالذرة الهجين ، أعلن « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ وجود علاقة إيجابية هامة بين وقت التبنى للذرة الهجين وعدد الرحلات التى تمت خارج مجتمعات ولاية « أيووا » حيث محل إقامة الأشخاص موضوع الاستفتاء .

الفرض العام :

المعرفة	العلاقة		العلاقة	المعرفية	
الانفتاح على العالم الخارجى		تختلف مباشرة مع		القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة	المستوى النظرى

المستوى الاختبارى

الفرض الاختبارى :

عدد الرحلات إلى خارج مدينة « دى موينز »	تختلف مباشرة مع	وقت التبنى لفكرة الذرة الهجين
(حدث)		(حدث)

٥ — والفرض العام يقبل أو يرفض على أساس الاختبارات الخاصة بالفروض الاختبارية المقابلة . ودعاوى الحق قد تضاف إلى أحد الفروض العامة عن طريق النتائج المشابهة المترتبة على التحاليل الأخرى للمتغيرين الإدراكيين فى مجموعة متنوعة من التنظيمات الاجتماعية المختلفة . وعندما يضاف تدعيم آخر إلى أحد الفروض العامة ، تزداد الثقة فى العلاقة بين المدركين، وهذه العلاقة قد تعتبر نظرية عامة، وفى نهاية الأمر قد تكون مبدءاً .

٦ — والعلاقات بين كل من المدركين والمدركات الأخرى قد تحلل .

وكلما تراكمت لدينا تدريجياً نتائج من هذا النوع ، برزت مجموعة من النظريات ذات الصلة بعلم الاجتماع . بهذه الطريقة تتراكم الشواهد بطريقة متكاملة ورصينة . والهدف النهائى هو تكوين مجموعة من النظريات ذات علاقة أكبر بعلم الاجتماع ومكونة من مصفوفة ذات علاقات مركبة متبادلة بين عدد من المدركات المتشابهة .

وبعض الذين يفتقدون المتغير الإدراكى التحليلى قد يدعون أن معظم رجال العلم يستخدمون بطريقة عفوية الملامح الأساسية فى هذا المسلك المؤدى إلى التفكير النظرى بدون الخوض فى آليات تميز المدركات ، والأحداث ، والعلاقات المعرفية . هذا صحيح بلا شك ولكن فى حالة قيامنا ببحوث تستهدف فكرة الذيوع ، من الجائز أن تكون هناك حاجة أكبر لتثبيت النتائج المستقاة على أساس من المدركات العامة أكثر من تثبيتها على الأسس التى استخدمت فى معظم الدراسات السابقة . والمتغير الإدراكى التحليلى ليس فقط يزودنا بأداة نافعة تخدمنا فى البحوث القادمة عن انتشار الأفكار المستحدثة، بل يهيء لنا كذلك طريقة محددة لبلورة نتائج البحوث السابقة .

النظريات العامة :

وبين دفتى هذا الكتاب ، جاء ذكر عدد من النظريات العامة لبلورة النتائج الرئيسية . والحصر الإجمالى لهذه النظريات العامة يزودنا بملخص مركز للنتائج النهائية لكل ماهو معروف لدينا الآن عن ذيوع الأفكار المستحدثة . وهذا الملخص هو :

١ ـ قابلية الأفراد لتبنى الأفكار المستحدثة مرتبطة بدفع حديث وليس بدفع تقليدى قديم .

٢ ـ قابلية الفرد لتبنى الأفكار المستحدثة تختلف مباشرة مع المعايير السائدة فى تنظيمه الاجتماعى بشأن هذا الموضوع .

٣ ـ المتبنون الأواخر أكثر استعداداً للتوقف فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة . مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأوائل .

٤ ـ مصادر المعلومات غير الذاتية أكثر ماتكون أهمية فى مرحلة الإدارك والمصادر الذاتية تكون كذلك فى مرحلة التقييم خـــلال عملية التبنى .

٥ ـ مصادر المعلومات المنفتحة على العالم الخارجى أكثر ما تكون أهمية فى مرحلة الإدراك ، ومصادر المعلومات المحلية تكون كذلك فى مرحلة التقييم .

٦ ـ ثمة شواهد قليلة على أن الحاجة إلى المعرفة فى مجال الأفكار المستحدثة تؤخر تبنى الناس لهذه الأفكار .

٧ ـ يحدث الإدراك بمعدل أسرع من معدل التبنى .

٨ ـ أوائل المتبنين للأفكار المستحدثة يحتاجون إلى فترة تبنى أقصر من الفترة التى يحتاجها المتأخرون عنهم .

٩ ـ الفترة التى تمر بين مرحلتى الإدراك والتجريب أطول من الفترة التى تمر بين مرحلتى التجريب والتبنى .

١٠ ـ الفترة التى تنقضى فيما بين مرحلتى الإدراك والتجريب أقصر بالنسبة للمتبنين الأوائل منها بالنسبة للمتبنين الأواخر .

١١ ـ الفترة التى تنقضى فيما بين مرحلتى التجريب والتبنى أطول بالنسبة للمتبنين الأوائل منها بالنسبة للمتبنين الأواخر .

١٢ ـ المتبنون الأوائل ـ يجربون الأفكار المستحدثة على مستوى أقل مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الذين يأتون بعدهم .

١٣ ـ الأزمات تؤكد الميزة النسبية للفكرة المستحدثة وتؤثر على معدل تبنى الناس لها .

١٤ ـ الميزة النسبية للفكرة الجديدة ، كما يراها أفراد التنظيم الاجتماعى، تؤثر على معدل تبنى الناس لها .

١٥ ـ قابلية انسجام الفكرة الجديدة مع غيرها من الأفكار الموجودة لدى الناس ، تؤثر على معدل تبنيهم لها .

١٦ ـ تعقد الفكرة المستحدثة ، وفقاً لما يراه أفراد التنظيم الاجتماعى فى هذا الشأن ، يؤثر على معدل تبنى الناس لها .

١٧ ـ قابلية الفكرة المستحدثة للانقسام تؤثر على معدل تبنى الناس لها .

١٨ ـ المتبنون الأوائل قد ينظرون إلى قابلية الفكرة المستحدثة للانقسام بأهمية تفوق تلك التى ينظر بها المتبنون الأواخر إلى نفس الموضوع .

١٩ ـ قابلية الفكرة المستحدثة للانتقال من شخص إلى آخر ، وفقاً لما يراه أفراد التنظيم الاجتماعى فى هذا الشأن ، تؤثر على معدل تبنى الناس لها .

٢٠ ـ منحنيات التوزيع الخاصة بفئات المتبنين للأفكار المستحدثة تأخذ بمرور الوقت شكل منحنى على هيئة جرس وتقترب من العادية .

٢١ ـ المتبنون الأوائل أصغر سناً من المتبنين الأواخر .

٢٢ ـ للمتبنين الأوائل من مركز اجتماعى أرفع من المتبنين الأواخر .

٢٣ ـ للمتبنين الأوائل مركز مالى أرفع من المركز المالى للمتبنين الأواخر .

٢٤ ـ للمتبنين الأوائل أعمال على درجة أكبر من التخصص وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأواخر .

٢٥ ـ للمتبنين الأوائل قدرة عقلية تختلف عن تلك التى للمتبنين الأواخر .

٢٦ ـ مصادر المعلومات غير الذاتية أهم من المصادر الذاتية بالنسبة المتبنين الأوائل أكثر مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأواخر .

٢٧ ـ مصادر المعلومات المنفتحة على العالم الخارجى أهم من المصادر المحلية بالنسبة للمتبنين الأوائل أكثر مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأواخر.

٢٨ ـ المتبنون الأوائل يستخدمون مصادر للمعلومات لها اتصال وثيق بأصل الأفكار الجديدة وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأواخر .

٢٩ ـ المتبنون الأوائل يستخدمون عدداً أكبر من مصادر المعلومات المختلفة وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأواخر .

٣٠ ـ المتبنون الأوائل أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من المتبنين الأواخر .

٣١ ـ للمتبنين الأوائل قيادة فكرية تفوق مالدى المتبنين الأواخر منها .

٣٢ ـ ثمة تحول كبير للأفراد فى التنظيم الاجتماعى الواحد من فئة إلى أخرى من فئات التبنى وذلك بمرور الزمن .

٣٣ ـ المتلكئون معرضون إلى حد كبير للانسحاب خارج التنظيم الاجتماعى .

٣٤ ـ المبتكرون للأفكار المستحدثة ينظر إليهم زملاؤهم من أعضاء التنظيم الاجتماعى باعتبارهم من المنحرفين .

٣٥ ـ المبتكرون ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم من المنحرفين عن المعايير الاجتماعية الغالبة فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتسبون إليه .

٣٦ ـ التأثير الشخصى الصادر عن الأقران أكثر ما يكون أهمية فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى، وأقل ما يكون أهمية فى المراحل الأخرى .

٣٧ ـ التأثير الشخصى الصادر عن الأقران أكثر أهمية بالنسبة للمتبنين الأواخر منه بالنسبة للمتبنين الأوائل .

٣٨ ـ التأثير الشخصى الصادر عن الأقران أكثر أهمية فى المواقف غير المؤكدة منه فى المواقف الواضحة الحدود .

٣٩ ـ قادة الفكر يلتزمون بمعايير التنظيم الاجتماعى الذى ينتسبون إليه أكثر مما هو الحال بالنسبة للفرد العادى .

٤٠ ـ ثمة تداخل بسيط بين الأنماط المختلفة لقادة الفكر .

٤١ ـ قادة الفكر يستخدمون مصادر للمعلومات أكثر موضوعية ، وأكثر دقة من الناحية الفنية ، وأكثر انفتاحاً على العالم الخارجى ، مما هو الحال بالنسبه للتابعين لهم .

٤٢ ـ لقادة الفكر علاقات ومشاركات أكثر مما لتابعيهم .

٤٣ ـ لقادة الفكر مركز اجتماعى أرفع مما هو الحال بالنسبة لتابعيهم .

٤٤ ـ قادة الفكر أكثر قابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها مما هو الحال بالنسبة لتابعيهم .

٤٥ ـ كل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة تخضع أساساً لتأثير عدد من الأفراد من نفس الفئة أو من فئة أعلى فى مجال التبنى .

٤٦ ـ المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى بشأن القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها يبدو أنها تقرر ، على الأقل جزئياً ، قابلية قادة الفكر لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

٤٧ ـ الفروق فى القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها بين الأفراد هى حاجز أكثر أهمية بالنسبة لتدفق الأفكار فى التنظيم الاجتماعى الذى تسود فيه المعايير الحديثة ، وليس الحال كذلك عندما تسود المعايير التقليدية القديمة .

٤٨ ـ مدى الجهود الإنشائية التى يبذلها دعاة التغيير الاجتماعى من

خبراء وأخصائيي الخدمة العامة ووكلاء الأعمال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعدل التبني الخاص بالفكرة المستحدثة .

٤٩ - دعاة التغيير فى المجالات التجارية أكثر أهمية فى مرحلة التجريب عما هو الحال فى أية مرحلة أخرى من مراحل عملية التبنى .

٥٠ - دعاة التغيير فى المجالات التجارية أكثر أهمية بالنسبة للمتبنين الأوائل منهم بالنسبة للمتبنين الأواخر فى مرحلة التجريب .

٥١ - لدعاة التغيير صلات أكبر مع أصحاب المراكز الاجتماعية الرفيعة، وهذا يفوق ما لديهم من ذوى المراكز الاجتماعية المنخفضة فى التنظيم الاجتماعى الواحد .

وليس من الصعوبة بمكان أن تنقد منطوق معظم هذه النظريات العامة والتعميمات وذلك على أساس :

١ — حاجتها إلى التركيز .

٢ — حاجتها إلى الانطباق على مشكلات عامة .

وكمثل على النقد الأول ، دعنا نستعرض النظرية العامة التى تقول : « لقادة الفكر مركز اجتماعى أرفع من تابعيهم » . وإذا أردنا أن نضع هذا القول فى صيغة أكثر تركيزاً فإننا نقول : « القيادة الفكرية تختلف اختلافاً مباشراً مع المركز الاجتماعى » . وفى حالة العديد من هذه النظريات العامة ، نجد أن التركيز قد ضحى فى سبيل قدر من الوضوح الناتج عن الإطالة فى الصيغة .

ويدل خلو الكثير من هذه النظريات العامة من المفاهيم الاجتماعية العامة على أنها ، فى أحسن الحالات ، مازالت « على المدى المتوسط » وتحتاج إلى أن تقترب من مرحلة التعميم الأفضل قبل أن ننظر إليها على مستوى النظرية الاجتماعية العامة . وكمثل على ذلك ، دعنا نفكر فى النظرية التى تقول : « المتبنون الأوائل لديهم أعمال على درجة من التخصص أكثر

مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأواخر » . ومن الجائز أنه ، بعد أن تكون لدينا حصيلة أكبر من النتائج المستمدة من بحوث أخرى أعمق ومن نصوص أخرى أشمل وأعم ، يمكن أن نصيغ هذه النظرية صياغة أخرى أكثر شمولاً فتكون : «تختلف القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها اختلافاً مباشراً مع التخصص » .

توجيهات للمستقبل :

فى كل فصل من الفصول العشرة السابقة ذكرنا العديد من الاقتراحات التى تصلح لكى تكون توجيهات للبحوث التى سوف تجرى مستقبلاً . والآن نذكر توصية واحدة فقط ذات صلة بالأحوال العامة لإجراء البحوث وهى ضرورة العمل على إجراء «التجارب الكاشفة» أو «التجارب الميدانية الجانبية » بغرض تمحيص عدد من التعميمات الأساسية التى ذكرناها فى هذا الفصل . وثمة حدود لما يمكن أن تدلنا عليه النتائج المستقاة من النمط العادى للتحليل العاملى للمادة العلمية المستمدة من الميدان ، وهى المادة الكاشفة . فمثلاً ، يمكننا أن نحدد بصفة نهائية قدراً قليلا من العوامل المعتمدة على الأسباب والمسببات فى مجال القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها إلى أن نستطيع التوصل إلى شكل خاص من أشكال البحوث ذات الأحكام المناسبة وذات القياس الذاتى . هذا النوع من البحوث مازال قليلاً للغاية ،وهو النوع من الدراسة الذى يمكن أن يمدنا بأمل كبير فى قدرتنا مستقبلا على تمحيص النظريات العامة سابقة الذكر فى ظروف تخضع لإرادتنا بطريقة أفضل .

هذا الكتاب هو الجزء الأول فى سفر واحد كبير . أما الجزء الثانى فمن الجائز أن تتم كتابته فى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً بعد أن تكون هذه التوجيهات التى ذكرناها هنا قد وضعت موضع التنفيذ ، بل وزيد عليها .

هذا الكتاب

جديد فى موضوعه فهو دراسة متعمقة لموضوع «الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر» .

والكتاب يهم طلاب علم الإجتماع وعلوم الإقتصاد وعلم التاريخ وعلم النفس وكل من تستهويه الدراسات المتعلقة بانتشار الجديد من الأفكار .

كما أن الكتاب يهم المشتغلين فى مجالات التغيير الإجتماعى كالإخصائيين الإجتماعيين ورجال الأعلام وغيرهم ممن يهدفون إلى نشر جديد الأفكار خاصة فى الدول النامية .

ومن فصول الكتاب يتضح مدى أهمية الكتاب - وجدة موضوعه وعمق الأبحاث التى تضمنها :

- مناهج البحث فى مجال إنتشار الجديد من الأفكار
- عملية تبنى الأفكار المستحدثة
- الثقافات والمعايير الإجتماعية وعلاقتها بذيوع الأفكار المستحدثة
- الصفات المميزة للفكرة المستحدثة
- قادة الرأى ودورهم فى نشر الأفكار
- دور دعاة التغيير ونتائج إنتشار الفكرة المستحدثة
- التنبؤ بقابلية الناس لتبنى الأفكار

وغيرها من الفصول ....

والكتاب جديد ... وجدير بالقراءة والبحث

الناشر

عالم الكتب